

أصل الشيعة وأصولها

تأليف

الإمام المُصلح

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

المتوفى سنة : ١٣٧٣ هجرية

تحقيق

علاء آل جعفر

مؤسسة الإمام علي (عليه السلام)

(أ)

تقديم :

ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيئ لنا من امرنا رشدا .

الحمد لله حق حمده و ثنائه ، والشكر على نعمائه ، والصلوة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وعلى آله أئمة الهدى ومعدن التقى والعروة الوثقى .

وبعد : فإن الكلمة الإسلامية منذ انشاق الرسالة ، ولادة الشريعة ، حتى بلوغها أزهى عصورها الأثر الكبير في رفد مسيرة الأمة بمقومات الحياة والتطور والتفاعل الجاد من أجل خدمة الإنسان ، وتقويم مسيرته ، وفي إرساء قواعد القيم الروحية، والمثل العليا، التي صدّع بها الإسلام ، وحصّها بالثبات ومستلزمات البقاء، ولو لا الكلمة الطيبة، وما لوجودها وتأثيرها في القلوب والألباب لما قرّت شريعة السماء، وكان لها سلطة على الأرواح التي تصدأ كما يصدأ الحديد ، فتكون لها قراءة الآي المسطور من الذكر الحكيم

(ب)

جلاءً لإظهار هباء النفس وانفتاحها على المدى والرشاد.

وقد كانت ولم تزل الكتابة تمثل الزاد الوافر الذي يغدق بنميره العذب موارد العطاء لتنشرح به القلوب ، وتلمع به الأ بصار ، لأنها تمثل جوانب الا شرارات العلمية ، وثمرة الأ فكار ، وترسم لكل جيل ملامح النهضة والإ قدام ، وتحمل في طيها صور الفضيلة ، ومظاهر الإ بداع الإنساني الذي خصه الله سبحانه بتكرير الإنسان في احسن تقويم ، وقد أقسم البارئ المصوّر بالقلم وما يسطرون ، اظهاراً لما في التدوين والتصنيف والتأليف من براعة وأثر بلين من استفاد علمًا نافعاً فسجّله وأثبتته فخلده ، ومن قرأه فوعاه ، ومن هنا يجمل القول المؤثر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : « قيدوا العلم بالكتابة » و « إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها » .

ولما كان للكتاب الإسلامي مزاياه وخصائصه التي امتاز بها ، بحيث كان عبر أيامه المشرقة مقياساً على رقي الأمة وبلغتها مدارج الكمال والسمو فقد تجسدت فيه الأبعاد الحضارية للفكر الإسلامي ، وبانت على صفحات هذا الكتاب ملء السمع والقلب والبصر في أداء دور رسالة الحق بأفاقها الخصبة الممتدة بعمق إلى حيث التاريخ العريق الأصيل الذي سجلته سيدة الحضارات الإنسانية حين كان ولم يزل للحضارة الإسلامية دور الزيادة والتأسيس في الإسهام بحضارة الإنسان على الأرض الواقع من الأفق المعرفي الكبير تجاوزت حدوده المعرف والعلوم الشرعية التي أكدت عليها الشريعة فأبدعت أقلام الأعلام الأفذاذ في تصوير قواعدها ورسم ملامحها حتى بلغت من المعرف العامة والآداب والفنون ما يحكي جمال الفكر ، وبلغ الأسلوب ، وروعة التعبير ، والإتقان الفني.

وكما كان للحرف منذ نشوئه مداه وذاته عبر مراحل التطور والنشوء المعرفي فقد كان لفضل الإسلام ما أضفى عليه رونقه وفاعليته ودفع في

(ج)

حيويته حيث بلغ مديات من النمو والاطراد حكت الأجيال بعها ، وتركت لها صدور المعاجم والموسوعات والمؤلفات .

وحيينما أحكم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآلـه) الكلمة الإسلامية في رصانتها ومتانتها فقد كانت الريادة بتقديمها وإبرازها للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث تمت على يديه الولادة المباركة حين بدأ بتدوين القرآن الكريم وكتابته بيده الشريفة حفظاً لقدسيته ، وصوناً من أن تمسه الشبهات والأوهام ، وكما صدح به الوحي الأمين على لسان نبيه المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآلـه) فقد كان للإمام علي (عليه السلام) شرف الأولوية في كتابته ومنذ أن ظهر هذا العمل التأسيسي الذي سجله تاريخ صدر الإسلام لصفحات من نور فقد بدأ السعي لتدوين علوم العربية في قواعد النحو وموازين الكلام الصحيح بمبادرة من الإمام علي (عليه السلام) حين أملأ على أبي الأسود الدؤلي قواعد النحو فكان له السبق كذلك في هذا المضمار كما كان في كثير من مبادراته الميمونة حفظاً لأحكام الشريعة وعناية بإبراز معالمها على الوجه الأمثل الذي صاغه رب العالمين لا ما ذهبت به الاتجاهات والتزعّمات والأهواء . . .

وكما كانت تمثل سيرة الإمام علي (عليه السلام) أصلالة الرسالة ونقاءها، وصيانة مبادئ الشريعة من التحريف والتشويه والتزييف ، ينبغي أن تكون خطوات القدوة والأسوة كذلك ، حيث وجدنا إن سيرة الأئمة الهداء من آل (صلى الله عليه وآلـه) كانت النموذج الرائع الذي يتجسد فيه الخط الإسلامي القويم عبر أجيال وأنظمة مررت مثقلة الخطى بالنكبات والمحن والفتنة والضلالات ، فكانت مسيرة أهل البيت (عليهم السلام) الإشراقة الوضيئه التي تهدي إلى الصواب والرشد، وتحقق الباطل ورموزه بما يشحّن الذهنية المسلمة من عطاء الفكر الحمدي الخلاق . . . وهكذا كانت سيرة

(د)

علمائنا الأبرار من السلف الصالح السابق واللاحق من حمل مشعل الهداية ليضيء دروب العلم والمعرفة ، أئمة حق ، ودعاة فضيلة ، وأرباب كمالات .

وفي زمن الصحوة نحو الإسلام ومبادئه الراسخة، لا بدّ وان يكون للمسيرة الفكرية أسمى صورها، واجلى معانيها في انتشار دور الكتب ، والنشر، ومؤسسات التأليف والترجمة والتحقيق حيث تشكل هذه الظاهرة المباركة دلالة واضحة على وعي الأمة لرسالتها ، وإدراكتها لمهمتها الأساسية في توظيف الكلمة المادفة لخدمة الحركة النهضوية، وإرساء معلم الإصلاح والتوجيه ، ولهذا فإن أية ولادة جديدة في هذا المعنى الخير تعني إضافة نوعية، وخطوة إيجابية في عمق الحال الإسلامي الكبير، وتأصيل مفاهيمه .

ومن هذا المنطلق فقد انعقدت النية، وجد العزم على إنشاء " مؤسسة الإمام علي (عليه السلام) " بجمة ومساعي حجة الإسلام والمسلمين العلامة المفضل السيد جواد الشهريستاني دام مجده ، الذي كانت له الأيدي البيضاء في إرساء قواعد هذه المؤسسة ، وإعدادها وإبرازها إلى حيز الوجود لتسنم مهمة حلية في التحقيق والترجمة للكتب الإسلامية التي لها أثراً كبيراً في معرفة أصول العقائد والمعارف الدينية وما افاضت به مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من رؤى ، وأفكار ، وآفاق علمية ، وهي إذ تبادر بإصدار كتاب " أصل الشيعة وأصولها " من تأليف الإمام الراحل آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي بطبعه متميزة — للمرة الأولى — بالتحقيق والتعليق من رشحات الأستاذ الحق البارع علاء آل جعفر فإنما تعبّر عن هججتها بأهمية صدور هذا الأثر النفيس بهذه الحلة القشيبة — ولأول مرة — بعد أن احتل هذا الكتاب محل الصدارة في التعبير عن أصل الشيعة وأصولها، وبعد أن كان له شوط فاعل ومؤثر في مستوى الدراسات والبحوث

(هـ)

الإسلامية المعاصرة .

ولا بدّ لمؤسسنا أن تعلن في البدء عن اضطلاعها بمسؤولية الترجمة إلى اللغات الأجنبية الحية لهذه الآثار العلمية، والكتب النافعة التي سنواصل إصدارها بعد اتمام تحقيقها .

وقد وفقنا — بحمد الله وعنايته — أن تتخذ هذه المؤسسة على نفسها هذه المهمة تعميماً للنفع ، ومن أجل أن تتطلع شعوب العالم بلغاتها المتعددة على معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وملامح مذهبهم الحق الذي يتمثل فيه الإسلام المحمدي الأصيل .

وفي الختام نبتهل إليه تعالى أن يوفق العاملين للعلم والعمل الصالح ، وان يتقبل منا هذه البضاعة المزاجة بقبوله الحسن بتسديده وتأييده . . . انه ولي التوفيق .

الهيئة المشرفة

مؤسسة الإمام علي عليه السلام

قم المقدسة

غرة ربيع الثاني / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ ميلادية

(5)

الإهداء :

يا سيدِي يا رسول الله :

أو يسعني أن أطاؤل مع ضالتي وقلة شأنِي لأخطو — متجاوزاً قدرِي — في فناء قدسك ، وباحة عظمتك لأحط بزاوادي — التي أوشك أن يدركها النفاد — بين أفياء جلالك النصرة مقدماً بين يديك الكريمتين هذه البضاعة القليلة المزجاة التي تخضت بها أيام غربتنا المطاولة التي ما انفكَت تناهى بنا بعيداً عن الأهل والأوطان .

نعم يا سيد الكونين ، ويا أيها الرحمة المهدأة إلى العالمين ، فإني وإن كنتُ حتى دون أن أجده لنفسي موطأ قدم قبالي تلك الطلعنة البهية ، إلا أنني أتشبث بما عرف عنك من حلق عظيم ، فأباخراً لأمد يدَيَ إليك سائلاً لا معطيَا ، متوسلاً لا مطالباً ، راجياً من الله تبارك وتعالى الذي اصطفاك وانتجاك أن يرزقني شفاعتك يوم تعرض فيه الأعمال ، إنه سميع مجيب .

علاء آل جعفر

(6)

Λ

(7)

مقدمة التحقيق :

بسم الله الرحمن الرحيم

أبتدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ، رب الأرباب ، رب العباد ، الرؤوف الرحيم الذي خلقنا و كان سبحانه عن خلقنا و عبادتنا له غنياً ، وأسbig ع علينا من النعم ما لا حد له ولا إحصاء ، تبارك وتعالى الله رب العالمين .

وأصلی على رسوله الكريم ، ورحمته المهدأة إلى العالمين ، النبي المصطفى الذي انتشل من ابتغى النجاة من تيه الضلال إلى نور الهدى ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، وعلى أهل بيته المعصومين ، ورثة علمه ، والقادة من بعده ، سفن النجاة الفارهة ، ومنائر الهدى السامة ، عليه وعليهم آلاف التحية والتسليم .

وبعد :

فلربما يعتقد البعض بتصوّر يتيّن على الفهم السطحي والمظاهري لطبيعة المساجلات الكلامية ، والمحاورات الفكرية التي كانت وما زالت تتمظَّلُ بها بعض المراكز المحددة العناوين ، في سعيها الدائب والمتواصل من أجل توسيع الهوة الوهمية المفتعلة بين الإدراك الحقيقى والسليم لعقائد

(8)

الشيعة الإمامية من قبل إخواننا في الدين من أتباع الفرق الإسلامية المختلفة ، وبين حالة التفسير السلي وغیر العلمي ، بل والمترتب عن أرضية الواقع الحقيقة — التي ينبغي أن تكون هي المحك الأساس في تقدير مصداقية وأحقانية كل طرف — والذي تحاول هذه الأطراف جاهدة من أجل أن تجعل منه الصورة التي تريد لها أن ترسم في مخيلة هؤلاء المسلمين عن حقيقة التشيع وعقائده .

نعم ربما يعتقد هذا البعض بحسن نية — لا تتوافق حتماً وواقع الحال المعاش — أنَّ المرتكز الحقيقي الذي تبني عليه هذه المنازعات الفكرية هو ما يمثل الجانب الإيجابي المثمر الذي يفترض أنْ يقود الباحثين إلى التوصل نحو الخلاصة الإيجابية المبتغاة من حلقات البحث ، والذي هو طلبة كلَّ عاقل منصف باحث عن الحقيقة في هذا الزمن العسر الشاق الذي يشهد بوضوح جلي تبلور صورة الصراع الخفي والعلني الذي تتوجه حرابة نحو العقيدة الإسلامية المباركة كأطروحة سماوية قادرة على ملء الفراغ العقائدي الذي خلفه الانهيارات المتلاحقة للكثير من الأطروحات المادية وغيرها ، من التي جهد دعاها وأنصارها ومریدوها في تأكيد قدرها المزعومة على السمو بالبشرية وحل مشكلات العصر التي — على زعمهم الباهت — تعجز قبالتها العقائد الدينية ، ارتكازاً في تشكيل هذا المعتقد على وضوح الانحراف العقائدي للكنيسة ، وبروز حالة التبعثر والتشرد بين عموم الفرق الإسلامية ، رغم بروز ظهور الكثير من حالات الالتقاء والتقارب .

أقول : إنَّ وضوح حالة التشتت بين الأخوة الفرقاء لم ت redund بالتفكيرين الغربيين والماديين والمصطفين معهم عن التفكير الجاد في إذكاء وتأجيج هذه الحالة السلبية من خلال الترويج — بمكر وخبث — عن عدم قدرة الإسلام في الوقت الحاضر لأنَّ يشكل منهاجاً يمكن اعتماده في بناء الحضارة

(9)

البشرية، وحل العقد المستعصية المزمنة التي تغلب على حياة هذه الأُمم ، وذلك لإدراك أولئك المفكرين بوضوح وجلاء — خير من إدراك الكثيرين من رجال هذه الأُمة — حقيقة العقائد الإسلامية وعظمها ، وما يمكن أن يشكّل الإدراك والفهم الحقيقي لها ، لاسيما من قبل الشعوب التي عاشت وتعيش حالة التغرب المقصود عن عقائد السماء العظيمة، بعد انفصال الكثيرين منهم ورفضهم لحالة الانحراف والتردي التي تمثل بالعقائد الفاسدة التي يرددوها بسماجة رجال الكنيسة وقساؤستها، والتي يتأرجح أكثرها على ترانيم أفكار اليهود وأحبارهم بشكل لا يخفى إلا على السذج والمغفلين .

نعم إنَّ المرء ليدرك بوضوح حالة التوجُّس الكبيرة التي يعاني منها المفكرون الغربيون ، ودعاة امتطاء ركب الحضارة الغربية — باعتبارها على زعمهم المريض البديل الفكري الوحيد الذي لا يسع البشرية الاستعاضة عنه ، لاسيما بعد الانهيارات المتلاحقة للأفكار المادية التي حكمت الكثير من بلدان أوروبا الشرقية ، تبعاً لتمزُّق أسلاء أممهم التي ولدتهم سفاحاً — من قدرة الإسلام على حل كل مشكلات العصر التي عجزوا هم عن مجرد تقديم تفسير مقنع لها ، بل وقدرته على أن يكون هو البديل الوحيد عن كل الأطروحات الفاسدة التي استطاعت أن تجده لها موطأ قدم بعد التغييب القسري لل الفكر الإسلامي عن أرض الواقع — ولسنين طوال مرة — وهو ما لا يعسر على أحد إدراكه من خلال استقراء الأحداث المتلاحقة في هذه المعمورة الدالة بوضوح على ما يمكن أن يؤدي إليه الإدراك الحقيقي للإسلام — ولا أحدد هذا بغير المسلمين فحسب — من انهيار حتمي لكل النظريات المادية الأخرى ، والى هذه الحقيقة تشير تلك الأحداث التي أشرنا إليها ، والتي أبصرها حتى مكفوبي الأ بصار.

ثم لعلَّ تفشي حالة التوجُّه نحو العقائد الإسلامية في ذهنية العديد من

(10)

الأوربيين ، ونبذهم للأفكار الغربية ، وتصريح البعض منهم دون مواربة اعتناقه الإسلام^١ وحث الآخرين نحو فهم سليم وواعي للدين الإسلامي ، بدأ يشكل الحلقة الأكثر خطراً في حسابات الماديين والإلحاديين ودعاة التغريب ، فكان ذلك حافزاً مؤكداً لهم للتسلب من حلال الخلل التي أوجدها حالة التعصب المقيت المثارة من قبل المتسربيين بجلباب الإسلام وردائه الفضفاض ، ليُطعن الدين بعده أهله ، ويقف أعداؤهم في خانة المترجحين لا يخفون شماتة ولا يكتمون سروراً ، وتلك هي والله أُم الفواقر.

بلى ، فمن هذا التشخيص الدقيق — الذي يدركه العقلاء — المنبعث عن رؤية صادقة ومستجلية للغرض السيء الذي يراد العزف على أوتاره من حلال عشرة الصحف الإسلامية الواحد ، ترانا نستثير بالمسلم ضرورة البحث الجدي والرصين المبني على قواعد علمية سليمة يستطيع من خلالها تكوين صورة صادقة عن الأمر محل البحث — وحدينا هنا عن عقائد الشيعة — تمكنه من الحكم الصحيح لا إطلاقه جزافاً ، لأن ليس بذلك من عمل المخلصين الوعيين ، وخلاف البحث الأكاديمي العلمي ، فكيف إذا احتضن ذلك بطائفة كبيرة من طوائف المسلمين لها آثارها البارزة في بناء الحضارة الإسلامية ورقيها؟

إنَّ السجال العلمي المادف يُعد بلا شك طيبة كل المسلمين الوعيين المدركون بدقة أنَّ سر مختفهم وطوال قرون الانتكاسات المرة المتلاحقة — التي توَّجت بسقوط عاصمة الدولة الإسلامية بأيدي المغول عام (٦٥٦ هـ) —

^١ المراجعة البسيطة للإحصائيات الميدانية في أوربا حول عدد الأوربيين الذين اعتنقا الدين الإسلامي تبيّن بوضوح حدة ارتفاع الخط البياني بشكل ملفت للأنظار ، وخصوصاً في السنوات الأخيرة التي تعتبر بحق سنوات الصحوة الإسلامية التي بدأت بفتح العالم ، حتى أني قرأت وقبل فترة إحصائية لعدد معتنقى الإسلام في فرنسا فقط يذكر فيها أن عددهم بلغ في حدود ٢٥٠٠٠٠ فرنسي ، وكذا هو حال باقى بلدان أوربا وبشكل متفاوت ، فراجع .

(11)

1258م) مستبعة باخفاقات وترديات متكررة لتكتمل في اهياراتها أمام الغزو الاستعماري المقيت المبدأة أولى مراحله أبان القرن التاسع عشر الميلادي ، والذي استكملت حلقاته مع نهاية الحرب العالمية الأولى — يكمن في استسلامهم الممحوج حالة التناحر المدسوسة من قبل أعدائهم — الأجانب منهم أو المتسللين بلباس الإسلام — وبعدهم الذين عن الفهم السليم للكثير من عقائدهم الأساسية — وهنا يكمن أصل الداء — والتي أدار لها الكثير منهم عارضيه ، واستسلم بجهل لا يغفر لما يلقين به من تفسيرات وتأويلات غريبة ومردودة لتلك العقائد ، دون أي تأمل وتبصر .

ثم إنَّ الاستقراء العلمي والدقائق للكثير من تلك المساحات يبين بجلاءٍ أنَّها عين — أو انعكاسات — التقوُّلات التي تفتقت عنها خيلة اللاهثين خلف سراب المتع الرخيصة والزائفية إبان امتطاء الأمويين سدة الحكومة الإسلامية ، مَنْ أجهدوا أنفسهم في البحث عن مسوغ ما يبرر توليهم لحكومة كانوا هم أكثر الناس كَلَباً عليها ، وعداءً لها ، فطروقاً أسواق النخاسة التي تصطف فيها الضماير المعروضة للبيع ، والمتبارة في الكذب على الله تعالى ورسوله ، كما تبارى الجواري في عرض محاسنهن أمام رواد هذه الأسواق — ولكن شتان ما بين هذه وتلك — فوجدوا بغيتهم في بعض الصحابة والتابعين ، من حفظ لنا التاريخ تحليقهم حول موائد الأمويين الذين طالما حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من حكمتهم وما يجرونها فيها على الأمة من عظام الأمور المنبعثة عن فسادهم وبعدهم الذين عن الإسلام .

لقد كان الأمويون أول من سن بشكل بِّين قواعد بعثرة أبناء الدين الواحد متسللين في تحقيق بغيتهم هذه بكل ما تطاولت إليه أيديهم التي أطلقها في بيت مال المسلمين امتطاؤهم لسدة الخلافة الإسلامية التي كانوا أكثر من أَلْبَ عليها ، ولم يدخلوا وسعاً في احتواها والقضاء عليها ، بل ولم ينل

(12)

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ — بَلْ وَحْتَ وَبَعْدِ وَفَاتِهِ — أَذْى مِنْ أَحَدٍ قَدِرَ مَا نَالَهُ مِنْ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى نَبْذُهُمُ الْجَمَعَةُ الْإِسْلَامِيُّ وَدَفْعُهُمُ إِلَى الظُّلُمِ ، فَانكَفَؤُوا فِي جَحُورِهِمْ كَالسَّعَالِي يَتَرَقَّبُونَ أَنْ تَدُورَ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَأَهْلِهِ الدَّوَائِرِ ، أَوْ يَأْتِيهِمُ الزَّمَانُ بِمَا عَجَزُوهُمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ ، وَهُوَ مَا حَدَثَ حِينَ تَوَلَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ سَدَّةَ الْخَلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، حِيثُ قَفَزَ الْأَمْوَالُ إِلَى قَمَةِ الْهَرَمِ الإِدَارِيِّ فِي الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَطْلَقُوهُ لِأَحْلَامِهِمُ الْفَاسِدَةِ الْعَنَانِ ، وَعَانَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِعْنَانٌ وَحْدَهُ حِيثُ فَتَحَ الْبَابُ — الَّذِي أَوْصَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَحْوَهُمْ — عَلَى مَصْرَاعِيهِ أَمَامَ طَمْوَحِهِمُ الْمُنْحَرِفُ ، وَأَغْرَاضِهِمُ الْخَبِيَّةُ ، وَلَا غَرُوْ في ذَلِكَ فَعُثْمَانَ يُعْلَنُ بِصَرَاحَةٍ عَلَى الْمَلَأِ : أَنْ لَوْ كَانَتْ بِيَدِي مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمِّيَّةٍ !^١ وَكَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ وَفِيَّ لِتَعْمَهِدَهُ

^٢ حَتَّى ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ

^١ روى أحمد بن حنبل في مسنده (١ : ٦٢) عن عثمان بن عفان : أَنَّهُ دعا جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمَّارَ بنَ يَاسِرَ — وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّي سَائِلُكُمْ وَإِنَّي أُحِبُّ أَنْ تَصْدِقُونِي ، نَشَدْتُكُمُ اللهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَؤْثِرُ قَرِيشًا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ ، وَيُؤْثِرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قَرِيشٍ ?

فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عُثْمَانٌ : لَوْ أَنْ يَبْدِي مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمِّيَّةٍ حَتَّى يَدْخُلُوا مِنْ عَنْدِ آخِرِهِمْ !

^٢ بلـي فـقد كـانت أـيـادي عـثـمـانـ بـنـ عـفـانـ فـي بـنـيـ أـمـيـةـ لـاـ حدـودـ لـهـ ، مـمـاـ أـثـارـ ذـلـكـ عـلـيـهـ نـقـمةـ الـمـسـلـمـينـ ، لـاـسـيـماـ وـأـنـ هـنـاكـ الـكـثـيرـ مـنـ صـحـابـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـّىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ أـدـرـ كـوـاـ وـعـاـيـتـوـ المـوقـفـ العـدـائـيـ لـهـذـهـ الـأـسـرـةـ مـنـ إـلـاسـلـامـ وـآلـهـ ، بـلـ وـمـنـ رـسـوـلـهـ الـكـرـيمـ صـلـّىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ الـذـيـ ماـ زـالـتـ كـلـمـاتـهـ وـعـبـارـاتـهـ الـمـخـذـرـةـ لـلـمـسـلـمـينـ مـنـ فـسـادـ هـذـهـ الـعـائـلـةـ وـأـخـرـافـهـ ، وـجـهـدـهـاـ الـدـؤـوبـ قـيـ تـمـزـيقـ هـذـهـ الـدـينـ ، تـرـدـدـ فـيـ آـذـانـهـ ، وـتـجـاـوـبـ مـعـهـ نـفـوسـهـ ، وـلـذـاـ فـقـدـ كـانـ مـوقـفـ الـخـلـيـفـةـ الـمـخـالـفـ بـشـكـلـ حـادـ لـتـلـكـ الـوصـاـيـاـ مـصـدـرـ نـقـمةـ وـغـضـبـ بـدـأـتـ تـعـمـلـ فـيـ نـفـوسـ أـوـلـاـكـ الصـحـابـةـ ، يـؤـجـجـهـاـ إـسـرـافـ الـأـمـوـيـنـ وـتـجـاـوـزـهـمـ عـلـىـ حـقـوقـ الـمـسـلـمـينـ وـتـلاـعـبـهـمـ بـهـ .

ولـقـدـ اـسـتـعـرـضـ الـمـؤـرـخـونـ فـيـ كـتـبـهـمـ جـوانـبـ مـتـفـرـقـةـ مـنـ تـلـكـ الـأـمـورـ ، إـلـاـ أـنـ أـوـسـعـهـاـ تـفـصـيـلـاـ مـاـ أـوـرـدـهـ أـبـيـ الـحـدـيدـ الـمـعـتـزـلـيـ فـيـ شـرـحـهـ لـنـهـجـ الـبـلـاغـةـ (١ : ١٩٨) حـيـثـ ذـكـرـ : أـنـ عـثـمـانـ أـوـطـأـ بـنـيـ أـمـيـةـ رـقـابـ النـاسـ ، وـوـلـأـهـ الـوـلـاـيـاتـ ، وـأـقـطـعـهـمـ الـقـطـائـعـ .

(13)

— وفيهم الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله — بفساد الأمويين وقتلهم ،
فانقضوا على بيت الخليفة وقتلوه .

فلما افتتحت إفريقية في أيامه أخذ الخمس كله ووهبه لمروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله .
وطلب منه عبد الله بن خالد بن أبي سعيد صلة ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم .

وأعاد الحكم بن أبي العاص [عدو رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن أكثر الناس إيناء له] بعد أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد سرّه ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف درهم ! ! .

وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يُعرف بمعزور على المسلمين ، فاقطعه عثمان الحارث بن الحكم
أخاه مرwan بن الحكم .

واقطع مروان فدك ، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه ، تارة بالميراث ، وتارة بالنحله
فليغت عنها .

وحَمِي المَرَاعِي حَوْلَ الْمَدِينَةَ كُلُّهَا مِنْ مَوَاشِيِّ الْمُسْلِمِينَ كُلُّهُمْ إِلَّا عَنْ بْنِ أُمِّيَّةَ .

وأعطي عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب — وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة — من غير
أن يشرّكه فيه أحد من المسلمين .

وأعطي أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بعوائد ألف من بيت المال ، وقد
كان زوجه ابنته أم أبان ، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكي ، فقال عثمان : أتبكي
آن وصَلتُ رَحْمِي ! قال : لا ، ولكن أبكى لأنك أخذت آنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أتفقته في سبيل الله في حياة رسول
الله صلى الله عليه وآله ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً ، فقال : ألق المفاتيح يا بن أرقم ، فإننا سنجد غيرك .

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق حليلة ، فقسمها كلها في بني أمية . وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة ، فأعطاه مائة
ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن حزنه .

وانضمت إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون : كتسبيه أبي ذر رحمه الله تعالى إلى الرّبّدة ، وضرب عبد الله بن
مسعود حتى كسرت أضلاعه . . . وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين . . .

نعم لقد كانت هذه العصابة المشخصة النوايا — والتي أخذ بخطامها

(14)

معاوية بن أبي سفيان ، وحاله لا يخفى على أحد ، وبغضه لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحتاج إلى توضيح — هي أول من تصدى لتمزيق أشلاء المجتمع الإسلامي الواحد ، ثم اقتفى الخلف من بعد آثار السلف ، وامتنطى العباسيون قوى الأحداث ، مثيرين النفع قبلة الحقائق الثابتة بأحقانية أهل البيت عليهم السلام ، مرددين عين الترهات التي ما انفك الأمويون عن تردیدها والتلاعيب بمفردها ، ومستثمرين حالات الصراع الفكري الذي بدأ تبلور أبعاده في نشوء المدارس الكلامية المتعددة، تزامناً مع توسيع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية ، وتأثير الكثير من تلك المدارس بالاطروحات الفلسفية والفكرية لتلك الشعوب الحديثة الإسلام ، والتي تمتلك بلا شك جملة خاصة من الأفكار البعيدة الغور ، والواسعة المدى ، فحدثت — وذلك أمر متوقع — العديد من حالات التأثير الفكري والعقائدي عند بعض المدارس الكلامية الإسلامية التي أفرزتها تلك الظروف الغربية عن حياة المسلمين ، فاستمررها السياسة الحاكمة ترويجاً ل موقفها المعاند لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وإصحاباً لمتكلّمي الشيعة في مخاضات الجدل والمناظرة والتي سحل لنا التاريخ امتلاك هؤلاء المتكلّمين — المتخريجين من تلك المدرسة المباركة التي تستقي علومها من دوحة النبوة المعطاءة — لزمام الحاجة والمجادلة، فلم يمتلك أولئك المنكسرین ما يرد لكتيرائهم المرغ في وحل العجز بعض معالمه إلا اجترار ما ازدرته نفوس المسلمين العقلاء من الكذب الرخيص والافتراء الباهت .
نعم لا شيء جديد يمكن للمرء أنْ يعده محفلاً للبحث والتباري الفكري والعقائدي ، بل هو — وكما ذكرنا — اجترار مقيت ، وتكرار ممل ، لأنَّ تكُلُّف البعض أنْ يُضفي عليه طابعاً عصرياً مُوّهاً لبضاعة السابقين ، ولكن الأصل أجمل من أن يخفيه أي تزويق ، وأي تمويه . والأنكى من ذلك أنْ

(15)

تجد التراث الشيعي للكثير من علماء الشيعة ومتكلّميهَا ، وطوال حقب متلاحقة ، تزدان به ما لا يحصى من المؤلّفات والأسفار القيمة التي تبيّن بوضوح لا خفاء فيه عقائد الشيعة ، وأدلتهم الشرعية التي يرتكزون عليها في صياغة أحكامهم التي يتبعدون من خالها . . . وهذا التراث — بكلّ ما فيه — لا يعسر على أحد قراءته ومطالعته ، وإدراك حقيقته ، وذاك أجدى لمن ابتغى الحقيقة لا سواها ، لأن السمع أو الركون لتقولات الآخرين — كما هو حال العديد من الباحثين في عصرنا الحاضر ، وهو ظاهرة سلبية مردودة — قد يؤدي إلى إيقاع الظلم بالآخرين دون حجة أو دليل يعتذر به ، لتعتمد البعض قلب الحقائق وتزييفها لأغراض ومارب غير خافية على أحد^١ .

^١ الغريب أن تبلغ السذاجة أو الصلافة بالإنسان حدًا يتجاوز فيه كلُّ الحدود الشرعية والأخلاقية ، وتحشره مجردًا في زاوية حرج ، وفي موقع مفضوح يجعل المرء معها يتساءل عن مدى القائدة التي يجنيها هذا البعض من هذه التصرفات والمواقف الشاذة والمنحرفة المرتكزة على التقولات والافتراضات الباهتة التي لأبده وأنْ يظهر زيفها مع الأيام وعند الاستقصاء ، وعندها لا أ دري بماذا يعتذر هنالك المبطلون ، سواءً أكان ذلك في الدنيا أو يوم يقوم الحساب .

نعم هناك الكثير من هذه الموارد الدالة على انحراف أصحابها عن جادة الصواب ومنطق الحق — من الذين لا تفسّر مواقفهم هذه إلا بأكملها محاولات مسمومة لبعثرة الصف الإسلامي الواحد — أشار إليها بعض الباحثين والمتبعين في بحوثهم ومؤلفاتهم ، كما أشرنا إلى بعض منها في مقدمتنا التحقيقية لكتاب مكارم الأخلاق ، فراجع .

وأمّا ما نريد الإشارة إليه هنا فهو عينة صادقة عن خبايا تلك النفوس التي لا ترعوي أمام كلمة الحق ، ولا تخشى المسائلة يوم الحساب ، وبشكل تمجّه النفوس ، وترديه العقول .

فقد عمد أحد الكتاب المصطفين في خانة حاملي معاول تزييق هذه الأمة باسم الدفاع عن حرميها زوراً وهتاناً ، ويُدعى محمد مال الله في كتابه الموسوم بـ (موقف الشيعة من أهل السنة) في الإصدار الأوّل مما يسمى بدراسات في الفكر الشيعي إلى التلاعب بإحدى العبارات التي نقلها عن كتابنا هذا بصلافة عجيبة ، ووقفحة غريبة .

فقد ذكر في الصفحة ٢٨ من كتابه المذكور، ما هذا نصّه : والبداء عند الشيعة : « أنْ يظهر ويبدو لله عَزَّ شانه أمر لم يكن عالماً به » ! انتهى .

(16)

إنَّ المسلمين الذي دَكَّت سبابك خيولهم أقاصي المعمورة ، وأذعن لسلطانهم العظيم الأكاسرة والقياصرة ، وأخذت أصوات مآذنهم تنادي بالتكبير والتوحيد في أراضي الصليب المتسخ — الذي ما انفكَّ المتاجرون به من حمله على أكتافهم ليخفوا تحت أخشابه المتهمة جشعهم وفسادهم وانحرافهم عن أبسط المفاهيم السماوية المقدسة — أولئك المسلمين كانوا بأمسِّ الحاجة من غيرهم إلى وقفة شاملة لا بُدَّ منها لإدراك الخلل أو العلة الرئيسية التي أودت بكلٍّ أحجادهم ومفاحرهم ، وبذلت وأمام أعينهم تتهاوى

وأشار في الخامس الخامس إلى كتابنا هذا : (٥) أصل الشيعة وأصولها/ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : ٢٣١ .
وياليته اكتفى بموقفه المخزي هذا، لكننا تلمّسنا له عذراً ، ولكنه يصر على خداع القراء ، ويواصل كذبه وافتراءه دون أي حياء ، فقد أعاد كتابة عين تقولاته هذه في كتابه الآخر (الشيعة وتحريف القرآن) ! في طبعته الثانية الصادرة عن شركة الشرق الأوسط للطباعة في عمان عام (٤٠٥ هـ)، وفي الصفحة ١٢ منه ، فراجع .

نعم هكذا تصرف هذا المؤلف بهذه العبارة ليسيء إلى طائفة بأكابرها ويتهمها بالكفر والانحراف ، متورها أنْ لا أحد سيكشف كذبته هذه ، وأنّها ستمر على القراء مرور الكرام ، ويقال : انظروا ماذا تقول الشيعة على لسان واحد من كبار علمائها ، هل هذا إلا هو الكفر الحضن !

ونص العبارة التي تصرف بها هذا المؤلف موجودة في خاتمة كتابنا هذا ضمن حديث الشيخ رحمة الله تعالى عن المفتريات التي تتهم ظلماً بها الشيعة ، حيث قال : مَمَّا يُشَعِّبُ بِهِ النَّاسُ عَلَى الشِّعْيَةِ ، وَيُزَدِّرُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَمْرَانِ : الْأُولُّ : قُولُهُمْ بِالْبَدَاءِ ، تَخْيَالُهُمْ بِالشَّيْءِ الْمُشَبِّعِ أَنَّ الْبَدَاءَ الَّذِي تَقُولُ بِهِ الشِّعْيَةُ هُوَ عَبَارَةٌ عَنْ أَنَّ يَظْهُرَ وَيُبَدِّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَانَهُ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ عَالَمًا بِهِ ! وَهُلْ هَذَا إِلَّا الْجَهَلُ الشَّنِيعُ ، وَالْكُفْرُ الْفَضِيعُ ، لَا سُلْزَامُ الْجَهَلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ مُحَلٌّ لِلْحَوَادِثِ وَالتَّغْيِيرَاتِ ، فَيُخْرِجُ مِنْ حُظْرَةِ الْوَجُوبِ إِلَى مَكَانَةِ الْإِمْكَانِ ! وَحَاشَا الْإِمَامَيْةِ « بَلْ وَسَائِرُ فَرَقِ الْإِسْلَامِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْجَهَالَةِ » بَلِ الْضَّلَالَةِ . . . إلخ .

أقول : أترك للقارئ الكريم مسألة التعليق على هذا الأمر ، والحكم بما يراه موافقاً للعقل والمنطق والصواب .

(17)

شيئاً فشيئاً ، دون أن يمتلكوا أمامها حيلة ولا سبيلاً.

حقاً — وهذا مما لا ريب به — إن ذلك الخلل كان قد استشرى كثيراً في جسد هذه الأمة التي تمتلك — وذلك ما نعنى به الأفواه — كل مقومات الرقي والسمو ، بل وتعود رسالتها هي المنهج العقائدي الوحيد القادر على إنقاذ البشرية وانتشالها من وهدة الضياع والتغرُّب والانسلاخ عن رسالتها العظيمة التي خلقها الله تبارك وتعالى من أجلها .

بلى إن ذلك الخلل الرهيب — بأبعاده المختلفة — كان يسري في جسد هذه الأمة مترافقاً مع جوانب الخير والعطاء التي أفضتها شريعة السماء بأشكالها المتعددة ، فكان كالعلة التي لا يعيدها البعض اهتماماً حتى تودي به على حين غرة . فتقادم العصور والدهور، وإذكاء حالة الاستسلام أمام واقع الحال دون أي ردة فعل أو إنكار ، بل والوقوف السلبي في بعض الأحيان — أو الحيادي في أحيان أخرى — أمام دعوات التصحيح المخلصة ، كل ذلك كان يشكل العنصر الداعم والمتسامح بتجاه حالة السقوط هذه .

نعم ، ولعل الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم يمثل عينة واضحة مفردة تعكس ابتلاء الشيعة — وطوال قرون ودهور في إيضاح ورد الشبهات السقيمة والواهية التي ما انفك البعض كالبيغاء لا يمل من تكرارها في كل مناسبة وعلى كل منبر ، إصراراً على المعاندة والمكايدة ، أو جهلاً مجوحاً لا عذر فيه ، فكانت مواقفهم المردودة هذه تمثل وبوضوح رؤوس الفتنة الملعونة المبتغية زعزعة وخلخلة البنيان الإسلامي ، من خلال التمويه المقصود على الحقائق الواضحة التي لا يُعفي أحد من وجوب التعرُّف عليها وإدراك مصادقتها .

وأقول بعيداً عن المغالاة والتطهُّر: إن الأمر الذي لا مراء فيه هو إن التفاوت المنظور بين فرق المسلمين لا يشكّل حالة مهولة تدفع العقلاء إلى

(18)

اليأس وإلقاء ما في أيديهم وترك الحال على غارها، لأنَّ — وذلك منتهى الصدق والحق — ما يتفق عليه الاخوة الفرقاء هو أكثر مما يختلفون فيه ، وفي ذلك ما يشحد في المصلحين المهم ، ويدفعهم إلى مواصلة الجهد الدؤوب نحو التقرير والالتقاء .

بيد إنَّ المحاولات المعدودة — ومع اقتران أكثرها بصدق النية وصفاء السريرة — تبقى قاصرة ودون الإحاطة الشاملة لأبعاد هذا الأمر الجسيم ، لأنها تبقى دائرة في الذيول — دون الأصل — مرات كثيرة وينتعطى معها بين الأخذ والرد .

ولا غرو في ذلك إذ إنَّ العلاج الأنفع لأي علة لا بدَّ فيه من البحث عن الأسباب الرئيسية والأساسية في بروزها ، لا معالجة نتائجها ، وهذا ما عجز الكثيرون عن إدراكه ، أو الإشارة إليه صراحة ودون مواربة . . . فتعاقبت الانتكاسات ، وتواترت الاحفافات ، وستقي طالما ما زلنا نجد من لا يتورع عن تزييف الحقائق ، وقلب المسميات بصلاحية عجيبة ، ووقاحة لا تصدق .

وحقاً أقول : أنَّ الحديث عن هذا الأمر يستثير في خواطر المرء الكثير من الشجون التي لا بدَّ لها من ترجم للجميع دون مواربة ومحاتلة ، وتنطلب صدقًا وإخلاص نية تحاوز حدود الأهواء والتزعات النفسية ، وتصبح معياراً وسبيلاً لإدراك الحق والحقيقة ، لا شيء غير ذلك ... المسلمين في هذه المعمورة تشبعَت بهم المذاهب ، ونأت بعضهم عن بعض ، بمسافات تتبعاً وتتقارب تبعاً لمدى الوعي الفكري ، والفهم العقائدي ، وتوسَّط بين الاثنين جماعة لا تجد غير لغة التكفير البغيضة ، وإثارة النقع قبلة الحقائق الناصعة والثابتة .

فالتشكل الأكبر — وكما يعلم الجميع — لعدد المسلمين يتمثل بأهل السنة

والجماعه^١ والذين يتبعون بفتاوي أئمه المذاهب الأربعة : أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، وأحمد بن حنبل . فهناك الحنفي ، والشافعي ، والمالكى ، والحنبلي ، وجميع هذه المذاهب تلتقي وتفترق في جملة واسعة من المسائل ، وذلك أمر لا مناص منه .

وأما الشقل الأكبر الثاني فيتمثل بالشيعة ، وأعني بهم الشيعة الامامية الإثنى عشرية ، وهم ينقادون في فهم عبادتهم ومعاملاتهم لأهل بيته عليهم السلام ، الذين توارثوا علومهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما افترق حكم اللاحق عن السابق ، بل كان مؤمناً مؤدياً .

بلى إن الشيعة ترجع في أحكام دينها إلى هذه العترة الطاهرة التي يجب على المسلمين بنص القرآن الكريم اتباعهم وموالاتهم ومودتهم ، ينضاف إلى ذلك جملة واسعة من الأدلة الثابتة والصححة التي لا غبار عليها ، وهذا ما لا يحاول البعض — تعنتاً ومجافاة للحق — إدراكه وتفهومه ، فيضع نفسه في المضيق دون أي مرتکز يعول عليه ، بل والأغرب من ذلك أن تجد من يتسلل تبريراً ل موقفه المستهجن — وذلك ما ليس بخاف على أحد — بما تمليه عليه حاليه النفسية القلقة ، لا المرتكزات العقائدية والفكرية التي ينبغي أن تسود هذه المباحث .

^١ لعله لا يخفى على أحد الأثر العظيم الذي خلفته الدهور المرة القاسية التي أحاطت بالشيعة — وأعملت أنيابها فيهم تمزيقاً وقطعاً وبشكل متزاوب متلاحق — وساهمت بشكل مباشر في تحديد أعدادهم ، والحد من تكاثرهم بشكل جلي واضح للعيان ، وهذا ما سبق أن تقدّم منّا الحديث عنه سالفاً .

يضاف إلى ذلك ما جلأت إليه الحكومات الجائرة المتلاحقة من ترويجها وإسنادها للمذاهب الإسلامية الأخرى ، تكيلًا بالتشيع ، وتحجيمًا له ، لا حباً وإيماناً بتلك المذاهب في أغلب الأحيان ، وإنْ كان ذلك الأمر يتشكل في بعض الأحيان بصبغة التعصب الطائفى المقيت الخارج عن أي مفهوم شرعى .

(20)

نعم لا خلاف بأنَّ المسلمين كانوا يشكّلون — ظاهراً — في زمان رسول الله صلَّى الله عليه وآلَهُ أُمَّةً واحدة يحكمها وجود قائد ميداني ، تنقاد لمشيئته المنبعثة عن إرادة السماء جموع المسلمين ، فلا وجه لأي مخالفة آنذاك غير الخروج عن إطار الإسلام ، والكفر الصريح . ومن هنا فلم تكن هناك شبّهات عقائدية تعرّي أحد ، لأنَّه يجد الجواب الشافي والحاصل لدى صاحب الرسالة صلَّى الله عليه وآلَهُ .

بيد أنَّ اللحظات الأولى لرحلته صلَّى الله عليه وآلَهُ شهدت بذر شجرة الخلاف التي تطاولت مع الأيام وتفرَّعت ، وضررت جذورها بعيدة في أعماق العقيدة الإسلامية المباركة ، وأثّرت مع الأيام ثُمَّاً مرأًّا لا يُستساغ ، أفسر البعض نفسه على تحرُّعه غصّاً، عناداً للحقّ ، أو استسلاماً للواقع المعاش .

فقد توفي رسول الله صلَّى الله عليه وآلَهُ ودولة الإسلامية الغضة الفتية تعيش في أدق ظروفها السياسية وأحرجها ، وحيث تحوطها وتعيش بين حنبيلها الكبير من المخاطر المشخصة العناوين : كالمُنافقين ، ومدعى النبوة وحلفائهم من المشركين ، واليهود ، بالإضافة إلى الخطر الذي تشَكّله عليهم كلُّ من الدولتين الرومانية والفارسية ، وغير ذلك .

وإبان تلك الظروف الحساسة والمخطرة أبتليت الأُمَّةُ بأول وأخطر انقسام أصابها في الصميم ، وكان العلة الأساسية لكلٍّ أمراضها وويلاتها المتلاحقة ، ونقطة الاختلاف التي تشَعَّبت عنها كلُّ موارد التفُّرق المتفاوتة ، ولن تجد تفسيراً منطقياً وعلمياً يمكنه الإعراض عن التصرّح بهذه الحقيقة الثابتة.

نعم إنَّ الاختلاف الذي مُنيت به الأُمَّةُ في مسألة خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآلَهُ — وما استتبعه بعد ذلك من نتائج متوقعة — كان هو سر الداء الذي سرى في جسد هذه الأُمَّةِ، وتصيّده أعداؤها فطفقو — بأساليب

(21)

محكمة ومدرسة — يؤجّجو نار الاختلاف ، ويتوسّعوا الهوّة بين الأخوة الأشقاء ، بل ولم يتورّعوا عن الكذب والافتراء ، والتحريف والتشويه ، وقلب الحقائق وتزييفها كما أسلفنا .

لقد كانت حقيقة هذا الاختلاف تتلخص في تشبيث طرف وإصراره على أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) قد نصَّ على خلافة علي (عليه السلام) من بعده ، وتعضدهم في مقولتهم هذه جملة قوية من الأدلة النقلية والعقلية الثابتة ، وهم الشيعة ، حين يصر الطرف الآخر على نفي هذا الأمر ، ويذهب إلى القول بأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) ترك الأمة دون أن ينصِّب عليها خليفة له من بعده ، وكان على هذه الأمة أنْ تتولى بنفسها تدبير أمورها ، وتنصيب خليفة عليها — رغم ما يحيطها من ظروف عسيرة وشديدة التعقيد — وهو مذهب أبناء العامة من الفرق الإسلامية غير الشيعة ، فكانَهـ صلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ — وبناء على هذا التصور — قد ترك هذه الأمة الغصة الأطراف دون راع يقودها في هذا التيه العظيم ، والبحر اللجي المتلاطم الأمواج ! ! وذلك ما كانت ولا زالت تعارضهم فيه الشيعة أشد المعارضة .

نعم لقد كان هذا هو الأمر الذي انسحب ظلاله على مسيرة هذه الأمة ابتداء من تلك اللحظات الحساسة — التي شهدت انعقاد مؤتمر السقيفة — وحتى يومنا هذا ، وكانت من نتائجه المرة ما تربت عليه من تفسيرات متباينة لجملة العقائد التي يؤمن بها الجميع — والتي ينبغي أن لا يختلف الطرفان فيها — نتيجة تعدد المدارس الكلامية التي تحاول كلُّ واحدة منها جاهدة أن تدلّي بدلوها في هذا المعرك العقائدي المهم ، بعيداً — عن منهله العذب المنبعث عن بيت العصمة ومهبط الوحي .

فإذا كان الطرفان لا يختلفان قطعاً في عقائدهم الأساسية وهي : الإيمان بالله تبارك وتعالى ، وكتبه المترلة ، وجميع أنبيائه ورسله (عليهم

(22)

السلام) ، ويؤمنون بأنَّ الجنة والنار حق لا ريب فيهما ، وأنَّ الله تعالى سوف يبعث الموتى من قبورهم للحساب والجزاء ، فإنَّ الاعتقاد المتفاوت في ماهية الإمامة بين الطرفين شَكْل بالتألي نشوء ما نراه من التأويلات والتفسيرات المتفاوتة بتفاوت المدارس المختلفة ، والتي يخالف البعض منها الآخر ، بل ويستسلم البعض منها لآراء هجينة مردودة ، لا تتوافق وحقيقة الاعتقاد التي ينبغي التسليم بها^١ .

^١ لعل من الأمور التي تثير الاستغراب في نفوس الباحثين وجود جملة من أصحاب السنن والصحاح — ومن استقى من متابعهم موارد بحثه دون تأمل أو تدبر — قد وقع أسيير جملة مردودة من الأخبار والروايات الموضوعة التي يُشَخَّصُ الكثير منها بانتماهه إلى الإسرائييليات التي جهدت أصابع أعداء الدين في رصفها مع جملة العقائد الإسلامية المباركة والمترافقه مع العقل والمنطق والفطرة .

بل والأنكى من ذلك أنْ تجد مَنْ يتبعَ بذلك النصوص الموضوعة ، ويسلم بصحتها ، ويؤمن بمضامينها ، وذلك مما تنفطر تأسفاً عليه القلوب ، رغم إيمان ذلك البعض بالجوانب السليمة من تلك العقيدة المتناقضة بشكل حاد مع تلك الآراء والمعتقدات الدخيلة ، والذي يشكّل دعوة صريحة وواضحة لمناقشة تلك الآراء مناقشة علمية رصينة ، بعيدة عن التعصب والتتشنج .

نعم إنَّ تسرب هذه الإسرائييليات الموضوعة يشكّل الطرف الأوضح في ظاهرة الفهم الخاطئ والتفسير السلي لبعض النصوص القرآنية المباركة التي أصبحت محل الاختلاف في تفسير ورسم المفهوم الخاص لتلك المدارس في بعض العقائد التي يؤمِّن بها الجميع ، وزادها تعقيداً تشبت تلك المدارس في الدفاع عنها ، ورد الاعتراضات الموجهة إليها ، وأهام المخالفين لها بالانحراف والسقوط ، رغم أن العقلاة من المسلمين يتسلّمون على ما تشكّله ظاهرة التحاور العلمي المبني على أسس التشريع الإسلامي من مرتكز واضح المبني في التوصل إلى تبيّن إيجابيتين ، وهما التصحّح والتشذيب للمظاهر الدخيلة على العقائد الإسلامية ، أو التسليم بصواب المنهج الآخر والإقرار بصحته ، وذلك هو بغية كل المخلصين.

وإذا كانت هناك بعض المشخصات التي تعزى إلى ظاهرة التسرب جانب مهم في تبلورها وبنائها ، فإنَّ ما عرفه المسلمون بما يسمى بالتشبيه والتجسيم واحد من تلك الجوانب المشخصة الغربية عن البنية العقائدية للشريعة الإسلامية القائمة على التزير والتوحيد .

ولعلَّ الأقرب للصواب في تحديد العلة الأساسية في تحليل ظاهرة التسرب يتأتي في دراسة الظروف المادية والنفسية التي رافقت نشوء هذه الظاهرة ، وهذه العملية بلا شك تتطلّب دراسة مستفيضة ومتخصصة لا يسعنا هنا الخوض في غمارها ، إلا أنَّ ما ذكره ابن خلدون في مقدمته يلقي شيئاً من التوضيح على هذا الأمر ، حيث قال : أنَّ العلة الأساسية تكمن في كون العرب آنذاك

لم يكونوا أهل كتاب ، ولا علم ، وأنما غلت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوّفوا إلى معرفة شيء مما تنشوّف إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبيء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستغيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى مثل ؟ كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام .

بلى لقد كان ذلك الأمر ما يمكن اعتباره الطرف الأول في تلك الظاهرة محل البحث ، وأماماً الطرف الآخر منها فيكمن بالجمود على الفهم السطحي المبتور بجملة تلك الآيات القرآنية أو الأخبار المختلفة ، والتي تختلف بشكل بين مع الأصول العقائدية الإسلامية التي تحاول جاهدة الاتمام إليها ، كما في حالة تفسير قوله تعالى : { وجُوهٌ يَوْمَنِذٍ ناضِرَةٌ إِلَيْهَا ناظِرَةٌ } ، وقوله تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِيَّةٌ وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ، وقوله حل اسمه : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُطَةٌ } وغيرها . أقول : ثم إنَّ ما تولد من ذلك الفهم السلي واسمي بالتشبيه والتجمسي لا يمكن اعتباره بأنه يشكل ظاهرة جديدة طفت على الساحة العقائدية لأنَّها بعض المدارس الإسلامية ، بل يبدو من الواضح للعيان تشكيل حوابٍ منها لدى الأمم السالفة ، كما في تشبيه النصارى المسيح عليه السلام بالله تبارك وتعالي ، وإنْ كان الشهيرستاني يقول في مللته (١ : ٩٣) : بأنَّ التشبيه كان صرفاً خالصاً في اليهود — لا في كُلِّهم بل في القراءين منهم — إذ وجد في التوراة ألفاظاً كثيرة تدل على ذلك ...

وأضاف في موضع آخر (١ : ٠٦) عند حديثه عن بعض أخبار التشبيه التي تداولها جماعة من أهل الحديث (وهو ما أردنا الإشارة إليه) : وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأكثراها مقتبسة من اليهود ، فإنَّ التشبيه فيهم طباع ، حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ! وبكي على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ! وأنَّ العرش ليطاً من تحته كأطيط الرحيل الحديدي ! انتهى .

وأخيراً فإنَّ استعراض ومناقشة جملة تلك الأخبار والروايات المختلفة التي أشرنا إليها يدل بصرامة على صحة وصواب ما ذهبنا إليه ، هذا إذا اعتمد الباحث والدارس في الحكم عليها الأسس والقواعد المعروفة لدى علماء الأصول والجرح والتعديل .

فمن ذلك : الأخبار والروايات التي تزعم بأنَّ اللَّهَ تَعَالَى خلق آدم عليه السَّلَامُ على صورته ، أو أنَّ له سبحانه جوارح مشخصة كالأصابع والساقي والقدم ، وأنَّ في ساقه — سبحانه — علامٌ يُعرَفُ بما ! ! .

بل وأنَّه تعالى يضع قدمه يوم القيمة في نار جهنم ليكشف نعيمها فتقول : قط قط ! ! .

كما أنه حل اسمه يهبط في آخر الليل إلى السماء الدنيا ! ويقول : من يسألني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغرنني فاغفر له .

يضاف إلى ذلك ما يروى من إمكان رؤيته تعالى حقيقة لا مجازاً ، حتى أنَّ تلك الأخبار لا تكتفي بحصر رؤية اللَّه تَعَالَى برسوله الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — حيث تذكر بأنه يرى اللَّهَ سبحانه فيقع ساجداً له — بل يتعداه ذلك الأمر إلى الجميع ، حيث تورد

.....

بأنه حلًّا وعلا يهبط يوم القيمة إلى العباد ليقضي بينهم ! وذلك مصدق ما تُسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله : أنكم سترون ربكم عياناً ، وأن المسلمين يرون ربهم يوم القيمة كما يرون القمر لا يضامون في رؤيته ! .

والأغرب من ذلك كله ما يُروى من أنَّ الله تبارك وتعالى يأتي هذه الأمة يوم القيمة على هيئة غير هيئته التي يعرفونه بها ، فينکرون ذلك عليه ! حتى يأتينهم بالصورة التي يعرفونه بما فيتبعونه !! وغير ذلك .

راجع : صحيح البخاري ٨ : ٦٢ (كتاب الاستئذان) ٩ : ١٥٦ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : لما خلقت بيدي ، وباب قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة) و ٢ : ٦٦ (كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلوة من آخر الليل) ، صحيح مسلم ٤ : ٢١٨٣ | ٢٠١٧ | ١١٥ و ٢١٤٧ | ٢٠١٧ | ١٩ ، ٢٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ١٩ ، ٣٥ | ٢١٨٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ | ٤٣٩ : ١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٩٩ | ٩٦٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، سنن ابن ماجة ١ : ٦٤ | ٤٣٥ | ١٨٢ و ٤٤٤ و ١٣٦٦ و ١٣٩٠ ، سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ | ٢٥٥٧ و ٢٥٥٧ | ٣٠٧ و ٤٤٦ | ٦٨٧ ، ٢٥٥١ ، ٢٣٨٢ و ٤ : ٥٩١ ، مسند أحمد ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٤٨٧ ، ٢٨٢ ، ٥٠٤ ، ٤٨٧ ، ٣٤ : ٤ ، ١٦ : ٤ ، موطأ مالك ١ : ٢١٤ .

(24)

أقول: إنَّ اعتبار الشِّيَعَة كون الإمامَة أصلَ من أصولِ الدِّين ، وَمَنْصُبُ الْهِيَمْ يَمْنُ بِهِ اللَّهُ تَبَارَكْ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَمْتَازُونَ عَنِ الْغَيْرِهِمْ بِمَوَاضِعٍ خَاصَّةٍ تَجْعَلُهُمْ أَهْلًا لِهَذَا التَّكْلِيفِ الْعَظِيمِ ، لَيْسُ هُوَ نَتْاجٌ لِأَفْكَارِهِمُ الْخَاصَّةِ — كَمَا يَحْلُو لِلبعضِ إِطْلَاقُ ذَلِكَ دُونَ دَلِيلٍ أَوْ حَجَّةٍ — بَلْ

(25)

على العكس من ذلك ، فقد ابنت عليه جملة كبيرة من أفكارهم ومعتقداتهم ، لأنَّهم يمتلكون على إثبات هذا الأمر جملة واسعة من الأدلة النقلية والعلقانية التي يتافق عليها الفريقان ، رغم مخالفة الطرف الآخر لهم في اعتقاده بأنَّ اختيار الإمام من حقِّ الأُمَّة ، وليس هو شأن خارج عن إرادتها ومتصل بآرادة السماء — كما يعتقد الشيعة — وإنْ كانوا يذهبون إلى القول بوجوهاً لقيادة الأُمَّة . وبهذا فهم قد خالفوا الشِّيعة فيما ذهبوا إليه من تنصيب علي عليه السلام من قبل الله تعالى ، خليفة لرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وحصر الإمامة في أبنائه (عليهم السلام) .

وممَّا لا ريب فيه أنَّ إطلاق الأقوال جزافاً ليس هو بعمل المُحصَّلين ، ولا يسع المرء — بل لا ينبغي له — الركون إلى صدقه إذا لم يعده الدليل السليم ، والحججة المقنعة ، وهذا ما نراه من أنَّ الشِّيعة أكثر ما يطالبون به مخالفتهم والراديون عليهم ، مع تطوعهم — أي الشِّيعة — لإثبات دعواهم من حلال طرحها ومناقشة حجيتها.

وخلاصة المقال : فإنَّ الاختلاف الحاصل في مسألة الإمامة والخلافة بين الفريقين ، وإنْ تشبعَت فيه الآراء ، إلا أنَّه لا يخرج عن هذه التصورات الثلاث :

أوَّلها: أنَّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد ترك أمته هملاً من بعده ، وعليها هي وحدها أنْ تتولَّ مسؤولية تدبير أمورها وفق ماترتئيه ، وما تتوصل إليه . وهذا الأمر كما هو واضح وجلٌّ ينسحب وبالتالي إلى إرادة الباري عزَّ وجلَّ ، حيث أنَّ الرسول مبلغ ، وما لم يُبلغ به لا يُطالب به.

ثانيها: إنَّ الله تعالى ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد رسم للأُمَّة سبيلاً ومواصفات وأسلوب اختيار الخليفة والإمام بعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

(26)

ثالثها: أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآلِه) قد نصَّ بالاسم على خليفة له من بعده بأمر من الله تبارك وتعالى ، وعلى الأمة أنْ تستجيب لهذه المشيئَة لأنَّها حكم سماوي لا تأويل ولا اجتهاد ولا رد عليه إلا من العاصين الخارجين عن تلك الإرادة المقدسة .

ولعلَّ الذهاب في مناقشة وبحث هذه الآراء الممثلة لحملة المدارس الفكرية المنبعثة عنها يستلزم الكثير من المساحة التي لا يسعنا قطعاً تحميل هذا الكتاب بها ، إلَّا ان ذلك لا يحول دون اللهمحة أو الإشارة المتعجلة إليها.

فأقول مستعيناً بالله تعالى : إنَّ وجود الوصي ضرورة حتمية يحكم بوجوبها العقل وحاجة المجتمع الإسلامي لقائد يسوسه ويدبر شؤونه ، ويتولى مواصلة النهج الذي احتله الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَكْفَاءَةٍ تَنَاسَبٌ — حتماً — وعظم هذه الرسالة وأهميتها والظروف المحيطة بها .

ولا يعتري أي عاقل شك في وجوب ذلك ، فإنَّ ما تألف عليه الناس منذ ظهور التجمعات البشرية ، وتباور أبسط النظم الحياتية ، وجود إمام أو رئيس يفوضون إليه أمرهم ، ويفزعون إليه في تدبير شؤونهم ، لأنَّهم يدركون بوضوح أنَّ حلواً أي مجتمع من قائد أو إمام يفتح الباب على مصراعيه أمام ذوي المآرب الفاسدة والظلمة والمنحرفين ، فتضطرُب أحواهم ، وتختل موازين حياتهم ، ويفشو فيهم الظلم والفساد و فعل القبيح ، بل وتنهار النظم التي كانت تحكم حياتهم إبان وجود الحاكم السابق ، حتى يستقر الحال على أمر ما .

ومن هنا فإنَّ من أولى المسلمين في سياسات الحُكَّام والملوك والأمراء — بل وحتى ذوي المسؤوليات المتواضعة — تنصيب نائب (أي خليفة) ثُناط به مسؤولية توْلي شؤون ذلك الحاكم عند تغُيُّبه أو وفاته ، لأنَّ ترك هذا

(27)

الأمر خلاف العقل والمنطق ، ولا يذهب إليه أحد ، فتأمّل واستقرئ ما غير من الدهور ، بل وما نعاينه في أيامنا هذه ، فهل تجد إلا ما قلناه ؟ .

ثم إذا كان ذلك في شؤون الإمارات والممالك والدول ، فكيف لو تعلق الأمر بالأديان السماوية ، بل وبآخرها وأعظمها ، وبأوسعها نظاماً وتشريعاً ؟ ! وحيث يتعلّق الأمر بالخالق تبارك وتعالى ، وبرسوله الكريم صلّى الله عليه وآلـه ، الذي ما أرسل إلا رحمة للعالمين . . . فهل يريد من يخالف ذلك أن ينسب التفريط بهذا الأمر الذي لم يفرّط به ملوك الدنيا وحكامها إلى الله تبارك وتعالى ، وذلك لا يذهب إليه أحد إلا من كان أعمى القلب معدوم البصيرة ، أو إلى رسوله الكريم صلّى الله عليه وآلـه ، وذلك ليس بمعهود منه ، حيث تحدّثنا جميع المراجع التاريخية المختلفة آنـه لم يغادر المدينة يوماً إلا واستناب فيها من يخلفه ^١ يلحق بذلك أيضاً وصاياه

^١ بلى إن المراجعة البسيطة لسيرة رسول الله صلّى الله عليه وآلـه في استخلاف من ينوب عنه حين تركه لعاصمة الدولة الإسلامية ، حتى ولو قصر مدى السفر وقلت أيامه — كما في غزوة أحد التي لم تبعد عن المدينة إلا ميلاً واحداً ، ولم يستغرق بعده عنها إلا يوماً واحداً فقط ، بل وفي غزوة الخندق التي كانت في المدينة عينها — تدل دلالة واضحة على استخلافه وقوع التفريط منه في ترك هذه الأمة دون راعي أو خليفة ينوب عنه ، لاسيما ونحن نعلم أن رسول الله صلّى الله عليه وآلـه لم يفاجأ بموته كما معروف لدى الجميع ، وأنه صلّى الله عليه وآلـه يدرك بوضوح ما يحيط به من المخاطر الجسيمة التي تحيّن بها الفرض والغفلات ؟ !

نعم ، فإننا عندما نتأمّل ذلك نجد أن افتراض عدم الاستخلاف من قبل رسول الله صلّى الله عليه وآلـه خلاف ما عهد من سيرته المباركة — مضافاً إلى خلافه الصريح مع المنطق والعقل — وذلك ما يتبيّن عند المراجعة البسيطة لكتب السيرة والتاريخ المختلفة :

١. فعندما أذن له صلّى الله عليه وآلـه بقتل المشركين في السنة الثانية من الهجرة ، وخرج مع جماعة من المسلمين للتعرض لغير قريش ، استخلف على المدينة سعد بن عبد الله خليفة عنه .
٢. وفي تلك السنة أيضاً ، وعند خروجه صلّى الله عليه وآلـه في غزوة بواط ، استخلف عنه سعد بن معاذ .
٣. واستخلف زيد بن حارثة عند خروجه صلّى الله عليه وآلـه في طلب كرز بن حابر الفهري الذي أغارت على المدينة .

-
٤. ثم استخلف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَا سَلْمَةَ الْمَخْزُومِيَّ عِنْدَمَا خَرَجَ فِي غَزْوَةِ الْعَشِيرَ.
٥. وَفِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكَبِيرِ كَانَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ خَلِيفَةً عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْمَدِينَةِ .
٦. وَعِنْدَمَا خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْقِينَاقِعِ اسْتَخْلَفَ أَبَا لِبَابَةَ الْأَنْصَارِيَّ .
٧. وَأَعْادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَخْلَافَ أَبِي لِبَابَةِ عَنْ خَرْوَجِهِ فِي غَزْوَةِ السَّوْبِيقِ .
٨. وَأَمَّا عِنْدَمَا خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى سَلِيمٍ وَغَطْفَانَ فِي السَّنَةِ الْثَالِثَةِ مِنَ الْمُحْرَةِ ، فَإِنَّهُ اسْتَخْلَفَ عَنْهُ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .
٩. وَفِي غَزْوَةِ بَفْرَانِ كَانَ خَلِيفَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ أَيْضًا .
١٠. وَأَمَّا عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ خَرْوَجِهِ فِي غَزْوَةِ ذِي أَمْرٍ .
١١. وَاسْتَخْلَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَنْ خَرْوَجِهِ إِلَى أَحَدٍ .
١٢. وَأَعْدَادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَخْلَافَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عِنْدَمَا خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ حِمْرَاءِ الْأَسْدِ .
١٣. وَاسْتَخْلَفَهُ أَيْضًا عَنْ خَرْوَجِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ .
١٤. وَعِنْدَ خَرْوَجِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى غَزْوَةِ بَدْرِ الْكَبِيرِ كَانَ خَلِيفَتِهِ فِي الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيَّ .
١٥. وَفِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ اسْتَخْلَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ فِي الْمَدِينَةِ .
١٦. وَأَمَّا فِي غَزْوَةِ دُوْمَةِ الْجَنْدُلِ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ فِي الْمَدِينَةِ .
١٧. وَفِي غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ كَانَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ خَلِيفَةً عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْمَدِينَةِ .
١٨. وَعِنْدَمَا قَاتَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَحْزَابَ ، وَفِي الْمَدِينَةِ عَيْنَهَا ، اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ أَيْضًا خَلِيفَةً عَنْهُ .
١٩. وَكَانَ أَبُو رَهْمَةَ الْغَفارِيَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزْوَةِ بَنِي قَرِيْضَةِ .
٢٠. وَفِي غَزْوَةِ بَنِي لَهِيَانِ كَانَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ خَلِيفَةً عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
٢١. وَأَعْدَادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَخْلَافَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَنْ خَرْوَجِهِ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ .
٢٢. وَكَانَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ أَيْضًا خَلِيفَةً عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ خَرْوَجِهِ فِي غَزْوَةِ الْخَدِيْبَةِ .

.....

-
٢٣. وفي غزوة خيبر استخلف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فِي الْمَدِينَةِ سَبَاعَ بْنَ عَرْفَطَةَ .
٢٤. وأعاد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ فِي الْمَدِينَةِ عَنْهُ خَرْوَجَهُ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ .
٢٥. وأمَّا عَنْدِ خَرْوَجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ فَإِنَّهُ أَسْتَخْلَفَ أَبَا رَهْمَ الْغَافَارِيَ فِي الْمَدِينَةِ .
٢٦. وَلَمَّا حَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ حَنْيَنَ كَانَ أَبُو رَهْمَ حَلِيفَتِهِ فِي الْمَدِينَةِ أَيْضًاً .
٢٧. وأمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ خَلَفَهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ عَنْهُ خَرْوَجَهُ إِلَى تَبُوكَ .

(29)

المتكررة (صلى الله عليه وآلـه) بوجوب الوصية على المسلم والتشديد على المفرط فيها . هذا إذا أدركتنا أنَّ المنية لم تعاجل رسول الله (صلـى الله عليه وآلـه) بل امتد به مرض الموت أياماً . فما معنى هذا التناقض بين الحالتين !!

ثم ألا يثير في النفس الاستهجان مما يقوله الذاهبون إلى عدم وجوب الوصية ما يرويه مسلم في صحبيه بسنده عن ابن عمر ، من إنه قال : دخلت على حفصة فقالت : أعلمت أنَّ أباك غير مستخلف ؟

قال : قلت : ما كان ليفعل .

قالت : انه فاعل .

قال ابن عمر: فحلفت اني أكلمه في ذلك . فسكتُ ، حتى غدوت . ولم أكلمه .
قال : فكنت كائنا احمل بيمني جبلاً . حتى رجعت فدخلت عليه ، فقلت له : إين سمعت الناس يقولون مقالةً فأليت أن أقوها لك ، زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو كان لك راعي إبل ، أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع ، فرعایة الناس اشد^١ .

بل وما يروى عن عائشة أيضاً في هذا المنحى من إرسالها إلى عمر عندما طعن : لا تدع أمَّةَ محمد بلا راع ، استخلف عليهم ، ولا تدعهم بعدك

^١ صحيح مسلم : ٣ : ١٨٢٣ (كتاب الأماراة ، باب الاستخلاف وتركه) .

(30)

هملاً ، فإنّي أخشى عليهم الفتنة^١ .

ألا تجد في ذلك الموقف — الذي نسبه ذلك البعض من إهمال رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) لامته حبرى مضطربة لا تأوي إلى مكان تستظل فيه ، ولا تجد مرفأً أماناً تأوي إليه — تناقض صريح مع قول الله تبارك وتعالى في حق رسوله الكريم : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ }^٢ .

نعم ، ألا يُعد الذهاب إلى هذا القول إساءة وتوهيناً لشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآلـهـ) حتى يقال أنّ عائشة وعبد الله بن عمر كانوا أفقه منه واكثر إدراكاً لخطورة الأمر المترتب على ترك الأمة دون خليفة أو وصي !! .

بل ويا ليت هذا الأمر انتهى عند هذين حتى يلتفت إليه ابن خلدون ليقول في مقدمته :
فاستحال بقاوئهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض^٣ .

فهل خفي كل هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) ؟ ثم ألا يُعد هذا خطلاً من القول
وسفهاً؟

هذا إذا تجاهلنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ مبلغ عن الله تبارك وتعالى في هذه الرسالة العظيمة ، وأنّ المرسل جل وعلا أولى برعاية رسالته من الضياع والسقوط ، لعلمه المطلق بما يترب

^١ الإمامة والسياسة: ٢٣.

^٢ التوبية: ٩ . ١٢٨ .

^٣ مقدمة ابن خلدون : ١٨٧ .

عليه هذا الترك من تخبط واضطراب عظيمين ، فهل نرتضي لأنفسنا نسبة هذا التفريط إلى الباري عز وجل ؟ ! إنها بحاجة إلى وقفة تأمل .

(31)

ولذا فان هذا الافتراض باطل لا يؤبه به لمخالفته الصريحة مع مفهوم العقيدة الإسلامية ، والسيرة الثابتة لرسول الله (صلى الله عليه وآلـه) ، وضرورة العقل لإفتراضه تركه الأمة الإسلامية الفتية نهبة للاختلافات والمشاحنات المتضاربة ، وغرضًا لطلاب الدنيا والسلطة ، واللاهيين خلف متعها الرخيصة الفانية ، مضافاً إلى ما ثبت من عدم الوصول إلى قاعدة موحدة يمكن التسليم بصحتها.

بيد أنَّ خروج هذا التصوُّر عن افتراض العقلاء لم يعن عن اعتقاد البعض ب الواقع ، بل والتصريح به ، كما افترض ذلك الدكتور أحمد أمين في كتابه الموسوم بفجر الإسلام ، حيث قال : توفي رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) ولم يعين من يخلفه ، ولم يبين كيف يكون اختياره ، فواجه المسلمون أشقاً مسألة وأخطرها ... ! .^١

كذا نجد من تذهب به المزاعم هذا المذهب الخطير من نسبة الإهمال والتقصير إلى رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، رغم القطع الثابت بأهمية الوصية وحساسيتها في استمرارية وديومة الشريعة الإسلامية واتباعها من المسلمين ، بل وانتظام أمرهم حفظاً لهم من التشتُّت والتشرُّذ .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : " مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز ، يجمعه ويضممه ، فإنْ انقطع النظام تفرق وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً " .^٢

^١ فجر الإسلام : ٢٢٥ .

^٢ نهج البلاغة ٢ : ٣١٦ .

ثم إذا افترضنا أن الشارع الإسلامي قد حدد للأمة سبيل ومنهج اختيار الوصي وال الخليفة ، فإنَّ من حقِّ المرء أنْ يتساءل : أي منهج وضع للمسلمين هو ذلك الذي اعتمدته الصحابة في إقرار هذا الأمر؟

(32)

فسقية بني ساعدة كانت كميدان تناطحت فيه آراء متضاربة كل منها يدعي أولويته في التصدي لمسؤولية خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحقانيته في هذا الأمر دون غيره ، حتى بادر المهاجرون ، و كانوا ثلاثة نفر ، إلى مصادرة هذا الأمر رغمًا عن الأنصار وغيرهم .

نعم لم يكن بحاضر في سقية بني ساعدة من وجوه المهاجرين سوى ثلاثة من المهاجرين : أبي بكر ، و عمر بن الخطاب ، وأبي عبيدة الجراح ، وليس في هذا تمثيل قانوني لجموع المهاجرين ، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام) ، وهم الأولى بهذا الأمر استرسالاً مع حجتهم الذاهبة — في التشبيث بتقدُّمهم على الأنصار — إلى أن القرابة هي الحاكمة في هذا التنصيب .

فهل كان هناك منهجان اختلطهما رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) ، أم أن كلاً منهما كان يجر النار إلى قرصه ، أم ماذا !؟

ثم إذا سلمنا بصحة مدعى المهاجرين ، فهل يمكننا أن نعتبر دعواهم هي المقياس الذي ينبغي أن لا يتجاوزه المسلمون من بعد ، على اعتبار أن فعلهم هو المعيار الشرعي في اختيار الخليفة النائب عن رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ — طالما سلمنا بوجود المنهج الذي رسّمه المشرع الإسلامي في اختيار الوصي أو الإمام وأناطه بالأمة — فلم يُتخذ منهجاً يسير عليه اللاحقون ، وبحري في مدارجه خطاهم ، بل تراها خضعت لحسابات متفاوتة حتى امتنى سدة الخلافة ومنبر رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ أمثال معاوية وولده يزيد ومروان ومن لف لهم .

بلى إذا كان أبو بكر قد تولى خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) — كما يقال — بالانتخاب أو التصويت — وإن كان عمر بن الخطاب يقول : أنها

(33)

فلترة (أو فتنة) وقى الله المسلمين شرها^١ — فلم اختار من بعده عمر ، بل ولم جعلها عمر في ستة؟

إنَّ في ذلك نفي قاطع لوجود منهج مرسوم من قبل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في اختيار خليفته ، وإلا لكان الجميع مخالفين قطعاً له كما هو معلوم .

وأما ما يذهب إليه البعض من أنَّ تعين الأئمَّة أو الوصي يتم بواسطة مبدأ الشورى الذي يشير إليها قوله تعالى : { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } ^٢ وقوله تبارك وتعالى : { وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ } ^٣ فإنَّ قوله هذا لا ينهض كحججة شرعية يعتمد بها في نفي النص واعتماد الشورى ، لأنَّ المشاورة هنا لا يُراد بها قطعاً مسألة الخلافة ، حيث يُعد ضرباً من الحال اتفاق آراء الأئمَّة على فرد معين ، وفيها الجاهل والمنافق والمناوئ وغيرهم .

كما لا عبرة بما يُقال من حصر الأئمَّة بثلة محددة تتشاور في هذا الأمر ، لأنَّ هذا الحصر ينفي استقراء جميع آراء هذه الأئمَّة ، مع ما فيه من المذاخلات التي قد تخرج بالأمر عن مساره السليم .

نعم فهل فاتك كيف رست سفينة الشورى التي أمر بها الخليفة عمر ابن الخطاب بعد أنْ طعن فيها كما يعرف الجميع وجوه الصحابة وأعيانهم ، فدارت دوران الرحى على عثمان ، بعد أنْ

^١ صحيح البخاري ٨ : ٢٠٨ (كتاب المخاربين ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) ، تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٧ ، تاريخ الخلفاء ١ : ٥١ ، الرياض النضرة ١ : ٢٣٧ ، الصواعق المحرقة ١٨ ، النهاية لابن الأثير ٣ : ٤٦٧ ، البداية والنهاية ٥ : ٢٤٥ .

^٢ الشورى ٤٢ : ٣٨ .

^٣ آل عمران ٣ : ١٥٩ .

فقدت أي مصداقية شرعية لها في القطع بصحة الاختيار لخضوع البعض منهم لهوى النفس ، ومحاباة ذلك

(34)

الموى على حساب الحق ، حتى قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عنها : فصغا رحل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن ^١ .

بلى لم يكونوا إلا ستة نفر ، والحق أمامهم أحلى من أن يواريه السحاب ، واحتجاج علي (عليه السلام) عليهم بأحقانيته من غيره في هذا الأمر حجة عليهم في إناءة الحق بأهله ، بيد أن تلك الجماعة المعدودة لم تصدق الأمانة ، فمال البعض منهم لضغنه ، والآخر لصهره ، فضاع الحق بين هذه الجماعة القليلة ، وظلم علي عليه السلام وهو صاحب الحق . . . فكيف بالأمة أجمع وفيها من فيها كما ذكرنا ؟! بل ورأينا صحابي من كبار هؤلاء الصحابة ، وهو عبد الرحمن بن عوف يأكله الندم على ميله لعثمان وتقليله إياه خلافة المسلمين ، فيعرض عنه وينافره بعد أن اضطربت الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أدنها بفساد الأميين وفتكهم تحت مظلة خليفة المسلمين ، فماذا بعد ذلك ؟ وهل يعقل أن يرتضي الله تبارك وتعالى لرسالته هذا الضياع والتلاعيب ، والفووضى والاضطراب ؟! إنه مجرد تساؤل .

إذن — وبعيداً عن المعاندة للحق — لم يبق سوى الافتراض الثالث من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أوصى لأحد المسلمين بأن يكون خليفته فيهم ، ووصيه عليهم ، وعلى الأمة أن تسمع له وتطيع ، لأنَّه الامتداد الحقيقي لصاحب الرسالة ، عدا كونه غير نبي .

ثم لا يخفى عليك أنَّ عظم الأهمية المترتبة على هذا المنصب تظهر بوضوح تعلق صدوره عن الله تبارك وتعالى ، لاسيما القرآن الكريم يحذّرنا أنَّ هذا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) مرهونة كلُّ أقواله وأفعاله بالمشيئة

^١ يشير عليه السلام إلى أغراض كثرة التصريح بها ، فحج البلاغة ١ : ٨٨ (ضمن ما يُعرف بالخطبة الشقشقة).

(35)

الإلهية ، لأنَّه { مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }^١ .

نعم فهل يمكن حصر تلك الشخصية العظيمة التي شاءت إرادة الباري عزَّ وجلَّ أنْ تنبئ بها هذه المسؤولية الجسيمة والخطيرة ، والتي ينبغي أنْ تكون مشخصة للجميع ، ومعلومة عندهم ، ومتميزة من بينهم ، تُعرف دون عناء قد يضيع البعض في سلوك الدرب إليه ، أو يقع في جملة المشابهات المتعددة .

أقول — ويوافقني في ذلك كلُّ العقلاء — : إنَّ من المنطقِي الذي ينبغي أنْ تتسامَّل عليه آراء ومعتقدات الجميع كون معرفة تلك الشخصية الوراثة لهذا الأمر أيسَر من أنْ تأخذ من المسلم مأخذًا كبيرًا ، وجهدًا مضنيًّا ، لأنَّ الله تبارك وتعالى ما أرسَل الأنبياء والمُرسَلين عليهم السَّلام إلا رحمة منه ولطفًا يفيضه على عباده ، وجعل صراطَ الحق الذي يدعو أولئك المُرسَلين إليه بِيَّنًا واضحًا لا لبس فيه ولا شبهة ، يسلِّكه من ابتغى النِّجاة ، ويعرض عنه من أبي ، وليس للثاني حجة يحتاج بها يوم القيمة ، وتلك هي العدالة السماوية ، وإلا لانتفَى ذلك المفهوم عندما يعجز البعض عن إدراك الحق لقصور المشرُّع في تحديد مسالكه ، وذلك ما يستحيل افتراضه ، وإنْ افترضه البعض معاندة للحق فليس هو إلا محض افتراء وتخيُّل على المُرسِل والرسول ، ومحافة صريحة للعقل والمنطق ، وهذا ما يستدل به في وحوب تشخيص الوصي والنائب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لأنَّه ليس من المنطقِي أنْ يجعل الله تبارك وتعالى وصي رسوله لغزاً مخفياً ، وسرًا موهاً ، لما في ذلك من التعارض البين مع الرحمة الإلهية أولاً ، ومع حكمة نصب هذا الإمام ثانياً ، وكذا هو حال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

إذن فماذا يجيئنا الاستقراء العلمي والبعيد عن الهوى والتعصب

(36)

المقيت ؟ بل وأين تنتهي بنا سلسلة الأدلة المتواترة في تحديد شخصية هذا الإمام والوصي وال الخليفة ؟

ولعل التسليم لنطق الحق والصواب يقود الباحث عن الحقيقة إلى الإقرار الذي لا ريب فيه بالنحصار الوصاية والخلافة بعلي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره ، وذلك جلي واضح لم يثبت قطعاً لغيره ، ولا حجة لمن ينفيها بغيره إلا مكابرة للحق ومعاندة له ، وهو مطالب بالدليل والبرهان على مدعاه هذا ، من الآخرين لا مثنا ، لأنّا ندرك ذلك بوضوح ، وذلك الإدراك الواضح هو الذي كان ولا يزال يدفع بالبعض — وأقوالها بمرارة — إلى التجنّي والافتراء والتقول على الشيعة ، بصحائف صفراء باهتهة ومتغرّبة عن الحق ، لا سمة علمية تتسم بها ، ولا حجة حقيقية تتحجّب بها ، فصرفوا أذهان البعض عن تلمس الحقيقة وإدراكيها بتلاحمهم في إثارة النفع وتكتيفه حول الأدلة والبراهين التي تتحجّب بها الشيعة منذ تلك الدهور التي بالغ فيها الأمويون والعباسيون في بطشهم الرهيب ، وتنكيلهم القاسي برجال الشيعة ومفكريها، حتى ضجّت الأرض بمقابر من حضى منهم بقبر ،
ناهيك عنّ عمّن لا أثر له ولا ذكر^١ .

١- لقد بلغ تنكيل الحكام بشيعة أهل البيت عليهم السلام حدّاً يعجز عن تصويره القلم ، وفي وصفه اللسان ، لا لشيء يُتهمون به إلا ولائهم لبيت النبوة الظاهر ، ودفعهم عن حرمه .. . فأخذوهم على التهمة والظلمة ، وتقتصوهم تحت كل حجر ومدر ، وشرّدوهم في الأصقاع النائية بعد أن سملوا أعين العديد منهم ، وهتكوا أعراضهم ، وقتلوا الكثيرين منهم ، فملأوا حياة الباقيين منهم رعباً وخوفاً ، ولوّعة وحزناً ، وصبغوا حياتهم بالسوداد دون رحمة أو شفقة .

نعم ذلك هو مصدق تعامل الكثير من أولئك الحكام مع الشيعة ، لا مبالغة فيه ولا تهويل ، وأنا أدعو القارئ الكريم إلى استقراء ذلك من خلال مراجعته لكتب التاريخ المختلفة ، وأدعوه بالخصوص لمطالعة كتاب (الشيعة والحاكمون) للشيخ محمد جواد مغنية رحمة الله تعالى برحمته الواسعة ، فقد تناول الكثير من دقائق هذه الأحداث بشكل علمي رصين.

أقول: لم ي يحتاج القوم باختيار المشرع لوصي و الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآلـه بـشكل قطعي ، إلا ما ادعاه البعض لأبي بكر ، وهو احتجاج وقول لا يؤبه به ، لأنَّه لم يثبت قطعاً ، ولم يدعـيه هو لنفسـه ، بل نقل عنه قوله على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : أقـيلـوني ، فـكيف يطلب مـنْ نصـبه الله ورسـولـه وصـيـاً عـلـى الأـمـةـ منها أـنْ تـقـيـلـه ؟! إـنْ ذـلـكـ حـضـ خـيـالـ لـا صـلـةـ لـهـ بـالـوـاقـعـ قـطـعاً .

كما إنَّهـ يـتـناـقـضـ معـ قولـهـ الشـهـيرـ: إـنْ بـيعـيـ كـانـتـ فـلـتـةـ وـقـىـ اللـهـ شـرـهاـ، وـخـشـيـتـ الفـتـنـةـ^١ وـيـؤـكـدـهاـ فيـ ذـلـكـ قولـ عمرـ بنـ الخطـابـ منـ بـعـدـ ، وـقـدـ تـقـدـمـ مـنـ ذـكـرـهـ .

بـلـيـ قدـ يـحـتـجـ الـبعـضـ بـأـنـ الـأـمـةـ قـدـ أـجـمـعـتـ عـلـىـ بـيـعـةـ أـبـيـ بـكـرـ ، وـأـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ لـاـ تـجـتـمـعـ عـلـىـ خطـأـ أوـ عـلـىـ ضـلـالـ كـمـاـ يـرـوـىـ عـنـ رـسـولـ اللـهـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) ، إـلاـ أـنـهـ يـرـدـ عـلـيـهـ وـكـمـاـ قـالـ سـيـدـنـاـ إـلـيـمـ الـمـرـحـومـ عبدـ الـحـسـينـ شـرـفـ الدـيـنـ: بـأـنـ الـمـرـادـ مـنـ قولـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـاـ تـجـتـمـعـ عـلـىـ الخطـأـ ، وـلـاـ تـجـتـمـعـ عـلـىـ الضـلـالـ: إـنـمـاـ هوـ نـفـيـ الخطـأـ وـالـضـلـالـ عـنـ الـأـمـرـ الـذـيـ اـشـتـورـتـ فـيـهـ الـأـمـةـ فـقـرـرـتـهـ باـخـتـيـارـهـاـ ، وـاتـفـاقـ آرـائـهـاـ ، وـهـذـاـ هوـ الـمـتـبـادـرـ مـنـ السـنـنـ لـاـ غـيـرـ ، أـمـاـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـرـاهـ نـفـرـ مـنـ الـأـمـةـ فـيـنـهـضـونـ بـهـ [يـشـيرـ إـلـىـ مـاـ جـرـىـ فـيـ سـقـيـفـةـ بـيـنـ سـاعـدـةـ]ـ ثـمـ يـتـسـنـىـ لـهـ إـكـرـاهـ أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ عـلـيـهـ ، فـلـاـ دـلـيـلـ عـلـىـ صـوـابـهـ . وـبـيـعـةـ السـقـيـفـةـ لـمـ تـكـنـ عـنـ مشـورـةـ ، وـإـنـمـاـ قـامـ بـهـ الـخـلـيـفـةـ الثـانـيـ ، وـأـبـوـ عـبـيـدةـ ، وـنـفـرـ مـعـهـمـاـ ، ثـمـ فـاجـأـوـاـ بـهـ أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ ، وـسـاعـدـهـمـ تـلـكـ الـظـرـوفـ عـلـىـ مـاـ أـرـادـوـاـ^٢ .

نعمـ وـإـنـ كـانـ يـيدـوـ إـيـرادـ هـذـاـ القـولـ لـسـيـدـنـاـ إـلـيـمـ الـمـرـحـومـ شـرـفـ الدـيـنـ رـحـمـهـ اللـهـ

^١ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ الـمـعـتـزـلـيـ ٦: ٤٧ ، أـنـسـابـ الـأـشـرافـ ١: ٥٩٠ .

^٢ المـراجـعـاتـ: ٥٧٩ ، المـراجـعـةـ ٨٠ .

(38)

تعالى برحمته الواسعة خلاف استرسالنا في بحث هذا الموضوع إلا أن إيراده لازم لاستكمال الأمر مدار البحث ، لأنَّ ابن خلدون وجماعة مَنْ وافقه في مشربه ذهبوا إلى أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) قد عين أبا بكر خليفة من بعده قياساً — ولا نوافقهم في القياس — على ما يروونه من تعينه إماماً المسلمين في صلاةـهم حين مرضه .

إِنَّا لَا نُبَغِي هُنَا مَنَاقِشَة صَحَّة وَفَسَاد هَذَا الْحَدِيث ، وَلَا رَد الْقِيَاس الَّذِي لَا يَكُن الرَّكُون إِلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْر ، لَأَنَّ ذَلِكَ يَرْدِه عَدْم تَصْرِيح أَبِي بَكْر بِذَلِك ، لَأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ فِي تَدْعِيم خَلَافَتِه لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآلـهـ) ، فَهَلْ يَعْقُل أَنْ يُعْرَضُ عَنْ هَذَا الدَّلِيل مَعَ أَهْمَيَّتِهِ الْعَظِيمَةِ هَذِه؟! كَلَّا وَأَلْفَ كَلَّا .

أقول: لم يتبق لدى الفريقين مَنْ تُحَصِّر فِيهِ الْإِمَامَة وَالخَلَافَة غَيْرَ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِب (عليه السلام) ، وهو قول الشِّيَعَة وَعَلَيْهِ دَارَت رَحْيَ عَقَائِدِهِم ، وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الْحَقِيقَيْةُ الَّتِي اضطَهَدَتْ هَذِهِ الطَّائِفَة بِسَبِّبِهَا مِنْ قِبْلِ الْحُكُومَاتِ الْجَاهِرَةِ كَالْأَمْوَيْنِ وَالْعَبَّاسِيْنِ وَغَيْرِهِم ، كَمَا أَسْلَفْنَا .

وَلَعَلَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ التَّسْأُلُ عَنْ أَدَلَّةِ الشِّيَعَةِ فِي دُعَوَاهُمْ هَذِهِ لِكَيْ يَكُن التَّسْلِيمُ بِصَحِّهَا أَوِ الاعْتِقَادُ بِهَا ، أَوِ رَدُّهَا إِنْ ثَبِّتَ بِطَلَانَهَا .

فَمِمَّا تَقدَّمَ مِنْ الْحَدِيثِ وَاسْتِرْسَالِهِ أَشْرَنَا إِلَى حَتْمِيَةِ نَصْبِ الْإِمَامِ وَالْوَصِيِّ مِنْ قِبْلِ اللَّهِ تَبارَكْ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بَلْ وَوُجُوبِ تَحْدِيدِهِ ، وَانتِفَاءِ هَذَا التَّحْدِيدِ عَنْ غَيْرِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب (عليه السلام) ، وَذَاكَ لَا يَسْلُمُ بِصَحِّهِ دونَ الدَّلِيلِ الْوَاضِعِ وَالْبَيِّنِ ، وَالشِّيَعَةُ مَطَالِبُونَ بِهِ ، وَهُوَ مَا سَنْشِيرُ إِلَيْهِ دونَ الْاسْتِفَاضَةِ فِي مَنَاقِشَتِهِ مُحِيلِينَ الْقَارئَ الْكَرِيمَ إِلَى الْمَرَاجِعِ الْمُخْصَّةِ بِذَلِكَ .

فَمِمَّا يَحْتَجُ بِهِ الشِّيَعَةُ عَلَى وَجْهِ النَّصِّ عَلَى خَلَافَةِ عَلِيِّ (عليه السلام)

(39)

لرسول الله (صلى الله عليه وآلها) ، وحصراها بأهل بيته (عليهم السلام) ما تناقله الفريقيان من الأخبار الصحيحة الجمدة الموافقة للاستدلال العقلي السائد بوضوح في مجرى هذه المباحث ، والتي منها:

— نص حديث الدار:

روى الفريقيان وبأسانيد متعددة واقعة الدار التي ترتبت بعد نزول الأمر الإلهي من السماء بوجوب إنذار رسول الله (صلى الله عليه وآلها) لعشيرته بأمر الدعوة بنص قوله تعالى : { وَأَنذِرْ عَشِيرَةَ الْأَقْرَبَيْنَ }^١ فخاطبهم (صلى الله عليه وآلها) بقوله : يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به ، جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، فأيكم يؤازري على هذا الأمر على أن يكون أخي ، ووصي ، وخلفي فيكم ؟

فأحجم القوم عن ذلك إلا علي (عليه السلام) ، وكان أحدهم سنّاً ، إذ استجواب لرسول الله (صلى الله عليه وآلها) قائلاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه .

فأخذ النبي (صلى الله عليه وآلها) برقبة علي (عليه السلام) وقال : هذا أخي ، ووصي ، وخلفي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^٢ .

^١ الشعراء ٢٦: ٢١٤.

^٢ تاريخ الطبرى ٢: ٢١٧ ، الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ ، تاريخ أبي الفداء ١: ١١٦ ، شرح الشفا ٣: ٣٧ ، معلم الترتيل ٤: ٢٧٨ ، شواهد الترتيل ١: ٣٧٢ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ١٠٣ و ١٤٠ | ١٣٩ ، تفسير الخازن ٣: ٣٧١

— حديث المترلة:

وأمّا حديث المترلة فدلالته على أمر خلافة علي (عليه السلام) لرسول

(40)

الله (صلى الله عليه وآلـه) قطعية لا تقبل الشك ، وصحته سلـم بها أئمة الحديث عند العـامة ، ورووه بطرق كثيرة جداً ، وأخرجوه في صحاحـهم ومسانـيدـهم ، وبشكل يصعب حصرـه واستقصـاؤه.

وخلـاصـةـ هذاـ الحـدـيـثـ الـذـيـ روـاهـ جـمـعـ كـبـيرـ منـ الصـحـابـةـ تـتـحدـدـ فيـ قولـ رسولـ اللهـ (ـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ لـعـلـيـ (ـ عـلـيـ السـلـامـ)ـ :ـ "ـ أـنـتـ مـنـ بـعـدـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ نـيـ بـعـدـيـ "ـ .ـ

فتـخـصـيـصـ رـسـولـ اللهـ (ـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ عـلـيـ (ـ عـلـيـ السـلـامـ)ـ مـنـهـ بـعـدـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ (ـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ)ـ دـوـنـ بـعـدـ النـبـوـةـ إـشـارـةـ إـلـىـ مـشـارـكـتـهـ لـهـ فـيـ كـلـ شـيـءـ دـوـنـهاـ ،ـ وـالـيـ مـنـ أـهـمـهـاـ خـلـافـتـهـ فـيـ قـوـمـهـ ،ـ وـالـيـ ذـلـكـ يـشـيرـ بـوـضـوـحـ تـسـلـسـلـ الـوـقـائـعـ الـيـ يـرـوـيـهـ لـنـاـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ عـنـ لـسـانـ مـوـسـىـ (ـ عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ بـعـدـ تـكـلـيـفـهـ بـالـرـسـالـةـ ،ـ وـانـفـاذـهـ إـلـىـ فـرـعـونـ طـاغـيـةـ عـصـرـهـ {ـ قـالـ رـبـ اـشـرـ لـيـ صـدـرـيـ *ـ وـيـسـرـ لـيـ أـمـرـيـ *ـ وـأـحـلـلـ عـقـدـةـ مـنـ لـسـانـيـ *ـ يـقـعـهـوـاـ قـوـلـيـ *ـ وـأـجـعـلـ لـيـ وـزـيـرـاـ مـنـ أـهـلـيـ *ـ هـارـونـ أـخـيـ *ـ اـشـدـدـ بـهـ أـزـرـيـ *ـ وـأـشـرـكـهـ فـيـ أـمـرـيـ }ـ ^١ فـاسـتـجـابـ لـهـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ توـسـلـهـ

^١ صحيح البخاري ٥: ٢٠٢/٨٩ ، صحيح مسلم ٤: ٤/١٨٧، ٢٤٠٤: ٣٧٣٠ ، سنن الترمذى ٥: ، مسنـدـ اـحـمـدـ ١: ١٧٣ ، مـسـنـدـ اـحـمـدـ ١: ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٧٥ ، مستدرـكـ الـحاـكـمـ ٢: ٣٣٧ ، الـرـياـضـ الـنـصـرـةـ ٢: ١٥٧ ، مـصـابـحـ الـسـنـةـ ٤: ٤٧٦٢: ١٧٠ / ٤٧٦٢ ، تـارـيخـ بـغـدـادـ ٤: ٢٠٤ ، تـارـيخـ الـخـلـفـاءـ ٦٥ ، الصـوـاعـقـ الـخـرـقـةـ ١٨٧ .

^٢ طـهـ ٢٥: ٣٢ — ٢٥: ٢٠ .

هذا بقوله : { قَدْ أُوتِيتَ سُؤَلَكَ يَا مُوسَى } ^١ وَأَكَدَ ذلِكَ سُبْحَانَهُ أَيْضًا في موضع آخر من الكتاب العزيز حيث قال : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرَا } ^٢.

وَأَمّا تلْكَ الْوِزَارَةُ فَيُوضَحُهَا قَوْلُهُ جَلَّ اسْمُهُ : { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ

^١ طه : ٢٠ . ٣٦ :

^٢ الفرقان : ٢٥ . ٣٥ :

(٤١)

اَخْلُفُنِي فِي قَوْمٍ وَأَصْلُحُ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } ^١.

نعم تلك هي خلاصة البعد الأوضح في استخلاف موسى هارون بإذن الله سبحانه ، وهي عين ما ترتب بين رسول الله صلى الله عليه وآلـه وعليـه السلام ، لم يستثن منه إلا منصب النبوة ، كما يشير إلى ذلك هذا الاستثناء الوحيد ...

والملفت للنظر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآلـه كان كثيراً ما ينبه الأمة إلى التشابه بين عليـه وهاـرون عليهما السلام في أكثر من مناسبة ، ومن ذلك ما رواه الهيثمي في موارده من قوله صلى الله عليه وآلـه في إيضاح علة تسميته للحسن والحسين والحسن أبناء عليـي بن أبي طالب عليهم السلام بهذه ^٢ الأسماء : إنَّما سميتهم بأسماء ولد هارون : شير وشبير ومشير .

— ٣ — حديث الشقلين:

ثم لا يخفى على باحث عن الحقيقة دلالة حديث الشقلين الذي نص فيه رسول الله صلى الله عليه وآلـه على وجوب اتباع أهل بيته لأنـهم عدول للقرآن ، تُسـئـلـ الأـمـةـ عن طـاعـتهاـ وـانـقـيـادـهـاـ لـهـمـ ،ـ كماـ تـسـئـلـ فيـ ذـلـكـ عنـ القرـانـ .

فقد روت المصادر المختلفة قول رسول الله صلى الله عليه وآلـه المـبـيـنـ لـأـمـتـهـ على طـولـ التـارـيخـ سـبـيلـ بـحـاجـهـاـ ،ـ وـالـحـبـلـ الـذـيـ يـعـصـمـهـاـ مـنـ الصـلـالـ وـالـانـحرـافـ ،ـ حـيـثـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ :ـ أـلـاـ أـيـهـاـ النـاسـ إـنـمـاـ أـنـاـ بـشـرـ يـوـشـكـ أـنـ يـأـتـيـ رـسـوـلـ رـبـيـ فـاجـيبـ ،ـ وـأـنـاـ تـارـكـ فـيـكـمـ الشـقـلـيـنـ :ـ أـوـلـمـاـ كـتـابـ اللـهـ فـيـهـ الـمـهـدـيـ وـالـنـورـ ،ـ وـأـهـلـ بـيـتـيـ .ـ أـذـكـرـ كـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ .

^١ الأعراف ٧ : ١٤٢ .

^٢ موارد الظمان : ٥٥١ | ٢٢٢٧ .

(42)

وفي لفظ آخر: إِنَّمَا تارك فِيْكُم مَا أَنْتُمْ تمسكتم بِهِ لَنْ تضلُّوا^١ بعدي : كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
حَبْلٌ مَدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعَتَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانظُرُوا
كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا^٢ .

٤- غَدِيرُ خَمٍ:

لَا أُغَالِي بِشَيْءٍ إِذَا جَزَّمْتَ بِأَنَّ فِي التَّعْرُضِ لَا يَرَادُ وَاقْعَةُ غَدِيرِ خَمٍ وَشَجُونُهَا ضَمِّنَ هَذِهِ
الْأَسْطُرِ الْمُتَوَاضِعَةِ ، وَمَعَ هَذِهِ الْعَجَالَةِ الَّتِي تَحَاوِلُ أَنْ تَنَأِيَ بِهَا الْكِتَابُ عَنِ الْإِسْهَابِ وَالْإِسْتِرْسَالِ ،
فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْبَخْسِ الَّذِي تَرَدَّدَتْ كَثِيرًا أَنْ لَا أَتَحْمَلُهُ وَلَا أَخْوُضُ غَمَارَهُ ، مُحِيلًا الْقَارِئَ الْكَرِيمَ إِلَى مَا
اسْتَفَاضَ فِيهِ الْعَدِيدُ مِنْ عُلَمَائِنَا وَمُفَكِّرِينَا ، وَنَاقَشُوا مِنْ خَلَالِ كِتَبِهِمُ الْبَعِيدَةُ الْغُورُ وَالْمَدِيُّ أَبْعَادَ
وَدَقَّاقَتْ هَذِهِ الْوَاقْعَةُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي تَحَاوِزُ عَدْدَ رَوَاْتَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ الْمَائِةِ صَحَابِيٍّ ، وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مَنْ
رَوَاَهَا مِنَ الْتَّابِعِينَ .

بَلْ إِنْ فَهْمَ وَاقْعَةُ الْغَدِيرِ ، وَالْقَطْعِيَّةُ الْحَاصِلَةُ فِيهَا بِثْبُوتِ الْأَمْرِ الإِلهِيِّ بِتَنْصِيبِ عَلِيِّ عَلِيهِ
السَّلَامِ خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْبَاحِثِينَ عَنِ الْحَقِيقَةِ جَهَدًا حِيَادِيًّا مَنْصَفًا ،
بعِيدًا عَنِ التَّفْسِيرَاتِ الْجَاهِزَةِ

^١ يُنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ التَّأْمُلُ بِرُوْيَا فِي عِبَارَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ لِإِدْرَاكِ حَقِيقَةِ مَا يَعْنِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِرَانِهِ
بَيْنَ اِبْنِ أَبِي هُبَيْلٍ هَذِهِ الْبَيْتِ الْطَّاهِرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَبَيْنَ الْمَهَادِيَّةِ الَّتِي لَا ضَلَالٌ يُخَافُ مَعَهَا ، وَإِعْتِبَارِ اِبْنَائِهِمُ سُلُوكًا لِلصَّبِيلِ وَالصَّرَاطِ
الْقَدِيمِ الْمُؤْدِي إِلَى رَضَا اللهِ تَعَالَى .

نَعَمْ يَحِبُّ التَّأْمُلُ وَالتَّدَبِّرُ فِي ذَلِكَ ، لَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَلْقَى الْكَلَامُ جَرَافًا وَلَا عَلَى عَوَاهِنَهُ ، بَلْ هُوَ الرَّسُولُ
الْكَرِيمُ الْمُبْلَغُ عَنِ اللهِ تَبارُكُ وَتَعَالَى ، وَالَّذِي لَا يَنْطَقُ قَطُّعًا عَنِ الْمَوْى بِنْصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

^٢ سنن الترمذى ٥: ٦٦٢ و ٦٦٣ صحيح مسلم ٤: ٢٤٠٨ | ١٨٧٣ مسند أحمد ٣: ١٧ و ١٨١ ، مستدرك الحاكم
٣: ٢٣٠ ، أسد الغابة ٢: ١٢ ، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٦ ، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ الصواعق المحرقة :

(43)

للبعض الذي جهد في أنْ يحتوي البحر بكفه ، معاندة للحق ، وتجنّباً على الآخرين .

فقد استفاضت المصادر التاريخية والحديثة وغيرها ، ومن الفريقيين ، في ذكر هذه الواقعة الشهيرة الحادثة بعد صدور رسول الله صلى الله عليه وآلـه من حجة الوداع ، وحيث تذكر تلك المصادر انه صلى الله عليه وآلـه قد استرسل مع الركب العظيم الزاحف في صحراء الجزيرة وجواها اللاهب ، وحيث كان الجميع — كما هو مأثور عند جميع الحجاج في كل زمان بعد انتهاء مناسك حجتهم — يستعجل الخطا نحو متله لما بلغ به من الإلهاك والإعياء ، والشوق للقاء الأهل بعد هذا السفر الطويل والشاق . . . عشرات الآلاف من حجاج بيت الله الحرام يستحث آخرهم أو لهم لاجتياز ما تبقى من المسافة الطويلة الممتدة نحو الأفق البعيد. . . وعلى حين غرة والركب العظيم يجتاز وادي خم^١ إذا بمنادي رسول الله صلى الله عليه وآلـه يدعو الناس إليه للاجتماع ، في هذا الجو القائض ، وعلى هذه الأرض الملتهبة، حتى روي أنَّ المسلمين كان يضعون ثيابهم تحت أرجلهم من شدة سخونة رمل الصحراء.

يقول الرواون من الصحابة : أنَّه صلى الله عليه وآلـه أمر بدوحات فقمن ، ثم خاطب المسلمين — المتسائلين عن الأمر الخطير الذي حبسهم من أجله رسول الله صلى الله عليه وآلـه — بقوله : . . . أليس تشهدون أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؟ وأنَّ جنة حق وناره حق ؟ وأنَّ الموت حق ، وأنَّ البعث حق بعد الموت ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعث من في القبور ؟

^١ واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير ، عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وآلـه . معجم البلدان ٢: ٣٨٩ .

(44)

قالوا: بلى نشهد بذلك .

فقال : اللهم اشهد ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ مُوْلَاهُ وَأَنَا مُوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ .

ثم أخذ بيده علي عليه السلام وقال : فمن كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد
^١
من عاداه ...

يقول البراء بن عازب وغيره من الصحابة : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَقِيَ عَلَيًّا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ :
هَنِئْنَا لَكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مُوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ .^٢

نعم كذا تناقلته المراجع المختلفة وإنْ حصل بعض التباين في كيفية السرد ، إلا أنَّ ما أوردنا
كان القاسم المشترك بين جميع تلك الروايات ، فراجع .

والغريب الذي توجه النقوس المنصفة أنَّ من لم يرقه وضوح هذا الأمر في استخلاف علي عليه
السلام أخذ يتخبَط ويتوسل بما يتصوَّره حلاً لإرضاء هواه وهوى أسياده في نفي هذا الدليل القطعي

^١ بعد استعراض المصادر التي أوردت واقعة الغدير ، وبأسانيدها وطرقها الكثيرة هنا أمراً مستعسراً ، كما ان إيراد البعض دون
الباقي بخسأ لا ينبغي أن لا نتحمله ، ولذا فإني أحيل القارئ الكريم إلى الكتب المختصة التي تناولت بالتفصيل والإسهاب ما
استطاعت حصره وإثباته من تلك الطرق والوسائل ، والتي يُعد كتاب الغدير للشيخ عبد الحسين أحمد الأمين (ت ١٣٩٠ هـ)
من أوسعها وأشملها ، فراجع .

^٢ انظر: مسنن احمد ٤ : ٢٨١ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ : ٥٠ | ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ ، البداية
والنهاية ٥ : ٢١٠ الفصول المهمة : ٤١ ، الحاوي للفتاوى ١ ١٢٢ ، ينابيع المودة : ٣١٣٠ ، تذكرة الخواص : ٢٩ الرياض
النضرة ٣ : ١٢٧ ، الخطط للمقرizi : ٢٢٣ ، كفاية الطالب : ٦٢ .

المؤيد لما تذهب إليه الشّيعة وتومن به ، فأخذ يتأنّى بعیداً عن الحق في تفسير هذه الأقوال الواضحة ،
فأوقع نفسه في الحرج الشديد .

ثم أقول بتجدد كامل : هل يمتلك ذلك البعض المعاند تفسيراً مقنعاً عن علة جمع رسول الله صلى الله عليه وآلـه لعشـرات الآلـاف من المسلمين الذين أنهـكـهم مـراـسمـ الـحـجـ ، وـوـعـثـاءـ السـفـرـ ، وـالـشـوـقـ الـعـارـمـ لـلـأـهـلـ وـالـأـوـلـادـ غـيـرـ أمرـ الـخـلـافـةـ وـالـوـصـاـيـةـ ؟ بل هل ترضـيـ العـقـولـ بـتـفـسـيرـ سـطـحـيـ سـاذـجـ لاـ معـنىـ لـهـ لـتـبـرـيرـ هـذـهـ الـمـعـانـدـةـ لـلـحـقـ ، وـالـمـخـالـفـةـ لـهـ ؟ إـنـهـ مجرـدـ تـسـاؤـلـ .

5— تبليغ سورة براءة:

لـكـثـرـ ماـ تـسـاءـلـتـ تـارـةـ فيـ نـفـسـيـ وـأـخـرىـ معـ أحـدـ مـحـادـثـيـ عنـ سـرـ غـفـلـةـ الـبـعـضـ فيـ إـدـراكـ مـغـرـىـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ الـيـ لمـ يـخـتـلـفـ اـثـنـانـ فيـ تـفـاصـيلـهاـ وـدـقـائـقـ مـنـقـولـاـهـاـ ، رـغـمـ اـتـفـاقـهـمـ عـلـىـ نـتـائـجـهـاـ وـمـاـ تـرـثـبـ عـلـيـهـاـ ، وـذـلـكـ مـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـ الجـمـيعـ .

ولـعـلـ الـحـقـ الـمـسـتوـحـيـ منـ اـسـتـقـرـاءـ أـطـرـافـ الـقـضـيـةـ يـشـيرـ بـوـضـوحـ إـلـىـ أـنـ هـنـاكـ مـنـ يـسـلـمـ بـهـ كـكـلـ مـتـكـامـلـ باـعـتـبارـهـاـ مـنـ الـأـدـلـةـ الـمـشـتـبـةـ لـاـسـتـخـلـافـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، دـوـنـ التـأـمـلـ فـيـ مـفـرـدـاتـهـ وـدـقـائـقـهـاـ ، حـيـنـ يـتـجـاهـلـ الـطـرـفـ الـآـخـرـ حـتـىـ مجرـدـ التـأـمـلـ فـيـ شـكـلـهـاـ الـخـارـجـيـ الـمـظـهـرـيـ ، وـهـنـاـ يـكـمـنـ السـرـ فـيـ هـذـهـ الـغـفـلـةـ مـحـلـ التـسـاؤـلـ .

ولـنـشـرـ أـوـلـاـ فيـ اـسـتـعـرـاضـ تـفـاصـيلـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ كـمـاـ اـتـفـقـ الـجـمـيعـ عـلـىـ نـقـلـهـاـ فـبـعـدـ نـزـولـ الـأـمـرـ الإـلهـيـ القـاطـعـ بـحـجـبـ الـمـشـرـكـينـ عـنـ بـيـتـ اللهـ الـحـرـامـ ، حـيـثـ يـجـبـ أـنـ لـاـ يـدـخـلـهـ بـعـدـ إـلـاـ مـسـلـمـ ، وـأـنـ لـاـ يـطـوـفـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ الـبـيـتـ عـرـيـانـ . . . الـخـ كـمـاـ هوـ فـيـ سـوـرـةـ بـرـاءـةـ ، أـرـسـلـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـبـاـ بـكـرـ بـهـذـهـ السـوـرـةـ ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـلـغـهـ النـاسـ فـيـ مـكـةـ .

تـقـوـلـ الـمـصـادـرـ الـمـخـلـفـةـ : إـنـ أـبـاـ بـكـرـ سـارـ بـهـ ثـلـاثـاـ ، وـلـمـ يـحـدـثـ شـيـءـ ، حـتـىـ نـزـلـ الـأـمـرـ الإـلهـيـ لـرـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـأـنـ يـلـحـقـ عـلـيـهـ

السَّلَامُ أبا بكرَ وَيَأْخُذُ مِنْهُ السُّورَةَ وَيَتَوَلِّ هُوَ تَبِيلُهَا نِيَابَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . . . فَكَانَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَعَادَ أَبُو بَكْرَ — مَتَوَجِّسًا باكِيًّا — إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحَدَثَ فِيْ شَيْءٍ ؟

فَأَجَابَهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَا ، وَلَكِنْ أُمِرْتُ أَنْ لَا يُلْعَنَ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي^١ . كَذَا تَنْفَقُ الْمَصَادِرُ الْمُتَعَدِّدَةُ فِي إِبْرَادِهَا تَفَاصِيلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الشَّهِيرَةِ ، وَهِيَ بِلَا شَكَ دَلِيلٌ وَاضْعَفَ عَلَى أَنْ لَا مُبْلِغٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِاسْتِقْرَاءِ الْأَدْلَةِ السَّالِفَةِ ، بِيدِ أَنْ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ حُكْمَاتٌ كَثِيرَةٌ لِلتَّوْقِفِ وَالتَّأْمُلِ وَالْمَرْاجِعَةِ . . .

فَقُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَبِي بَكْرٍ (أُمِرْتُ) يَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى أَنَّ مَصْدِرَ هَذَا الْأَمْرِ هُوَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى ، وَذَلِكَ لَا خَلَافٌ فِيهِ ، حِيثُ كَانَ أَمْرُ التَّنْحِيَةِ وَالتَّنْصِيبِ أَمْرًا إِلَهِيًّا مُحْضًا أَرَادَ مِنْهُ اللَّهُ جَلَّ اسْمَهُ أَنْ يَبْيَّنَ فِيهِ لِلْأَمَمَةِ مَنْ يُلْعَنُ عَنْ رَسُولِهِ أَحْكَامُ السَّمَاءِ وَشَرائِعُهَا ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَمْلُوكُ لِرَسُولِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَكَذَا هِيَ مُشَيْئَةُ السَّمَاءِ .

ثُمَّ لَمْ تُرِكَ أَبُو بَكْرٌ هَذِهِ الْأَيَّامَ الْثَلَاثَةَ بِطُولِهَا قَاطِعًا الْفَيَافِيَّ وَالْوَدِيَانَ ، مَتَحْمِلًا وَعَثَاءَ السَّفَرِ وَمَشْقَةَ الطَّرِيقِ ، طَالَمَا أَنَّ مُشَيْئَةَ السَّمَاءِ أَنْ لَا يُلْعَنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هَلْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَطَلَّبُ تَفْكِيرًا وَتَدْبِيرًا مِنَ السَّمَاءِ ، أَمْ أَنَّ هُنَاكَ تَأْخِيرًا فِي التَّبْلِيغِ وَالْإِبْلَاغِ ؟ كَلا وَأَلْفَ

^١ سنن الترمذى ٥: ٦٣٦ | ٣٧١٩ ، مستدرک الحاکم ٣: ١٣٢ ، مسنند أبی حمدا ١: ٣ ، ٣٣١ ، ٢١٢: ٣ ، ٢٨٣ ، ٤: ١٦٤ ، ١٦٥ ، مجمع الروايد ٩: ١١٩ ، تفسیر الطبری ١٠: ٤٦ ، البداية والنهاية ٧: ٣٥٠ ، الخصائص للنسائي: ٨ ، الفصول المهمة: ٤٠ ، الصواعق المحرقة: ١٨٨ .

كلا لأن في ذاك خلاف مخض مع عقيدة كل المسلمين ، فلا يقول به أحد . . . إذن فلماذا؟

٦— نصوص أخرى:

ثم وقسرًا للنفس على تجنب الإسهاب في الحديث عن النصوص التي تزخر بها أمهات الكتب وراجع الحديث ، استعرض ايجازًا نتفاً من تلك النصوص ، محيلاً القارئ الكريم إلى مصادرها ، إنْ ابتعى الاستزادة :

أ— روى ابن حجر في صواعقه عن أبي سعيد الخدري : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ قال في تفسير قوله تعالى : { وَقَفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ }^١ : عن ولایة علي بن أبي طالب^٢.

ب— وروت المصادر المختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ قوله : لـكـلـ نـبـيـ وـصـيـ وـارـثـ ، وـإـنـ وـصـيـ وـوارـثـيـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ^٣.

ج— وقال صلى الله عليه وآلـهـ : أوصـيـ مـنـ آـمـنـ بـيـ وـصـدـقـتـيـ بـوـلـاـيـةـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، فـمـنـ تـوـلـاـهـ فـقـدـ تـوـلـاـيـ^٤.

^١ الصافات : ٣٧ : ٢٤ .

^٢ الصواعق المحرقة : ٢٢٩ .

^٣ انظر : ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٣ : ٥ ، ميزان الاعتلال ٢ : ٢٧٣ ، الرياض النبرة ٢ : ٢٣٤ ، بنيابع المؤدة : ٧٩ ، كفاية الطالب : ٦٢٠ ، المناقب للمغازلي : ٢٠٠.

^٤ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ : ٥٩٧ ، مجمع الروائد ٩ : ١٥٩ ، المناقب للمغازلي : ٢٣٠ .

د — وقال أيضاً صلی اللہ علیہ وآلہ : من أحب أنْ يحيا حیاتي ويموت ممایی ، ويسكن حنة عدن غرسها ربی فلیتولَ علی بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلکم في ضلاله ^١ .

^١ المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٢٨ ، لسان الميزان ٢ : ٣٤ ، حلية الأولياء ٤ : ٣٤٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ : ٩٨ ، ٦٠٣١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(48)

هـ — قال صلى الله عليه وآلـه لـعلي عليه السـلام : أنت أخي ووارثي .
قال : وما أرثـ منك ؟

قال صلـى الله عليه وآلـه : ما ورـث الأنـبياء من قـبلي ^١ .

وـ — وروـى أنسـ بن مـالـكـ : أـنـ رسولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ قـالـ لهـ :
يا أـنـسـ ، أـوـلـ منـ يـدـخـلـ عـلـيـكـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ إـمـامـ المـتـقـينـ ، وـسـيـدـ الـمـسـلـمـينـ ، وـيـعـسـوبـ الـدـيـنـ ،
وـخـاتـمـ الـوـصـيـيـنـ ، وـقـائـدـ الغـرـ المـحـجـلـيـنـ .

قال أـنـسـ : فـجـاءـ عـلـيـ فـقـامـ إـلـيـهـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ مـسـتـبـشـرـاـ فـاعـتـنـقـهـ وـقـالـ لهـ : أـنـتـ
تـؤـديـ عـنـيـ ، وـتـسـمـعـهـمـ صـوـتـيـ ، وـتـبـيـنـ لـهـمـ مـاـ اـخـتـلـفـواـ فـيـهـ مـنـ بـعـدـيـ ^٢ .

زـ — وـرـوـىـ عمرـانـ بـنـ الحـصـيـنـ عـنـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـنـهـ قـالـ : إـنـ عـلـيـاـ مـنـ وـأـنـاـ
مـنـهـ ، وـهـوـ وـلـيـ كـلـ مـؤـمـنـ بـعـدـيـ ^٣ .

^١ تـرـجـةـ الإـمـامـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلامـ مـنـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ ١ : ١٠٨ـ ، الـرـيـاضـ النـضـرةـ ٢ : ٢٣٤ـ ، تـذـكـرـةـ الـخـواـصـ : ٢٣ـ ، يـنـابـيعـ الـمـوـدةـ : ٥٦ـ ، فـرـائـدـ
الـسـمـطـيـنـ ١ : ١١٥ـ — ١٢١ـ .

^٢ مـيـزانـ الـاعـدـالـ ١ : ٦٤ـ ، حـلـيـةـ الـأـوـلـيـاءـ ١ : ٦٣ـ ، تـرـجـةـ الإـمـامـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلامـ مـنـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ ٢ : ٤٨٧ـ ، كـفـاـيـةـ الطـالـبـ : ٢١٢ـ ،
مـطـالـبـ السـؤـولـ : ٢١ـ .

^٣ سنـنـ التـرمـذـيـ ٥ : ٣٧١٢/٦٣٢ـ ، مـسـنـدـ أـحـمـدـ ٤ : ٤٣٨ـ ، مـسـتـدـرـكـ الـحاـكـمـ ٤ : ٤٣٨ـ ، الـخـصـائـصـ لـلـنسـائـيـ : ٢٣ـ ، أـسـدـ الـغـابـةـ ٤ : ٢٧ـ ،
الـرـيـاضـ النـضـرةـ ٣ : ١٢٩ـ ، شـرـحـ نـجـاحـ الـبـلـاغـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ الـمـعـتـرـلـ ٩ : ١٧١ـ .

وغير ذلك ، فإنَّ للمستزيد مزيد ، فمن ابتغى الكثير فإنَّ عليه استقراء ما كُتب عن هذا المبحث المهم ، ولن يعسر عليه ذلك طالما تجرد البعض عن الفهم المسبق الخاطئ ، وتدارس الأمر بحيادية علمية لا تبتغى غير الحق ، والحقيقة فحسب .

(49)

وقفة مع رزية الخميس :

لم يسعني وأنا أطوي هذه الأسطر الأخيرة من حديثي هذا إلا أن أشير إلى حدث بقي حتى يومنا هذا محل تساؤل بين عموم المسلمين ، يتفاوت التصریح به بين الهمس المتواري خجلاً ، وبين عبارات الاستهجان المندفعه كالبركان المتفجر ، أو كالسیل المادر ، وللآثرين ما يعتذر به ، فالأول يجد بشاعة الحدث تلقی غمامه سوداء على مُثُلٍ بقى طوال عمره مؤمناً بها ، ومدافعاً عنها ، والثانی يحمل أصحاب هذا الأمر الكثير مما أصاب هذه الأمة من التبعثر والتشتت والتمزق ، وهي حقيقة لا يسع منصف الإعراض عنها ما جهد في تبريرها. وهنا يكمن أصل الداء.

لقد اتفق المسلمون مع اختلاف مشاربهم وتشتت مذاهبهم على جملة أمور اعتبروها من مسلمات الدين التي لا مناص لمسلم من الاعتقاد بها والتعبد بمضامينها ، ومن ذلك الاستجابة المطلقة وغير المترددة ولا المحتهنة قبالة النص الثابت الصدور عن رسول الله صلی الله عليه وآلہ ، وحيث تتأكد وجوبية الالتزام والتنفيذ ، وحرمة المخالفه والمعارضة حين الحضور المقدس لصاحب الرسالة صلی الله عليه وآلہ { مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } ١ .

وممّا لا ريب فيه أن العلة في هذا التحریم واضحة بینة تمثل أوضح أبعادها في رد حکم الله تبارك وتعالی ورادته ، لأنّ الرسول "صلی الله عليه وآلہ ليس إلا ممثلاً لإرادة السماء ، مجسداً لمشيئتها ، مبلغاً لأوامرها .

ومن

١ . الأحزاب ب : ٣٣ : ٣٦

(50)

هنا يشدد النكير على المخالفين ، بل وحتى على المختهدين قبلاته .

ونحن هنا لسنا بمعرض تقليل الشجون ، ومحاكمة المخالفين والمخالفين ، قدر ما توخيانا منه إماطة القذى عن بعض العيون في تحاملها على الشيعة نتيجة تبنيها للنصول المتواترة باستخلاف علي عليه السلام .

وتجنباً للإسهاب لتأمل ما أورده أصحاب الصحاح في متون كتبهم المختلفة حول هذه الواقعة ، ولنشرع أولاً برواية البخاري عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي البيت عمر بن الخطاب ، قال النبي صلى الله عليه وآله : هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال عمر : إنَّ النبي قد غالب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ! ! .

قال : فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قاله عمر ، فلما كثر اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله قال لهم : قوموا عنِّي . فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أنْ يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم^١ .

وفي صحيح مسلم وغيره برواية سعيد بن جبير : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي . فتنازعوا ، وما ينبغي عن نبي التنازع ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ! ! استفهموه ؟

^١ صحيح البخاري ٧ : ٢١٩ | ٣٠ ، وانظر كذلك : صحيح مسلم ٣ : ١٥٩ | ٢٢ ، مستند أحمد ١ : ٣٢٤ ، البداية والنهاية ٥ : ٢٠٠ .

فقال صلی الله علیہ وآلہ وسے دعویٰ ، فالذی أَنَا فِیْهِ خَیْرٌ^١.

وأما أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَقَدْ رَوَى فِي مَسْنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ قَوْلُهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى

^١ صحيح مسلم : ٣ | ١٦٣٧ | ١٢٥٧ ، وانظر كذلك : مسنـد أبي يـعلى : ٤ : ٢٩٨ ، مسنـد أـحمد : ١ : ٢٢٢ ، الـبداـية والنـهاـية : ٥ : ٢٠٠ ، تاريخ الطـريـق : ٣ : ١٩٣ .

الله عليه وآله دعا عن موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون به ، فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها^١.

أقول: لنجرب ما أمكننا الخوض في غمار الشجون والتأسف جهداً ، ولننسائل لعل في التساؤل والبحث عن الجواب تتحقق غاية مبتغى المعرفة ، وهو ما يريد المنصفون حلاصة لجهدهم :

ما كان ذلك الكتاب الذي أغاض رسول الله صلى الله عليه وآلـه إعراض بعض أصحابـه عنه ، وجهـدهم في منعـه عن كتابـته ، رغمـ ما صرـح به من أنـ الأمةـ لن تضلـ بعـده أبداً؟ هلـ كانـ أحـكامـاً شـرعـيةـ ، وقدـ ثـبـتـ أنـ الرـسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـمـ يـدـخـرـ جـهـداًـ فيـ تـوـضـيـحـ كـلـ تـلـكـ الـأـحـكـامـ لـلـمـسـلـمـينـ طـيـلـةـ حـيـاتـهـ ، ثـمـ ماـ كـانـ يـكـنـ لـتـلـكـ الصـحـيـفـةـ الـمـحـدـودـةـ أـنـ تـحـويـهـ مـنـ أـحـكـامـ ، وـفـيـ تـلـكـ السـاعـاتـ الـأـخـيـرـةـ مـنـ حـيـاتـهـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ !ـ وـكـيـفـ غـفـلـ هوـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـنـهـاـ — طـالـماـ هـيـ مـنـ الـأـهـمـيـةـ بـهـذـاـ الشـكـلـ — طـيـلـةـ حـيـاتـهـ ليـتـذـكـرـهـاـ فـيـ هـذـهـ الـلـحـظـاتـ الـأـخـيـرـةـ ؟ـ

٢- لم ينربى بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب — كما تذكر ذلك المراجع المختلفة — إلى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر والهذيان مباشرة بعد مطالبته صلى الله عليه وآله بتلك الصحيفة؟ أما كان يجب عليهم أن يستجيبوا للرسول الذي أمرهم الله تعالى بوجوب الانقياد إلى أوامره دون مراجعة ومعارضة ، أو على أدنى الاستجابة مسائلته بماهية ذلك الكتاب أمام الملأ الحاضرين ؟

٣. هل تأمل البعض مبلغ التوھین الذي مُنِيَ به رسول الله صلی اللہ علیہ وآلہ من قبْلَ اولئک الصحابة ، حيث نبذوه — وهو المبلغ عن اللہ تعالیٰ ،

مسند أحمد : ٣٤٦

(52)

ومن لا ينطق عن الهوى — بالهجر وأمام الحاضرين المفجوعين به ، حتى سرت مقولتهم سريان النار في الهشيم ، وتلقّفها اليهود والمنافقون وغيرهم من أعداء الدين فطفقروا يطّلّوا لها ويزمّروا ؟

٤. وأخيراً ، أما يحق لنا أن نتساءل ويتساءل معنا الجميع : لم ينبع أحدٌ من أولئك الصحابة بنتَ شفة رداً على أبي بكر ، واعتراضاً عليه ، واتهاماً إياه بالهجر ، رغم انه أوصى بعمر خليفة من بعده حين غلبه الوجع وانشبت المنية فيه أظفارها ؟! بل هلّ ذلك البعض وكثيراً حلاف ما بدا عليه حين أراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كتابة عهده باستخلاف علي عليه السلام.

فأي الاثنين أملك لعقله دون الآخر ، بل وأيهما رسول الله تعالى دون الثاني ؟! انه مجرد تساؤل لا غير.

نعم وأقول بوضوح كما هو ينبغي أن لا يخفى على الجميع : إنّها الوصاية بعلي عليه السلام لا غير ، وكان المتصدّين لمنع إثباتها أدرى بها من غيرهم ، وذلك ليس بخاف على المتبّعين المتّفّحصين لأبعاد هذه الواقعة وما تلاها .

الوقفة الأخيرة:

وأحياناً ونحن نخط رحالنا وأزواتنا في فناء محطتنا الأخيرة ، بعد هذا الاستطرار المتعجل والمتلاحق الخطأ في تبيان جملة من الشوارد الساخنة في مفهوم الإمامة الذي لا يزال البعض يصنه ضحاج مكاء وتصدية مباغي عشرة وحدة المسلمين عن إدراك حقيقتها بالشكل الذي تقول به الشيعة ، فانماز عن عدم تدبر في خانة من كانوا ولا زالوا يعملون حرابهم في جسد وبنيان هذا الدين الواحد ، والمجتمع الواحد .

بلى وما أقوله ينبعث من صميم القلب لا شغافه ، وصدقًا ، لا رباءً ومحاتلة وخداعاً : إنَّ الرباط المقدس الذي يجمعنا كمسلمين أعظم وأقوى من أنْ يعتريه الذبول أو يتخلله الوهن ، وذلك ما ينبغي أنْ لا يغرس عن الجميع ، أو يتناساه أحد . فرباط الأخوة الإسلامية الذي أمرنا الله تعالى أنْ نعتصم به — إذ قال جلَّ اسمه : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإذْ كُرِّوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاءٍ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يَسِّئُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ } ^١ — حتم لا يسع مسلم الإعراض عنه قطعاً ، ولا بتحالله في آن ما ، لأنَّا ندرك جميعاً أنَّ علة ما نعاينه من مصائب أحاطت بال المسلمين في بقاع شتى من هذه المعمورة يكمن في استرخائهم أمام حالة التبعير والتمزق والتكفير التي تعمل على تأجيجها سرائر بغية تبرّق بشعارات محوّجة تحاول جاهدة التمويه على بضمها المشخصة البدية على جسد هذه الأُمَّة النازفة من طعناتهم المتلاحقة المعاندة .

^١ آل عمران ٣ : ١٠٣ .

(54)

إنَّ دعواتنا المتواصلة بوجوب فهم عقائد الشِّيَعَة بشكل سليم — دون التقوّع في الحدود المصطمعة التي رسم ويرسم أبعادها الآخرون ممَّن تدفعهم إلى ذلك أغراض ومارب خاصة ، أو ممَّن يعتمدون في ترتيب أحکامهم على الفهم السطحي والساذج لتلك العقائد — هي أبجع المسالك في طريق السعي نحو التقرير الذي كان ولا زال يدعو إليه المخلصون من رجال هذا الأُمَّة ، شيعة وسنة ، عسى الله تعالى أنْ يلم شتات هذه الأُمَّة لتكون مصداق قوله سبحانه : {خَيْرٌ أُمَّةٌ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} ۖ ۱.

وإذا كان البعض من لا يروقه التصریح ويتعمَّد المواربة والمخاتلة في الإشارة إلى مواطن الداء التي أبتليت بها الأُمَّة ، تصوّرًا منه أنَّ ذلك أبجع الطرق المؤدية نحو التقرير والتقارب ، والوحدة والتآلف ، فانَّ ذلك وهم تصوّره حالة الانخداع بالاختلاف المضخم والبالغ فيه من قبل مُروّجي هذا الاختلاف والمزّمرين له ، فيضطر المصلحون إلى تجاوز هذه العثرات دون تأمل ونظر باعتقاد كبير حجمها ، وتعاظم قدرها ، ويسير على منوالهم الآخرون وهم يكتترون في مخيلتهم اعتبار سعة الهوة ، وبعد المسافة بين الفريقين ، وذلك هو أَس الداء ، وأصل العلة .

نعم ، إنَّ ما يلتقي به الجميع هو اكبر واعظم من أنْ تتجاوزه لنفترض استحالة الالتقاء والتقارب ، والإشارة المشخصة لموطن الاختلاف ايسير سبيل لإدراك ماهية ذلك الاختلاف ، وكيف يمكن أن تتجاوزه وصولاً إلى تلك الأمنية الغالية على قلوب المخلصين من هذه الأُمَّة المنهكة القوى ، والمستلبة العز والكرامة التي منحها إياه هذا الدين العظيم ، فتخاذلت عنه ،

۱ آل عمران ۳ : ۱۱۰ .

(55)

وأعرضت عن سبيله ، فكان ما نراه اليوم من نكوص عظيم لا تصدقه العقول ، ولا تحتمله القلوب .

كنا ولا زلنا اخوة الدين الواحد الذي جاء به ذلك الرسول الامي صلى الله عليه وآله إلى تلك الشعوب الغارقة في وحل الانحراف والرذيلة ، فجعلها أمّة من خير الأمم ، تحمل النور والهدایة إلى أصقاع الأرض ونواحي المعمورة ، وما كان ذلك إلا بصدق النية ، وقوه العزيمة ، فلم لا نكون من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ولننفض عن كاهلنا وهم التنافر والاختلاف المقيت ؟ إنما دعوة صادقة لأنفسنا كما هي للآخرين .

والله الموفق للسداد ، آللله نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله أولاً وآخرًا .

(56)

ترجمة المؤلف :

هو الشيخ محمد بن الحسين ابن الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى ابن الشيخ الأكبر جعفر — صاحب كشف الغطاء — ابن الشيخ جعفر بن يحيى ابن سيف الدين المالكي الحناجي النجفي.

يعود رحمه الله تعالى برحمته الواسعة بنسبة إلى إحدى قبائل العراق المعروفة ، وهي قبيلة بني مالك ، التي تنتهي إلى أحد خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله تعالى .

كان الكثيرون من هذه القبيلة المعروفة يستوطنون نواحي مدينة الحلة وأطرافها ، وخصوصاً بلدة حناجه المعروفة سابقاً باسم قناقية ، وحيث كان أجداد المترجم يُعدون من وجهاء تلك البلدة وأعيانها ، حتى هاجر جده الأعلى الشيخ حضر بن يحيى منذ ما يقارب من مائتين وتسعين عاماً إلى مدينة النجف الأشرف المزدهرة بمحوزتها العلمية وعلمائها الأفذاذ ، فاشتغل بالدرس والتحصيل وتلقى العلوم الدينية بجد ومتابرة أهلته لأنْ يتتفوق على الكثيرين من أقرانه ويقدم عليهم بشكل ملحوظ أقرَّ به أساتذته وزملاؤه في الدرس ، مما مهد له السبيل للتحصي نخو مصاف الأئمة والمدرسين الذين يشار لهم بالبنان ، ويحظون بالثناء والتقدير.

وكان رحمه الله تعالى مشهوراً بالتقى والصلاح ، والرهد والورع ، شاع صيته في الأفاق فتوافت الجميع عليه مقررين بفضله ، ومعترفين بمكانته ، فاستطاع أنْ يضع حجر الأساس لأسرة شريفة سمت بها منازل العلم والتقى لأنْ تنسئم بحق زعامة المرجعية الدينية الشيعية لسنين طوال .

نعم ، فإذا كانت مدينة النجف الأشرف ، وبالأخص حوزتها العلمية قد عرفت بالشيخ حضر عالماً فاضلاً ، وتقى مصلحاً أخذ العلم على يد كبار أساتذتها ، وابتز أقرانه بجده واجتهاده ، فإنها قد شهدت من بعده وعلى يد أبنائه وأحفاده الكثير من العطاء الذي طوّقت أفضاله رقاب عموم الشيعة خاصة وبقي المسلمين عامة .

وهكذا فقد كانت هجرة الشّيخ حضر رحمة الله تعالى إلى النجف الأشرف قبل ما يقارب من المائتين والتسعين عاماً انعطافاً كبيراً في حياة هذه الأسرة الشريفة ، ورفاً عظيماً لمسار الحوزة العلمية ودورها في قيادة عموم الطائفـة الشـيعـية في جميع العالم .

وكان الشّيخ حضر قد حلّ أربعة من الأبناء ، أشهرهم العلامة ، الشّيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ، وحاله وسمو منزلته لا تخفي على أحد ، بل هو كالشمس في رابعة النهار ، تُشد إليه الرحال ، وتقصده أفالـلـ الرـجالـ ، وتتزود من علمـهـ أكثر جمـوعـ الـطـلـبـةـ والـدارـسـينـ والـبـاحـثـينـ .

وإذا كان والده الشّيخ حضر قد وضع أساس هذه الأسرة الشريفة في جنبات مدينة العلم ، وقبلة الدارسين والباحثين عن صفو علوم أهل بيت العصمة عليهم السلام ، فإنَّ الشّيخ جعفر رحمة الله تعالى قد أشاد لعائلته صرحاً شامخاً ، وشرفاً منيفاً ، ومكانة عالية ، واسماً ميموناً ، حتى طغى اسم أشهر مؤلفاته ، وهو كشف الغطاء ، على أسرته وأحفاده ، فأسموا بآل كاشف الغطاء ، منذ ذلك اليوم ، وحتى يومنا هذا ، بل وأمسوا لا يُعرفون بغيره ، ولا يرتضون سواه ، فكان خير إرث تركه لهم ، إرث عظيم لا تُقاس به الكنوز ولا القطائع .

ومن ثم فانَّ الـبـنـيـانـ الشـامـخـ لـهـذـهـ الأـسـرـةـ الطـيـبـةـ المـبـارـكـةـ كانـ لـابـدـ لـهـ منـ

(58)

أنْ يرثه ويتبوأ عرش سيادته بعد رحيل سيده الأكابر الشَّيخ جعفر الذي تُعد خلافته من مشاق الأمور التي تستدعي بوريثه جهداً مضاعفاً ، وسعياً متواصلاً لينال تلك الجبوبة الرفيعة التي امتنى ناصيتها ذلك الجد الأكابر.

والحق يقال : إنَّ الأنظار بقيت شاخصة متفحصة مع تقادم السنين بحثاً عن ذلك الوريث المبارك الذي تسمى به همته ، وجده واجتهاده نحو ذلك المكان المنيف الشامخ ، حتى أتت الأيام بذلك الموعود المبارك من قبل أحد أحفاده النجباء وهو الشيخ محمد بن الحسين رحمه الله تعالى — صاحب الترجمة — فاستطاع أنْ يرتقي هذا المرتقى الصعب ، بجدارة وقدرة ، وسعي واجتهاد ، بل وأنْ تشن له الوسادة من قبل الجميع ، ويقر بفضله القاصي والداني ، وأنْ يملأ الدنيا بأقواله وموافقه ، وبجوبته مؤلفاته ، وسعيه ومثابرته ، بل وأنْ يختلف الكثير الكثير من الآثار الخالدة الدالة على عظيم ما كان عليه ، علمًاً وفضلًاً ، إيماناً وتقوى ، فرحمه الله تعالى برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

ولادته بشاته :

ولد رحمه الله تعالى عام (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م) في مدينة النجف الأشرف ، وقد أرّخ الشاعر موسى الطالقاني رحمه الله تعالى ولادته بقوله:

سُورُّ بِهِ خُصَّ أَهْلُ الْغَرِيْ فَعَمَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَرِبِينَ
بِمَوْلَدِ مَنْ فِيهِ تَمَّ الْهَنَا * وَقَرْتَ بِرُؤْيَتِهِ كُلَّ عَيْنِ
وَقَدْ بُشِّرَ الشَّرْعُ مَذْأَرُخُوا * سَتُّنِي وَسَائِدُهُ لِلْحُسَيْنِ^١.

فنشأ في بيت تفوح من جنباته عبقات العلم والسؤدد والشرف ، بيت يطفح بالعلماء والفضلاء ، والأستاذة النجباء ، فاشتد عوده واستقام ، وامتدت عروقه بعيدة في تلك الأرض الخصبة المعطاءة ، فكان بحق خلف لخير سلف ، ونعم الابن لتلك الأسرة الطاهرة .

لم يتتجاوز أعتاب عامه العاشر حتى كان ينهل من علوم العربية وفنونها كالبلاغة والمعانى والبيان ، فوجد فيه أستاذته ميلاً واستعداداً كبيراً للاستزادة من هذه العلوم الرائعة والفنون العظيمة ، فتوّلوه بالاهتمام والرعاية حتى استطاع تجاوز جميع تلك المراحل دون أي تردد أو تلاؤ ، بل وأن يكون مع الأيام أديباً بارعاً لا يدانيه أحد ، وأستاذاً ماهراً يشار له بالبنان .

ولم تبعد به توجهاته نحو دراسة اللغة العربية وتخصصاتها المتعددة عن دراسة غيرها من العلوم كعلم الرياضيات المتشابك ، فاندفع في طلب معرفته ، وفهم بعض أبعاده بما تيسّر له الظرف والإمكان بتلهف وشغف ، إلا

^١ ديوان الشاعر : ٢٦٠

(60)

أنَّ النَّظَامُ الدِّرَاسِيُّ الْمُتَّبَعُ فِي نَشَأَتِهِ وَإِعْدَادِهِ كَانَ يَنْأِي بِهِ بَعِيدًاً عَنِ التَّخَصُّصِ بِهَذَا الْعِلْمِ الْبَعِيدِ الْغَوْرِ ،
وَالْوَاسِعِ الْأَبْعَادِ .

وَمِنْ هَنَا فَإِنَّ شِيَخَنَا الْمَرْحُومَ كَاشِفَ الْغَطَاءِ مَا أَنْ أَتَمَ درُوسَهُ الْأُولَى فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا
— وَالَّتِي أَظْهَرَ فِيهِ تَفْوِيقًا مَلْحُوظًا ، وَبِرَاعَةٍ مُتَّمِيَّزَةٍ دُونَ باقِي أَفْرَانِهِ كَمَا أَسْلَفْنَا — حَتَّى شَرَعَ بِدِرَاسَةِ
الْفَقْهِ وَالْأَصْوَلِ وَفَقْ الأَسْلُوبِ الْمُتَّبَعِ فِي الْحَوْزَةِ الْعَلْمِيَّةِ ، فَأَتَمَ درَاسَةَ السُّطُوحِ وَهُوَ فِي باكُورَةِ شَبَابِهِ ،
مَا أَهْلَهُ لِمُواصِلَةِ درَاستِهِ الْمُتَقْدِمَةِ وَالْعَالِيَّةِ عِنْدَ كَبَارِ أَسَاذَذِ الْحَوْزَةِ آنِذَاكَ مَعَ أَخِيهِ الشَّيْخِ أَمْهَدِ كَاشِفِ
الْغَطَاءِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَاسْتَشَفَ فِيهِ أَسَاذَذِهِ تَلْكَ الْعَبْرِيَّةِ الْفَذَةِ ، وَالْذَّكَاءِ الْوَقَادِ ، وَالْعَزِيمَةِ الرَّاسِخَةِ
الَّتِي تَؤَهِّلُ صَاحِبَهَا لِامْتِنَاطِهِ ذَرِيِّ الْمَجْدِ ، وَنَاصِيَّةِ الرَّقِيِّ ، فَتَتَّبِعُوهُ بِالتَّوْجِيهِ وَالرَّعَايَاةِ ، وَالصَّفْلِ
وَالْتَّهْذِيبِ ، وَأَسْبَغُوا عَلَيْهِ الْكَثِيرَ مِنِ الْاِهْتِمَامِ وَالْاِعْتِنَاءِ ، حَتَّى وَفَقُوا — بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى — فِي ذَلِكَ
غَایَةِ التَّوْفِيقِ ، وَخَرَّجُوا مِنْ مَدْرَاسِ بَحْثِهِمْ رِجَالًا عَالَمًا فَاضِلًا ، بَارِعًا حَكِيمًا ، مَظَهِرًا لِعَظَمَةِ الْمَذَهَبِ
، مَدَافِعًا عَنْ حَرْمَهِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ جَوَادُ مَغْنِيَّةُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ : مِنْ
الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْدَرُ مِنِ الْكَبِيرِيَّتِ الْأَحْمَرِ ، مِنْ أُولَئِكَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَّمِيَّزِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتَحَدَّدُوا فِي
عَلَائِقِهِمْ مَعَ مَقْلِيَّدِهِمْ وَأَتَبَاعِهِمْ فَحَسْبٌ ، بَلْ تَقَوَّا بِالْعَالَمِ ، وَنَقْلَتْ عَنْهُمْ فَتَاتَ شَتَى فِي الشَّرْقِ
وَالْغَربِ ، وَعَرَفَ بِهِمُ الْبَعِيدُ أَنَّ فِي الشِّيَعَةِ مَعْجزَاتٍ مِنِ الْعَبْرِيَّةِ ، وَأَنَّ مَذَهَبَ التَّشِيعِ يَقُولُ عَلَى أَقْوَى
وَأَمْتَنِ أَسَاسٍ^١ .

^١ مجلَّةُ الْعِرْفَانِ : الْجَلدُ / ٤٧ ، الْجَزءُ / الْعَاشرُ : ٩٣٨.

(٦١)

مشايخه وأساتذته :

أخذ الشَّيْخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى على جملة من علماء وأساتذة وفضلاء عصره ، كلُّ وفق منهجه في التدريس ، ومنهم :

١. الشَّيْخ محمد كاظم المروي الخراساني رحمه الله تعالى ، صاحب كتاب الكفاية في أصول الفقه ، حضر عنده بحث الخارج في درس الكفاية ست دورات .
٢. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمه الله تعالى ، حضر عنده مجلس درسه منذ عام (١٣١٢ - ١٣٣٧هـ) حيث وافت السيد فيها المنية .
٣. الشَّيْخ محمد رضا الهمداني رحمه الله تعالى ، صاحب كتاب مصباح الفقيه ، كان من حضّار درسه لمدة عشر سنوات .
٤. الميرزا محمد تقى الشيرازي رحمه الله تعالى ، درس عنده لمدة سنتين.
٥. الشَّيْخ محمد باقر الأصطهباناتي رحمه الله تعالى ، وكان الشَّيْخ رحمه الله تعالى قد حضر عنده دروس الحكمة والكلام .
٦. الشيخ أحمد الشيرازي رحمه الله تعالى .
٧. الشيخ محمد رضا النجفي آبادي رحمه الله تعالى .

(62)

الشَّيْخُ كَاشِفُ الْغَطَاءِ وَالْمَرْجِعِيَّةُ :

لقد استطاع الشَّيْخُ كَاشِفُ الْغَطَاءِ بِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ تَضُلُّ مُشَهُودٍ بِعِلْمِ الْفَقَهِ وَالْأَصْوَلِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلْسُفَةِ ، وَالْإِلْهَيَاتِ وَغَيْرِهَا أَنْ يُلْقِي بِظَلَالِهِ عَلَى أَطْنَابِ الْحُوزَةِ الْعَلَمِيَّةِ الْعَامِرَةِ فِي مَدِينَةِ النَّجْفِ الْأَشْرَفِ آنِذَاكَ ، رَغْمَ وُجُودِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ الْكَبَارِ وَالْعُلَمَاءِ الْفَضَلَاءِ أَمْثَالِ أَسْتَاذِ الْيَزِيدِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِ مَنْ تَقْدِيمُ ذَكْرِهِ .

بَلْ وَذُكْرُ أَنَّهُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَبْخَرَ وَفِي حَيَاةِ أَسْتَاذِ الْيَزِيدِيِّ شِرْحَهُ عَلَى كِتَابِ الْعَرْوَةِ الْوَثْقَى الَّذِي كَانَ يَحْاضِرُ بِهِ مَعَ تَلَامِذَتِهِ فِي دُرُوسِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي كَانَ يَلْقِيَهَا تَارِيَةً فِي الْمَسْجِدِ الْمَهْنَدِيِّ ، وَأَخْرَى فِي جَانِبِ الْبَابِ الطَّوْسِيِّ أَوْ مَقْبَرَةِ الْإِمَامِ الشَّيْرَازِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِحُجَّوَارِ ضَرِيحِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَلَقَدْ شَهَدَ لَهُ مُعَاصِرُوهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَبَارِ ، وَتَلَامِذَتِهِ الَّذِينَ صَاحِبُوهُ فِي تِلْكَ الْحَقْبَةِ السَّالِفَةِ مِنْ حَيَاةِ الْمَبَارَكَةِ بِأَنَّهُ كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا ، قَوِيَ الْحَجَّةَ وَالْبَرْهَانَ ، بَلْ وَمُجْتَهِدًا فِي مَبَانِيهِ ، حَرَّاً فِي آرَائِهِ وَنَظَريَاتِهِ ، حِيثُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَنْتَزِعُ الْعَدِيدُ مِنَ الْفَرْوَعِ الَّتِي تَعْسَرُ عَلَى الْبَعْضِ — وَذَلِكُ لَا غَرَابةَ فِيهِ — لَمَا امْتَازَ بِهِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُوقِ عَرَبِيِّ سَلِيمٍ يُؤْهِلُهُ لِفَهْمِ وَإِدْرَاكِ حَقِيقَةِ النَّصُوصِ الْمُعْتَمِدةِ فِي بَنَاءِ جَمْلَةِ وَاسِعَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، حَتَّى أَنَّهُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ رُوِيَ عَنْهُ إِتِيَانُهُ بِعَضِ الْمَسَائلِ الْفَقَهِيَّةِ النَّادِرَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا عَنْوَانٌ مُحَدَّدٌ فِي الْكِتَابِ الْفَقَهِيِّ الْإِسْتَدَلَالِيِّ ، فَيَفْتَحُ بِهَا مَعَ تَقْدِيمِهِ الْحَجَّةَ وَالْدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ ، تَارِكًا لِلآخَرِينَ مَسْأَلَةَ الْمَذَاكِرَةِ حَوْلَ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَأَبْعَادِهِ .

نَعَمْ ، إِنَّ مَنْ مُسْلِمٌ بِهِ كَوْنُ مَسَأَلَةِ التَّوْسُعِ فِي التَّفَرِيعَاتِ الْفَقَهِيَّةِ تَتَطَلَّبُ مَهَارَةً فَائِقةً ، وَإِحْاطَةً وَاسِعَةً بِهَذَا الْعِلْمِ الَّذِي يَعْسِرُ عَلَى الْكَثِيرِيْنَ

(63)

الخوض في غماره ، واحتياز عبابه ، وهذا الأمر ما كان يمتلكه **الشيخ كاشف الغطاء** ، فوفقاً في ذلك **أيّما توفيق** .

والحق يقال : إنَّ امتلاك هذه القدرات الواسعة في جملة تلك العلوم قد مهدَّت السبيل أمام شيخنا المترجم للتربع على عرش المرجعية العامَّة للشِّيعَة ، والتي تُعد بحق شرفاً عظيماً ، ومترلة رفيعة ، لا ينالها إلَّا القَلْة من ذوي الجد والاجتهاد ، والتقوى والإيمان .

ففي عام (١٣٣٧ هـ) وبعد وفاة **السيد اليزيدي رحمة الله تعالى** — والذي كان يُعد مرجعاً كبيراً من مراجع التقليد — اتجهت الأبصار نحو **الشيخ كاشف الغطاء** ، فتوافد على درسه الفضلاء والعلماء ، وتطلعوا عن كثب مدى ما يُنسب إليه من كبير الفضل ، وعظيم المترلة ، فوجدوا الوصف عن الموصوف ، والحقيقة تقصُّر عنها الحكاية ، فأقرَّ الجميع بعلميته ، وثبتت له الوسادة ، وشاء في الأصقاع ما عليه من تلك السمات المؤهِّلة لتسُنم المرجعية الشِّيعَة ، فتعاظم عدد مقلديه في أنحاء العالم المختلفة ، مما دفعه ذلك بعد نشره لرسائله العملية إلى إعادة طبعها مراراً وتكراراً ، لزيادة الطلب عليها ، وتکاثر أعداد مقلديه .

وهكذا فقد توطَّدت مرجعية **الشيخ كاشف الغطاء** رحمة الله تعالى ، وكان ذاك إيداناً لتحمله عبء أعظم المسؤوليات المناطة بـمراجع الأُمَّة ، لا سيِّما وقد كان العالم الإسلامي إبان تلك الحقبة يشهد جملة واسعة من التغيرات والتطورات والانتكاسات التي تستلزم معالجة واقعية حاسمة ، وموافقاً شجاعة ثابتة لدرء حالات النكوص والانهزام والتبُّرُّ التي أصبحت سمة غالبة مشخصة لواقع المجتمع الإسلامي آنذاك .

الشَّيْخُ كَاشِفُ الْغَطَاءِ وَبِصَمَاتِهِ الْخَالِدَةِ عَلَى صَفَحَاتِ التَّارِيخِ :

كثيرون هم من تطويهم عجلات الزمن وصفحاته المتلاحقة دون أن يتركوا لهم آثاراً — وإنْ دقت — تدلُّ على عبورهم من خلال بوابة الحياة المشرعة ، ومنافذها الواسعة ، فرحلوا كأنْ لم يكونوا إلا أسماء ما أسرع أن يغفو عليها وينفيها غبار الأيام .

نعم ، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ إِلَّا وَجَعَلَهُ مَقْتَرَنًا بِأَمْرِ كَبِيرٍ ، وَمُوسُومًا بِصَفَةِ عَظِيمَةٍ ، أَلَا وَهِيَ خَلَافَتِهِ فِي أَرْضِهِ ، إِذَا قَالَ جَلَّ اسْمُهُ مُخَاطِبًا مَلَائِكَتَهُ : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ^١ بِلِ وَجَعَلَ سِبْحَانَهُ مَقْيَاسَ الْوَفَاءِ بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ هُوَ الْعَمَلُ ، فَمَنْ خَالَهُ ثُمَّ نَحَّ الْمَنَازِلُ وَالدَّرَجَاتُ ، وَبُنِيَ الْرِّضَا فِي الْحَيَّ وَعَنِ الدَّمَاتِ ، وَذَلِكَ مَمَّا هُوَ أَجْلَى مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ .

وَحْقًا قد تتفاوت الأفعال شكلاً وكيفاً ، بيد أنَّ اعتماد المنهج الشرعي السليم الواضح في أدائها هو المقياس الحقيقى الذي تقيم به تلك الأفعال ، ويمكن للمرء أنْ يشير لها بالبيان بفخر واعتزاز ، وما أقل ما هي .

ولَا نغالي بشيء إذا قلنا بان حياة الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى كانت ميداناً خصباً للكثير من الأعمال المباركة التي اتسحت بها سنوات عمره القصير ، وأبرزت من خلالها دقائق توجهاته ، وحقائق معتقداته ، فكانت فعلاً ومارسة لا أطروحة وتنظيراً ، وذلك هو أسمى ما يُوسم به المؤمنون .

ولَا أقول إني سأستقرئ من خلال صفحات مقدمي هذه أبعاد تلك المواقف قدر ما أردت منها مجرد اللمحنة والإشارة — وذلك لعسر المخاض ،

^١ البقرة ٢ : ٣٠

ومشقة الاستقصاء ، ومحدودية المدى المتاح — تاركاً عباءة ترجمة هذا الطموح للدراسات الخاصة بهذا الأمر ، لأنّي وجدت عند البحث قصور الترجم المحدودة للشيخ كاشف الغطاء عن احتواء الكثير من الأبعاد الخاصة به — مع إقراري بجدة البحوث ، وصدق النوايا ، وبلغ الجهد المبذولة — رغم كون الفاصلة الزمنية بيننا وبين عصر المترجم رحمة الله تعالى لا تمثل بوناً شاسعاً تتناقل الخطأ عن تجاوزه ، وتنهى النفوس عن تلمسه ، بل هو أيسر الآن من أنْ يترك فتقادم عليه السنون ، وُسُدَّ عليه ستائر النسيان ، فتضطرّب في التحدُّث عنه الروايات كما يتلمسه الباحثون عن سيرة الكثير من رجال هذه الأمة وعظمائها .

ومن ثم فسأحاول من خلال هذه الصفحات الإشارة العابرة ، وللمحة الخاطفة عن بعض مواقف الشيخ رحمة الله تعالى ، بإيجاز واختصار :

١— الجهاد ضد الاستعمار البريطاني:

حين امتدت ذراع الأخطبوط البريطاني المستعمر نحو الأراضي العراقية — في سعيه المحموم لابتلاع وازدراد خيرات تلك المنطقة ، بدعوى منازلة الدولة العثمانية التي قادتها تحبيطها الرعناء نحو جملة خطيرة من المزالق والمهالك المتكررة — كانت مخيلة الساسة البريطانيين قد صورت لهم حتمية اصطدام الشيعة بتقدّمهم علماؤهم إلى جانب تلك القوات الغازية ، لإدراكهم (أي البريطانيون) عظم المخنة التي أبتلي بها الشيعة من رجال تلك الدولة وقدادها الذين انشبوا أظفارهم بحمق في جسد هذه الطائفة المستضعفّة دون رحمة أو شفقة ، وبإصرار عجيب ، وتعنت غريب ، كان أعظمها في إفتاء شيخهم آنذاك بخلية دم الشيعي^١ !

^١ نعم لقد ذكر بأنّ الشيخ نوح الحنفي هو الذي أفتى — على ما هو مثبت في باب الردة والتعزير من الفتاوي الحامدية وتنقيحها ، والممضاة من قبله — بكفر الشيعة ! ! ووجوب قتلهم ! ! بما نصه : أعلم أن هؤلاء [أي الشيعة] الكفرة البغاة

(66)

بيد أنَّ حسابهم كانت حاسرة ، وتصوُّرًا لهم كانت باطلة ، إذ أتتهم الرياح بما لا يشتهون لسفنهم ، ودارت عليهم الدواير ، وخرج الشيعة لحاربهم بشكل اقشعرت له أبدانهم ، وأهتزت لنظره أفندهم .

نعم لقد اصطف الشيعة آنذاك ، يتقدمهم علماؤهم الأبرار مع بقایا الجيش العثماني الملهل المنهزم ، لإدراكهم بوضوح ما يشكّله الاستعمار البريطاني من مخاطر وخيمة لا تستهدف خيرات الشعوب المسلمة فحسب قدر ما يمثله من خطر جدي على عموم العقيدة الإسلامية المباركة بكل أبعادها ، خلاف الدولة العثمانية التي رغم كل انحرافاتها ومساوئها فإنّها يحتويها معهم رباط الإسلام القدس ، وهذا ما أثبتت صوابه الأيام .

وهكذا فقد بدأت قوافل العلماء المجاهدين بالتوجه إلى ساحات التزال والمحالدة الشرعية ، مرتدين أكفان الشهادة بعزيمة وإصرار راسخين . . . مسجّلين مآثر ازدانت بها صفحات التاريخ ، وتفاخر بها الأبناء ومن بعدهم الأحفاد ، وستبقى خالدة مدى الدهر لأسماء طرّزت بماء الذهب

الفجرة ! ! جمعوا بين أصناف الكفر والبغى والعناد ! وأنواع الفسق والزننقة والإلحاد ! ! ومنْ توقف في كفرهم وإلحادهم ، ووجوب قتالهم ، وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم ! ! . . . إلى آخر تخريفاته وسخافاته الدالة على انحرافه وسقوطه .

ولا ادري بم يعتذر به يوم القيمة بين يدي الله عزّ وجلّ ، وحيث قُتل نتيجة فتوحه هذه — التي جاءت استجابة لرغبة سلطان السوء سليم الأول ، الذي دفعه عداوه المستحكم للشاه إسماعيل الحاكم آنذاك في إيران ، والذي نصب نفسه حاميًّا للمذهب الشيعي — عشرات الآلوف من رجال الشيعة ونسائها ، دون أي ذنب وأي جريمة ، إلا لأنّهم شيعة فحسب .

فقد ذُكر أنَّ السلطان سليم قتل في الأنضول وحدها أربعين — وقيل : تسعين — ألفاً من الشيعة ، بل وذكر أنَّ مدينة حلب — التي كانت عاصمة الدولة الحمدانية ، ومن مراكز تجمع الشيعة — لم يبق فيها شيوع واحد !! فتأمل .

(67)

من أفضّل علماء الشّيّعة الذين كان الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى برحمته الواسعة واحداً منهم ، وحيث كان من المرابطين في مدينة الكوت عام (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م) للتصدي لتقدم القوات الإنكليزية الغازية — المدجحة بأحدث الأسلحة ، وأشدّها فتكاً — رغم ضآلة الإمكانيات ، وبساطة المعدات ، فكانوا مع عموم المجاهدين سيفاً قاطعاً ، وموتاً زؤاماً أحاط بالقوات النازية واحتاجها كالطوفان لا يلوّي على شيء ، بل وأوشك أنْ يوردها الحمام لولا تخاذل الجيش العثماني ، وقلة العدد ، والتاريخ خير شاهد على ذلك .

— ٢ — موقفه من مؤتمر بحمدون:

يحاول المستعمرون — وكما يعرف ذلك الجميع — خدمة أغراضهم السياسية ، وطموحاتهم غير الشرعية بشتى الوسائل التي تتغنى عنها خنثيتهم النهمة ، مسترين — وصولاً إلى ذلك — بأشكال مختلفة من الشعارات والعبارات الجذابة ، مستدرجين من تنطلي عليه أكاذيبهم وأحابيلهم التي لا تغرب حقيقتها عن ذوي الألباب .

نعم ، وصورة تلك الحال كانت واضحة في المؤتمر الذي دعت له جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية للانعقاد بتاريخ ٢٢ نيسان عام (١٩٥٤ م) في لبنان ، وبالتحديد في مدينة بحمدون ، وحينها تلقى الشّيخ كاشف الغطاء دعوة رسمية موجهة من قبل كارلند إيفانز هوبنكر نائب رئيس تلك الجمعية لحضور هذا المؤتمر الذي ينحصر — على حد زعمهم — بعلماء المسلمين والمسيحيين ، وأنْ تتحدد أعمال هذا المؤتمر بمناقشة ودراسة المواضيع التالية :

١. دراسة القيم الروحية للديانتين الإسلامية والمسيحية .

(68)

٢. تحديد موقف الديانتين من الأفكار الشيوعية الإلحادية .

٣. وضع البرامج الكفيلة بنقل القيم الروحية التي تؤمن بها الديانتان إلى الجيل الحديث .

وكان غير خافٍ على أحد أنَّ الغرض المتوكى من إقامة هذا المؤتمر — الذي كانت تروُّج له الإدارة الأمريكية آنذاك — هو تسخير المسلمين وعلمائهم كتاباً منفذين للسياسة الغربية التي ها لها وألقها التُّورم المظاهري الكاذب لسريان الأفكار الشيوعية في أنحاء مختلفة من العالم إبان تلك الحقبة الغابرة التي شهدت اندلاع العديد من تلك الشعوب بتلك الأفكار الإلحادية التي ساهم في انتشارها حينذاك حدة التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع الواحد — وهو مرض الرأسمالية العضال — تزامناً مع ما أُسمى بالثورة الصناعية ، واستثمار أصحاب رؤوس الأموال حالة التفاوت الحاد بين عنصري العرض والطلب بعد الهجرة المكثفة التي شهدتها المدن الصناعية الكبرى من القرى والأرياف ، فانتهت دعاء هذه الأفكار المنحرفة حالة البُؤس المزري التي أحاطت بالأيدي العاملة هناك من خلال خداعهم بحالة الفردوس المزعوم التي ستحققتا لهم عند تصدّيهما لقيادتهم ، ولكن الزمن أتى على كُلّ أكاذيبهم ففضحها ، وكلّ حيلهم فأبطلها ، وسقطوا في مزبلة التاريخ بلا أسف عليهم .

نعم لقد كانت حالة الاضطراب التي بدأت تعم دوائر صناعة القرار في أوروبا مواجهة طغيان المد الشيوعي آنذاك هي التي دفعت أولئك المفكّرين إلى اللجوء إلى الدين كأنجع سلاح لا تمتلك أمامه تلك القيم الإلحادية للنظرية الشيوعية شيئاً ، بل وتبعد قباليه عاجزة تافهة ، وهو ما كان ولا زال يخشأه حملة تلك الأفكار ، والمرؤّجين لها ، حمقاً بعد إفلاتهم .

وحقاً ، فقد كان ذلك قراراً صائباً موافقاً لو انبعث من نوايا صادقة هدفها

(69)

إسعاد البشرية ، ورفع الحيف عنها ، بيد أنها أطروحة تفتّقت عنها مخيلة جهة كانت ولا زالت مصدر محنّة وبلاء ، بل وعاصفة سوداء ابْتَلَتُ بها الإنسانية عامّة ، والشعوب الإسلامية خاصة ، وعلى امتداد التاريخ المعاصر ، وحتى يومنا هذا ، فكانوا بحق أسوء بكثير مَنْ يستشرون بال المسلمين والمسيحيين أهملهم لواجهتهم .

ومن هنا فقد كان موقف الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى حاداً وصريحاً في رفضه لحضور هذا المؤتمر من خلال ما أرسله إلى المؤتمرين من جواب طويل أسماه "المُثل العليا في الإسلام لا في بحمدون" والذي أوضح فيه — بصرامة جلية — رأيه في مواضع هذا المؤتمر وبجوبه ، مبيناً ما توقعه السياسة الأمريكية وحليفتها الإنكليزية من ظلم وتجني على شعوب العالم المستضعفنة المغلوبة ، مع إشارته الواضحة إلى بُعد دعوة هذه السياسة ومبادرتهم للقيم الروحية التي تدعو لها الأديان السماوية المختلفة ، وإنَّ من يُنادي بتلك القيم يجب عليه أنْ يكون من أول العاملين بها ، والمؤمنين بحقيقةها ، وذلك ما لا ينطبق على الدعاة لعقد هذا المؤتمر ، والراغين له .

3— إهْمَاد فسْتَةِ الحصان:

لعلَّه أمسى من بديهيات الأمور التي كادت لا تخفي على أحد ما راهن عليه البعض من المتسللين زوراً بجلباب الإسلام والتقوى والصلاح من توظيف بعض المواقف السلبية والمتغّرة عن الواقع في طرح ومناقشة أفكار وعقائد الشّيعة ، والجوانب الأخرى المتعلقة بهم ، كوسيلة فعالة ماكرة لبعثرة الصف الإسلامي الواحد ، وإشاعة ظاهرة التمزق والتشرد والتنافر بين أخوة الدين الواحد ، وبالتالي توسيع الهوة الوهمية المفتعلة بين أفراد هذه الطائفة

(70)

والطوائف الإسلامية الأخرى .

هذا مع ما يتوخاه البعض من المتصيّدين للسوانح الشاردة لطعن المسلمين من خلال امتطاء موجة الانفعالات التي قد تنفلت بديهياً وبأشكال مختلفة ومن جهات معينة في إشاعة الاضطراب والفوضى والغوغائية — المتسرّبة من خلال ذلك — في جوانب المجتمع الشيعي المستدرج — بحسب وسوء طوية — نحو هذا الفخ القاتل ، وذلك ما لم يعد خافياً على أحد .

نعم ، ولعلَّ ما أحدثه كتاب "العروبة في الميزان" لعبد الرزاق الحصان^١ الذي نُشر عام (١٣٥١ هجرية — ١٩٣٣ م) من فتنـة — حيكت أطراها من قبل بعض الأيدي المراهنة على تمزيق وحدة الصـف الإسلامي — كانت عظيمة عمدت إلى استدرج عوام الناس ودفعهم إلى إشاعة الفوضى والاضطراب في عموم المدن العراقية آنذاك ، من خلال إثارة واستفزاز مشاعر عموم الشيعة هناك بسبب ما سُطّر في هذا الكتاب السقـيم من تفاهـات وترهـات باطلـة ترتكـز على جملـة افتراضـات متهرـئة منها الطـعن بـانتـمامـ الشـيـعـةـ فيـ العـرـاقـ ،ـ وـالـذـهـابـ إـلـىـ القـولـ بـائـهـمـ أـجـانـبـ عنـ هـذـاـ الـبـلـدـ وـدـخـلـاءـ فيهـ يـنـبـغـيـ التـصـدـيـ لـإـقـاصـائـهـ عـنـهـ ،ـ حـينـ تـرـاهـ يـشـيدـ بـدورـ الـأـمـوـيـنـ الـوـسـخـ ،ـ وـأـيـادـيهـ الـلـطـخـةـ بـدـمـاءـ المؤمنـينـ .

إنَّ هذا الموقف المستهجن والممحوج من قبل مُسْطَرٌ هذه الوريفـات الصفراء الباهـةـ كان لا بدَّ له من أنْ يـشيرـ شـجـونـ وـأـحـاسـيسـ عمـومـ الشـيـعـةـ الـذـينـ أـتـيحـ لـهـمـ قـرـاءـةـ هـذـاـ الـكـتـابـ ،ـ أوـ طـرقـ سـمعـهـمـ شيءـ منـ عـبـاراتـهـ السـقـيمـةـ هـذـهـ ،ـ

^١ قال الزركلي في أعلامه (٣ : ٣٥٢) : عبد الرزاق بن رشيد بن حميد الحصان ، البغدادي الكرخي ، مؤرّخ للقومية العربية ، أثار بعض كتبه نقداً شديداً في بغداد .

من كتبه العروبة في الميزان ، قامت بسيبه تظاهرات احتجاج ، وسُجن مؤلفه أربعة أشهر . رحل إلى الكويت وإلى السعودية ، وتوفي غريباً في فندق بالكويت .

(71)

فأعلنوا الإضراب العام في العديد من مدن العراق الكبرى كبغداد والمحلة والديوانية والناصرية ، وكان أشدّه في مدينة النجف الأشرف ، لما لها من قدسيّة متميّزة في قلوب الشيعة ، فتعطلت الأسواق ، وساد الهيجان فيها ، لا سيّما وقد تسرّب إليها العديد من القبائل المهاجرة بها .

بيد أنَّ الأمور لم تجري على منوالها الطبيعي ، حيث انضم في صفوف الملتاعين من سماحة وصفاقه هذا الكتيب التافه العديد من ذوي المأرب الفاسدة والمنحرفة ، من الذين امتطوا موجة الأحداث لإشاعة الفوضى والاضطراب ، والتعمدي على حرمات الناس وممتلكاتهم .

فضحَ العقلاء من رجال الشيعة وعلمائها بالصبغة الغريبة التي كانت تؤججها وتروج لها أيادي أجنبيّة ماكرة ، يقابلها ضعف السلطة عن مواجهة هذه الظاهرة المخدّمة والمتحجّرة ، وكان آنذاك السيد جعفر حندي حاكماً إدارياً في النجف ، فحاول جاهداً الحد من تفاقم هذا الأمر دون جدوٍ ، فاضطر به الحال أنْ يتصل بالعديد من كبار العلماء وفضلاء الحوزة وأعيان النجف الذين توجهوا نحو المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في محاولة يائسة منهم لإنهاء هذا الاضطراب ، وهذه الفوضى المستحدثة ، إلا أنَّهم أخفقوا في تدارك هذه الأحداث الوخيمة ، والحمد لله من توسعها ، ولم يجدوا من عموم الجماهير المضطربة آذاناً صاغية ، ونفوساً مستحببة ، فلم يجد الجميع بدأً من التوجّه إلى الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى ، لما يدركونه من عظيم منزلته في قلوب الناس ، بل وما يمتلكه من قدرة عجيبة في التحكُّم بمشاعرهم وأحاسيسهم ، وتلك والله نعمة كبيرة ، وفضل من الله جسم يعن به على من يشاء من عباده المتقيين .

وهكذا ، فلم يكدر بخطه زواره من رجال الحكومة ، وفضلاء الحوزة ، وأعيان المدينة بتفاصيل الأمر — رغم تحذيرهم له من خطورة الموقف ، وشدة

(72)

تازمه — حتى نمض من فوره بطلعته المهيبة ، وخطواته المتتسارعة الرصينة نحو المرقد المطهر للإمام علي عليه السلام ، وكان ذلك وقت الزوال ، فاشرف على الناس طالباً منهم حفظ المهدوء وترك الفوضى ريشما يعود للتحدث معهم بعد فترة لشرح ملابسات هذه القضية ومداخلاها .

والحق يقال : إنَّ حضار هذا الحدث الكبير — الذي عسر على الجميع التحكُّم باندفاعاته الرهيبة ، وتعقّداته المشابكة — لتنتابهم الحيرة في تفسير علة تحكُّم هذا الرجل بعواطف الناس ، وقدرته الفائقة في توجيه مشاعرهم ، وهذا الشكل الغريب ، حيث يذكرون أَنَّه رحمه الله تعالى ارتفى المنبر عصراً بتأنٍ وروية ، ثم أرسل نظراته الثاقبة تحسُّس في الجموع المحيطة به ، والتي ران عليها الصمت والسكون وهي تحدق بمرجعها الكبير الذي لم يلبث أنْ شرع بمحديه معهم ، مطلقاً عباراته الدقيقة الحساسة ، والمنحدرة كالسيل الهادر من أعلى الجبال ، ميرهناً على خطأ وفساد هذه التصرُّفات الضارة التي أخذت تصطبغ بها ظاهرة الاحتجاج هذه ، وما يمكن أنْ تشكّله من آثار سيئة مخالفة للموقف الواجب اتخاذه أمام هذه الإساءات المقصودة .

نعم ، ذكر المعاصرون الذين شاهدوا بأعينهم تفاصيل هذه الواقعة : بان الشَّيخ كاشف الغطاء ما أَنْ انفلت عن المنبر حتى عادت الحياة إلى مجراها الطبيعي ، وأُعيد فتح الأسواق ، وأُزيلت مظاهر الاضطراب والفوضى من عموم المدينة وما جاورها ، وكان شيئاً لم يكن ، وباءت بتجارة المراهنين على تمزيق هذه الأُمة وبعثرتها بالكساد والخسران .

٤ — موقفه من العادات المنحرفة :

لا تخلو جميع المجتمعات البشرية من وجود جملة متفاوتة من العادات الغريبة الشاذة والدخيلة التي يتسبّب بها العوام ومعدومي الثقافة من

أفراد تلك المجتمعات ، والتي قد تتحول بمرور الأزمنة في أذهانهم إلى طقوس عبادية لا ينفك البعض منهم عن التعبُّد بها ، والذب عن حماها ، بما يمتلكه من قدرات وإمكانيات ، وذلك أمر طالما كنّا ولا زلنا نعاينه في نقاط وبقاع مختلفة من هذه المعمورة .

وإذا كانت بعض تلك العادات لا تشَكِّل بمجموعها أثراً سلبياً وضاراً بتلك المجتمعات المذكورة ، أو الإساءة إلى معتقداتها ، والتوهين بها ، فإنَّه لا غضاضة في غض النظر عن وجودها واستمرارية العمل بها ، بيد أنَّ الأمر إذا تحول في حقيقته إلى ممارسات شاذة سلبية ، وكثيرة الضرر بتلك المجتمعات وعقائدها ، فإنَّ في التسامح عنها جفاءً للعقل والمنطق والفطرة ، واستسلاماً مردوداً قبل استشراء الجهل والتخلُّف .

هذا عند الحديث عن عموم المجتمعات البشرية ، والتي قد لا تحكم بعضها مثلُّ سماوية ، وعقائد إلهية ، فكيف إذا تعلَّق الأمر بالمجتمعات الإسلامية التي يعمل الدين الإسلامي على تشذيب ومحذيب سلوكيات أفرادها ، وإعدادهم لأنْ يكونوا عناصر خير وعطاء في هذه الأرض .

نعم ، إنَّ العقيدة الإسلامية المباركة التي استطاعت أنْ تخلق من المجتمع البدوي الجاهل في أرض الحجاز أمَّة تحمل الخير والعطاء لكلِّ الشعوب الغارقة في الجهل والتخلُّف والانحراف ، تحمل في طيَّاتها التنافر الصريح والحاد مع تلك العادات التي أشرنا إليها ، وهذا ما لا خلاف فيه ، إلا من المعاندين والمغالطين .

ثم فإنَّا إذا أشرنا لما تصنَّف في خانته بعض تلك العادات الشاذة والدخيلة ، فإنَّ البعض من المتعَّبين بها جهلاً وعمداً يجرهم العناد والمكابرة إلى مواقف حادة سلبية من دعوة الإصلاح والتشذيب ، متوصِّلين بحجج واهية ساذجة قد تنطلي على بعض العوام الذين ربما يشتبه بهم

(74)

جهلهم إلى الإساءة والتوهين بأولئك المصلحين من العلماء والمفكّرين ، وهذا ما يدفع البعض إلى أن ينأى بنفسه عنه رغم ما يعترم فيها من سخط وغيض.

ومن هنا فإنَّ من الجلي الواضح أنَّ في التصدي لتلك العادات المتأصلة في تلك النفوس عملية تستلزم وقفة شجاعة وصرحية لا يمتلكها الكثيرون لما ذكرناه من نتائج متوقعة بما يمكن أن تشكّله ردود الفعل من مخاطر المعارضة والتکفير والتسيط التي لا بدّ وأنْ تلجم إلیها تلك الفصائل التي انحرفت في ذلك التيار بحسن نية أو سوء قصد ، إلا أنها — أي تلك الوقفة — ورغم كلِّ شيء فإنَّها — وحقاً وصادقاً أقول — تورث صاحبها شرفاً عظيماً ، وفخرًا كبيراً ، مع ما فيها من الأجر والثواب التي يدخلها الله تعالى له إلى يوم الحساب .

ولعلَّ من نعم الله تعالى على الشيعة أنْ لا يخلو علماؤهم من أولئك الرجال الأفذاذ المتمسكون بالمنهج الحقيقى لأهل بيت العصمة عليهم الآف التحايا والسلام .

والحق يُقال : أنَّ الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى كان نموذجاً واضحاً من أصحاب تلك المواقف العقائدية الشجاعية التي خلقت له الثناء والإطراء أبد الدهر .

فمن العادات السيئة والشادة التي تفتَّقت عنها أذهان الجهلة ، وروجت لها العقول والآفونس الفاسدة ، وزمر لها أعداء الشيعة ، ونسبوها ظلماً إليها ، ما اعتاد بعض العوام على فعله آنذاك ، وبالتحديد في الأيام العشرة الأولى من شهر ربيع الأول من القيام بالكثير من التصرفات المنكرة المؤذية للناس ، والمشينة للدين ، وبشكل بغرض مقوت متواصل تطبّعت نفوسهم عليه ، وتشربت به لتكرره طوال عشرات أو مئات السنين ، وكان الكثيرون من علماء

الدين المخالفين والمعارضين لهذا المنهج المنحرف — في أثناء إقامة تلك الاحتفالات والمناسبات المختلفة — يتحاوشون التصدي لمنع أولئك الجهلة عن منكراتهم هذه للأسباب التي ذكرناها سالفاً ، رغم استيائهم البالغ مما تشكله من إساءة بالغة للتشيع وأئمته ، فانبرى الشّيخ كاشف الغطاء بشجاعة قل نظيرها لمنع تكرر إيقاعها — رغم تحذير الكثيرين له من مغبة التصدي لها — وتحريم الإتيان بها ، وإيضاح ضررها على التشيع ، وتوهينها بالذهب بشكل صريح سافر يتصيد أعداؤهم وبغضبيهم ، فوفقاً للله تعالى في مسعاه أيما توفيق ، وانقاد الجميع لإرادته ، وفُرِّجَ الكثير من تلك العادات السيئة التي كانت كالبقة السوداء في ثوب التشيع الأبيض الذي هو بري منها ، ومتتر عنها.

5— لقاء مع الدكتور أحمد أمين:

لعل من الحن الكبرى التي ابتليت بها الشّيعة وطوال حقب متراوحة من القرون ما انفك تواجهه وتنبذ به من هم وقولات بعيدة عن الصحة ، ومتغربة عن أرض الواقع ، اعتماداً من قبل متقوّلاتها على آراء جاهزة ، أو فهم سطحي لا يعتد به ، أو غير ذلك من الأسباب والحجج التي لا تبرئ قائلتها من تصنيفهم في خانة العاملين على تمزيق هذه الأمة وبعثرة صفوفها ، وبأساليب ومناهج مختلفة ، باطلة الدعوى ، سقيمة الحجة ، وذاك ما لا يخفى على الباحثين والمتبعين ، وهذه كتب الشّيعة لا يعسر على أحد مطالعتها وإدراك حقيقة ما ذكرناه .

ولقد كان الدكتور أحمد أمين^١ — رغم مكانته العلمية التي عرف بها —

^١ راجع ترجمتنا له في الملحق الخاصة بالترجم .

(76)

عينة صادقة من تلك الحالات السلبية التي أُبْلِيَتْ بِهَا الشِّيَعَةُ ، وَتَصَدَّتْ لِإِبْطالِهَا .

فالدكتور المذكور — وذلك مما يؤسف له — قد تعرض وبشكل سافر غريب طعناً وإساءة لعلوم الشِّيَعَةِ وعقائدهم دون دليل علمي يرتكز عليه ، أو حجة واقعية يستند إليها ، فوقع نتيجة ذلك في المضيق ، وحَمَّل نفسه ما لا تطيق ، وهذا ما تجده واضحًا عند مراجعتك لمقدمة كتابنا هذا .

وعموماً فإنَّ هذا الدكتور — وبعد أنْ أطلق تقوُّلاته المذكورة — كان قد شدَّ الرحال نحو مدينة النجف الأشرف مع البعثة المصرية المؤلفة من بعض الأساتذة والباحثين ، وحيث ألقوا راحلهم فيها ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك عام (١٣٤٩هـ) واطلعوا عن كثب على المناهج العلمية الرصينة التي تدرَّس في حوزتها ، والمكانة الرائعة والمهيبة لعلمائها وأساتذتها ، واستقرعوا عياناً الكثير من آراء الشِّيَعَةِ ومعتقداتهم ، بعد أنْ أمضوا رحلاً من الزمن وهم يتلقونها عن الوسطاء والغرباء ، من المستشرقين والمخالفين للشِّيَعَةِ ، ويسلّموا بصحتها دون مراجعة أو تفحُّص .

ومن ثمْ فإنَّ تلك البعثة كان لا بدَّ لها من أنْ تتشرَّف بلقاء الإمام كاشف الغطاء رحمه الله تعالى ، وزيارة مدرسته العلمية ، ومكتبه الفخمة ، فكان لذلك عظيم الأثر في نفوسهم ، وحيث بوغتوا بما لم يتوقعوه — وذلك قصور فيهم لا في الآخرين — معلنين بذلك بصراحة لا مواربة فيها .

ولقد كان لقاء الدكتور أحمد أمين بالإمام كاشف الغطاء رحمه الله تعالى برحمته الواسعة مليء بالجوانب العلمية الصريحة التي أفضى بها في حديثه شيخنا المرحوم ، والتي دلت على عظم مكانته العلمية ، وقوة استحضاره ، وذكائه المفرط .

وقد أوردت مجلَّة العرفان في مجلدها الحادي والعشرين ، وفي

الصفحة الثامنة بعد الثلاثمائة من حزئها الثالث منه جانباً من تلك المخاورة العلمية ، نوردها تأكيداً لما تقدّم من ذكره ، قال سماحته — بعد ترحيبه بالوفد المصري — مخاطباً الدكتور أحمد أمين :

من العسير أنْ يلم بأحوال النجف وأوضاعها — وهي تلك المدينة العلمية المهمة — شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة ، فإني قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة ، ومكثت فيها مدة ثلاثة أشهر متوجولاً في بلدانها ، باحثاً ومنقباً ، ثم فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً ، اللَّهُم إلا قليل ضمنته أبياتاً أتذَكَّر منها :

تَبَزُّغُ شَمْسُ الْعَلَى وَلَكِنْ * مِنْ أُفْقِهَا ذَلِكَ الْبَرَوْغُ

وَمُثْلِمًا تَنْبَغُ الْبَرَايَا * كَذَا الْبَلْدَانَهَا نَبَوغُ

أَكْثَرُ شَيْءٍ يَرَوْجُ فِيهَا * اللَّهُ وَالرَّهُو وَالْتَّرَوْغُ

فضحوكوا من كلمة " التروغ " وقال الأستاذ أحمد أمين — مخاطباً الشيخ — : قلت هذا قبل عشرين سنة ؟!

قال : نعم ، وقبل أنْ ينبع — طه حسين ، ويخرج سلامه موسى ، ويخرج فجر الإسلام ، وقد ضمّنته — مخاطباً أحمد أمين — من التلفيقات عن مذهب الشيعة ما لا يحسن بالباحث المؤرّخ اتباعه .

فأجاب أحمد أمين : ولكن ذنب الشيعة أنفسهم ، إذ لم يتصدوا إلى نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه ! ! .

فقال الشيخ : هذا كسابقه ، فإنَّ كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من كتب أي مذهب آخر ، وبينها ما هو مطبوع في مصر ، وما هو مطبوع في سوريا ، عدا ما هو مطبوع في الهند ، وفارس ، والعراق ، وغيرها ، هذا فضلاً

(78)

عما يلزم للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها.

فقال أحمد أمين : حسناً ، سنجهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني ! ! .

ثم واصل أ.حمد أمين قوله مخاطباً سماحة الشيخ كاشف الغطاء : هل يسمح لنا العلامة في بيان العلوم التي تقرعوها ؟

فأجاب الشيخ : هي علوم النحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق ، والحكمة ، والكلام ، وأصول الفقه ، وغيرها .

فقال أحمد أمين : ما هي كيفية التدريس عندكم ؟

فأجاب الشيخ : التدريس عندنا على قسمين :

١. سطحي ، وهو أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدمة بين يدي أستاده ، فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ، ويفهمها التلميذ ، وقد يعلق عليها ويورد ويعرض ، ويشكل ويحلل ، وغير ذلك مما يتعلق بها .

٢. خارج ، وذلك أن يحضر عدة تلاميذ بين يدي الأستاذ ، فيلقى عليهم الأستاذ محاضرة تخص العلم الذي اجتمعوا ليدرسوه ، ويكون هذا غالباً في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام ، مع ملاحظة أن التلميذ بكل القسمين يكون ذا حرية في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها .

فقال أحمد أمين : إنَّ البعثة تودُّ أنْ تسمع لبحثكم ، فهل أنتم فاعلون ؟

عندما لم يجد الشيخ اعتراضاً ، بل أجاب برحابة صدر طلب البعثة ، وارتقي المنبر ، فاجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه ، مشاركين الوفد في الاستماع لكتابه .

ولما كان الشَّيخ على غير سابقة عهد بالأمر ، وعلى غير تقىة وتمهيد لنوع العلم الذي سيبحث فيه ، لذا تركوا له الحرية في اختيار العلم ، ومن أجل هذا يرى القارئ الكريم أنَّ البحث آلاتي ذا فصلين : فقه وأصول ،

(79)

وعقائد . وهو موافق لرغبة الوفد .

ومن ثم فقد ابتدأ سماحته خطبته مرتجلاً فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : { وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا بِالْيَتَمِ إِلَّا بِالْيَتَمِ } ^١.

تشتمل هذه الآية على عقدين : عقد سلب ، وعقد إيجاب ، أمّا عقد السلب { وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتَمِ } فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الاستعمالات العربية ، ولم تكن معروفة من ذي قبل .

وقد تكررت هذه الجملة في الكتاب الكريم ، فهي تارة : تتعلق بالأفعال مثل قوله تعالى : { وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } ^٢ وقوله تعالى : { وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } ^٣ وقوله تعالى : { لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى } ^٤ ويكون المراد منها حينئذٍ على سبيل الاستعارة بالكلناية : المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل — الزنا — والصلوة مع السكر ، أو غير ذلك . . . وشبّه اسم المعنى باسم العين فحدّر من قربه ، فكيف بملاصقته أو الدخول فيه !

^١ الأنعام ٦ : ١٥٢ .

^٢ الأنعام ٦ : ١٥١ .

^٣ الإسراء ١٧ : ٣٢ .

^٤ النساء ٤ : ٤٣ .

وأخرى : تتعلق بالأعيان ، مثل قوله تعالى : { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } ^١ ، وقوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ }

^١ البقرة ٢ : ٣٥ .

(80)

الحرام } .^١

ومن هذا القبيل آية العنوان التي هي من براءة الصنعة وإبداع البيان بمكان ، وحيث أن النهي لا يتعلّق بالأعيان رأساً ، بل لا بد من توسيط فعل مقدّر في البين يناسب تلك العين ، فإذا قيل : حرمت أمها لكم عليكم ، يعني : العقد عليهن ، وإذا قيل : حرمت الخمر ، يعني : شربها ، وإذا قيل : حرم الميسر والقمار ، يعني : اللعب بهما ، وهكذا يُقدّر في كلّ مكان ما يناسبه ، بل أظهر ما يتعلّق به من الأفعال التي تُطلب من تلك العين ، وممّا هي معدة له ، فلا يراد من قول (حرمت الخمر) حرمة كلّ الأفعال التي يمكن أن تتعلّق بها ، فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا . . . كلا، بل ليس المراد إلا حرمة شربها .

وعليه فيكون المراد والمعنى بالآية التي في العنوان : لا تتصرّفوا في مال اليتيم التصرّفات المطلوبة عند العقلاء من مال التجارة في بيع ، أو شراء ، أو صلح ، أو رهن ، أو إدانة ، أو غير ذلك .

والغرض أيضًا بهذا النحو من البيان شدة التحذير ، والنهي عن التصرّف في مال اليتيم ، وأنَّ قربه لا يجوز ، فكيف الوقوع فيه !؟

وليس المراد النهي بوجه عام عن التقرب لمال اليتيم ، بحيث يكون المعنى والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلا بالي هي أحسن ، أمّا حيث لا تريدون التصرّف فلا شيء عليكم ، وإنْ كان التصرف أحسن بخلافه على الوجه الثاني فإن مفاده لزوم التصرّف بالأحسن يؤيّد الحكم الضروري من حرمة التصرف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه ، وليس هو المقصود أصلالة بالبيان بالضرورة ،

^١ التوبية ٩ : ٢٨ .

(٨١)

وإنما المقصود عقد الإيجاب ، وهو إعطاء الرخصة بالتصرُّف في مال اليتيم إذا كان في التصرُّف مصلحة ، فيكون مخصوصاً لما دلَّ على عموم حرمة التصرُّف في مال الغير ، إنما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية ، فإنَّ محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة على تشخيص المراد من لفظ " الأحسن " وهل هو من أفعال التفضيل نظير : الصلاة خير من النوم ؟ أو صفة مشبهة نظير : النوم خير من الله ؟ !

وعلى الأوَّل ، فهل المراد الأحسن بقول مطلق ؟ أي ما لا أحسن منه ، أو الأحسن نسبياً أي الأحسن من تركه وإنْ كان غيره أحسن منه ؟

وعلى الثاني ، فهل المراد منه ما اشتمل على مصلحة ؟ أو يكفي خلوُّه عن المفسدة ، بناءً على أنَّ كُلَّ ما ليس بحراً فهو حسن ؟

ثم لما انتهى الكلام إلى هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع ونقل البحث إلى مسألة من المسائل الإعتقادية وأساسيات أصول الدين ، فأوصل سماحته الكلام اقتضاباً من غير روية ولا تمهل ، ونقل البحث إلى مسألة الحاجة إلى الأنبياء وضرورة البعثة فقال :

إنَّ النظر في عامة أحوال البشر يدل على أنَّ أوضاع صفاتهم ، وألصقها فيه ، وأقدمها عهداً به ، هي الخلال الثلاث التي لا يجد عنها مخيِّساً ، ولا منها مناصاً ، مهما كان ، ألا وهي : الجهل ، والعجز ، وال الحاجة ، وهذه الصفات هي منبع شقاوته ، وأصل بلائه ، وكلما توغلَ الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للاعتراف بما توصلَ إليه من العلم بعظيم جهله ، وأنَّ نسبة معلوماته إلى مجهولاته نسبة القطرة إلى المحيط ، وكان أكبر علمه جهله البسيط .

وقد سئل أفلاطون حين أشرف على الرحلة الأبدية عن الدنيا فقال : ما أقول في دار جنتها مضطراً ، وها أنا أخرج منها مكرهاً ، وقد عشت فيها

(82)

متحيّراً ، ولم استفد فيها من علمي سوى أنني لا أعلم .

وقال سولون الحكيم : ليس من فضيلة العلم سوى علمي بـأني لا أعلم .

ومن استقصى كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكل واحد منهم مثل هذه الكلمات .

والتشبُّع بهذه الروح السارية إلى متضلع في الفضيلة ، متسبِّب بروح الفضيلة ، من علماء الإسلام وحكمائهم ، حتى قال الشافعي :

وإذا ما ازدَدتُ عِلْمًا * زادَنِي عِلْمًا بِجَهَلِي

والرازي يقول :

نَهايَةُ إِدْرَاكِ الْعُقُولِ عَتَالٌ * وَغَایَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا * سَوْيَ أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

حين أنَّ علماء الغرب وكبار المخترعين الذين حورّوا الدنيا إلى هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلى حقائق الأشياء ، فهم وإن اخترعوا الكهرباء لا يعرفون حقيقتها ، هذا فضلاً عن الروح والنفس والحياة ، وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر .

فالإنسان عريق بالجهل ، لصيق بالعجز وال الحاجة ، ولا شقاء ولا بلية إلا وهي منبعثة إليه من ذلك ، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع ، ونأي هذا الثلم ، وسد هذا العوز ، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها على هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها ، وما أحسنت الصنائع بنعمة الوجود عليها ، ولكن الأخرى لو تركتها في طوامر العدم ، وأطمار الفناء ، ويكون ذلك نقضاً للحكمة ، وافساداً للنعمـة .

إذاً فلا بد من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم ، مكملين لغيرهم ، يكونون كحلقة الاتصال بين الخالق والمخلوق ، وهمزة الوصل بين العبد والرب — فإن السعادة منه وإليه — وأولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم تتم الحجة ، وتستبين الحاجة ، وحينئذ تكون سعادة كل إنسان وشقاوه باختياره ، قال تعالى : {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} ^١ ، وقال : {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} ^٢ وتكون حينئذ الله على الناس الحاجة البالغة .

نعم ، وكل هذا موقف على إثبات الصانع الحكيم ، المترء عن العبث والظلم ، فضلاً عن الجهل والعجز .

وهناك أدلى الشيخ بالحجية ، وأملأ أصول البرهنة على وجود الإله تعالى الحق بعده قواعد لا يساعدنا ضيق المجال لسردها وعدها تفصيلاً ، ولكن نكتفي بالإشارة إليها على وجه الإجمال :

١. قاعدة : أن ما بالعرض لا بد وأن ينتهي إلى ما بالذات .

٢. أن معطى الشيء لا يكون فاقده .

٣. أن الصدفة في التواميس الدائمة الكلية والأشياء المتكررة مستحيلة .

٤. إمكان الأشرف .

٥. قاعدة اللطف .

وأمثال ذلك من أمehات قواعد الحكمة وأصول الفلسفة الحقة .

^١ سورة البلد (٩٠) : ١٠ .

^٢ سورة الإنسان (٧٦) : ٣ .

ثم ارتأى في هذا المقام أنْ يختتم البحث لضيق الوقت ، وهكذا كان .

وعندما نزل الشَّيْخ من المنبر دارت بيته وبين أَمِين الأَحَادِيث

الآتية :

سأله أحمد أمين : هل الاجتهاد عند الشيعة مطلق أو مقيد ؟

فأجابه الشيخ : الاجتهاد عندنا مطلق ، يستنبط كل مجتهد الأحكام الشرعية من نفس الكتاب والسنة ، غير مقيد بكلام مجتهد آخر مهما كان ، ولكن على أصول وقواعد مقررة عند الجميع ، وهي القواعد التي يتکفل بها علم أصول الفقه ، وهذه القواعد بعضها متفق عليه عند الجميع ، وبعضه أيضاً موضع نظر واختلاف ، فتكون اجتهادية أيضاً ، ولكل مجتهد فيها رأيه الخاص الذي يبرهن ويبين عليه طريقة الاستنباط .

فقال أحمد أمين : ما هي الأدلة التي يتبني عليها الاجتهاد عندكم ؟

فرد عليه الشيخ : هي الكتاب ، والسنة ، ونعني بالسنة الأخبار الواردة عن الموصومين .

فقال أحمد أمين : هل هناك شيء يعارضها ويتقدّم عليها ؟

فقال الشيخ : كلا لا يعارضها شيء ، ولا نرفع اليد عن الخبر الصحيح المعتبر إلا إذا كان مصادماً لضرورة العقل الفطري ، كما لو ورد خبر بجواز شهادة مؤمن لأنبياء المؤمن في دعوى يدعى إليها على الغير مع عدم علم الشاهد بتلك الدعوى ، وإنْ كان عالماً بان ذلك المدعى لا يدعي باطلًا ، فإنَّ مثل ذلك الخبر لا نعمل به مهما كان .

فقال أحمد أمين : هل يوجد تعارض في أخبار الأنمة ؟

فأجاب سماحة الشيخ : نعم .

فقال أحمد أمين : كيف يتناقض كلامهم مع أنّكم تشرطون فيهم العصمة ؟
فأجابه الشيخ : لا تناقض في الجوهر ، وإنما التناقض في الأخبار الواردة عنهم ، أو في ظواهر كلامهم ، أما في الحقيقة لا تعارض ولا تناقض ،

وإنما هو اختلاف في ظاهر الكلام ، كالاختلاف الذي يوجد في ظاهر الكتاب الشريف وهو القرآن العزيز ، قال تعالى : { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَبَّهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ }^١ وقال عز شانه : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ }^٢ وكل وجهة خاصة .

وعلى الجملة : فحال السنة والأخبار كحال الكتاب الكريم ، فيه النص والظاهر ، والمحمل والمبيّن ، والمطلق والمقييد ، العام والخاص ، الحكم الواقع والحكم الظاهري ، والأحكام المؤقتة التي تقتضيها الأوقات والظروف والأحوال والحوادث الزمنية ، وتقابلاً لها الأحكام المؤبدة التي لا تتغير بتغيير الأحوال وتبدل الزمان .

ووظيفة المجتهد الفقيه — البالغ تلك المرتبة السامية ، والملائكة الراسخة — هي تمييز بعضها عن بعض ، والجمع بين متعارضاًها ، ورد بعضها إلى بعض ، واستخراج العلل والأسباب التي أوجبت ذلك التعارض ، واستنباط الحكم الصحيح حسب القواعد من مجموعها . أمّا التعارض والتناقض الواقعي حسب الحقيقة والجوهر فهو مستحيل عندنا بعد البناء على عصمة الأئمة .

قال أحمد أمين : ما الدليل على عصمة الأئمة؟

فرد الشيخ : حكم العقل الضروري .

فهش واستبشر ، وكان طلب من الشّيخ البيان والإيضاح ، فقال سماحته : إنّه بسيط جداً ، وأنا سائلك : ما الحكمة والغاية من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ؟

^١ سورة الرحمن (٥٥) : ٣٩ .

^٢ سورة الصافات (٣٧) : ٢٤ .

فقال أحمد أمين : الهدایة والإرشاد والتهذیب .

فقال له الشیخ : إذن فهل يحصل الإرشاد من شخص يقول : لا تكذب وهو يكذب ؟ ولا تشرب الخمر وهو يشرب الخمر ؟ ولا تزن وهو يرتكب الزنا ؟

وهل يحصل الغرض ، وتنتمي الفائدة من الهدایة من شخص يجوز عليه الغلط ، والغفلة ، والنسیان ، والاشتباه ؟ ! لا شك في أن الجواب بالسلب .

وإذا كان إرسال الرسل ، وبعث الأنبياء واجباً بالحكمة حسب العناية الأزلية ، فالعصمة أشد لزوماً ، وأقوى وجوباً ، وإلا بطل الغرض ، وماتت الفائدة ، وانتقضت الحکمة .
فسأله أحمد أمين : ما الدليل على افتتاح باب الاجتهاد عندكم ؟

فأجابه الشیخ : وما الدليل على انسداده ؟ ! وآیة آیة أو خبر تدل بالحجر على العقول ، والضغط على الأفکار ، وسلب هذه الحرية الفكرية التي منحها الله تعالى لعباده ، وكانت من أفضل نعمه على خلقه !؟ .

غاية ما هناك أن الله سبحانه وتعالى رأفة بالعباد ، ورفعاً لمشقة الاجتهاد ، ورعاية لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية ، ووجوب قيام كل طائفة لشأن من الشؤون الضرورية ، فتتوزع الأعمال ، وتتبادل المنافع ، لذلك كله رفع وجوب الاجتهاد عن كل فرد من المكلفين ، وأطلق لهم السراح في ذلك ، فجعل وجوهه كفائيّاً ، وأجاز رجوع العامة إلى المجتهدين وتقليلهم في أمور الدين . أمّا من أفتت نفسه ، وسمت همته عن حطة التقليد وخطة الاتّباع ، وأراد أن يأخذ الحكم من دليله على قواعد الفن والصناعة ، فأيّ دليل على منعه وحجر ذلك عليه ؟ ! وهل نجد عاقلاً في الدنيا يمنع عن العلم ويأمر بالجهل ؟ وإن مذهباً يكون هذا الحكم من دعائمه وقواعداته أخرى بان يسمى مذهب الجهالة والتضليل ، ومن آراء العصور المظلمة ، وبقايا أديان الجاهلية والاستبداد ، هذا أمّا دين الإسلام فهو أرفع وأنفع من ذلك ، ولو لم يكن دليلاً

على شرف مذهب الشيعة ، وصحة قواعده وأصوله إلا هذا لكتفى .

٦— دوره في المؤتمر الإسلامي العالمي في القدس:

لقد كان ما اتسم به الشيخ كاشف الغطاء رحمة الله تعالى من دور متميز بارز في الذود عن حياد الإسلام ، والدفاع عن حرمه ، سمة مشخصة لدى علماء المسلمين وزعمائهم ، حتى أصبح طوداً شامخاً في هذا المضمار ، وشخصت نحوه أبصار الجميع ، مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، وتشكل أمرجتهم وميولهم .

ومن هنا فما أنْ تحسَّدت فكرة^١ عقد مؤتمر إسلامي عام في مدينة القدس الشريفة على أرض الواقع ، حتى بادرت لجنة المؤتمر إلى توجيهه دعوة ملحقة للشيخ رحمة الله تعالى للمشاركة في هذا المؤتمر الهام الذي تقرر أنْ تعقد جلساته الموزعة على أيامه العشرة ابتداءً من ليلة المعراج في ٢٧ رجب عام ١٣٥٠ هـ (٧ كانون الأول ١٩٣٢ ميلادية) وأنْ يكون هدف هذا اللقاء — كما ذكر ذلك الحاج أمين الحسيني لصحيفة السياسة القاهرة آنذاك — هو : البحث في نشر أساليب التعاون الإسلامي ، ونشر الثقافة الإسلامية ، والدفاع عن البقاع المشرفة الإسلامية ، والعمل لوقاية الدين الإسلامي وصيانة عقائده من شوائب الإلحاد ، وتأسيس جامعة إسلامية في بيت المقدس ، والنظر في قضية الخط الحديدي الحجازي .

وكان من الطبيعي أنْ يستجيب الشيخ لهذه الدعوة الملحقة ، رغم إيمانه بأنْ ترجمة آمال المسلمين تكمن في صدق النوايا

^١ قبل إن أول دعوة صدرت لعقد هذا المؤتمر كانت من الرعيم الهندي الإسلامي شوكت علي في ٤ | ١٢ | ١٩٣١ .

المقترنة بالأعمال الجادة العاملة على توحيد صفوفهم ، ونبذ خلافاتهم ، وتشخيص علة تفرقُهم لمعالجتها ، لأنّها هي الوسيلة الأنفع ، والسبيل الأقوم للنهوض بهذه الأمة المبتلاة بهذا الداء الويل الذي بدأنا نرى ثماره واضحة وجلية في أيامنا هذه من التسابق المحموم من قبل الكثير من الساسة المسلمين للصلح مع الكيان الصهيوني اللقيط ، ومد جسور العلاقة معه .

نعم ، لقد استجاب الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى لطلب مشاركته في ذلك المؤتمر ، فشد الرحال نحو مدينة القدس الشريفة — التي كانت ولا زالت تحتل في ضمائر وقلوب المسلمين الكثير من الحب والتقديس — في ليلة الأوّل من شهر رجب ، حيث استقبل من قبل جميع العلماء المشاركون في ذلك المؤتمر ، يتقدمهم مفتى القدس الشّيخ الحسيني ، وكذا أعيان ووجهاء فلسطين آنذاك .

والحق يقال : أنَّ تواجد الشّيخ كاشف الغطاء في ذلك التجمع العظيم كان حافلاً ، ومؤثراً ، بل واستقطب أنظار الجميع بعلمه وببلغته وغيرته على هذا الدين الحنيف ، فطلب منه في إحدى الليالي المفتى الحسيني ، ومفتى نابلس الشّيخ محمد تفاحة — وكان من أكبر علماء فلسطين سناً — ومراقب المسجد الأقصى ، أنْ يرتقي المنبر بعد صلاة المغرب لإلقاء خطبة في الحاضرين الذين بلغ عددهم سبعين الفاً امتدت صفوفهم حتى خارج المسجد الأقصى .

ولعلنا لا ننجا في الحقيقة إذا جزمنا بأنَّ هيبة هذا المؤتمر ، وحساسية ظروفه ، لا بدَّ أنْ تدفع بالكثيرين إلى الاعتذار والتنصل عن القيام بهذا الأمر إذا فوجئوا به على حين غرة دون استعداد ، كما فوجئ بذلك الشّيخ رحمه الله تعالى ، وبوغرت به ، وكان بيديهياً أنْ يعتذر عن ذلك لما يمكن أن يشكّله من حرج يقدح بشخصيته ومكانته ، كما سجّل لنا التاريخ في

(89)

صفحاته المطوية عن مواقف مشابهة للعديد من الشخصيات المعروفة التي حضرت فوق المنابر فلم تنبس بشفة ، أو لم تتمكن من تركيب جملة مفيدة واحدة .

نعم لقد فوجئ الشّيخ رحمه الله تعالى بهذا الطلب المتعجل ، بيد أنه وأمام إلحاد مضيئه لم يجد بدأً من الامتثال لرجائهم ، والاستجابة لرغبتهم بما عُرف عنه من أخلاق رفيعة وأدب جم ، فارتقي المنبر — أمام أعين الحاضرين التي شخصت نحوه ، وتعلّقت به ، وأصاحت لكلماته بسمعها — بسكينة ووقار ، وافتتح خطبته بقوله تعالى : { سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ }^١ واسترسل في الحديث حول تلك البركة وأنواعها بشرح وافٍ ، بيان ساحر ، مشيراً إلى أنَّ انعقاد مثل هذا المؤتمر هو شكل من أشكال تلك البركة بقوله : ومنها هذا الاجتماع الخطير من الجم الغفير ، من مختلف الأقطار النائية ، والذي لم يخطر على البال ، ولم يقع في التصور ، واستوفى ما هو الغرض منه ، وما الهدف الذي يرمي إليه ، والآثار المترتبة عليه . . . إلى آخره .

وبعد أنْ أنهى خطبته — التي سحرت المستمعين بحالوة ألفاظها ، وسلامة عبارتها ، وجزالة كلماتها — طلبت منه لجنة المؤتمر وأكابر الموجودين أنْ يأتوا به في صلاة العشاء حيث صوب ذلك بالأكثريّة ، فاستجاب لهم ، واقتدت به الآلوف من الصفوف في حدث عظيم قل نظيره .

كما أنَّ للشّيخ كاشف الغطاء في أيام انعقاد المؤتمر مشاركات واسعة ، وخطب بلغة ، ولقاءات متعددة تركت في أذهان الجميع ذكريات

^١ سورة الإسراء (١٧) : ١ .

(90)

شجية عن شخصية فذة عاصروها من علماء الشّيعة الكبار.

٧— موقفه من نوادي التبشير:

إنَّ استقراء ودراسة الدور الذي لعبته وتلعبه نوادي التبشير المنشورة في نقاط مختلفة من الأراضي الإسلامية يبيّن بوضوح بعد التخريبي والخيث الذي تلجأ إليه هذه النوادي في سعيها المحموم من أجل نشر وترويج أفكارها وعقائدها المنحرفة والمردودة عقلاً .

نعم إنَّ الحوار العلمي يشكل قاعدة سليمة يمكن من خلالها الرسو على مبدأ صحيح يسلُّم بصوابه واحقانيته العقلاء ، بيد أنَّ ما تلجأ إليه هذه النوادي — التي تحركها أصابع ونوايا معلومة للجميع — لا يمكن أنْ نصنِّفه ضمن هذه الاعتبارات الصحيحة ، لاعتمادها على أساليب الكذب والافتراء والخداع ، وهذا ما حاول ويحاول مفكرو المسلمين إيضاً وكشف أبعاده .

ولعل الثابت المتفق إليه ترافق إنشاء تلك النوادي مع الغزو الاستعماري الذي تقوم به الجيوش الأجنبية — المنتسبة لها تلك النوادي — لتلك الدول المبتلة بها ، من خلال انتهازها لظروف التخلف والفقر القاهرة ، والتي نجدها عياناً في كثير من الدول الآسيوية والإفريقية النامية .

واعتماداً على صحة هذا التصور ، فقد كانت العديد من الدول العربية المسلمة — إبان خضوعها للاحتلال الأوروبي المقيت — أرضًا مشرعة للأبواب أمام تلك النوادي التي ألتقت فيها رحالتها واستقرت .

بيد أنَّ هذا الظرف المؤقت لم يكن مواتياً تماماً لرواد هذه الدعوات التبشيرية ، حيث كان يتصدى لدعاؤهم هذه — رغم ما تتمتع به هذه النوادي من حصانات واسعة المدى — جملة من العلماء والمفكّرين الذين أغاضتهم حالات الدجل والافتراء التي تعتمدتها وسائل تلك النوادي في تسريب

(91)

أفكارها ، بعيداً عن المنطق والحججة الصحيحة .

ولعلَّ شيخنا كاشف الغطاء رحمه الله تعالى كان واحداً من أولئك الأعلام الذين تنبهوا لمدى انحراف دعوات مروجي تلك الأفكار ، وخطرها على المجتمعات الإسلامية .

ولما كانت مصر — تلك الدولة المسلمة التي تحتل في قلوب المسلمين مكانة متميزة — مرتعًا خصباً لتلك النوادي إبان تلك الحقبة السالفة ، وذلك ما كان يغيب قلوب المصلحين من علماء ومفكري المسلمين ، فكان الشيخ كاشف الغطاء يستغل تواجده في هذا البلد ليتعرض بالرد ، وتفنيد دعاوى خطباء تلك النوادي .

ولقد كان يروى عنه رحمه الله تعالى أنه كان ينحدر صوب أكبر تلك النوادي بجرأة وشجاعة ويتصدى لمقاطعة الخطيب الذي لا ينفك عن الكذب والافتراء والطعن بعقائد المسلمين دون دليل أو حجة .

حتى آنَّه في إحدى المرات لم يدع لذلك الخطيب^١ فرصة لمواصلة تقولاته وافتراءاته دون أنْ يجبهه برد يربكه ويلعثمه ، فلم يجد قسيسهم الأكبر مناصاً من التوسل به للتوقف عن ذلك مقابل السماح له بالتحدث بعد من على منصة الخطابة ، فرضي بذلك رحمه الله تعالى ، ووُجدها فرصة سانحة لإبداء الحق أمام هذا الملاء ، وإعلاء كلمته .

وبعد انتهاء خطيبهم من هذره المموج تقدم الشيخ رحمه الله تعالى نحو منصة الخطابة ، وشرع في خطبة رائعة مؤيدة بالأدلة العلمية المتينة ، مثبتاً من خلالها بطلان دعاوى هذا الخطيب ، وكذب ما افتراه على القرآن وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الإسلام ، ومتعرضاً من خلالها

^١ قيل هو منصور القبطي .

إلى تفنيد العقيدة التي يدعوا لها لابنتائهما على أمرتين : أحدهما مستحيل عقلاً ، وهو التشليث ، وثانيهما مخالفته للعقل والمنطق من خلال التسليم لخرافة لا تستسيغها أبسط العقول ، وهي الاعتقاد بأنَّ الإله قد سلَّط عباده الأشقياء على نفسه فصلبوه ليكُفُّرُ خطيئة أبيهم آدم ! وخطيئة بين آدم ! وليسير بعد ذلك ملعوناً لأنَّه قال : ملعون كل من يُصلب على الخشبة ، كما هو منصوص في أناجيلهم !

ثم استفاض رحمة الله تعالى في ذكر تناقضات الأنجليل ، وما فيها من الخرافات والماهزل ، والتي أشار إلى بعض منها في كتاب التوضيح في ما هو الإنجيل ، ومن هو المسيح عليه السلام .

ولما وجد أولئك المبشرون أنَّ الشيخ رحمة الله تعالى قد أتى على كل دعاوام فأبطلها ، وكل تقولا لهم ففندوها ، أصحابهم الارتكاب ، وانتابهم هوس واضطراب ، وهم يتأنملون بحق وغيظ استرسال هذا الشيخ الجريء في حلٍّ عري أكاذيبهم واحدة بعد الأخرى بمهارة وتمرس عجيبين ، مستلباً حواس وعقول الجالسين الذين تعلقت أنظارهم به ، وشخصت نحوه ، فلم يجدوا بداً من الإشارة إليه بالتوقف عن خطبته وترك المنصة ، فلم يعرهم رحمة الله تعالى اهتماماً ، وواصل خطبته ، والجموع إليه مصيحة مذعنة .

عندما انفلت الشر من عقاله في تلك النفوس الفاسدة ، وتأمروا على المكيدة بالشيخ رحمة الله تعالى وقتله ، فبادروا إلى إطفاء الأنوار ، وإثارة الفوضى في المجلس بعد أنْ اندفع جماعة منهم نحو منصة الخطابة لتصفية الشيخ وتدارك الأمر قبل استفحاله ، إلا أنَّ إرادة البارئ جل اسمه كانت فوق كيدهم ، فانسل الشيخ بهدوء مندفعاً نحو الخارج تاركاً إياهم في اضطرابهم يتخبطون .

نعم ، لقد بقى هذا الموقف الشجاع للشيخ كاشف الغطاء وسام شرف

يحق لجميع المسلمين التفاخر به ، بجميع مذاهبهم ومشاربهم ، لأنَّه يمثل الغيرة الصادقة على هذا الدين الذي يحاول أعداؤه متشبّهين تزييق أو صالحه ، وبعشرة أسلائِه ، بجد واجتهاد ، حين يقف البعض متفرجاً دون أنْ يدري أي رد فعل أو اعتراض ، ناهيك عن أمسوا على هذا الدين وأهله أشد كَلَّاً من أعدائه ومبغضيه.

٨— الشَّيخ كَاشِف الغطاء والتقرير:

لعلَّه لم يعد خافياً على أحد أنَّ سر محنَّة هذه الأُمَّة ، ومصدر كلِّ بلائِها يكمن في تكريس حالة التشتت والتمزق التي ثُفِرَّضَ عليها من قِبَل المراهنين على جراحها وألامها ، والتي تطفح في أحيان عديدة على جسدها أوراماً تترُّف دماً وقيحاً تُقْسِّرُ له جلود المخلصين من هذه الأُمَّة ومحبيها .

نعم إنَّ ما نعاينه من اختلاف يعمد البعض في قواميسه إلى وسمه بأنه حالة اختلاف وتباين حادة ، لا يمكن بأي حال من الأحوال التسليم قطعاً بصحته ، ولا الإقرار بصوابه ، رغم تهويله والبالغة به من قِبَل ذلك البعض ، لأنَّه يحمل في طياته جذور المخالفَة القطعية للمنطق والصواب ، والجفاء الحاد عن الحقيقة التي لا يُعْسِرُ على الباحثين ادارِكها وتلمسها .

إن حالات الالتفاء والتقارب الثابتة بين المذاهب الإسلامية المختلفة ، والتي أشرنا إليها سابقاً هي من الحد الذي يجد المرء قبالة تلاشي الفواصل الوهمية التي ما تنفك بعض الجهات الفاسدة والمنحرفة من العمل الدؤوب سعيًا وراء توسيعها وتضخيمها ، بحجج وذرائع مختلفة .

وحقاً أقول : إنَّ إدراك حقيقة هذا الأمر ببعديه الإيجابي والسلبي اللذين ذكرناهما هو ما يستحدث بالمخلصين من علماء ومفكري هذه الأُمَّة السعي الجاد لرأب ذلك الصدع ، ولم ذلك الشتات ، رغم صعوبة

المخاض ، وعسر الخطب ، كنتيجة منطقية لتقادم السنين ، وترسُّب العديد من الاعتقادات النفسية السلبية الظن بالآخرين ، والبعيدة كلّ بعد عن أرض الواقع ، وحقيقة العقائد التي تحاول الانتساب إليها .

ولقد شهدت الشعوب الإسلامية — وطوال حقب متراوحة — نماذج صادقة من تلك الجهود والنوايا الصادقة ، التي تشكل أمنية عظيمة سامية تتعلق بها قلوب جميع المخلصين من رجال الأمة ، لعلماء ومفكريين وباحثين أنفقوا شطراً كبيراً من حياتهم سعيًا وجهداً دائبين في هذا الميدان المقدس والعظيم .

والحق يقال : إنَّ شيخنا كاشف الغطاء رحمه الله تعالى برحمته الواسعة كان من كبار رواد هذا الميدان المبارك من خلال سعيه الدؤوب المتواصل في التقريب بين المذاهب الإسلامية ، من خلال مؤلفاته ، وخطبه ، ومذكراته ، وموافقه المتكررة الموشية ، بحالة القلق والتوجس المرير الذي ينتابه من استمرار حالة الأمة على ما هي عليه من الاختلاف والتنافر والتقاطع رغم شدة التقارب ووضوحه بين مذاهبيها ^١ ؟

^١ فمن نداء له رحمة الله تعالى كتبه أيام مرضه الذي أودى بحياته — وكان حينها راقداً في مستشفى الكرخ — ووجهه إلى الطوائف الإسلامية في البحرين — نشرته جريدة اليقظة بتاريخ ٤ | ١٩٥٤ — يقول فيه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفْرُقُوا وَإِذَا كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالْفَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحُتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِحْوَانًا } (آل عمران ٣ : ١٠٢ - ١٠٣) .

كل ذي حس وشعور يعلم أن المسلمين اليوم بأشد الحاجة إلى الاتفاق والتآلف ، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، وأن ينضم بعضهم إلى بعض كالبنيان المرصوص ، ولا يدعوا مجالاً لأي شيء يثير الشحناء والبغضاء ، والتقاطع والعداء ، فإنَّ كل ما يقع من هذا القبيل بين المسلمين في الوطن الواحد ، أو في أوطان متباينة هو أعظم سلاح للمستعمرات ، بل هو قرة عين لهم ، وما نشبت

ولا أُغالي إذا ذهبت إلى القول بـ^{أن} حياة الإمام كاشف الغطاء كانت موقوفة في إقامة صرح الوحدة الإسلامية المباركة ، ونبذ الاختلاف ، والالتفات إلى ما يحيط بهذه الأمة من أحطر جسيمة ، وما يدبره لها أعداؤها من مكائد ودسائس ومؤامرات ، وبأشكال ومسارب مختلفة ، يصطفي بعضها بألوان باهتة يراد منها خداع السطحين والساذجين من رجال هذه الأمة ، وجرهم إلى المزيد من المواجهة والاقتتال في ميادين وسخة غير نريمة ، حين ينخر أعداؤهم ذلك البيان العظيم الذي وضع لبناته الأولى نبي الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلـه ، وشاد صرحة الصادقون من رجال هذا الدين والذين يتقدمهم أهل بيت العصمة عليهم السلام.

بيد أن البعض — وذلك غير خاف على أحد — لم يكن تروقه تلك الدعوات الصادقة الصادرة من القلب ، والمرتكزة على قواعد الإسلام الحنيف ، حيث كان يعمل بمعاول الهدم في ذلك البيان المقدس ، وباسم الدفاع عن الإسلام ! والذود عن حرمه ! وما ذلك إلا عين النفاق ومرآة الانحراف^١ .

مخالب الأجانب في الممالك الإسلامية والبلاد العربية إلا بإلقاء الفتن بينهم ، وإثارة التعرات الطائفية والإقليمية فيهم ، يضرب بعضهم بعض ، ويديق بعضهم بأس بعض ، وتكون للمستعمر الغنية الباردة ، والريح والفائدة والخسران والوبال علينا .

^١ الغريب أنْ تجد — ورغم كلّ ما بادر ويبادر إليه العديد من أعلام الطائفة ومفكريها من خطوطات جادة ، ودعوات صادقة للتقريب والتقارب بين المذاهب الإسلامية — جملة من النقوس السوداوية المشخصة الارتكان — التي لا ترعوي أمام كلمة الحقّ ، ولا تصيخ له سمعاً — تعمد حادة لقلب الحقائق أمام ناظري المسلمين بصلاحه وسماجة يصاحبها إصرار عجيب على تلك المواقف الخاطئة والمنحرفة ، والتي لقت الأمة الإسلامية منها الكثير من المصائب والويلات .

وأقول بصدق : إنَّ القلم قد يشتبط بصاحبه بعيداً إذا أطلق له العنان في هذا المرتكض الواسع والكبير ، والمليء بالحسنة بالألم ، بيد أنْ لا بد له من أنْ يکبح جماحه ما استطاع ذلك ، نهياً عن الواقع في المزالق التي يريد ذلك البعض دفع الآخرين إليها بمكر وخبث .

ومن هنا فقد جهدت في أنْ أكتفي بمجرد الإشارة العابرة إلى شيء من تلك المواقف المشينة للبعض من المتأجرين زوراً باسم الإسلام ، وعقائده العظيمة ، من التي لا يجد المرء لها إلا تفسيراً واحداً وهو العمل على تزوير وحدة المسلمين ، وتكريس حالة

(96)

نعم ، ورغم كل ذلك فإنَّ استقراء السيرة الذاتية لشيخنا رحمه الله تعالى يبين بوضوح جده
واجتهاده في مواصلة هذا المسير المقدس والشاق

التنافر المصطنعة الخبيثة بينهم ، من التي أمكن لأعداء هذا الدين التسللُ من خللها ومنافذها الواسعة وضرره في أكثر نقاطه حساسية وخطورة .

نعم ، فانَّ من يتأمل — مثلاً — صفحات كتاب الجبهان الموسوم بـ (تبديد الظلام) يجد عين هذه الحقيقة ماثلة للعيان ، بل ولا بد له أن يتابه الذهول وهو ينتقل بين اسطر وصفحاته التي سوَّدتها بالكثير من العبارات المليئة بالسباب والفحش من القول ، ومن الذي قد يتزهه بعض السوقه عن التلفظ به أمام جمع من الناس ، ناهيك عن كتاب يدعو فيه صاحبه ظلماً وبهتاناً إلى حماية الدين والذود عن حرماته .

ولعل الفصل الخاص الذي افرده الجبهان لمناقشة كتابنا هذا كان من السقم والتلاعيب بالألفاظ حداً لا يعسر على أي طالب مبتدئ في العلوم الحوزوية أن يتصدى لمناقشته وتغنيه دعاوه ، وإنقامه حرجاً يخرسه ويوقفه عن هذره الممحوج ، بيد أن أي شخص آخر لا يستطيع أن يجارى الجبهان في ما استهدف به شخص الشيخ كاشف الغطاء من السباب والكلام البذيء والعبارات الفاحشة ، التي نزعه عن حق مجرد الإشارة إليها ، بل لقد كان جزاء الإمام كاشف الغطاء رحمه الله تعالى من الجبهان ومن لف لفه — من الساعين في إذكاء الفتنة وتأجيجها بين المذاهب الإسلامية المختلفة ، وباسم الدين — هذا الجزاء ، معرضين بصلة عن سيرة هذا الرجل الذي أوقف حياته في العمل على التقريب بين المسلمين ، والذود عن حرماهم ، والدفاع عن مقدساتهم ، بل وجاب البلاد الإسلامية طولاً وعرضًا ، داعياً إلى نبذ الخلاف ، وتوحيد الكلمة ، وأنْ يحب المسلم أخيه المسلم كحبه لنفسه ، لا فرق بين مذهب وآخر ، ولا بين طائفة وأخرى .

نعم لقد كان حزاوه من الجبهان فحش القول ، وبذيء الكلام . . . فهل تجد أصدق مقوله تعبر عن هذه الحالة إلا قول القائل : وكل إباء بالذي فيه ينضح ؟ .

رغم ما كان يلقاه من صدود ولا مبالاة من قبل الكثيرين ، ذلك ما كان يؤلمه أشد الإيام ، حتى لقد قال في إحدى كلماته : ولا لوم على مثلي لو تشاءم واستولى عليه اليأس والقنوط بعد تلك الخطب الفياضة الملتهبة التي أقيمتها على الجماهير المكتظة في عواصم الإسلام : كالقدس ، وبيروت ، ودمشق ، وجامع البصرة ، ومسجد الكوفة ، وبغداد ، والتي طبع غير واحد منها ، خطبة القدس التاريخية ، وخطبة الاتحاد والاقتصاد ، والخطب الأربع ، وغير ذلك .

أقينا كلَّ هذه وأضعافها شعلة ملتهبة في حث المسلمين والعرب على الوحدة والإخلاص ، وما يلزم عليهم جمع شتاهم ، واستعادة مجدهم ، وقلنا كلمتنا المشهورة : إنَّ الإسلام يرتكز على دعامتين : كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، وذكرنا كيف ينبغي أنْ يتحد المسلمون في مقدمة رسالتنا "أصل الشيعة" وأنَّ كلَّ ذلك ذهب مع الريح ، فكانَ الحوار كان مع جدار ، أو كأنَّما كانَ خطب على أصنام وأحجار ، وإلا فأين الآثار^١ ؟ !

ومن ثم فإنَّ المرء عندما يتأمل في هذه العبارات المتواتعة يدرك مدى تمكُّن حرص أصحابها على وحدة المسلمين في قلبه ، وسريانه في شرائمه وأوراده .. ولا غرابة في ذلك فلقد عهد منه المسلمين المعاصرون له تلك الرغبة المخلصة والصادقة في سلوكه وقوله ، وقد تقدَّم منا الحديث عن بعض ذلك ، فراجع .

وللحقيقة أقول : إنَّ دراسة دور الشَّيخ كاشف الغطاء في عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية تستلزم الكثير من الاستقراء العلمي الرصين والمتأنِّي لجملة مؤلفاته ، وكلماته ، وخطبه ، ورحلاته ، وغير ذلك ، وذلك ما لا يسعنا خوض غماره في هذه العجالة ، ومن خلال هذا المدى

^١ راجع كتاب في السياسة والحكمة : ١٠٩ .

المحدود .

فال تاريخ المعاصر قد سجّل لنا الكثير من الإشارات ذات الدلالات الواضحة في سعيه نحو التقريب ، والتي تتطلّب من العاملين في هذا الميدان المقدس دراستها بشكل علمي رصين ، وعرضها كأطروحة متقدّمة تبين للأجيال القادمة حرص العديد من علماء الشّيعة على توحيد الكلمة ، ورصف الصّفوف .

ولعلَّ من المواقف الملفتة للنظر في هذا المنحى العظيم ما لجأ إليه الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى برحمته الواسعة أثناء إحدى سفراته التي ألقى فيها رحاله في أرض مصر المسلمة ، حيث واظب على حضور مجلس درس شيخ الجامع الأزهر آنذاك وهو الشّيخ سليم البشري ^١ رحمه الله تعالى لمدة ثلاثة أشهر ، وكذا مفتى الحقانية الشيخ محمد بنخيت المطيعي ، الذي يقول عنه سماحته : لم أجده في مصر عالماً محققاً مثله ، يباحث أصول الفقه عصراً في جامع رأس سيدنا الحسين عليه السلام ، والتفسير بين المغرب والعشاء في الأزهر ، وله مؤلفات كثيرة طبع أكثرها .

^١ صاحب المراسلات المشهورة مع الإمام عبد الحسين شرف الدين رحمه الله تعالى (ت ١٣٧٧ هـ) والمسطرة في كتاب المراجعات ذات الصبغة .

ولد في محلة تبشر بمحافظة البحيرة المصرية عام (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) .

درس في الجامع الأزهر وتخرج منه وُعد من أساتذته الكبار.

تولى مشيخة الأزهر مرتين ، امتدت الأولى منذ عام (١٣١٧هـ - ١٩٠٠م) إلى عام (١٣٢٠هـ - ١٩٠٤م) حين امتدت الثانية منذ عام (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) إلى عام (١٣٣٥هـ - ١٩١٦م) .

له حملة مؤلفات منها : حاشية تحفة الطالب لشرح رسالة الآداب ، وكتاب الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس . توفي عام (١٣٣٥هـ - ١٩١٦م) .

(99)

نعم ، وفي الجانب الآخر فقد كان الشّيخ يرى وهو يباحث للكثير من طلبة الأزهر وغيرهم في الفقه الشّيعي مرة ، وفي الفصاحة والبلاغة مرة أخرى ، بشكل استقطب أنظار الجميع ، وحاز إعجابهم واحترامهم .

وأخيراً أكرر وأقول : إن دور الشيخ كاشف الغطاء في التقريب هو أوسع من أنْ تحتويه وريقات محدودة ، أو تستوفيه دراسة متعجلة ، ونحن لم نتعرض لها هنا بوضوح قدر ما أردنا منها إشارة عابرة ، ولحة خاطفة ، سائلين المولى جلَّ اسمه أنْ يوفقنا لاستيفاء حق هذا الأمر في دراسة مستقلة وافية ، إِنَّه الموفق لكلٍّ خير.

(100)

مؤلفاته :

لا نغالي بشيء إذا قلنا بأنَّ للعديد من علماء هذه الطائفة باعاً كبيراً ، ويداً طولى في البحث والتأليف ، والتجديف والإبداع ، متخطي الحدود التقليدية التي بقي البعض يدور في خللها ، ويقتات من فتاها ، فيبتداً وينتهي حيث ما ابتدأ منه .

وإذا حفظت لنا صفحات التاريخ أسماء العديد من أولئك الأعلام البارعين المبدعين أمثال الشَّيخ المفید والشَّیخ الصَّدوق والشَّیخ الطَّوسی والعلامة الحَلَی رَحْمَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَة ، وكذا غيرهم من العلماء الأفذاذ ، فإنَّ من حقِّ ذلك التاريخ أنْ يُزَين صفحاته تلك بذكر سيرة ومؤلفات عالم فذ شهد قرننا الحالي إبداعاته ونتاجاته المتعددة المشارب والأشكال .

نعم لقد أبدع يراع الإمام كاشف الغطاء رحمه الله تعالى في إغناء المكتبة الإسلامية بالجم الكبير من المؤلفات القيمة ، والبحوث الرائعة في شتى العلوم وال المعارف الإسلامية المختلفة ، بشكل قلٌّ نظيره ، وتضاءل مثاله .

وسنحاول من خلال هذه الأسطر استعراض ما أمكننا حصره من مؤلفاته تلك ، بأبوابها وعلومها المختلفة ، المطبوعة منها والمخطوط ، دون إسهاب أو تفصيل .

١— في الحكم والكلام:

أ— الدين والإسلام : (أربعة أجزاء ، طُبع منها جزءان) .

ب— المراجعات الريحانية (جزءان) .

(١٠١)

ت — أصل الشّيعة وأصولها (وهو الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم)

ث — الفردوس الأعلى .

ج — الآيات البينات .

ح — جنة المأوى.

خ — التوضيح (جزءان ، وقد تقدّمت الإشارة إليه) .

د — مبادئ الإيمان في الدروس الدينية .

ذ — نبذة من السياسة الحسينية .

ر — حاشية على كتاب الأسفار لملا صدر الدين رحمه الله تعالى (مخطوط).

ز — حاشية على العرشية ورسالة الوجود لملا صدر الدين رحمه الله تعالى أيضاً (مخطوط) .

ص — حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين رحمه الله تعالى أيضاً (مخطوط).

— في السياسة والموعظة:

أ — المُثل العليا في الإسلام لا في بحodon (أشرنا إليه سابقاً، فراجع).

ب — المحاورة بين سفيريـن .

ت — الميثاق العربي الوطني .

ث — خطبة الاتحاد والاقتصاد في الكوفة .

ج — الخطبة التاريخية في القدس .

ح — الخطب الأربع .

(102)

خ — خطبته في باكستان .

٣— في الفقه وأصوله:

أ — حاشية على كتاب التبصرة للعلامة الحلي رحمه الله تعالى .

ب — المسائل القندهارية (فارسي ٌرجم إلى العربية وأُلْحَق بكتاب الفردوس الأعلى) .

ت — سؤال وجواب .

ث — وحيزة الأحكام .

ج — زاد المقلّدين (فارسي) .

ح — الأرض والتربة الحسينية .

خ — حاشية على سفينة النجاة لأبيه الشيخ الفقيه أحمد كاشف الغطاء رحمه الله تعالى .

د — حاشية على كتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله تعالى .

ذ — مناسك الحج (عربي وفارسي) .

س — تحرير المجلة (خمسة أجزاء ، فقه مقارن) .

ش — حاشية على مجمع الرسائل (فارسي مطبوع مع حواشى السيد البروجردي رحمه الله تعالى) .

ر — شرح العروة الوثقى (خمسة مجلدات ، مخطوط) .

ز — تنقیح الأصول (مخطوط) .

س — رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية (مخطوط).

ش — حاشية على مكاسب الشَّيخ مرتضى — الأنصارى رحمه الله تعالى (مخطوط).

(103)

ص — حاشية على القوانين (مخطوط) .

ض — مجموعة الفتاوى (مخطوط) .

ط — حاشية على الكفاية للأخوند الخراساني رحمه الله تعالى (مخطوط) .

ظ — رسالة في الاجتهاد والتقليد (مخطوط) .

ع — حاشية على رسائل الشّيخ الأنصاري رحمه الله تعالى (مخطوط) .

٤— في الأدب والتفسير وغيرهما (وأكثرها لا زال مخطوطة):

أ — معنی الغواني عن الأغاني (مختصر كتاب الأغاني) .

ب — نزهة السمر ونهرة السفر (عن رحلته الأولى إلى سوريا ومصر) .

ت — ديوان شعره الذي أسماه : الشعر الحسن من شعر الحسين .

ث — تعليقات على أمالي السيد المرتضى رحمه الله تعالى .

ج — تعليقات على كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة .

ح — مجموعتان من المنتخبات الشعرية .

خ — منتخبات من الشعر القديم .

د — عقود حياتي (ترجمة حياة المؤلّف بقلمه) .

ذ — صحائف الأبرار في وظائف الأسحار .

ر — جنة المأوى .

ز — رسالة عن الاجتهاد عند الشيعة .

س — تعلیقات علی کتاب الوجیز فی تفسیر القرآن العزیز.

ش — تعلیقات علی نهج البلاغة ، ونقود علی بعض شروحات الشیخ محمد عبده له .

ص — تعليق علی کتاب الفتنة الکبری للدكتور طه حسين .

ض — تعریف کتاب فارسي هیئة .

(104)

ط — تعریب کتاب حجۃ الشہادۃ .

ظ — تعریب وتلخیص رحلۃ ناصر خسرو المشهورۃ .

ع — کتاب فی استشهاد الإمام الحسین علیه السلام .

غ — العبقات العنیرۃ فی الطبقات الجعفریۃ ، فی تاریخ عائلۃ آل کاشف الغطاء ، وعلماء النجف ، وتاریخها الحدیث .

هذا عدا ما کان ینشره فی الصحف والمحلاط من المقالات والباحث المختلفة التي یصعب حصرها .

وفاته :

أُصيب الشّيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى في أواخر سني عمره الشّريف بمرض عجز آنذاك الأطباء عن إيجاد العلاج له ، وخصوصاً في عمره الذي تجاوز السبعين عاماً ، وهو التهاب المخاري البولية ، فانتقل إلى مدينة بغداد للمعالجة في مستشفى الكرخ الذي يشرف فيه على علاجه حذّاق الأطباء ، وكبار المتخصصين ، بيد أنَّ أدنى تحسُّن لم يطرأ على حالته الصحية التي بدت وكأنّها تسوء يوماً بعد يوم .

وبعد إقامة قاربت من الشهر الواحد في تلك المستشفى ، شد الشّيخ رحاله للاستجمام في قرية كرندال الجبلية الواقعة في الأراضي الإيرانية الحدودية ، بين خانقين وكرمانشاه — وكان رحمه الله تعالى قد حلَّ فيها مصطفاً في صيف عام (١٣٦٦ هـ) — ولكن المنية عاجلته فيها ، فتوفي بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة عام (١٣٧٣ هـ) الموافق لليوم التاسع عشر من شهر تموز عام (١٩٥٤ م) .

وكان يوم وفاته رحمه الله تعالى يوماً مشهوداً ، حيثما ما أُنشِعَ خبر وفاته — الذي تناقلته محطات الإذاعة في معظم أنحاء العالم — حتى اهالت جموع الناس المفجوعين من أنحاء إيران نحو تلك القرية الصغيرة التي غصت بجموع المعزّين الوافدين إليها على حين غرة .

ولم يلبث الجثمان الطاهر للشّيخ كاشف الغطاء أنْ حُمل صوب الأرضي العراقي عبر حدودها التي تقاطر عليها الكثير من الناس بشتى طبقاتهم ، يتقدّمهم العديد من كبار رجال الدولة آنذاك .

فحُمل جثمانه رحمه الله تعالى نحو مدينة بغداد ، ومنها إلى مدينة الكاظمية المقدسة ، فمدينة كربلاء المقدسة ، لينتهي به في مدينة النجف

(106)

الأشرف ، وبالتحديد في بقعة وادي السلام ، حيث مقبرته الخاصة التي أعدها بنفسه لأن تكون محطة الأخيرة في هذه الدنيا الفانية . . . رحمه الله تعالى برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عن جميع المسلمين أفضل وأحسن الجزاء ، انه نعم المولى ونعم النصير^١ .

^١ اعتمدنا في إعداد هذه الترجمة الخاصة بحياة الشيخ كاشف الغطاء على جملة من المراجع أهمها : مقدمة جامع ومرتب كتاب (جنة المأوى) للشيخ كاشف الغطاء ، وهو السيد محمد علي الطباطبائي . مقدمة جامع وناشر كتاب الشيخ الموسوم بـ (في السياسة والحكمة) وهو ولده عبد الحليم آل كاشف الغطاء . مقدمة الطبعة الثامنة لكتابنا — نشر المطبعة الخيدرية في النجف الأشرف (١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م) — بقلم كاظم المظفر . كتاب (محاورة مع السفيرين البريطاني والأمريكي) نشر المطبعة الخيدرية في النجف الأشرف (١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م).

عملنا في هذا الكتاب :

لم تكن تجاري السابقة في الكتابة والتحقيق — رغم بساطتها وقلة شأنها — لتمتحني ذلك الشعور باللذة والتفاعل والاندفاع والحرص على تقديم الأفضل — شغفاً بالكتاب ، واعتزازاً وتقديراً له ولؤلؤه ، لا بحثاً عن الإشادة والتقدير — قدر ما كان يرافقني ذلك طيلة الأشهر المتواصلة التي امتدت على طولها عملي في تحقيق هذا الكتاب .

وحقاً أقول : إنَّ المرء لتتباه الغبطة العارمة ، والسعادة البالغة وهو يجد عياناً جهوده التي أنفقها في إنجاز عمل ما تتجسد بشكل واضح على أرض الواقع والحقيقة ، بعد فترة طويلة من الترقب والانتظار ، والمتابعة والسعي ، وهو سمة ثابتة يتافق في تحسسها جميع المؤلفين والمحققين في كلِّ مكان وزمان ، ييد أنَّ تلك الغبطة والمسرة تكون أشد وأكثر حدة وتصاعداً في الأعمال التي يتفاعل معها المرء تفاصلاً روحياً ، وينشد إليها انشداداً نفسياً ، فتبعد في ناظره أمنية عزيزة ، ورغبة غالبة ، وذلك هو عين تعاملي مع هذا السفر الجليل الماثل بين يدي القارئ الكريم .

نعم ، فعندما شرعت بتحقيق هذا الكتاب حاولت قدر الإمكان — بعد التوكُّل على الله تعالى والاستعانة به — إخراج هذا الكتاب بالحالة التي ينبغي أنْ يتoshح بها ، والتي ينبغي أنْ تتناسب وأهميته ، وشهرته التي طبق صيتها الآفاق ، لإدراكي بأنَّ هذا الكتاب لا يصنف قطعاً ضمن المؤلفات التي تُقتني لتراثها المكتبات من قبل البعض فحسب ، بل إنَّ له وجوداً يفرض على الجميع مطالعته وقراءته ، من شيء مستزيد وله الله تعالى حرصاً على البحث والمطالعة ، إلى آخر لا يدرى ما التشيع وما الشيعة ، وبين الاثنين تدرج جماعات متفاوتة المذاهب والمشارب .

ولا أُخفي على القارئ الكريم بأنَّ النسخ المطبوعة المتداولة لهذا الكتاب ، والتي بلغت طبعاتها العشرات — وأخص منها العربية التي أمكنني مطالعتها ، ونتيجة سعي الكثير من دور النشر للحصول على الربح المادي دون الاعتناء بمادة الكتاب ، وذلك أمر شائع ومعروف — وجدتها مليئة بالأخطاء والتصحيفات والسقوطات المخللة بشكل يُبيّن بمادة الكتاب ، وبأهميةه ، والتي كان يزيدها سوءاً اعتماد بعض الدور في إعادة طبعها لهذا الكتاب على تلك النسخ المغلوطة ، فتتكرر الأخطاء وتتضاعف ، وتعاظم الحاجة وتتأكد في وجوب تحقيق هذا الكتاب وضبط متنه .

ومن هنا فقد كان همي الأول إخراج متن صحيح وسامٍ لهذا الكتاب ، وأن يكون قدر الإمكان قريب من النموذج الأصلي الذي كتبه مؤلِّفه رحمه الله تعالى ، فكان لا بدَّ لي من الحصول على جملة من النسخ المطبوعة التي تبدو أقرب من غيرها إلى ، الصحة ، ولما كان مختلفاً ، فوفقني الله تبارك وتعالى في الحصول ثلاثة نسخ مطبوعة في العراق وإيران ولبنان ، ولدور نشر متفرقة ، تبين لي بعد المطالعة والاستقراء أنَّ أصحهنَّ هي نسخة المطبعة الحيدرية في التحف الأشرف ، والمطبوعة في عام (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ ميلادية) فاعتبرتها النسخة الأم ، رغم عدم خلوها من الأخطاء المطبعية التي لا تخفي المطالع المتخصص ، والقارئ المتمرّس ، وذلك أمر يكاد لا يخلو منه أي كتاب .

ومن هنا فائني بعد مقابلتي لتلك النسخة الأم مع النسختين الأخرىتين اللتين اعتمدتهما كمساعدتين لتلك النسخة — والتي طبعت إحداهما في إيران ، وهي طبعة دار القرآن الكريم (الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٠هـ) والأخرى في بيروت ، وهي طبعة دار الأعلمي (الطبعة الرابعة ، عام ١٤٠٢هـ) — عمدت إلى ضبط النص قدر الإمكان ، باعتماد النسخ المذكورة ، أو باجتهاد مبني عند قناعتي بعدم صحة ما جاء في تلك النسخ ، مع إشارتي إلى

(109)

ذلك في الhamash ، أو وضع ما ارتأيت إضافته في المتن لتصحيح السياق بين معقوفين .

ثم إن وبعد انتهاءي من تصحيح النص وضبطه شرعت بإنجاز الأعمال الأخرى المكملة للتحقيق ، كالتأريخ ، والتعليق ، والشرح وغيرها ، وبالقدر الذي مكنني الله تعالى عليه ، ووجدت أنّه من ضروريات التحقيق .

كما أني وأنثاء عملي في هذا الكتاب وجدت أنَّ الشَّيْخَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قد أورد جملة واسعة من الأعلام ، لعلَّ العديد منهم غير معروفين لدى الكثير من القراء ، رغم كونهم كانوا يُعدون من فضلاء العلماء ، وفطاحل الشعراء ، وكبار الأدباء ، وعظماء رجال السياسة والدولة في تلك الأزمنة الغابرة والمطوية ، فابتغيت تقديم خدمة إضافية للقراء الكرام من خلال ترجمتي المختصرة المعرفة بشكل ما لأولئك الأعلام ، والذين أورد الشَّيْخَ أكثراً منهم على اعتبارهم من رجال الشِّيعة ووجهائهم ، وألحقت ذلك في آخر الكتاب .

ثم لم أجد بُدًّا من أنْ أُحقِّ الكتاب بجملة من الفهارس الفنية التي أصبحت في وقتنا الحاضر من الضروريات التي لا ينبغي أن تخلو منها الكتب الحقيقة ، وبشّتني تصانيفها ، واحتلaf أبوابها .

وأخيراً أقول : لقد حرصت في عملي هذا على أنْ أقدم للمكتبة الإسلامية كتاباً محققاً صحيحاً لأحد أعلام الطائفة الكبار ، وبذلت في سبيل ذلك جهداً كبيراً ، وزمناً طويلاً — مبتغايا الأجر من الله تعالى والمشوّبة على عمل قصدت فيه خدمة هذا الدين المبارك العظيم الذي جاء به نبينا الكريم ، ورحمة الله تعالى المهدأة إلى العالمين ، الرسول المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم — ولكن ذلك لا يحول دون سهو القلم ، وشطحات الأفكار ، ولذا فاني أستميح سادتي العلماء ، وأساتذتي الكرام ،

وزملائي المحققين العذر عند الكبوّات والغُثّرات ، والأخطاء والزلّات ، عسى البارئ جلّ اسمه أنْ يوْفِقُنا لتقديم ما وأكمل وأصح ، إِنَّهُ المُوْفَّقُ لـكُلِّ خير.

شكراً وتقدير :

لم يسعني وأنا أُقدّم هذا الكتاب النفيس بين يدي القارئ الكريم إلا أنْ أُشيد بمن مدّ لي يد العون وبأي شكل ما في إخراجه بهذه الحلة الجديدة القشيبة.

نعم ، فإذا كان الفضل أولاً وآخراً لله تبارك وتعالى ، فإنه جلّ اسمه يوْفِقُ البعض من عباده إلى مدّ يد العون والمساعدة للآخرين ، فتطوّق أفضالهم تلك الأعناق بالحمل والمنة التي لا يسع أحد إلا الإشادة بها وشكرها ، ولعلَّ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث اليد الطولى ، والفضل الأكبر في إنجازِي لهذا العمل ، وأخص بالذات عميدها سماحة السيد جواد الشهريستاني حفظه الله تعالى ، الذي أتاح لي بكرمه المعهود الاستفادة من الخدمات المتيسرة في مؤسسته العاشرة التي أتشرف بالانساب إليها .

كما وأخص بجزيل الشكر والامتنان مؤسسة الإمام علي عليه السلام لتفضليها بنشر هذا الكتاب الذي جعلته باكورة أعمالها المباركة في هذا المضمّار المقدّس .

ثم لا يسعني أخيراً بتجاوز الإشارة إلى مدى الفضل الكبير والمتواصل لزوجي الطيبة الوفية التي كانت نعم العون لي في إنجاز جميع أعمالي ، ومنها هذا العمل .

(111)

وَفَقْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَاهُمْ لَمَا فِيهِ رَضَاهُ ، انَّهُ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرَ ، وَآخِرُ دُعَوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

علاة آل جعفر

ربيع الأول ١٤١٥ هـ

(112)

(113)

أصل الشيعة وأصولها

تأليف

الإمام المُصلح

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

المتوفى سنة : ١٣٧٣ هجرية

تحقيق

علاء آل جعفر

مؤسسة الإمام علي (عليه السلام)

(114)

مقدمة الطبعة الثانية :

بِقَلْمِ الْمُؤَلِّفِ

كيف يتحد المسلمون؟ أو كلمة في الإصلاح لا بد منها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرُّوا }^١.

لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها ، إلا وقد احسَّ وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق ، ومضررة الفرقة والاختلاف ، حتى أَصبح هذا الحس والشعور أمراً وحدانياً محسوساً يحسُّ به كُلُّ فرد من المسلمين ، كما يحسُّ بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه ، وجوعه وعطشه ، وذلك بفضل الجهدات التي قام بها جملة من أفذاد الرجال المصلحين في هذه العصور الأخيرة ، الذين أهابوا بالمجتمع الإسلامي ، وصرخوا فيه صرخة المعلم الماهر ، وتمثّلوا للMuslimين بمثال الطبيب النطاسي^٢ الذي شخص الداء وحصر الدواء ، وأصاب المدف بما عيَّن ووصف ، وبعث النفوس بعثاً

^١ سورة آل عمران (٣) : ١٠٣ .^٢ النطاس : العالم الحاذق بالطب والخير به ، انظر : القاموس المحيط ٢ : ٢٥٤ .

حيثًا ، وشوقها إلى استعمال الدواء لقطع مادة ذلك الداء الخبيث ، والعلل والأمراض المهلكة ، قبل أن تقضى على هذا الجسد الحي ، فيدخل في خبر كان ، ويعود كأمس الدابر.

صرخ المصلحون فسمع المسلمين كلّهم عظيم صرخاتهم بأنَّ داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم بعض ، ودواوئهم — الذي لا يصلح آخرهم إلا به كما لا يصلح إلا عليه أو لهم — ألا وهو الاتفاق والوحدة ، ومؤازرة بعضهم البعض ، ونبذ التشاحن ، وطرح بواعث البغضاء والإحن والأحقاد تحت أقدامهم ، ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي ، والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنوار الله بصائرهم ، وشحد عزائمهم ، وأشعل جنوة الإخلاص لصالح هذه الأُمَّة من وراء شغاف أفندتهم ، فما انفكوا يدعون إلى تلك الوحدة المقدسة « وحدة أبناء التوحيد » وانضمام جميع المسلمين تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » من غير فرق بين عناصرهم ، ولا بين مذاهبهم.

يدعون إلى هذه الجامعة السامية ، والعروة الوثقى ، والسبب المتين الذي أمر الله تعالى بالاعتصام به ، والхبل القوي الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به أنْ يُوصل ، يدعون إليها لأنَّها هي الحياة ، وبها النجاة للامة الإسلامية ، وإلا فالهلاك المؤبد ، والموت المخلد .

أولئك دعاة الوحدة ، وحملة مشعل التوحيد ، أولئك دعاة الحقّ ، وأنبياء الحقيقة ، ورسل الله إلى عباده في هذا العصر ، يجددون من معالم الإسلام ما درس ، ويرفعون من منار المحمدية ما طمس ، وكان بفضل تلك المساعي الدائبة ، والجهود المستمرة من أولئك الرجال — وقليلٌ ما هم — قد بدت بشائر الخير ، وظهرت طلائع النجاح ، ودبَّت وتسربَت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة ، وصار يتقارب بعضهم من بعض ، ويتعَرَّض

فريق لفريق ، وكان أول بزوج تلك الحقيقة ، ونمو لبذر تلك الفكرة ، ما حدث بين المسلمين قبل بضعة أعوام في المؤتمر الإسلامي العام في القدس الشريف^١ ، من اجتماع ثلاثة من كبار المسلمين ، وتداؤهم في الشؤون الإسلامية ، وتبادل الثقة والإحاء فيما بينهم ، على اختلافهم في المذاهب والقومية ، وتباعد أقطارهم وديارهم ، ذلك الاجتماع الذي هو الأول من نوعه والوحيد في بابه ، الذي علق عليه سائر المسلمين الآمال الجسام ، فكان قرة عين المسلمين ، كما كان قد عيون المستعمرين ، والذي حسروا له الف حساب ، وأوصدوا دونه — حسب إمكانهم — كلَّ باب

ولكن على رغم كلِّ ما اقام به أولئك الأعلام من التمهيدات لتلك الغاية ، وما بذلوه من التضحيات والمفادات في غرس تلك البذرة ، وتعاهدها بالعناية والرعاية ، حتى تشرم الشمر الجني ، وتأخذ حظها من الرسوخ والقوة ،

^١ كان ذلك في عام ١٣٥٠ هـ ، وللقارئ الكريم أنْ يرى الحالة التي آلت إليها أوضاع المسلمين في أيامنا هذه ، وكيف أمسى ما كان يخجل البعض أو يخشي حتى من مجرد المحس به في أضيق الحدود قضية تناقلها العديد من وسائل الإعلام الإسلامية ، وتطبل لها دون أي خجل أو حياء ، بل وتجدها عبارات فضفاضة تردد على شفاه العديد من الرموز التي طالما تبحثت بصفتها ، وادعت زوراً بأنها أولى من غيرها في التصدي لرفع راية الجهاد والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم ، وأن هذا الحق المنصوب لا بد وأنْ يُستعاد يوماً وبأيديهم وبنادقهم ، هم لا أحد سواهم ، وأنَّ القدس لا بد وأنْ تعود لل المسلمين كما كانت ، طاهرة مطهرة ، لا وصاية لليهود عليها ، ولا تدوس أرضاها الطيبة أقدامهم القدرة النجسة ... فأين هذه العبارات القاطعة والحدية مما نراه ونسمعه هذه الأيام من مظاهر الذلة والاستكانتة والخضوع ، والتساقط المحموم في مد حسور العلاقة مع الصهاينة المغتصبين الذين لم تجف أيديهم بعد من دماء المسلمين ، ولم ولن تنتهي أحلامهم المريضة ببناء دولتهم المزعومة من النيل إلى الفرات . . . ! فلا يعدو هذا الجريان نحو السلام الموعود قبال الأرض إلا وهم محض ، واسترخاء كاذب ، واستسلام عجيب أمام استثناء داء السرطان الخبيث في حسد هذه الأمة المبتلاة بالعديد من الرموز الخائنة ، ورحم الله تعالى شيخنا كاشف الغطاء ، فيما تراه قائلاً لو سمع ما نسمع ، ورأى ما نرى ؟

لا نزال نحن — معاشر المسلمين — بالنظر العام تتعلق ب مجال الآمال ، ونكتفي بالأقوال عن الأعمال ، وندور على دوائر الظواهر والمظاهر ، دون الحقائق والجواهر ، ندور على القشور ولا نعرف كيف نصل إلى اللب ، على العكس مما كان عليه أسلافنا ، أهل الحدّ والنشاط ، أهل الصدق في العمل قبل القول ، وفي العزائم قبل الحديث ، تلك السجaiya الجبارـة التي أخذها عنهم الاعيـار فسبقـونا ، وكان السبقـ لنا ، وكانت لنا الدائرة عليهم فأصبحـت علينا تلك { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا } ^١ .

نـحن نحسب أنـنا إذا قـلـنا : قد اـتحـدـنا وـاتـفـقـنا ، وـمـلـأـنا بـتـلـكـ الكلـمـاتـ لـهـوـاتـنا وـأشـدـافـنا ، وـشـحـناـ بهاـ صـحـفـناـ وـأـورـاقـناـ ، نـحسبـ بـهـذاـ وـمـثـلـهـ يـحـصـلـ الغـرـضـ المـهـمـ منـ الـاتـحادـ ، وـنـكـونـ كـامـةـ منـ الـأـمـمـ الـحـيـةـ الـتـيـ نـالتـ بـوـحـدـهـاـ عـزـّـهـاـ وـشـرـفـهـاـ ، وـأـخـذـتـ الـمـسـتـوـىـ الـذـيـ يـحـقـّـهـاـ .ـ ولـذـلـكـ تـجـدـنـاـ لـاـ نـرـدـادـ إـلـاـ هـبـوـطـاـ ،ـ وـلـاـ تـنـالـ مـسـاعـيـنـاـ إـلـاـ إـخـفـاـقـاـ وـحـبـوـطـاـ ،ـ لـاـ تـجـدـ لـأـقـوـالـنـاـ وـأـعـمـالـنـاـ أـثـرـاـ ،ـ إـلـاـ أـنـنـاـ نـأـنـسـ بـهـاـ سـاعـةـ سـمـاعـنـاـ لـهـاـ وـمـاـ هـيـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـاـ { كـسـرـابـ بـقـيـعـةـ يـحـسـبـهـ الـظـمـآنـ مـاءـ حـتـىـ إـذـ جـاءـهـ لـمـ يـجـدـ شـيـئـاـ } ^٢ .

ويـسـتـحـيلـ لـوـ بـقـيـ المـسـلـمـونـ عـلـىـ هـذـاـ حـالـ أـنـ تـقـومـ لـهـمـ قـائـمةـ ،ـ أـوـ تـجـتـمـعـ لـهـمـ كـلـمـةـ ،ـ أـوـ تـثـبـتـ لـهـمـ فـيـ الـجـمـعـ الـبـشـرـيـ دـعـامـةـ ،ـ وـلـوـ مـلـئـواـ الصـحـفـ وـالـطـوـامـيرـ ،ـ وـشـحـنـواـ أـرـجـاءـ الـأـرـضـ وـآـفـاقـ السـمـاءـ بـأـلـفـاظـ الـاتـحادـ وـالـوـحدـةـ ،ـ وـكـلـّـ مـاـ يـشـقـ مـنـهـاـ وـيـرـادـفـهـاـ ،ـ بـلـ وـلـوـ صـاغـواـ سـبـائـكـ الـخـطبـ مـنـهـاـ بـأـسـالـيـبـ الـبـلـاغـةـ ،ـ وـنـظـمـواـ فـيـهـاـ عـقـودـ جـوـاهـرـ الـإـبـدـاعـ وـالـبـرـاعـةـ ،ـ كـلـّـ ذـلـكـ لـاـ يـجـدـيـ إـذـ لـمـ يـنـدـفـعـوـاـ إـلـىـ الـعـلـمـ الـجـدـيـ ،ـ وـالـحـرـكـةـ الـجـوـهـرـيـةـ ،ـ وـيـحرـرـوـاـ

^١ سورة الأحزاب (٣٣) : ٦٢ .

^٢ سورة التور (٢٤) : ٣٩ .

أخلاقيهم وملائكتهم ، ويكتبوا جماع أهوايهم ونفوسهم ، بأرسان^١ العقل والروية ، والحنكة والحكمة ، فيجد كل مسلم أن مصلحة أخيه المسلم هي مصلحة نفسه ، فيسعى لها كما يسعى لمصالح ذاته ، ذلك حيث يتزع الغل من صدره ، والحدق من قلبه ، وينظر كل من المسلمين إلى الآخر — مهما كان — نظر الإخاء لا نظر العداء ، وبعين الرضا لا بعين السخط ، وبلحاظ الرحمة لا الغضب والنعمة .

ذاك حيث يحس بوجданه ، ويجد بضرورة حسه ، أن عزّه بعز إخوانه ، وقوته بقوّة أعوانه ، وأن كلً واحد منهم عنون للآخر .. فهل يتقاعس عن تقوية عونه ، وتعزيز عزّه وصونه .. ؟

كلا ، ثم إذا كان التخلق بهذا الخلق الشريف عسيراً لا يُبال ، وشاؤاً متعالياً لا يُدرك ، ولا يستطيع المسلم أن يُواسي أخاه المسلم ، وأن يُحب لأخيه المسلم ما يُحب لنفسه ، وأن يجد أن صلاحه بصلاح أمته ، وعزه بعزّة قومه ، فلا أقل من التناصف والتعادل ، والمناظرة والتوازن ، فلا يجحد المسلم لأخيه حقاً ، ولا يبخسه كيلاً ، ولا يطفّف له وزناً .. والأصل والمالك في كل ذلك اقتلاع رذيلة الحرص ، والجشع ، والغلبة ، والاستئثار ، والحسد ، والتنافس . فإن هذه الرذائل سلسلة شقاء ، وحلقات بلاء ، يتصل بعضها ببعض ، ويجر بعضها إلى بعض ، حتى تنتهي إلى هلاك الأمة التي تتغلغل فيها ، ثم تهوي بها إلى أحط مهاوي الشقاء والتعاسة .

والبذرة الأولى لكلٍ من تلك الشمار الموبوءة هو : حب الأثرة . وقد قيل : الاستئثار يُوجب الحسد ، والحسد يُوجب البغضاء ، والبغضاء ثُوجب

^١ مفردها الرسن ، وهو الحبل ، انظر : الصاحب : ٥ : ٢١٢٣ " رسن " .

الاختلاف ، والاختلاف يُوجب الفرقة ، والفرقة تُوجب الضعف ، والضعف يُوجب الذل ، والذل يُوجب زوال الدولة ، وزوال النعمة ، وهلاك الأمة . . . والتاريخ يحديننا ، والعيان والوجود يشهدان لنا شهادة حقٍّ : آنَّه حيث تكون تلك السخائِم والماشِم ، فهناك : فناء الأمم ، وموت الأمم ، وفشل العزائم ، وتلاشي العناصر . هناك : الاستعباد والاستعمار ، والهلكة والبوار ، وتغلب الأجانب ، وسيطرة العدو . . .

أمّا حيث تكون الآراء مجتمعة ، والأهواء مُؤتلفة ، والقلوب متألفة ، والأيدي متراوفة ، والبصائر متناصرة ، والعزمات متوازنة ، فلا القلوب متضاغنة ، ولا الصدور متضاخنة ، ولا النفوس متدايرة ، ولا الأيدي متخاذلة ، فهناك : العُزُّ والبقاء ، والعافية والنعماء ، والقهر والقوة ، والملك والثروة ، والكرامة والسيطرة ، هناك يجعل الله لهم من مضائق البلاء فرجاً ، ومن حلقات السوء مخرجاً ، وينزل لهم العزّ مكان الذلّ ، والأمن مكان الخوف . فيصبحوا ملوكاً حكاماً ، وأئمة أعلاماً .

وليعتبر المسلموناليوم بحال آبائهم بالأمس ، كيف كانوا قبل الإسلام إخوان وبر ودبر ، وأبناء حل وترحال ، أذل الأمم داراً ، واشقادهم قراراً ، لا جناح دعوا يأوون إلى كنفها ، ولا ظل وحدة يستظلّون بفيتها ، في أطواق بلاء ، وإطباق جهل ، من نيران حرب مشبوهة ، وغارات مشنونة ، إلى بنات موؤدة ، وأصنام معبدة ، وأرحام مقطوعة ، ودماء مهدورة^١ .

^١ لعل أبلغ الوصف وأروعه في رسم الصورة الحياتية التي كان عليها العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما نُقل عن سيد البلغاء والمتكلمين علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث قال : إنَّ الله تعالى بعثَ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نذيرًا للعالمين ، وأمينًا على التزيل ، وأنتم عشرَ العرب على شر دين ، وفي شر دارٍ ، مُيُخرونَ بين حجارةٍ حُشِنَ ، وحياتٍ ضُمِّ ، تشربونَ الكبِرَ ، وتأكلونَ الجثثَ ، وتسفكونَ دماءكم ، وتطعمونَ أرحامكم . الأصنام فيكم منصوبة ، والأثام بكم معصوبة . . . اخْ ، نهج البلاغة : الخطبة : ٢٦ .

ثم كيف أصبحوا بعد أن جمع الله بالإسلام كلمتهم ، وعقد بدين التوحيد وحدتهم ، ونشر على دعوة الحق رايتهم . هنالك نشرت الرحمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها ، حتى تربّعت الأيام بهم في ظل سلطان قاهر ، وآوئهم الوحدة إلى كنف عز غالب ، وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت . فما عتموا أن أصبحوا — بعد ذلك الذل وتلك المحنات — حكاماً على العالمين ، وملوكاً في أطراف الأرضين ، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، ويُمضون الأحكام فيمن كان يُمضيها فيهم . لا تغمس لهم قناة ، ولا تُقْرَع لهم صفات . . . ذاك يوم كان لل المسلمين وحدة جامعة ، وأخوة صادقة . يوم كانوا متحدين بحقيقة الوحدة وصحيح الإخاء . يوم كانت مصالح المسلمين مشتركة ، ومنافعهم متبادلة ، وعزمتهم متكافلة ، ولا يجد المسلم من أخيه فيما يهمه إلا كل نصر ومعونة ، ورعاية وكفاية .

ثم دارت الدوائر ، ودالت الأيام دول ، وأصبح المسلم لا يجد من أخيه القريب — فضلاً عن البعيد — إلا القطيعة — بل الواقعة — ولا يرتفب منه إلا المخاوف — بل المتألف — ولا يحذر من عدوه الكافر أكثر من حذر من أخيه المسلم ، فكيف يُرجى — وحال المسلمين هذه — أن تقوم لهم قائمة ، أو تُشَاد لهم دعامة .

وهيئات أن يسعدوا ما لم يتحدوا ، وهيئات أن يتحدوا ما لم يتسعدوا . . . فيا أيها المسلمون لا تبلغون الاتحاد الذي بلغ به آباءكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ ، وتنمية العبارات ، أو نشر الخطب والمقالات ، وضريح الصحف وعيجيج الأفلام . . . ليس الاتحاد ألفاظاً فارغة ، وأقوالاً بلغة وحِكْمَاً باللغة مهما بلغت من أوج البلاغة ، وشأو الفصاحة . . . ملاك الاتحاد ، وحقيقة التوحيد هنا : صفاء نية ، وإنْخلاص طويبة ، واعمال جد ونشاط .

الاتحاد سحايا وصفات ، وأعمال وملكات ، ملكات راسخة ، وأخلاق فاضلة ، وحقائق راهنة ، ونفوس متضامنة ، وسحايا شريفة ، وعواطف كريمة . الاتحاد أن يتبادل المسلمين المنافع ، ويشتراكوا في الفوائد ، ويأخذوا بموازين القسط ، وقوانين العدل ، ونوميس النصف . فإذا كان في قطر من الأقطار كسوريا والعراق طائفتان من المسلمين أو أكثر فالواجب أن يفترضوا جميعاً أنفسهم كأخوين شقيقين قد ورثا من أبيهما داراً أو عقاراً فهم يقتسمونه عدلاً ، ويوزعونه قسطاً ، ولا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظه ، ويشرح عليه بحقه { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^١ فتكون المنافع عامة ، والمصالح في الكل مشاعة ، والأعمال على الجميع موزعة .

وليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت ، ويغلب عليه فيسكن .

ولا من العدل أن يُقال للمهضوم إذا طالب بحق ، أو دعا إلى عدل : أئك مُفرّق أو مشاغب ، بل ينظر الآخرون إلى طلبه ، فإن كان حقاً نصروه ، وإن كان حيفاً أرشدوه وأقنعواه ، وإلا جادلوه بالتي هي أحسن ، بمجادلة الحميم لحميمه ، والشقيق لشقيقه ، لا بالشتائم والسباب ، والمنابزة بالألفاظ ، فتحتدم نار البغضاء بينهما حتى يكونا لها معاً حطباً ويصبحا معاً للأجنبى لقمة سائغة ، وغنية باردة .

وقد عرف اليوم حتى الأبكم والأصم من المسلمين أن لكل قطر من الأقطار الإسلامية حوتاً من حيتان الغرب ، وأفعى من أفعاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه . . . أفلًا يكفي هذا جاماً للMuslimين ، ومؤجّجاً لنار الغيرة والحماس في عزائمهم ، أفلًا تكون شدة تلك الآلام وألام تلك الشدة باعثة لهم على الاتحاد وإيماته ما بينهم من الأضغان والأحقاد ،

^١ سورة الحشر (٥٩) : ٩ ، وسورة التغابن (٦٤) : ١٦ .

وقد قيل : " عند الشدائـد تذهب الأـحـقاد " ؟

وكيف يطمع المسلم أن يكتسح أخاه المسلم أو يستعبدـه ، وهو شريكـه فيـالبلاد منـاـقدمـالـعـهـودـوـأـبـعـدـالـأـجـادـ؟ـأـفـلاـتـسـوقـهـمـالـمـحـنـوـالـمـصـائـبـالـيـةـانـصـبـتـعـلـيـهـمـصـبـالـصـوـاعـقـمـنـالـأـجـانـبـ،ـإـلـىـإـقـامـةـمـواـزـينـالـعـدـلـوـالـتـنـاصـفـفـيـمـاـبـيـنـهـمـ،ـوـيـحـفـظـأـهـلـكـلـقـطـرـعـلـىـالـتـعـادـلـالـأـنـفـاعـيـ،ـوـالـتـواـزـنـالـاجـتمـاعـيـ؟ـ

ونحن وإنْ أُوشـكـنـاـأـنـنـكـونـآـيـسـينـمـنـحـصـولـهـذـهـالـشـمـرـةـالـيـانـعـةـ،ـوـالـجـامـعـةـالـنـافـعـةـ،ـلـمـنـرـىـمـنـعـدـمـالـتـأـثـيرـوـالـتـقـدـيرـلـكـلـمـاتـالـمـصـلـحـينـوـالـنـاصـحـينـمـنـرـحـالـالـمـسـلـمـينـ.ـ.ـ.ـوـمـنـنـظـرـفـيـمـاـنـشـرـوـطـبـعـمـنـجـمـهـرـةـخـطـبـنـاـ،ـوـمـاـفـيـهـاـمـنـبـلـيـغـالـدـعـوـةـإـلـىـالـوـحـدـةـبـفـنـوـنـالـأـسـالـيـبـ،ـوـيـرـىـحـالـالـمـسـلـمـينـالـيـوـمـ،ـوـأـئـمـهـلـاـيـزـدـادـونـإـلـآـتـقـاطـعـاـوـتـبـاعـاـ،ـفـكـائـنـاـنـدـعـوـهـمـإـلـىـالـتـنـابـذـوـالـجـفـاءـ،ـوـنـقـدـمـالـنـارـإـلـىـالـحـلـفـاءـ.

نعم ، من ينظر إلى ما نشره « النشاشيبي » في الكتاب الذي سماه — وما أكثر ما تكذب الأسماء — بـ « الإسلام الصحيح » ! ! وكانت نتيجة ذلك الكتاب وف Zukrake — يعني صحة الإسلام عنده — هو الطعن والغمز ، واللمز والتوهين بأهل بيـت النبـوـةـ : عـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـيـنـ سـلـامـ اللـهـ عـلـيـهـمـ ،ـوـإـنـكـارـكـلـفـضـيـلـةـأـوـمـنـقـبـةـلـهـمـوـرـدـتـفـيـآـيـةـأـوـرـوـاـيـةـ،ـفـآـيـةـالـتـطـهـيرـمـثـلـاـ:ـ{ـإـنـّـمـاـيـرـيدـالـلـهـلـيـذـهـبـعـنـكـمـرـجـسـأـهـلـالـبـيـتـ}ـ^١ـمـخـتـصـةـبـزـوـجـاتـالـنـبـيـصـلـىـالـلـهـعـلـيـهـوـآلـهـ،ـوـبـالـأـخـصـ

^١ سورة الأحزاب : (٣٣) : ٣٣ .

عائشة ! بل هي لا غيرها أهل البيت ! أمّا فاطمة بضعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَخَارِجَةٌ
بالقطع واليقين عنده^١.

^١ لعل المثير للأسى أن تجد وبعد كل ما كتب وقيل وأثبت من أن آية التطهير قد نزلت في أصحاب الكسأ الذين ضمهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَخَارِجَةٌ ، وهم على فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، تجد أن البعض لا زال مصرًا وبعناد عجيب على قلب الحقائق ، وتزييف الواقع ، معرضاً بجانبه عن نتائج ما تشكله دعاؤه الباطلة من آثار سلبية تلتتصق به فقط دون غيره ، لأنَّ من يطالع تقولاته الهشة هذه وغير المستندة على أي أساس علمي ، لا بد وأنْ يحمله هذا الأمر بالتالي على الاستخفاف بكلِّ مقالاته وإنْ كان البعض منها لا يخلو من مظاهر الصحة والصدق ، بل وربما يحمل البعض منهم أسباب هذه التقوّلات على انطواء ذات ذلك البعض على التعصب الطائفـي المقيـت الضـار بالإسلام وأهـله ، والداعـي إلى الفرقة والتـناحر ، لا الوحدـة والتـآخي ، وهو ما كـانت نـدـعـوا له ولا زـلـنا ، وسـبـقـى كـذـلـك إـنْ شـاءـ اللـهـ تـعـالـى .

نعم ، هذا بعض ما نريد أنْ نقوله ، وقد كررناه دائمًا ، دون ملل ويأس ، وإذا كـانت وـلـى صفحـات هـذا الـكتـاب لـسـنا بمـعرض الرـد على هـذه التـرهـات البـاهـة وـالـسـاقـطـة ، لأنَّ ذـلـك ما يـسـتـغـرقـ الكـثـير من المسـاحـة التي لـيـسـتـ هي مـيـتـاحـةـ لنا ، وكـذـلـكـ لـتـرـعـضـ ، العـدـيدـ من عـلـمـاءـ الطـائـفةـ وـمـفـكـرـيهـاـ — وـطـوـالـ حـقـبـ مـتـلـاحـقـةـ وـحـتـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ — لـمـاـقـشـةـ هـذـاـ المـوـضـوعـ ، وـتـوـضـيـعـ أـبعـادـهـ وـحـدـودـهـ ، إـلاـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـمـعـنـناـ مـنـ الإـشـارـةـ إـلـىـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ كـتـبـ الـقـومـ ، وـالـمـحـدـدـةـ لـتـزـولـ هـذـهـ الـآـيـةـ بـحـقـ هـؤـلـاءـ الـخـمـسـةـ دـونـ غـيـرـهـمـ ، فـرـاجـعـ :

صحيح مسلم : ٤ : ٢٤٢٤ / ١٨٨٣ ، سنن الترمذـيـ ٥ : ٦٩٩ | ٣٧٨٧ و ٣٨٧١ | ٦٦٣ ، مستـندـ أـحـمدـ ٤ : ٦١٠٧ و ٦٢٩٢ ،
سنن البيهـقـيـ ٢ : ٥١٤٩ : ١٥٢ ، تاريخـ بـغـدـادـ ١ : ٢٧٨ ، تفسـيرـ الطـبـريـ ٥ : ٦٢٢ و ٧ ، الرياضـ النـضـرةـ ٣ : ١٥٢ ، أـسـدـ
الـغـابـةـ ١ : ٤٩٠ و ٣ : ٥٤٣ و ٦٠٧ ، مستـدرـكـ الـحاـكـمـ ٢ : ٤١٦ و ٣ : ١٤٧ ، مـجـمـعـ الـرـوـاـيـاتـ ٩ : ١٢١ و ١٦٧ ، الفـصـولـ
المـهـمـةـ ٥ : ٢٥ ، ذـخـائـرـ الـعـقـىـ ٢١ ، فـرـائـدـ السـمـطـينـ ١ : ٢٥ ، الدرـ المـشـورـ ٥ : ١٩٨ ، كـفـاـيـةـ الـطـالـبـ ٣٧١ ، الصـوـاعـقـ الـخـرـقةـ :
١٨٧ و ٢٣٨ .

(124)

انظر ما أحلى هذا الفهم ، وأجمل هذا الذوق والإنصاف ، وهكذا آية المباهلة ^١ ، وآية القربي ^٢
فضلاً عن الروايات الواردة في حقهم ، فكلها

^١ انظر نزول هذه الآية المباركة بحق رسول الله صلى الله عليه وآلـه وعليـه وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في : مسند أحمد ١ : ١٨٥ ، سنن البيهقي ٧ : ٦٣ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٥٠ ، تفسير الطبرى ٣ : ٢١٢ ، الدر المثور ٢ : ٣٨ ،
الرياض النضرة ٣ : ١٥٢ ، أسد الغابة ١ : ٦٠١ ذخائر العقى : ٢٠ ، كفاية الطالب : ١٤١ ، الفصول المهمة : ٢٤ ، جامع
أحكام القرآن ٤ : ١٠٥ .

^٢ انظر نزولها في حق أصحاب الكسae عليهم السلام دون غيرهم : التفسير الكبير ٢٧ : ١٦٥ ، الكاشف ٣ : ٤٦٧ ، تفسير البحر المحيط ٧ :
٥١٦ ، زاد المسير ٧ : ٢٨٥ ، الدر المثور ٦ : ٧ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ ، الفصول المهمة ٩ : ٢٩ ، كفاية الطالب ٣١ ، فرائد السمسطين ١ : ٣٥
ذخائر العقى ٢٥ ، الصواعق المحرقة ٢٥٨ ، نور الأ بصار ١١٢ ، الإتحاف بحب الأشرف ٢٣٩ ، إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم
السلام ٢٦ .

(125)

عنه كذب وباطل ، حتى المروية في صحاحهم !

ومثله ما سبقه إليه أمثاله من النصولي ، والحسان ، وأضرابهم ، أفترحو مع هذا أنْ تصلح حالة المسلمين ويلمودوا شعثهم ؟ أفلأ تراني على حق لو يئست وتشاءمت ؟ أفلأ يعلم النشاشيبي وإخوانه من يغمزون بالشيعة وأئمتهم أنَّ ذلك باعث على أنْ يقوم أحد كتبة الشيعة فيقابله بالمثل ، وينال من كرامة الخلفاء الراشدين ، ويتحامل عليهم وعلى السنة قائلاً : « إنَّ بني عمك فيهم رماح » وهكذا دواليك ينشر كلُّ فريق مطاعن الآخر .

فلينظر عقلاً الفريقين إلى أين ينتهي حال المسلمين من هذه الهوة السحيقة ، وما الثمرة والفائدة من كلُّ ذلك ؟ وما ذنب الشيعة سوى موالة أهل بيت نبِيِّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ !.

ولكن مع كلُّ ذلك لا يأس من روح الله ورحمته ، ولا قنوط من خفي ألطافه بدينه وشرعيته ، فعسى أنْ يرشد الله الغيارى على الإسلام من عقلاً الفريقين فيضربوا على الأيدي التي تنشر تلك النشرات الخبيثة — منا ومنهم — تلك النشرات التي هي السم المزهق لروح الإسلام . وهذا البصيص من الأمل هو الذي دعانا إلى الإذن في إعادة طبع هذه الرسالة ثانياً ، ونشر ما يضاهيها من إرشاداتنا وتعاليمنا في الحث على قيام كلُّ مسلم بهذه الفريضة الالزمة ، والقضية الضرورية ، كلُّ بحسبه ، وبمقدار وسعه ، ألا وهي إعادة صميم الإخاء والوحدة بين عموم فرق المسلمين . . . وأوَّل شرط ذلك : سد

باب المجادلات المذهبية وإغلاقها تماماً ، فإنْ أراد أحد التنويم عن مذهبه فعلى شرط أنْ لا يمس مذهب غيره بسوء ولا غمiza .

والشرط الثاني — بل هو الأول في الأهمية — : أنْ يعقد المسلم قلبه على الإخاء الصحيح لأخيه المسلم ، وأنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وويرأ من كلّ حقد وحسد عليه ، جداً وحقيقة ، لا لقلقة في القول ، ومخادعة في اللسان ، ومنافسة على المصالح الفردية والمنافع الذاتية ، كما هو الحال السائدة اليوم عند الجميع .

إنما الوحدة الحقة ، والإخاء الصحيح الذي جاء به الإسلام ، بل جاء بالإسلام ، وتمثّلت عليه وضيعة الأمم الراقية ، وبلغت أوج العزّ والقوّة : أنْ يرى كلُّ فرد من الأمة أنَّ المصلحة النوعية هي عين المصلحة الفردية ، بل هي فوقها ، وهذه الصفة حقيقة في اللسان ، ثقيلة في الميزان ، بعيدة في الإمكان ، يكاد أنْ يكون تحقّقها عندنا معشر المسلمين من المستحيلات ، لا سيّما من كلّ طائفة بالنظر إلى الأخرى التي تنظر كلُّ منها إلى الأخرى نظر العدو الألد ، والمحاصم المزاحم ، وإذا جامله في القول ، أو أظهر له الولاء ، فلن يجامله إلّا ليحاذه ، ولن يصانعه إلّا ليخادعه ، أمّا ملقاً أو ترلفاً لغاية واهنة ، أو توسلًا إلى أنْ يبتز ماله ، أو يسلبه حقّه ، أو تكون له السلطة عليه والاستعباد له ، وكلُّهم حارون على غلوائهم في هذه السخائم التي صارت لهم ضربة لازم ، لا تصدّهم عنها صرخة ناصح ، ولا صيحة زاجر ، ولا عظة بلية .

ينسى الكلُّ أو يتناسى عدوهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد ، والذي يريد سحق الكلُّ ، ومحو الجميع ، ويبيت بذور الشقاقي بينهم ليضرب بعضهم ببعض ، وينصب أشراك المكر لصيد الجميع. ولا يسلم المسلمون من هذه الاشتراك المبسوطة لهم في كلّ سبيل حتى يتحدونا عملاً لا قولاً ، وجداً

لا هزلاً ، وأقرب وسيلة إلى تنمية تلك البذرة ، وتنمية تلك الفكرة — فكرة الاتحاد الجدي — هو : عقد المؤتمرات في كلّ عام أو عامين ، يجتمع فيها عقلاه المسلمين وعلماؤهم من الأقطار النائية ، ليتعرفوا أولاً ، ويتدالووا في شؤون الإسلام ثانياً .

بل وأوجب من هذا : عقد المؤتمرات والمعاهدات بين حكام المسلمين « لو كان للمسلمين حكام حق » فيكونون يداً واحدة ، بل كيدين بجسدهما واحد ، يدفعان عنه الأخطر المحدقة به من كل جانب ، وقد أملت عليهم الحوادث بعد الحرب العالمية دروساً بلغة ، وعبرأ محسوسة لو كانوا يعتبرون.

وفي ابتلاء الطليان مملكة الحبشة العريقة في القدم ببضعة أشهر ما يستوجب أنْ يقض مضاجعهم ، ويسهر عيونهم ، وينظروا إلى مستقبلهم بكلّ خفقة وحذر ، وإلاّ فهم أعرف بالعقوبة وكيف يكون المصير^١ .

وحسينا بهذا القدر بلاغاً ودعوةً ، وإنذاراً وإيقاظاً ، ونحن تكميلاً للفائدة قد أكملنا في هذه الطبيعة بعض نواقص هذه الرسالة ، واستوفينا ما فات في بعض مباحثها مما له دخل أو فضل في توسيعه البحث ، وتوفية الموضوع حقه ، مع الحرص الشديد على الإيجاز والإيصال إلى الغرض

^١ كانت أول محاولة لغزو الحبشة من قبل الإيطاليين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، إلا أنهم منوا بهزيمة نكراء في عام (١٨٩٦ م) وتحملوا خسائر فادحة من قبل جيش الحبشة المتواضع .

بيد أنهم (أي الإيطاليين) أعادوا الكرة في عهد موسوليني ، وذلك في عام (١٩٣٥ م) ، حيث زحفت جيوشهم نحو أراضي الحبشة لاحتلالها هذه المرة في عام (١٩٣٦ م) وتضمنها إلى مستعراها أسوة بشركائهم من المستعمرات آنذاك كالبريطانيين والفرنسيين والبرتغاليين ، ولتبقي الحبشة تحت الاستعمار الإيطالي حتى عام (١٩٤١ م) عندما طردتهم القوات الإنكليزية منها .

(128)

المهم من أقرب الطرق إليه ليسهل تناوله ومطالعته لعامة الطبقات .

فالعصر الذي ألف أهلوه طي المراحل الشاسعة إلى البلاد النازحة ببعض ساعات — وكانت لا تُطوى إلاّ بالأيام أو الشهور — لا تناسبه الإطالة والإطناب ، حتى في الرسالة والكتاب. بيد أنّي لا أدعى الإحاطة ، ولا أُبرئ نفسي من القصور ، ويكفيني حسن النية والقيام بالواجب حسب الوعز ، مع ابتكار الموضوع ، وابتداع الأسلوب .

وللأفضل في عصرنا وما بعده أنْ يتوسعوا إذا شاءوا ، فقد فتحنا لهم الباب ، ونرجنا لهم السبيل الذي لا أمت فيه ولا عثار ، والذي هو أقرب إلى ما يتطلبه الوقت الحاضر ، والعلم الحديث ، وألصق بالحقيقة الناصحة ، والطريقة النافعة ، من دون خدشة لمذهب ، أو مس لكرامة ، مع الإشارة الخفية أو الخفيفين لبعض الأدلة والبراهين ، والمساند والمصادر في الجملة .

" وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وعليه أنيب "

حرره منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ هـ .

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء

(129)

مقدمة الطبعة السابعة :

بِقَلْمِ الْمُؤْلِفِ

{ رَبٌّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي }^١

من الواضح الغني عن البيان ما وصلت إليه حالة المسلمين ، ولا سيّما في هذه القرون الأخيرة ، من الضعف والسقوط والذلة ، وتحكّم الأجانب بهم وإستعبادهم ، واستسلامك أراضيهم وديارهم ، وجعلهم خولاً وعبيداً ، يستعملونهم كاستعمال البهائم في مصالحهم ، وليس تغلُّبُهم بوضع الأغلال في أنفاسهم ، إلى ما فوق ذلك من الهوان والخسران ، مما لا يحيط به وصف واصف ، ولا تستطيع تصويره ريشة مصوّر ، كل ذلك جلي واضح كوضوح أسباب ذلك ، وإن السبب الوحيد هو : تفرّق كلمة المسلمين ، وتباغضهم وتعاديهم ، وسعى كل طائفة منهم لتکفير الآخرين ، فإذا اعتقادوا كفراً لهم لا محالة يسعون في هلاكهم وإبادتهم ! وما هو إلا الجهل المطبق ، والعصبية العمياء . فالجهل يهدّم ويطغيهم ، ومكائد الأجنبي المستعبد

^١ سورة طه (٢٠) : ٢٥ - ٢٨ .

تشدّهم وتغريّهم .

وقد أفاضت أقلام الأعلام والخطباء ، وطفحت الصحف والمُؤلّفات في هذا الموضوع ، حتى أوشك أنْ يكون من الأحاديث التي صار يمجّها الطبع ، وينبئ عنها السمع ، لأن الطبع موكل بمعاداة المعادات ، وكرابة المكررات . على إنّك تجده بأوّفي بيان في الكلمة الآتية التي كنّا جعلناها كمقدمة للطبعة الثانية وعنوانها : « كيف يتحد المسلمون » أو « كلمة لا بد منها في الإصلاح » .

وإنّما المقصود بالبيان في هذه الكلمة إنّا لما وجدنا قبل هذا أنَّ المسلمين بالحال التي وصفنا — وليس المسلمون اليوم في رقعة هذه الكرة سوى طائفتين : السنة والشيعة ، وكلُّ المذاهب والطوائف المختلفة في الإسلام لا بدَّ وأنْ ترجع وتندمج في الأولى أو الثانية ، حيث يصح إطلاق إسم الإسلام عليها — ووجدت أنَّ الشيعة — وأخص علمائهم — يعرفون مذاهب إخواهم السنّيين كمعرفتهم بمذاهبيهم ، حتى ألفوا الكتب الكثيرة بذلك : كالانتصار للسيد المرتضى ، والخلاف للشيخ الطوسي ، والتذكرة للعلامة الحلي ، وأضعافها لغيرهم ، أمّا السنة فلا يعرف حتى علماؤهم — فضلاً عن عوامهم — شيئاً من حقيقة الشيعة وواقع أمرهم ، بل لم على العكس يرون أنّهم خارجون عن حظيرة هذا الدين ، وأنّهم جمعية هدّامة ! وينسبون كلَّ فضيحة إليهم ، فإذا وجد الشيعة ذلك في كتب القوم يدفعهم الحقد والغضب ، فيقابلونهم بمثل ذلك ، أو بما هو أسوأ منه . . . وهكذا تمزقت الوحدة ، وتفرّقت الكلمة ، وصار ذلك قرَّة عين المستعمر ، وبلغ بهذا أقصى أمانيه .

فرأيت يومئذ أنَّ الحاجة ماسة ، والضرورة ملحة ، والواجب يحتم تأليف رسالة وجيبة توضّح للMuslimين : أصول عقائد الشيعة وفروعها ، ومبدأ تكوينها ، وغارس بذرتها ، وأسباب نموّها وسموّها . بصورة موجزة ، وعبارة

دارجة ، فألفت رسالة « أصل الشيعة وأصولها » وجريت فيها على عفو الخاطر ، وجري القلم ، أمليتها إملاءً ، من غير تحديد مراجعة ، أو تزويد مطالعة ، إذ لم يكن الغرض فيها الجدل والاحتجاج ، وإقامة الأدلة والبراهين ، بل مجرد ذكر رؤوس المسائل ، ومن أصول المذهب وفروعه ، ليعرف الناس مكانته في الإسلام ، وشدة علاقته بالدين ، وقواعده الأساسية .

وما كثنا نحسب أن تحظى تلك الرسالة بهذا الرواج ، ويحصل لها هذا الإقبال الواسع ، حيث تُرجمت إلى عدّة لغات ، وطبعت أربع بل خمس مرّات ، ولكن . . . ومن الأسف المضني أن الحال لا يزال على ذلك المنوال ، ولم يخفّ انتشار الكتاب شيئاً من غلواء القوم ، ولم يكسر من شدة سورتهم ، ولم تبرح أقلام الأساتذة المصريين في كلٍّ مناسبة تطعن بالشيعة ، وتنسب إليهم الأضاليل والأباطيل التي كانت تُنسب إليهم في العصور المظلمة والقرون الوسطى ، عصر ابن خلدون ، وابن حجر ، وأضراهما ، مع أنَّ الكتاب « أصل الشيعة » قد طُبع في القاهرة « الطبعة الثالثة » ووزّعت كلٌّ نسخه هناك . . .

أفما كان من الجدير — أو الواجب — أنْ يُغيّر اللهجة ، ويخفف الوطأة ؟ ! كلا ، بل الشيعة لا تزال هي تلك الطائفة أهل البدع والأهواء ، والسحنة السوداء !! وقد سرى بغضهم والطعن فيهم إلى الخلفاء الفاطميين . . . لماذا ؟ لأنَّهم شيعة ، ولأنَّهم روافض فهم أدعياء في النسب ، قرامطة في المذهب ، ينتهي نسبهم إلى يهودي في قول بعض ، وعقائدhem إلى ملحد ! هذا مع ما للفاطميين من الخدمات الكبرى للإسلام عموماً ولمصر خصوصاً ، فقد نشروا العلم والثقافة في مصر ، ورفعوا منار المعارف ، وشيدوا الجوامع والمساجد ، وأنشأوا الأساطيل والمدافع ل الدفاع المهاجمين عن بلاد الإسلام . . . ألا يستفزك العجب من حملات المصريين على الفاطميين

وأنت وهم يعلمون أنَّ درة تاج مفاخر مصر ، وغرة جبين مآثرها هو : « الجامع الأزهر »^١ وهو من مآثرهم ومنشآتهم . ذلك العهد الجليل ، الميمون النقيبة

^١ يُعد الجامع الأزهر — وذلك مما لا خلاف فيه — من المآثر الإسلامية الخالدة التي استطاعت — ورغم تقادم الدهور والعصور — أنْ تبقى شانحة ثابتة تحكي للأجيال مآثر الحقب والسنين التي شهدت إشراقة نهض الإسلام على بعض الدول والمدن رغم ما أحاط بهذا الدين العظيم من الكيد والخاربة .

والجامع الأزهر كان ثمرة واحدة من تلك الشمار المباركة والطيبة ، حيث أنشأ في زمن الدولة الفاطمية ، وأُسِّي بالأزهر تبركاً باسم سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها آلاف التحية والسلام .

بني هذا المسجد جوهر الصقلبي ، قائد جند أبي تميم معد بعد عام من فتح الفاطميين لمصر وإقامتهم لدولتهم فيها عام (٣٥٩ هـ) ، وحيث تم بناؤه وأقيمت أول صلاة جمعة رسمية فيه في يوم الجمعة سابع شهر رمضان عام (٩٧٢ هـ) ، وكانت قُيام قبل ذلك تارة في جامع عمرو ، وتارة في أخرى في الجامع الطولوني .

بني المسجد آنذاك محطة للمصلين وطلبة للمرحّلين ، وحيث عُقدت بعد تأسيسه بعض سنين أول حلقة للدرس من قبل قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القىروانى ، حيث قرأ آنذاك مختصر أبيه في فقه آل البيت عليهم السلام ، وكان ذلك في صفر عام (٣٦٥ هـ— ٩٧٥ م) .

بني هذا المسجد يتلقى الرعايا والعنابة من قبل الحكام الفاطميين ، وحيث زاد في بنائه المستنصر والحاكم ووسعاً فيه ، وكان يقابلهم كثرة توافد الطلبة والدارسين على طلب العلم في أرقوته ، والتزود من أسانتذه ، وبقي هذا الحال رديداً من الزمن ، حتى انقضت دولة الفاطميين وجاء صلاح الدين الأيوبي ، فشهر سيفه — وذلك مما يُوسف له — مخariه الشيعة وقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وطمس آثارهم ومآثرهم ، وكان نصيب الأزهر من ذلك منع الخطبة فيه ، وقطع الكثير مما أوقفه عليه الحاكم ، واستمر ذلك ما يقارب القرن من الزمان حتى أمر الملك الظاهر بيبرس بإعادة الخطبة فيه ، وشجع على التعليم في أرقوته ، بل وزاد بعض الشيء في بنائه .

وهكذا فقد شهد الأزهر وطوال الحقب الماضية أشكالاً مختلفة من المد والجزر ، تأثراً بالأحداث المختلفة التي أحاطت به وبالعالم الإسلامي ، ولكنه بقى أثراً حالاً شاهداً على تلك الحقبة الماضية التي تولى فيها الفاطميون حكم مصر وإدارة شؤونها .

المبارك اللقب ، الأغر الطلعة ، الذي تخرج منه المئات من كبار العلماء والساسة ، أمثال : الشيخ محمد عبد العزىز ، وسعد زغلول ، ونظائرهما ممن كبرت وكثرت خدمتهم لمصر وللإسلام . وإنَّ بقاء هذه المؤسسة الدينية أكثر من ألف سنة ، وما ناله وتناله كلَّ سنة من الحظ والتوفيق للإتساع والرقي ، لأقوى شاهد على إخلاص بانيه ، وروحانية مؤسسيه ، وأنه مدود بالعناية ، ومحفوظ بالألفاظ الإلهية . ولكن الأسف المؤلم أنَّ الفاطميين مع ذلك كله عند المصريين أدعى في النسب ، قرامطة المذهب ، ملاحدة في الدين ، لأنَّهم رواض ، لأنَّهم شيعة ، ومن الشيعة أخذوا عقيدة الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد أنكروا هو ولم يرضها في حياته كما لم يرض غيرها من الألقاب التي وضعها الشيعة له . . . !

والشيعة هم الذين يقفون بعد صلاة المغرب كلَّ ليلة على باب السردار في سامراء ويهتفون بإمامهم المنتظر : أخرج أخرج . . . ! إلى آخر ما ذكره الأستاذ الفاضل في كتاب : « الحركة الفكرية » الذي طبع قريباً^١ .

والمدهش الغريب أن سامراء بلدة سنّية ، وجامع الغيبة الذي فيه السردار — ولا يزال — في تصرف السنّيين ، يقيمون تحت قبته جمعتهم وجماعتهم في الأوقات الخمسة ، ولا نصيب منه للشيعة ، إلا الاستطراق والدخول فيه للزيارة والصلوة والدعاء ، لأنَّ ثلاثة من أئمتهم كانوا يتهجدون فيه بالأسحار ، ويترفرون فيه لعبادة الحق آناء الليل وأطراف النهار . كان عيشهم عليهم السلام للزهداء ، وليلهم للتهجد والعبادة ، ونهارهم للتعليم والإفادة . نعم ، كانوا يُحيون الليل بالتهجد والعبادة في تلك البلدة ، وفي عين الوقت الذي كان فيه المتوكّل ، خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين يحيي

^١ الكتاب من تأليف الدكتور عبد اللطيف حمزة .

(134)

اللليالي الطوال في الخمر والشراب مع المغنيات والراقصات ، وأهل المخون والخلاعة ، كعبادة المحنّث وغيره ، إلى أنْ هجم عليه الأتراك وقطّعوه هو وزيره الفتح بن خاقان بسيوفهم وهم سكارى لم يفiquوا إلّا بحر السيف ، حتى احتلّت لحم الخليفة بلحم الوزير ، ولم يتميّز أحدهما من الآخر^١ ، وإلى هذا أشار ملك الشّعراء وأشعر الملوك ، البطل الفارس أبو فراس ، يخاطببني العباس في شافيته المعروفة :

مِنْكُمْ عَلَيْهِ أُمْ مِنْهُمْ وَكَانَ لَكُمْ * شَيْخُ الْمُغَنِّينَ إِبْرَاهِيمَ أُمْ لَهُمْ
تَبَدُّو التَّلَاوَةُ مِنْ أَبِيَّاتِهِمْ سَحْراً * وَمِنْ بُيُوتِكُمُ الْأُوتَارُ وَالنَّغْمَ

فهل يُلام الشّيعة على تقديس منازل أئمتهم وبيوتهم التي أذن الله تعالى أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه ؟

ولنتراجع إلى المقصود بالبيان ، وهو إنّا كنّا نأمل بنشر ذلك الكتاب الوجيز أنْ نرى أثره المحسوس ، ومفعوله الملحوظ ، في تعديل الخطأ ، وتلطيف اللهجة ، وتقريب الفريقين ، فلم نجد إلا ما يوجب اليأس ، ويحطمّ الأمل ، وعرفنا أنَّ تلك العقائد والأراء صارت طبيعة موروثة للقوم ، لا يستطيعون نزعها والتّرّع عنها « وتأبى الطّباع على النّاقل ». .

ولا لوم على عوام الفريقين في سوء الظن ، كلُّ فريق بالآخر ، وعداوتَه لأخيه ، إنّما اللائمة على العلماء والعقلاة الذين يؤجّجون نار العداوة والبغضاء وقد جعلتهم الله إخواناً وجعل دينهم دين التوحيد والوحدة .

ومع هذا الأسف المؤلم ، واليأس البليغ ، طلب مني جماعة — أخص بالذكر من بينهم ولدي محمد كاظم الكتبى — الإذن بطبعته السابعة ، وأنْ

^١ انظر : مروج الذهب ٥ : ٣٧ ، الكامل في التاريخ ٧ : ٩٥ ، تاريخ الطبرى ٩ : ٢٢٦ .

(135)

نضيف إليه بعض الإضافات والاصطلاحات ، وأنْ توَسِّع بعض التوسيع فيه ، فأجزنا إعادة طبعه ، على يأس من الفائدة المتواخة ، وأضفنا في بعض أبوابه الشيء اليسير الذي لا يخرجه عن الإيجاز ، لأننا نجد إنَّ الإيجاز في هذه العصور أقرب إلى القبول .

{ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } .^١

^١ المتنجة ٦٠ : ٤.

(136)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه أستمد وبه أستعين ، بعد حمد الله وسلام على عباده الذين اصطفى ...
يكتب سطور هذه الطروض محمد الحسين آل كاشف الغطاء في النّجف الأشرف ، أوليات جمادى
الأولى سنة الخمسين بعد الألف والثلاثمائة هجرية .

والسبب الباعث على كتابتها :

إنه منذ سنتين كتب إلى شاب عراقي من البعثة العلمية التي أرسلتها الحكومة العراقية للتحصيل
في (دار العلوم العليا) بمصر كتاباً مطولاً ، وما يذكر فيه ما خلاصته :
إنه كان يختلف إلى كبار علماء القاهرة في الأزهر وغيره ، وربما حرر الحديث بينهم — والحديث
شجون — على ذكر (النّجف) وعلمائها ، وطريقة التّحصل فيها ، والهجرة إليها ، وكانوا يكيلون
لهم الكيل الوفي من الثناء والإعجاب بسمو مداركهم ، وعلو معارفهم ، ولكن يرددون ذلك بقولهم
: ولكن يا للأسف أنهم شيعة !

يقول ذلك الشاب : فكنتُ أستغرب ذلك وأقول لهم : وما الشّيعة؟ وهل هي إلّا مذهب من مذاهب الإسلام ، وطائفة من طوائف المسلمين؟

فيقول قائلهم في الجواب ما حاصله : كلا ليست الشّيعة من المسلمين ! ولا التشيع من مذاهب الإسلام ! بل ولا يحق أن يكون أو يُعد مذهبًا أو دينًا ! وإنما هي طريقة ابتدعها الفرس ! وقضية سياسية لقلب الدولة الأموية إلى العباسية ! ولا مساس لها بالأديان الإلهية أصلًا !

ثم يكتب ذلك الشاب تلو هذا : وأنا — يا سيدى — شاب متزعزع ، لا علم لي بمبادئ الأديان ، وتشعب المذاهب وفلسفة نشأها وارتقائها ، وكيف انتشرت ، ومن أين ظهرت ، وقد دخلني من أولئك الفخاخ الحسام — المعدودين من الأعلام — شك من أمر تلك الطائفة ، وصرت على شفارة من إسلامهم ، فضلاً عن سلامتهم .

ثم أخذ يتولّ إلى بالوسائل المخرجة أنْ أكشف له عن صميم الحقيقة ، ولباب الواقع ، كي يستريح من حرارة الشك إلى برد اليقين وروح الطمأنينة . يقول : وإذا لم تنقذني من تلك المتابهة فالمسؤولية عليك إنْ زلتُ أو ضلتُ.

فكبّيتُ إليه ما اتسع له ظرف المراسلة ، واحتمله كاهل البريد ، وما يلائم عقلية ذلك الشاب ، وما رجوتُ أنْ يزدح عن فؤاده كابوس الشك والإرتياح ، ولكنّي حملت على شواعري من الاستغراب أضعاف ما كان يحمل هو من الإرتياح ، وطفقتُ تتعارض على خواطري أسرابُ الشكوك من صحة تلك الواقعة ، وإنَّه كيف يمكن أن يبلغ الجهل والعناد بعلماء بلاد هي في طليعة المدن العلمية الإسلامية ، ومطمئن أنظار العرب ، بل كافة المسلمين في تحيسن الحقائق ، ومتزريق جلابيب الأكاذيب ، المبعثة — على الأكثر — عن الأغراض والأهواء ، أو الاسترسال إلى مفتريات السّفلة

والجهالة ؟ !

وما كدتُ أركن إلى صدق ما نقله ذلك الشاب حتى وقع في يدي — في تلك الآونة — كتاب الكاتب الشهير (أحمد أمين) الذي أسماه (فجر الإسلام) فسيرته حتى بلغتُ منه إلى ذكر (الشيعة) فوجدته يكتب عنهم كخاطب عشواء^١ أو حاطب ليل ، ولو أنَّ رجلاً في أقصى الصين كتب عنهم في هذا العصر تلك الكتابة لم ينفع له العذر ، ولم ترتفع عنه اللائمة ، ولكن وقفتُ على قدم ثابتة من صحة ما كتبه ذلك الشاب ، وقلتُ : إذا كان مثل هذا الرجل وهو يكتب كتاباً ي يريد نشره في الأمة الواحدة التي جعلها الله إخواناً بنصٍ فرقانه البجيد ، واستطلاع أحوالهم ، والوقوف على حقيقة أمرهم على كثب منه أيسر شيء عليه ، ومع ذلك يسترسل ذلك الاسترسال ، ويتوسل على تلك الطائفة تلك الأقاويل ، إذن مما حال السواد والرعاع من عامة المسلمين ! وقد عرف كلُّ ذي حسٍ مسيس الحاجة ، وقيام الضرورة الحافزة إلى شدَّ عقد الوحدة ، وإبرام امراسها ، وإحكام أساسها ، وإنَّه لا حياة للMuslimين اليوم إلا بالتمسك بعروتها ، والمحافظة عليها ، وإنَّه لا حياة عزيزة ، ولا ميتة شريفة .

ولو عرف المسلمون حقيقة مذهب الشِّيعة ، وأنصفوا أنفسهم وإخوانهم ، لأماتوا روح تلك النشرات الخبيثة التي تثير الحفيظة ، وتزرع الضعفية ، وتكون قرة عين وأكبر سلاح للمستعمررين وللماحدة العصر ، الذين هم أعداء كلَّ دين .

^١ هي الناقة التي في بصرها ضعف ، حيث تخبط إذا مشت ولا تقوى شيئاً . ومراده من قوله هذا رحمة الله : إن هذا الكاتب لم يكن يتلمس موضع خطأ ، فأخذ يخبط في أقواله وآرائه دون بصيرة ودون هدى .

أفلا يثير الحفيظة ، ويؤجح نار الشّحنة في صدور عامة الشّيعة ما يقوله في (فجر الإسلام) صفحة ٣٣ : « أنَّ التَّشِيُّعَ كَانَ مَأْوَى يَلْحَى إِلَيْهِ كُلُّ مِنْ أَرَادَ هَدْمَ الْإِسْلَامِ » إلى آخر ما قال . . يكتب هذا وهو يعلم أنَّ النقد من ورائه ، والتمحيص على أثره ، يبح حعاطفة أَمَّةٍ تُعدُّ بالملائين ، وتتكوّن منها طائفة العظمى من المسلمين .

ومن غريب الاتفاق أنَّ (أحمد أمين) في العام الماضي (١٣٤٩ هجري) — بعد انتشار كتابه ، ووقوف عدّة من علماء النجف عليه — زار (مدينة العلم) وحظي بالشرف بأعتاب (باب تلك المدينة) في الوفد المصري المؤلف من زهاء ثلاثة بين مدرس وتلميذ ، وزارنا بجماعته ، ومكثوا هزيعاً^١ من ليلة من ليالي شهر رمضان في نادينا في محفل حاشد ، فعادناه على تلك المحفوظات عتاباً خفيفاً ، وصفحنا عنه صفحات جميلاً ، وأردنا أن نمرّ عليه كراماً ونقول له سلاماً .

وكان أقصى ما عنده من الاعتذار « عدم الاطلاع وقلة المصادر » ؟! فقلنا : وهذا أيضاً غير سديد ، فإنَّ من يريد أن يكتب عن موضوع يلزم عليه أولاً أن يستحضر العدة الكافية ، ويستقصي الاستقصاء التام ، وإلاً فلا يجوز له الخوض فيه والتعرّض له ، وكيف أصبحت مكتبات الشيعة ومنها مكتبتنا المشتملة على ما يناظر خمسة آلاف مجلد أكثرها من كتب علماء السنّة ، وهي في بلدة كالنجف فقيرة من كل شيء إلاً من العلم والصلاح إن شاء الله ، ومكتبات القاهرة — ذات العظمة وال شأن — حالية من كتب الشيعة إلاً شيئاً لا يذكر .

^١ هزيعاً من الليل : أي طائفة منه ، وهو نحو من ثلثه أو ربعه . الصحاح — هزع — ٣ : ١٣٠٦ .

(141)

نعم ، القوم لا علم لهم من الشيعة بشيء وهم يكتبون عنهم كلّ شيء ! ، وأشدّ من هذا غرابة وأبعد شنوداً أنَّ جماعة من أبناء السنة في العراق لا يعرفون من أحوال الشيعة شيئاً مع دنوّ الدار وعصمة الجوار.

كتب إلى قبل بضعة أشهر شاب مهذب عريق بالسيادة من شيعة بغداد : أنه سافر إلى لواء الدليم (وهو اللواء المتصل ببغداد) ^١ وأكثر أهاليه من السنة ، فكان يحضر نواديهم فيروق لهم حديثه وأدبه ، ولما علموا أنه من الشيعة صاروا يعججون ويقولون : ما كتنا بحسب أنَّ في هذه الفرقة أدباً وكمدياً فضلاً عن أن يكونوا ممن له علم أو دين ! وما كتنا نظنّهم إلا من وحوش القفر وشذوذ الفلوات ! !

وكان هذا الشاب يشير حميتي بقوارص الملام ، ويختبئ بالطلب المتتابع على أنْ أكتب عن الشيعة رسالة موجزة تنشر بين الأمم الجاهلة ، وتعريفهم — ولو التر اليسير — من أحوال هذه الطائفة ومعتقداتها وديانتها .

ثم بعد برهة سافر هذا الشاب إلى سوريا للاصطياف ، وخرج منها إلى مصر ، فكتب إلى : يا سيدي الحال عن الشيعة عند أهالي مصر هي الحال التي أنبأتك عنها في لواء الدليم ، والصورة تلك الصورة . ثم يقول لي : ألم أنت لك أنْ تفني بوعرك ، وتقوم بواجبك ؟ فإنَّ الشيعة مصوّرة عند القوم بأبغض صورة يتصورها إنسان . . . إلى آخر ما كتب ، وحقاً ما كتب وإنْ طال وأطنب .

^١ وهو الآن يدعى بـ : محافظة الأنبار.

فمن هذا كله ، وأضعاف مثله مما نجده في الصحف المصرية والسورية وغيرها ، وما تنشره
مقالاتم آونة بعد أخرى من قذف تلك الطائفة بكل عظيمه^١ ، ونبزهم بكل عظيمة ، هم منها براء
براءة يوسف الصديق

^١ العَصْنَةُ وَالْعَصْنَةُ وَالْعَصْنَيْهُ : الْكَذْبُ وَالْبَهَانُ . القاموس المحيط ٤ : ٢٨٨ .

(142)

وأخيه من السرقة ، ولكن داء الجهل والعصبية هو الداء العيء الذي قد أعيى الأطباء.

نعم من كل ذلك رأيتُ من الظلم الفاحش السكوت والتغاضي عن هذه الكارثة ، لا أعني أنه من الظلم على الشيعة ، ولا أريد أن أدفع الظلم عنهم ، والمفتيات عليهم ، كلام ، ولكن أعظم الغرض ، وأشرف الغاية ، رفع أغشية الجهل عن المسلمين من عامة فرق الإسلام ، كي يعتدل المصنف ، وتنتمي الحجة على المعاند ، وترتفع اللائمة ووصمة التقصير عن علماء هذه الطائفة .

وأعلى من ذلك رحاء حصول الوئام ، ورفع الشحناء والخصام بين فرق الإسلام الذي قد دعم كل ذي شعور— ولا سيما في هذه العصور — انه من ألزم الأمور ، عسى أن لا يعود كاتب (فجر الإسلام) الذي تكاثفت عليه غواشي الظلم والظلم ، فيقول في تلك الصفحة التي أوعزنا إليها ما نصه : « والحق أن التشيع مأوى يلحاً إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن يُريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية — إلى قوله — فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة ، وقالت الشيعة : إن النار محظمة على الشيعي إلا قليلاً ، وقال اليهود : لن تمتننا النار إلا أيامًا معدودة . والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا : إن اللاهوت اتحد بالناسوت ^١ في الإمام ، وإن النبوة والرسالة

^١ اللاهوت والناسوت : علم اللاهوت : علم يبحث عن العقائد. وفي الكليات : اللاهوت الخالق والناسوت المخلوق .
وربما يطلق الأول على الروح ، والثاني على البدن . بل ربما يطلق الأول أيضًا على العالم العلوي ، والثاني على العالم السفلي ، وعلى السبب والسبب ، وعلى الجن والإنس .

وعلم اللاهوت يبحث في وجود الله تعالى وصفاته وعلاقته بالعالم والأنسان . ويراد منه علم التوحيد ، وعلم الكلام ، وعلم الربوبية . . . انظر : المعجم الفلسفي ٢ : ٢٧٧ .

(١٤٣)

لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي . وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ، وبتحسين الله ، والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة وال فلاسفة والمحوس قبل الإسلام . . . » إلى آخر ما قال .

ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفاء أن لا تعكر ، ونيران البغضاء أن لا تتسعّر ، وأن تتطبق علينا حكمة القائل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ^١ .

لعرفناه ، من الذي يريد هدم قواعد الإسلام بمعاول الإلحاد والزنادقة ، ومن الذي يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة .

ولتكن نريد أن نسأل من ذلك الكاتب : أي طبقات الشيعة أراد هدم الإسلام ؟ الطبقة الأولى وهم أعيان صحابة النبي صلى الله عليه وآله وأبرارهم : كسلمان الحمدي — أو الفارسي — وأبي ذر ، والمقداد ، وعمّار ، وخزيمة ذي الشهادتين ، وأبي التيهان ، وحذيفة [بن] اليمان ، والرثيير ، والفضل بن العباس ، وأخيه الحبر عبد الله ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وأبي أيوب الأنباري ، وأبان ، وأخيه خالد ابني سعيد العاص الأمويين ، وأبي بن كعب سيد القراء ، وأنس بن الحمرث بن نبيه الذي سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إنَّ ابْنِ الْحَسِينِ يُقْتَلُ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا كَرْبَلَاءُ ، فَمَنْ شَهَدَ

^١ بيت شعر مشهور ، عجزه : عار عليك إذا فعلت عظيم ، وهو ينسب تارة إلى المتكلل الليثي ، وأخرى إلى أبي الأسود الدؤلي .

ذلك منكم فلينصره » فخرج أنس وُقُتِلَ مع الحسين عليه السلام .
راجع (الإصابة) و (الاستيعاب) ^١ وهما منْ أوثق ما أَلْفَ علماء السنة

^١ الإصابة ١ : ٦٨ ، الاستيعاب بخامش الإصابة ١ : ٧٤ .

في تراجم الصحابة .

ولو أردتُ أنْ أعدَ عليك الشِّيَعة من الصحابة ، وإثبات تشيعهم من نفس كتب السنة لأحوجني ذلك إلى إفراد كتاب ضخم ، وقد كفاني مؤونة ذلك علماء الشِّيَعة .

راجع (الدرجات الرفيعة في طبقات الشِّيَعة)^١ للسيد علي حان صاحب (السلافة)^٢ وغيرها من الكتب الجليلة (كطراز اللغة)^٣ الذي هو من أنفس ما كُتب في اللغة. على أنه — رحمه الله — لم يذكر في الطبقات إلا مشاهير الصحابة بعد بني هاشم — كحمزة ، وجعفر ، وعقيل ونظائرهم — وذكر من غيرهم أكثر من قدمنا ذكرهم بزيادة عثمان بن حنيف ، وسهل بن حنيف ، وأبي سعيد الخدري ، وقيس بن سعد بن عبادة رئيس الأنصار ، وبريدة ،

^١ الدرجات الرفيعة في طبقات الشِّيَعة : ضمنه مؤلفه رحمه الله مجموعة واسعة من تراجم وأخبار أعلام رجال الشِّيَعة منذ الصدر الأول للدولة الإسلامية المباركة ، مرتب على اثنى عشرة طبقة ، على ما ذكره المؤلف رحمه الله في مقدمة كتابه ، تبتدأ بالصحابة وتنتهي بأعلام النساء ، إلا أن الكتاب الذي بيدي لم يتضمن إلا الطبقة الأولى وشيئاً يسيراً من الطبقة الرابعة والحادية عشرة فحسب ، فراجع .

^٢ سلافة العصر في محسن الشعراء بكل مصر : رئب المصنف رحمه الله تعالى هذا الكتاب بعد تطواف طويل في العديد من البلدان والأماكن ، حيث جمع فيه جملة واسعة من تراجم أعيان شعراء عصره ، وفضحاء دهره ، مستعرضاً فيه نتفاً من قصائد them وقصول كلامهم ، ذاكراً لجانب من سيرتهم ومؤلفاتهم وسنة وفاتهم .

كما أن المؤلف رحمه الله رئب كتابه وقتاً مسلك التعالي في « يتيمة الدهر » والباخرزي قي « دمية القسر » .

^٣ الطراز الأول والكتاز لما عليه من لغة العرب المعول : قال عنه الشيخ الطهراني رحمه الله تعالى في الذريعة (١٥٧ | ١٠٣٥) : من أحسن ما كُتب في اللغة ، لكنه لم يتجاوز النصف من حرف الصاد المهملة ، وانتهى إلى كلمة « قمص » .

تكلَّم المؤلف رحمه الله تعالى في كل صيغة بكل ما لها من المعانٍ بكل اصطلاح ، وذكر جميع استعمالاتها الحقيقة والجازية في الكتاب والسنة والمثل وغيرها .

(145)

والبراء بن مالك ، وخيّبـاب بن الأرت ، ورفاعة بن مالك الأنـصاري ، وأبي الطـفـيل عـامر بن وـاثـلة ، وهـنـدـ بنـ أـبـيـ هـالـة ، وجـعـدةـ بنـ هـبـيرـةـ المـخـزـوـمـيـ ، وـأـمـهـ أـمـ هـاـنـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، وبـلـالـ بنـ رـبـاحـ المؤـذـنـ .

هؤلاء حلٌّ من ذكرهم أو أكثرهم ، ولكن يخطر على بالي أين جمعتُ ما وجدته في كتب تراجم الصحابة (كالإصابة) و (أسد الغابة) و (الاستيعاب) و نظائرها من الصحابة الشيعة زهاء ثلاثة رجل من عظماء أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله كلّهم من شيعة علي عليه السلام ، ولعل المتبع يعثر على أكثر من ذلك .

ولكن ما أدرى هؤلاء الذين أرادوا هدم الإسلام ؟ أم إمام الشيعة علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ، وموافقه في بدر ، وأحد ، وحنين ، والأحزاب ، ونظائرها لما احضر للإسلام عود ، ولما قام له عمود ، حتى قيل في ذلك :

بُنِيَ الدِّينُ فَاسْتَقَامَ وَلَوْلَا * ضَرَبُ ماضِيهِ مَا اسْتَقَامَ الْبَنَاءُ

وغالى المعزلى عبد الحميد وأساء التعبير حيث قال :

ألا إنما الإسلام لو لا حسامه *

نعم ، لولا حسامه ، وموافقه — بعد الهجرة وقبلها — وحماية أبي طالب قبل الهجرة — هذا في مكة وذاك فيها وفي المدينة — لقضت قريش وذئبان العرب على الإسلام في مهدـهـ ، وخنقـتهـ وهو في حجر أمهـ .

ولكن جزاء أبي طالب من المسلمين أنْ يحكموا بائه مات كافراً^١ !! أمّا

^١ قد يعتقد البعض بتصوّر عقلائي ومنطقى يتيّن على استقراء جملة المناقشات الواسعة والمعاقبة التي اضطليع بها علماء وفلكرو الشيعة وطوال حقب متراوفة ومترابطة — في مجالسهم وندواتهم ومؤلفاتهم — أنَّ مسألة إيمان أبي طالب رحمة الله تعالى قد حُسمت وأقرت بشكل نهائى لا رجعة فيه ، ولا مجال لتكاره ، بل ويعدو من فضول الحديث وهذر اجترار الأحاديث السالفة المعروفة والمفيدة لاطروحات السابقين — الواضحة الأغراض والمباني — الذاهبة بشكل عجيب ومستهجن إلى القطع بوفاة هذا الرجل دون نطقه للشهادتين ، وإصراره على الموت مشركاً ! رغم تناقض ذلك الصريح مع السيرة الشخصية له ، والأدلة العقلية والتقليلية الثابتة لدى الفريقين .

نعم ، قد يعتقد البعض ذلك ، ولكن حقيقة الأمر تعارض وبشكل فعلى مع هذا التصور العقلائي والسليم ، فلا زلت تسمع ورغم كل ذلك جملة من التقولات السقيمة الخارجة عن إطار الدراسة العلمية والمنطقية وهي تجترأ على القول سقيمة عفا عليها الدهر واعتراضها الصدأ لرموز مشخصة ومعروفة من اتباع السلاطين وطلاب الدنيا .

بلى إنَّ أولئك الماضين من المحدثين والكتّاب وواعظ السلاطين — من الذين تضطرب أنفاسهم ، ويُسْيِلُ عابهم أمام بريق الشروة واللحاء والسلطان — كانوا ولا زالوا طلبة كل ذي غرض مشبوه وحاجة مريبة ، حيث لا تجد لهم يتربدون لحظة عن التقول على الدين وأهله ، والافتراء عليهم ولو باختصار الأثمان .

نعم ، إنَّ تلك الضمائر المعروضة دوماً في سوق النخاسة هي مصدر الحن والفتنه التي نخرت الكثير من جوانب هذا المجتمع الإسلامي الكبير ، وشوّهت وحرّفت الكثير من الحقائق الناصعة والثابتة ، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجملة حساسة ومهمة من عقائد المسلمين ، فأحدثت بلا شك ارتباكاً واضحاً لا يسهل التغاضي عنه ولا ردّه ، ويستلزم لتجاوزه الكثير من التعقل والتقوى ، وكنا ولا زلنا ننادي به .

والحق يُقال : إنَّ أول من ستو هذه السنة السيئة ، وجهدوا في شراء الضمائر اللاهثة خلف بريق الذهب والفضة ، هم رموز الدولة الأموية وحكامها ، والتأريخ وسجلاته خير شاهد على ذلك ، بل إنَّ هذه حقيقة واضحة لا تحتاج معها إلى برهان .

ولعل مسألة الطعن في إيمان أبي طالب رحمة الله تعالى من تلك المسائل الحساسة التي ، جهدت السلطة الأموية وأذلامها في محاولة تركيزها في أذهان المسلمين بشتى الصور والأساليب لأنَّها ترتكز على جملة شواهد لا يسع الأمويون غض النظر عنها :

أولها: عدائهم التقليدي والثابت للرسالة الإسلامية التي مرغت بالوحش كبرياتهم وسلطائهم الذي أقاموه على أرض الجزيرة من خلال سطوهم وظلمهم وثروتهم ، حيث بدت أحالمهم بالسيطرة على أرض الجزيرة تتهاوى كأوراق الشجر في مواسم الخريف أمام تيار الدعوة الإسلامية المباركة ، والتي كان لأبي طالب رحمة الله تعالى الفضل الكبير في ثباتها وبقائها ، فلا غرو أنْ تجد قلوب الأمويين طافحة حقداً وبعضاً وعداءً لهذا الرجل .

ثانيها: ولعل هذا الأمر هو القطب الأكير الذي أجح هذا العداء لهذا الرجل في قلوب الأمويين ، وهو كونه أباً لعلي عليه السلام لا أكثر ، وللأمانة أقول : إن أبا طالب لو كان أباً لرجل من عامة المسلمين ، حتى ولو كان من فساقهم ، وكانت له عشر هذه الخدمات الجليلة للإسلام لأقاموا له الدنيا مدحأً ولم يقدعواها ، وترحّموا عليه في جميع مجالسهم وندواتهم ومحافلهم ، وألطّبوا في مدحه حتى تمل الآذان . . . ولكنه — وتلك هي أُس القضية — أب على الذي عجزت نفوس أجدادهم ورجالاتهم عن مواجهته في ميدان الفروسيّة والمنازلة ، فانكفوا في حجورهم كالسحالي يتلونون بآلف لون ولوّن ، ويسترون بأكثر من ستار ، ويشترون الصمايّر المعروضة للبيع في سوق النحاسة بأزهد الأثمان ، تلك الصمايّر التي لا تعدّمها في كلّ عصر ومكان ، فأغدقوا عليهم المال الوفير للكيد به ، والإساءة إليه ، فاكثر أولئك التافهين من الكذب والافتراء ، والطعن والبهتان ، متخرّجين ما تصوّروا أن له أشد التأثير بشخص على عليه السلام ، والطعن بإمامته ، فتوافق ذلك مع حقدتهم على أبي طالب رحمة الله تعالى نتيجة وقوفه إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتلتفوها تلتف الكرة . . .

وهكذا فقد أصبح هذا الرجل ضحية مؤامرة محبوكة من مؤامرات الأمويين ومكائد़هم الجمة بالدين وأهله ، وسرت تلك الروايات الكاذبة في الكثير من المصادر التاريخية وغيرها سريان السم الرعاق في بدن العليل ، دون أن يكلّف البعض نفسه مؤونة التحقيق والمراجعة لصحة ما يقوم بنقله ، فتوارد الخلف آثام السلف ، واتبعوهم كالأعمى لا فحص ولا تمحيص ، وتلك هي والله ألم الفوارق ، وثالثة الاثافي .

والحق يُقال : إن مجرد الاستقرار المتعجل لحملة الحقائق التي يغفل عنها البعض تظهر بوضوح مظلومية هذا الرجل ، وجفاء العديد من مفكري الأمة وباحثيها له من العامة بشكل لا يصدق ، رغم ما قرأته من بعض المباحث القيمة التي خرجت من حالة التقليد الأعمى التي سار عليها الكثيرون سابقاً ولا زالوا . . . وأنا وإن كنت في موضع لا يتسع لإبراد حملة تلك الشواهد والأدلة والحقائق إلاّ أنّي أحيل القارئ الكريم إلى قراءة دراسة ما كتب من قبل علماء الشيعة ومفكريها حول هذا الموضوع ، وخلال ما مضى من القرون وفي هذه الأيام ، ثم أدّعوه للحكم على صحة ما ذهبوا إليه دون تحذّب أو تحيز إلاّ إلى الحق ، ومن ذلك .

١. إيمان أبي طالب : للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي .
٢. إيمان أبي طالب : للسيد أحمد بن موسى بن طاووس الحلي .
٣. إيمان أبي طالب : المعروف بكتاب الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب : للسيد أبي علي فخار بن سعد الموسوي .
٤. شيخ الابطح ، أبو طالب : للسيد محمد علي آل شرف الدين الموسوي .
٥. الشهاب الثاقب لرحم مكفر أبي طالب : للشيخ ميرزا محمد الطهراني .
٦. ضياء العالمين في فضائل الأنمة المصطفين : للشيخ أبي الحسن الفتوني النجفي .

٧. مواهب الواهب في فضائل أبي طالب : للشيخ جعفر النجدي .

٨. أبو طالب مؤمن قريش : للشيخ عبد الله المخزني .

(147)

(148)

أبو سفيان الّذِي مَا قَامَتْ رَأْيَةُ حَرْبٍ عَلَى النَّبِيِّ إِلَّا وَهُوَ سَائِقُهَا وَقَائِدُهَا وَنَاعِقُهَا ، وَالّذِي أَظْهَرَ
الإِسْلَامَ كَرْهًا وَمَا زَالَ يَعْلَمُ بِكُفْرِهِ وَعَدَائِهِ لِلإِسْلَامِ ، وَهُوَ الّذِي يَقُولُ لِمَا صَارَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي أُمَّيَّةَ
: تَلَقَّفُوهَا يَا بَنِي أُمَّيَّةَ تَلَقُّفُ الْكَرْبَلَةَ ، فَوَاللّٰهِ يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سَفِيَّانٍ^١ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ^٢ !

نعم ، هذا بحکم المسلمين مات مسلماً^٣ ، وأبو طالب حامية الإسلام

^١ أي باللات والعزى .

^٢ انظر : الاستيعاب ٤ : ٨٧ ، مروج الذهب ٣ : ٨٦ .

^٣ وذلك والله من عجب العجائب ، فـأَتَى تظل العقول مسترسلة في غيها وغفوتها ، وحتى مَ يبقى هذا الحجاب من الغفلة والجهل يطوي مكامن العقول ولباب الحقائق ، بل ومتى يتوقف البعض ولو قليلاً ليدرك عمق ما ينت قوله دون حجة ولا دليل ، ولا سلطان مبين . . . فمنْ هو أبي سفيان ، وما هو تارينه ، بل وهل هو خافٍ على أحد ليأتي مَنْ يأتي في آخر الزمان ، مُرداً إِرهاصات وتخريصات الأمويين السقيمة لتجميل وجه شيخهم الكالح البعيض ، وهو ما نقرأه بين الآونة والأخرى في كراسات وقصاصات صفراء متغضنة ، وإلّا فهل خفي على أحد أنَّ هذا الرجل كان من أكثر المؤلبين على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقائد الأحزاب ، والمتبع باللات والعزى ؟ والذي انفق جلَّ أمواله في محاربة الله ورسوله حتى نزل فيه — على ما يروي الرازبي في تفسيره — قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } شهادتين إلا مُكرهاً ، مُسراً للعداوة ، مُبطناً للكفر ، مُتحيناً للفرص الساخنة ، كيداً بالإسلام وأهله ، حتى لقد روت عنه الكثير من المصادر التاريخية المختلفة ، وكتب التراجم والسير العديد من الأخبار التي تعطن في صحة إسلامه ، وتشكك فيه ، ومن ذلك قوله لعثمان حين صارت الخلافة إليه : قد صارت إليك بعد تيم عدي ، فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بين أمية ، فـأَتَمَا هو الْمُلْكُ ، وَلَا أَدْرِي مَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ ! انظر : الاستيعاب بـمامش الإصابة ٤ : ٨٧ .

بل وما رواه ابن الزبير عنه يوم اليرموك حيث كان (أي أبو سفيان) إذا رأى أن الروم ظهروا على المسلمين قال : ايه بني الأصفر ! وإذا كشفهم المسلمون قال :

وَبَنُوا الأَصْفَرَ الْمُلُوكَ الْمُلُوكَ الرَّجُلَ *

وَمَلَمْ يَقِنْ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ

(149)

مات كافراً ! ، مع أنَّ أقلَّ كلماته :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ * مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينًا ^١

وأبو طالب ليس بذلك الرجل الضعيف ، وذى الرأى السُّخيف الذى يعلم بأنَّ دين مُحَمَّدٍ من خير الأديان ولا يتبعه ولا يتدين به خوفاً من الناس ، وهو سُيدُ البطحاء ! فدع عنك هذا وعد إلى حديث من أراد هدم الإسلام !

أهم هؤلاء الذين ذكرناهم ؟ أو الطبقة التي بعدهم — طبقة التابعين — كالأنف بن قيس ، وسويد بن غفلة ، وعطاء العوفي ، والحكم بن عتبة ، وسالم بن أبي الجعد ، وعلي بن الجعد ، والحسن بن صالح ، وسعید بن

بل وفي حينين كانت الازلام في كنائته يستقسم بها ، ولما رأى اهزم المسلمين سر بذلك وقال : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، لقد غلت هوازن ! ! فقال له صفوان — وكان يستمع إليه — : بفيك الكثكث (أي الحجارة والترب) . انظر : التراجم التحاصم : ٥٢ .

والليك كتب التاريخ وغيرها تأملها فإنما خير شاهد على ذلك ، رغم ما تسرب إلى العديد منها من الدس والافراء ، والكذب الرخيص ، من الذين وان قيل باختلاف مشارفهم ولكنهم يتفقون بلا شك على عدواة أهل بيته النبوة عليهم السلام وبغضهم ، خلافاً لوصية الله تعالى بهم ورسوله صلى الله عليه وآله .

^١ أحد جملة أبيات مشهورة نقلتها المصادر المختلفة ، واتفقت على نسبتها إلى أبي طالب رحمه الله تعالى ، منها :

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُو إِلَيْكَ بِجَمِيعِهِمْ حَتَّىٰ أُوسَدَ فِي التَّرَابِ كَفِينَا

فَاصْدِعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً وَأَبْشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْكَ عُيُونَا

وَدَعْوَيْنِي وَعِلِّمْتُ أَنْكَ نَاصِحِي وَلَقَدْ دَعَوْتَ وَكَنْتَ أَمِينا

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينًا

العدواني صاحب الحجاج^١، وأمثال هؤلاء مَن يطول عمر جبير، وسعيد بن المسيب، والأصبغ بن نباتة، وسليمان بن مهران الأعمش، ويحيى بن يعمر

^١ لعل المبادر إلى أذهان البعض أن لهذا الرجل صحبة مع الحاج لعنه الله تعالى ، إلا أن ذلك واقعة مشهورة بين الاثنين عُرف ابن يعمر بها ، ومن ذلك فان الشيخ كاشف الغطاء رحمة الله تعالى أشار إلى ذلك الأمر مجرد إشارة لوضو حمه .

وذلك الواقعة يرويها الشيخ الكراجكي (المتوفى سنة ٤٩٤ هـ) في كتابه الشهير كنز الفوائد (١ : ٣٥٧) :

قال : قال الشعبي : كنتُ بواسط ، وكان يوم أضحى ، فحضرت العيد مع الحاج فخطب خطبة بليغة ، فلما انصرف جاءني رسوله ، فأتيته فوجده جالساً مستوفراً ، فقال : يا شعبي ، هذا يوم أضحى ، وقد أردت أن أضحى برجل من أهل العراق ! وأحببت أن تسمع قوله فتعلم أَنْي قد أصبت الرأي فيما أفعل به ! ! .

فقلت : أَيُّهَا الْأَمِير ، لَوْ تَرَى أَنْ تَسْتَسِنْ بِسَنَة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَصْحَّى بِمَا أَمْرَ أَنْ يُصْحَّى بِهِ ، وَتَفْعَلْ مِثْلَ فَعْلِهِ ، وَتَدْعُ مَا أَرْدَتْ أَنْ تَفْعَلْهُ بِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ إِلَى غَيْرِهِ .

فقال : يا شعيب ، إنك إذا سمعت ما يقوله صوبت رأيي فيه ، لكذبه على الله وعلى رسوله ، وإدخاله الشبهة في الإسلام !

قلت : أفيرى الأمير أنْ يعفني من ذلك ؟

قال : لا بد منه .

ثم أمر بنطع فُبسط ، وبالسياف فاحضر ، وقال : احضروا الشيخ .

فأتوه به ، فإذا هو يحيى بن يعمر ، فاغتممت غماً شديداً ، وقلت في نفسي : وأي شيء يقوله يحيى مما يجب قتله .

فقال له الحجاج : أنت تزعم أنك زعيم أهل العراق ؟ .

قال يحيى : أنا فقيه من فقهاء أهل العراق .

قال : فمن أى فقهك ؟ عمت أن الحسن والحسين من ذي ية ، سهل الله ؟

قال : ما أنا زاعم ذلك ، يا قائنا بحق .

قال : ويأي حق قلت ؟

قال : بكتاب الله عز وجل .

فنظر إلى الحاج وقال : اسمع ما يقول ، فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه ، أتعرف أنت في كتاب الله عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه [وآلها] ؟

فجعلتُ أفكِّر في ذلك ، فلم أجده في القرآن شيئاً يدل على ذلك .

وفكرَ الحاج ملياً ثم قال ليجي : لعلك تريدين قول الله عز وجل :

{ فَمَنْ حَاجَكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } ، سورة آل عمران (٣) : ٦١ .

وأن رسول الله صلى الله عليه [وآلها] حرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين [عليهم السلام] ؟

قال الشعبي : فكأنما أهدى لقلي سروراً ، وقلتُ في نفسي : قد خلص يحيى . وكان الحاج حافظاً للقرآن !

فقال يحيى : والله إنها لحجة في ذلك بليغة ، ولكن ليس منها أحتاج لما قلتُ . فاصفر وجه الحاج وأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال : إن حجت من كتاب الله بغيرها في ذلك فلك عشرة آلاف درهم ، وإن لم تأت بها فأنا في حلٍ من دمك .

قال : نعم .

قال الشعبي : فغمي قوله وقلت [في نفسي] : أما كان في الذي نزع به الحاج ما يحتاج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه ، ويتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه ، فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجته لغلا يدعى أنه قد علم ما جهله هو .

فقال يحيى : قول الله عز وجل : { وَمِنْ ذرِيَّتِهِ دَاؤُدْ وَسَلِيمَانَ } ، (سورة الأنعام : ٨٤) منْ عنى بذلك ؟

قال الحاج : إبراهيم .

قال : فداود وسلامان منْ ذريته ؟

قال : نعم .

قال يحيى : ومنْ نص الله تعالى عليه بعد هذا أنه منْ ذريته ؟

فقرأ الحاج : { وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ تَجْرِي الْمُحْسِنُونَ } .

قال يحيى : ومن؟

قال : { وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى } .

قال يحيى : ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم ولا أب له؟

قال : من قِبْلَ أُمّهٗ مريم .

قال يحيى : فَمَنْ أَقْرَبُ ، مريم مِنْ إِبْرَاهِيمَ أُمَّ فَاطِمَةَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَعِيسَى مِنْ إِبْرَاهِيمَ أُمَّ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

قال الشعبي : فَكَانَ أَقْمَهُ حِجَراً .

فقال : أطلقوه قبحه الله ، وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم ، لا يبارك الله له فيها

تعدادهم وذكر أدلة تشيعهم ؟

أهؤلاء الذين أرادوا هدم الإسلام ؟ أم الطبقة الأخرى من التابعين وتابعهم ، وهم مؤسسو علوم الإسلام ؟ كأبي الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو ، والخليل بن أحمد الفراهيدي مؤسس علم اللغة والعروض ، أم أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء مؤسس علم الصرف الذي نصَّ السيوطي في الجزء الثاني من المزهر وغيره أنه كان شيعياً ^١ ، ويعقوب بن إسحاق السكريت إمام العربية ؟

أم مؤسسو علم التفسير ؟ وأوّلهم الحبر عبد الله بن عباس وتشييعه كنارٍ على علم ، وجابر بن عبد الله الأنباري ، وأبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وأوّل مفسر جمع علوم القرآن وهو محمد بن عمر الواقدي الذي ذكره ابن النديم وغيره ونصَّ على تشيعه واسم تفسيره "الرغيب" ^٢ ؟

أم مؤسس علم الحديث ؟ وهو أبو رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، صاحب كتاب (الأحكام والسنن والقضايا) وهو من المختصين بأمير المؤمنين عليه السلام وصاحب بيت ماله بالكوفة ، ثم تلاه ولده علي بن أبي رافع ^٣ ، كاتب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أوّل من صنف في الفقه

^١ المزهر ٢ : ٤٠٠ .

^٢ فهرست ابن النديم : ١٩٤ .

^٣ انظر : تأسيس الشيعة : ٢٨٣ ، و ٢٩٨ ، رجال التحاشى : ٢١٦ ، رجال ابن داود : ١٣٤ | ١١١ ، تنقية المقال ٢ : ٢٦٣ ، الكني والألقاب ١ : ٧٤ ، الخلاصة : ٦٨ | ١٠٢ ، أعيان الشيعة : ٨ | ١٥١ .

بعد أبيه . ثم أخوه عبيد الله بن أبي رافع ، وهو أول من ألف من المسلمين في التاريخ وضبط الحوادث والآثار^١ .

أم مؤسسو علم الكلام ؟ وأول من تكلم في علم الكلام أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ، وألف فيه كتاباً جليلة ، ثم عيسى بن روضة التابعي الذي بقي إلى أيام أبي جعفر ، وهما أسبق من واصل بن عطاء وأبي حنيفة الذي زعم السيوطي أنهما أول من صنف في الكلام .

ثم تلاهما من أعلام الشيعة في علم الكلام قيس الماصر ، ومحمد ابن علي الأحول — المعروف عندنا بعمن الطاق وعند غيرنا بشيطان الطاق — وآل نوبخت^٢ وهم عائلة علم جليلة استمرت سلسلتهم أكثر من مائة سنة ، ولهم مؤلفات عالية كـ (فصيحة الياقوت) وغيره ، وهشام بن الحكم ، والأحول والماصر ، وتلاميذهم كأبي جعفر البغدادي السكاك ، وأبي مالك الضحاك الحضرمي ، وهشام بن سالم ، ويونس بن يعقوب ، ونظرائهم .

هؤلاء هم الذين دوّنوا علماء المذاهب من المسلمين وغيرهم من الملاحدة وغيرهم في الجدل والاحتجاج حتى أوقعوهم في المضيق ، وسدوا عليهم الطريق في التوحيد والإمامية وغيرهما ، ولو أن أحداً يتصدى لجمع

^١ انظر : تأسيس الشيعة : ٢٣٢ و ٢٨١ ، تنجيح المقال ٢ : ٢٣٧ ، فهرست الطوسي : ٤٦٦ | ١٥٧ ، الخلاصة : ١١٢ | ٢

، رجال الطوسي : ٤٧ | ١٧ ، الكني والألقاب ١ : ٧٤ ، تهذيب التهذيب ٧ : ١١ .

^٢ أسرة جليلة وعريقة في العلم والمعروفة ، أصلهم من الفرس ، كان أول من أسلم منهم جدهم نوبخت الذي يتسبون إليه ، وكان مقرباً من أبي جعفر المنصور .

ونوبخت لفظ فارسي مركب من كلمتين (نو) أي جديد ، و (بخت) أي حظ ، ومعناه : الحظ الجديد ، برع منها الكثير من العلماء وال فلاسفة والمؤرخين والكتاب والأدباء والشعراء والوزراء ، راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٢ : ٩٣ .

مناظرات كلّ واحد منهم المنتشرة في متفرقات مؤلّفات أصحابنا ، جاء لكلّ واحد كتاب مفرد ، على الأخص هشام بن الحكم ، كما أثنا لو أردننا أنْ تُحصي فلاسفة الشّيعة وحكماءها ومتكلميها لاستوعب ذلك عدة مجلدات .

قُل لنا يا صاحب (فجر الإسلام) : أهؤلاء الذين أرادوا هدم الإسلام ، أم الذين أسسوا علم السير والآثار ، ودوّنوا سيرة النبي صلّى الله عليه وآله ومعجزاته وغزواته وكرم أخلاقه ، وأوّل من صنف ذلك من علماء الإسلام أبان ابن عثمان الأحمر التابعي المتوفى سنة (١٤٠ هـ) من أصحاب الصادق عليه السلام ، ثم هشام بن السائب الكلبي ، ومحمد بن إسحاق المطلي ، وأبو مخنف الأزدي ، وكلّ من كتب في هذا الفن فهو عيال عليهم . والجميع من أعلام الشيعة بالاتفاق .

ثم تلاهم أعظم المؤرّخين وأوثقهم ، وكلّهم من الشّيعة ، كأحمد بن محمد بن خالد البرقي صاحب كتاب (المحسن) ، ونصر بن مزاحم المنقري ، وإبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي ، وعبد العزيز الجلودي البصري الإمامي ، واليعقوبي أحمد بن يعقوب المطبوع تاريخه في أوروبا وفي النجف ، ومحمد بن زكريا ، وأبي عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع ، والمسعودي صاحب (مروج الذهب) ، ومحمد بن علي بن طباطبا صاحب (الآداب السلطانية)^١ ، وكثير من أمثالهم ممّن يضيق التعداد عن حصرهم.

ثم اعطف نظرك على أشهر شعراء الإسلام ، وذوي الرّaiات والأعلام

^١ الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ويعرف باسم (الفخرى في الآداب) .

قال عنه الطهراني رحمه الله في الذريعة (١٦ : ١٢٥) : هو في تاريخ الخلافة الإسلامية إلى انقراض بني العباس وتسلّط هولاكو على بغداد في (٦٥٦ هـ) .

ألفه في مدة أوّلها جمادى الآخرة سنة (٧٠١ هـ) وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة في الموصى الحدباء باسم وبهها فخر الدين عيسى بن إبراهيم .

منهم ، فهل تجدهم إلا من الشيعة ، وهم على طبقات :

الطبقة الأولى: طبقة الصَّحابيين : وأعظم شعراء هذه الطبقة كُلُّهم من الشيعة ، أوَّلُهم النابغة الجعدي ، شهد مع أمير المؤمنين عليه السَّلام صفين ، وله فيها أراجيز مشهورة ^١ ، وعروة بن زيد الخيل ، وكان معه بصفين أيضًا (راجع الأغاني) ^٢ ، ولبيد بن ربيعة العامري نصًّا جماعة على تشيعه ^٣ ، وأبو الطفيلي عامر بن وائلة المشهور ، وأبو الأسود الدؤلي ، وكتب بن زهير صاحب (بانت سعاد) ، وكثير من نظائرهم .

^١ روى نصر بن مزاحم في وقعة صفين (صفحة ٣٥٥) للنابغة الجعدي جملة من الأبيات الشعرية ألقاها في أيام تلك الواقعة ، منها :

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا مَضِيَّ مَا قَدْ * مَضِيَّ وَتَجَلَّ الْأَمْرُ لِلَّهِ الْأَحَلِ
مَا يُظْنِنُ بِنَاسٍ قَلُوْا * أَهْلَ صَفِينَ وَأَصْحَابَ الْجَمْلِ
أَيَّـنَامُونَ إِذَا مَا ظَلَمُوا * أَمْ يَـسِيْطُونَ بَحْوَفٍ وَوَحَـلِ

^٢ قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (١٧ : ٢٥٨) : كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة ، وكان فارساً شاعر ، شهد القادسية فحسن بلاوه فيها ، وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين ، وعاش إلى إماراة معاوية ، فأراده على البراءة من علي عليه السلام ، فامتنع عليه ، وقال :

يُحَاوِلُنِي معاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ * وَلَيْسَ إِلَى الذِّي يَهُوَ سَبِيلُ
عَلَى جَحْدِي أَبَا حَسْنٍ عَلَيْهِ * وَحَظِيَ مِنْ أَبَا حَسْنٍ حَلِيلٌ
قال : وله أشعار كثيرة.

^٣ راجع ترجمتنا له في الملحقات الخاصة بالترجم .

الطبقة الثانية: المعاصرة لطبقة التابعين : كالفرزدق ، والكميت ، وكثير عزّة ، والسيد الحميري ، وقيس بن ذريح وأقرانهم .

الطبقة الثالثة: من بعدهم من أهل القرن الثاني : كدعل الخزاعي ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحري ، وديك الجن عبد السلام ، وأبي

الشِّيْصُ ، وَالْحَسِينُ بْنُ الْضَّحَّاكَ ، وَابْنُ الرُّومِيِّ ، وَمُنْصُورُ النَّمَرِيِّ ، وَالْأَشْجَعُ الْأَسْلَمِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَهِيبٍ ، وَصَرِيعُ الْغَوَانِيِّ .

وبالجملة : فجّل شعراء الدولة العباسية في هذا القرن والّذي بعده كانوا من الشّيعة ، عدا مروان بن أبي حفصة وأولاده .

وكذلك الطبقة الرابعة أهل القرن الرابع من الثلاثمائة فما بعد : مثل متنى الغرب ابن هانى الأندلسى ، وابن التعاويني ، والحسين بن الحاج صالح المخون ، والمهيار الديلمى ، وأمير الشعراء الذى قيل فيه : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، وهو أبو فراس الحمدانى . وكشاجم ، والناثى الصغير ، والناثى الكبير ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع الهمدانى ، والطغرائى ، وجعفر شمس الخلافة ، والسرى الرفاء ، وعمارة اليمىنى ، والوداعى ، والخبز أرزي ، والزاھى ، وابن بسّام البغدادى ، والسبط ابن التعاويني ، والسلامى ، والنامى .

وبالجملة : فأكثر شعراء (يتيمة العالٰي) — وهي أربع مجلدات — من الشّيعة ، حتى اشتهر وشاع من يقول : (وهلْ تَرَى مِنْ أَدِيبٍ غَيْرَ شِيعيٍّ) .

وإذا أرادوا أن يُبالغوا في رقة شعر الرجل وحسنه قالوا : يتَرَفَّضُ في شعره .

وقد يُعد المتنى وأبو العلاء أيضاً من الشيعة ، وربما تشهد بعض أشعارهم بذلك ، راجع الجزء الثاني من (المراجعات الريحانية) ^١ وافهم

١ من مؤلفات الشّيخ رحمة الله تعالى برحمته الواسعة ، يُعرف أيضًا باسم (النقوذ والردود) ، و (المطالعات والمراجعةات) ، يقع في جزءين ، الجزء الأول منه طُبع لأول مرة في بيروت عام (١٣٣١ هـ) ، وفيه مراجعة مع أمين بن فارس البجاني ، المعروف بالريحياني (ت ١٣٥٩ هجرية—) حول نقده لكتاب المؤلف رحمة الله المسمى بـ (الذين والإسلام) ، وهو يقع في جزءين أيضًا ، أوَّلُهُما في فلسفة الدين الإسلامي ، واثبات الصانع ، والتَّوحيد ، والعدل ، وما يتعلّق بهما ، والثانِي في إثبات النبوة .

هذا وتدبر.

هذا سوى شعراء الشيعة من قريش خاصة ، مثل : الفضل بن العباس ابن عتبة بن أبي هب ، المُترجم في الأغاني وغيره ، وكأبي دهبل الجمحي وهب بن ربيعة.

أو من العلوين خاصة . كالشريفين الرضي والمرتضى ، والشريف أبي الحسن علي الحماني بن الشريف الشاعر محمد بن جعفر بن محمد الشريف بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وكلهم شعراء ، وكان الحماني يقول : أنا شاعر وأبي شاعر وجدي شاعر . ومحمد بن صالح العلوي الذي ترجمه في الأغاني وذكر له نفائس الشعر^١ ، والشريف ابن الشجري . . . إلى كثير من أمثالهم من شعراء الشيعة العلوين .

راجع كتاب (نسمة السحر فيمن تشيع وشعر) ^٢ للشريف اليماني تجد نبذة صالحة منهم .
بل ومن شعراء الأميين الشيعة : كعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان

وأما الجزء الثاني من المطالعات فقد طبع أول مرة في صيدا عام (١٣٣١ هـ) أيضاً ، وفيه بعض المراجعات الريحانية ، والنقد لتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان .

وفي آخره (عين الميزان) الذي هو نقد لكتاب (ميزان الجرح والتعدديل) للقاسمي . راجع . الذريعة ٤ : ٢٩٥ و ٨ : ٢٩٣ ، معجم المؤلفين ٣ : ١٠٠ .

^١ الأغاني ١٦ : ٣٦٠ — ٣٧٢ .

^٢ قال الشيخ الطهراني رحمه الله تعالى في الذريعة (٢٤ : ١٥٤) : (نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر) : فهرس بعض شعراء الشيعة ، لضياء الدين يوسف بن يحيى الصناعي اليماني (١٠٧٨ — ١٢١ هـ) فرغ من الكتاب في ١٣ رجب عام (١١١١ هـ) ثم ضم إليه ملحقاته إلى حين الوفاة .

ابن الحكم^١ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وموان بن محمد السروجي أموي شيعي ، هكذا ذكره الزمخشري في (ربيع الأبرار) على ما يخطر بباله وأنشد له :

يَا بَنِي هَاشِمَ بْنَ عَبْدِ مُنَافٍ * أَنَّنِي (مِنْكُمْ)^٢ بِكُلِّ مَكَانٍ
 أَنْتُمْ صَفَوْةُ الْإِلَهِ وَمِنْكُمْ * جَعْفُرُ ذُو الْجَنَاحِ وَالطَّبَرَانِ
 وَعَلَيْ وَحْمَزَةُ أَسْدُ اللَّهِ * وَبِنَتِ النَّبِيِّ وَالْحَسَنَانِ
 وَلَئِنْ كُنْتُ مِنْ أُمَّةِ أَنِي * لَبَرِيءٌ مِّنْهُمْ إِلَى الرَّحْمَنِ^٣

وهو في مجلدين يشمل الأول على (٨٥) ترجمة ، إلا أنه لم يذكر إلا المشهورين من الشعراء ، فان المثل السائر حتى القرن الرابع كان يقول : هل رأيت أدبياً غير شيعي .

^١ روى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (١٣ : ٢٦٣) : أن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي كان عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليهما السلام ، فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال :

أَبْلَغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَكُنْ * كَمُوتِرْ أَقْوَاسِ وَلَيْسَ لَهَا نَسْبٌ
 لَهَامَ بِجَنْبِ الطَّفِّ أَذْنَى قَرَابَةً * مِنْ أَبْنِ زَيَادٍ الْوَعْدِ ذِي الْحَسَبِ الرَّذْلِ
 سُمِّيَّ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى * وَبِنَتْ رَسُولُ اللَّهِ لِيُسَّ لَهَا سَلْ

^٢ كذلك في ربيع الأبرار ، وفي معجم الشعراء (٣٢١) : معكم ، ولعلها أنساب .

^٣ نعم ، ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار ١ : ٤٩٢ ، ومثله المرزباني في معجم الشعراء : ٣٢١ ، حيث قال : موان بن محمد السروجي ، من بني أمية ، من أهل سروج بديار مصر ، كان شيعياً ، وهو القائل . . . وذكر الأبيات أعلاه .

وكأبي الفرج الأصبهاني صاحب (الأغاني) و (مقاتل الطالبين) ، وكالأبيوردي الأموي الشاعر المشهور صاحب (النجديات) و (العراقيلات) ، وغيرهم ممَّن لا تحضرني السّاعة أسماؤهم ، و كنت [قد] وقفتُ على جماعة من الشيعة الأمويين ، ولكنّي اكتب هذا الكتاب على جري القلم ، وترسلَ الطبع ، وما هو العتيد الحاضر في الخاطر ، من دون تجديد مراجعة كتاب أو مطالعة باب .

ثم اعطف نظرك على أعلام الملوك والأمراء والكتاب والوزراء من الشيعة كالدولة الفاطمية ، والبوهيمية ، والحمدانيين ، وبني مزيد بن صدقة ، وبني دُبيس ، وعمران بن شاهين أمير البطائح ، والمقلد بن المسيب العقيلي ، وقرداش بن المسيب .

بل وأعلام الخلفاء العباسين : كالمأمون ، والمنتصر ، والمعتصم أحمد بن الموفق ، والناصر أحمد بن المستضيء ، وهو أشهرهم في التظاهر بالتشييع وأشعاره ومراجعته مع الملك الأفضل علي بن يوسف صلاح الدين الأيوبي الصربي في غلواهم بالتشييع مشهورة^١ والمستنصر ، وذي القرنين التغلبي وجيه الدولة أبي مطاع ، وقيم بن المعز بن باديس ملك أفريقيا والمغرب ، وكثير من أمثالهم مما لا مجال لعداد أسمائهم فضلاً عن ترجمة أحواهم وأنبائهم .

ثم اسبر أكابر الوزراء في الإسلام ، فهل تجدهم إلا من الشيعة ، كإسحاق الكاتب ، ولعله أول من سُمي وزيراً في الإسلام ، قبل الدولة العباسية ، وأبي سلمة الخلال حفص بن سليمان الهمداني الكوفي ، أول وزير لأول خليفة عباسي ، استوزره السفاح وفوض جميع الأمور إليه لفضله وكفاءته ، ولقب^٢ (وزير آل محمد) ثم قتله السفاح حين أحسن منه بالتشييع لآل علي عليهم السلام .

وكأبي عبد الله يعقوب بن داود ، وزير المهدى الذي تولى تدبير جميع الأمور حتى قيل فيه :

بَنِيْ اُمِّيَّةَ هُبُّوا طَالَ تَوَمَّكُمْ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوَدِ^٣

^١ أورد هذه المراجعة السيد حسن الأمين رحمه الله في أعيانه ٢ : ٥٠٧ ، والقمي رحمه الله في كتابه ٣ : ١٩٥ ، فلتراجع .

^٢ قيل : إن قاتل هذين البيتين الشعريين هو بشار بن برد ، الشاعر الأعمى المعروف ، الذي لم يلبث بعد ذلك أن هجا المهدى بجملة من الأبيات التي نعرض عن ذكرها ، ففتحين به المهدى الفرصة حتى قتله .

أنظر : أمالى السيد المرتضى ١ : ١٤١ ، الأغانى ٣ : ٣٤٢ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٣٤٧ ، ديوان الشاعر ٣ : ٩٤ .

وحبسه المهدى أخيراً في المطبق^١ لتشييعه أيضاً إلى أن أخرجه الرشيد .

ومن بيوتات الوزارة من الشيعة : بنو نوجخت ، وبنو سهل وزراء المؤمن كالفضل بن سهل ، والحسن بن سهل .

وبنو الفرات^٢ : أبو الحسن علي بن محمد ، تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات ، وأبو الفضل جعفر ، وأبو الفتح الفضل بن جعفر .

وبنو العميد محمد بن الحسين بن العميد ، وابنه ذو الكفائيين أبو الفتح علي بن محمد ، وزراء ركن الدولة .

وبنو طاهر الخزاعي وزراء المؤمن ومن بعده ، والوزير المھلی الحسن ابن هارون ، وأبو دلف العجلي ، والصاحب بن عباد ، وداهية السياسة أبو القاسم الوزير المغربي ، ومؤسس الدولة الفاطمية رجل الدولة والسياسة أبو عبد الله الحسين بن زكريا المعروف بـ (الشيعي) ، وإبراهيم بن العباس

^١ سجن مظلم تحت الأرض يوضع فيه من لا يوافق هوى الحكم العباسيين ، وهي سياسة ثابتة يتلقى عليها كل الطواغيت في جميع الأنصار وعلى طول الدهور ، وإن خضعت — مع مرور الأزمنة — للمؤثرات التقنية لتواءك التقدم العلمي بالشكل الذي يتناسب وأمزجة الحكم وحبهم لسفك الدماء . فلا غرابة فيما نقرأه من أشكال هذه السجون ، ووحشة ترتيبها في عصر العباسيين والأمويين آنذاك ، لأنما في أيامنا هذه لم تعد إلا كلعب الأطفال قياساً بما نراه ونسمعه من أشكال ونظم السجون والمعتقلات التي تحرر بها الكثير من الدول المبتلة بالأنظمة الجائرة ، والحكومات الفاسدة .

^٢ أسرة شيعية ، أصلهم من صديقين من أعمال الدجبل ، وكانوا من العوائل المشهورة المعروفة بالفضل والكرم والنبل .

الصولي الكاتب الشهير في دولة الم توكل ، وطلائع بن رزيك أحد وزراء الفاطمية المشاهير ، والأفضل أمير الجيوش في مصر وأولاده ، وأبو الحسن جعفر بن محمد بن فطير ، وأبو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وزير المستظهر ، ومؤيد الدين محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقاد ، تولى الوزارة للناصر ثم للظاهر ثم للمستنصر .

والحسن بن سليمان ، أحد كتاب البرامكة ويعرف بـ " الشيعي " أيضاً كما في كتاب " الأوراق " للصولي ^١ .

ويحيى بن سلامة الحصكي ، وابن النديم صاحب (الفهرست) ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف وأخوه أبو محمد القاسم — انظر في كتاب الأوراق للصولي قصائد البديعة في مدح أهل البيت ومراثيهم — وكانا من أعيان الكتاب والمتقدمين في عصر المؤمن ومنْ بعده ، وكذلك إبراهيم بن يوسف ، وأولادهم .

والإمام في علوم العربية والنواذر : أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، صاحب المعجم الذي نصَّ السمعاني ^٢ وغيره على تشيعه واعتزاله ^٣ . إلى كثير يضيق [عنهم] الإحصاء .

^١ الأوراق .

^٢ الأنساب للسمعاني : ٥٢١ .

^٣ في هامش نسخنا : التشيع بالمعنى الخاص يعني الاعتراف ، ويكتفي في تحقيق المبادئ أن الشيعة تتغول بالنص والمعزلة لا تتغول به ، ولكن كثيراً من الشيعة كانوا يتظاهرون بالاعتراف ، لصلحة كانت يقتضيها ذلك الوقت ، ومنهم يحيى بن زيد العلوى ، الذي ينقل عنه ابن أبي الحديد جملة من التحقيقات العالية ، فليفهم هذا . انتهى .

أقول : نعم ، إن ما ذهب إليه السمعاني من الخلط في النسبة بين عقайдتين تستقل كلُّ واحدة منها عن الأخرى بعقائدها الخاصة بها ، والتي يجد الباحث عند استقراء هذه العقائد وضوح وجلاء هذا الاختلاف الذي قد يصل في أحيان عديدة إلى حالة تناقض لا يمكن معها الإغضاء أبداً عن ذلك الواقع الثابت مهما يلتحم إليه البعض من الخلط والتأنويل والإفحام . . .

نعم ، ليس ذلك بالأمر الذي تفرد هو به ، بل تجد هذا الخلط الممحوج والمستهجن طافحاً على سطح العديد من المؤلفات القدمة والحديثة ، حتى إن وقبل فترة قصيرة عندما كنت مشاركاً بمجهد متواضع في المؤتمر العالمي الخاص بالذكرى الألفية لوفاة الشیخ المفید رحمه الله تعالى برحمته الواسعة (١٤١٣ هـ) أثار تعجبي تردید هذه العبارة الباهتة من قبل بعض الأساتذة والباحثين ، بشكل لا يجد المرء أمامه إلا التسلیم بسريان حالة الفهم السطحي وغير العلمي لخصائص كل عقيدة من هاتين العقائدتين باعتماد أفق ضيق في دراسة كلِّ منها — كما وجدته في عمل المستشرق آدم متر أثناء حديثه عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، المجري باعتماده على كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق فحسب لتقييم الصلة بين الشيعة والمعزلة!! — والتردد الحرفي وغير العلمي لما ورد في كتابات أولئك المستشرقين — كما يتبيّن ذلك في كتاب فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين — أو بعض السابقين من جهودوا في تبرير الشيعة الإمامية من كل خصائصهم وعقائدهم ، استجابة لرادارات الحكام آنذاك من الذين دفعهم التبعص البغيض والتجزُّب الأعمى لمذهبهم ، وعدائهم الواضح لأهل البيت عليهم السلام ، إلى اتخاذ هذا الموقف المتنوِّي والمفضوح من عقائد الشيعة الإمامية وأفكارها ، يضاف إلى ذلك — وهو الأهم — دأب أولئك الحكام على إيقاد نار الخلاف والتراحر الفكرى والعقائدي بين فرق المسلمين المختلفة وتأجيجها في محاولة منهم لصرف أذهان الناس عن تلمس الوضع المزري التي تعيشه شعوبهم المغلوبة على أمرها ، كنتيجة منطقية لتسلط جملة مشخصة من الأقافين وال fasidin على رقاب الأئمة ، وانغماسهم في اللهو واصطياد المتع الرخيصة ومنادمة الجواري والغلمان ، واسراعهم أبواب بيوت مال المسلمين أمام المغنين والراقصين والماجنيين وغيرهم ، حين يُحرم من ذلك المال أصحابه الشرعيين ، ومن يبني على أنُّ صرف تلك الاموال فيهم . . . فكان إيقاد ذلك الخلاف والاختلاف بين الفرق الإسلامية المختلفة خيراً وسليلاً لصرف أذهان زعماء تلك المذاهب والفرق واتباعهم عن الاتقاء الجدي إلى ذلك الأمر ، لأنَّ ساحة المنازلة القسرية تكون في محاولة الدفاع عن وجودهم الفكرى والعقائدي قبلة التحدىات الفكرية المطروحة أمامهم ، وهذا ما سعى له الحكام آنذاك وأتباعهم ، فكان ورغم ما نتج عنه من نتاجات واسعة شكلت وبالتالي البنية الأساسية لحملة من عقائد الفرق المختلفة ، وتأكيد المسوقة المستقلة للمذاهب المتعددة ، إلا أنها وفي مواضع كثيرة — وذلك مما يثير الآسى والأسف — كانت أشبه بساحة قتال غير عقلانية ، انشغل فيها المسلمون من أتباع تلك

(۱۷۳)

الفرق المختلفة باحتمامهم البعض للآخر ، والطعن فيه وتكفирه ، بل واشتداد حدة هذا الخلاف بينهم حتى تصل في أحيان عده إلى وقوع صراعات دموية مؤسفة أریقت فيها الدماء ، واستبيحت فيها الأموال والأعراض !

بلى إن ذلك كان مما يروق لآئلوك الحكام وبلج صدورهم ، بل ومداعاة لإطالة أمد حكمهم ، وتلك حقيقة لا يعسر على أحد تلمسها وإدراكها . من خلال مراجعة الفترة الزمنية التي شهدت ولادة العديد من تلك الفرق إبان القرن الهجري الثاني وما بعده ، وانضواء الكثيرين وتباعهم لزعماء تلك المذاهب ومفكريها ، وبالتالي توظيف إمكاناتهم المختلفة في الدفاع عن هذه عقائد ورد عقائد الآخرين وتهينها .

هذا في الوقت الذي كان فيه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يواصلون جهدهم الرصين في خدمة هذا الدين الحنيف ، حيث كانت تعج مدارسهم ومحالسهم — في الكوفة والبصرة وبغداد — بالآلاف من الطلبة والدارسين ، ويتراوح عدد شيعتهم ومربيدهم بشكل بين أقلق المراكز الفاسدة وأعوانها ، بل وحتى رموز بعض المذاهب الإسلامية المختلفة مع الأسف الكبير ، فكانوا في أحيان كثيرة عوناً مع السلطة الظالمة على إخوائهم في الدين ، فتأمل .

ثم إنَّ الملفت للنظر كون حدة ذلك الصراع الفكري آنذاك كانت على أشدّها بين مدرستين كبيرتين هما : الأشاعرة ، والمعزلة ، وحيث تتلخص قضية ذلك الخلاف في جمود المحدثين والفقهاء على النص ، وعزّلهم العقل عن الدين ، بل وتجريده عن جميع صلاحياته الثابتة والتي نادت بها جميع الأديان ، حين كان يقابلهم — على الضد — موقف المعزلة المفرط في تحكيم العقل ، وبالشكل الذي أثار الطرف الآخر ، فحدثت بينهما هذه الفجوة الرهيبة .

هذا والحكام يجدون في ذلك الأمر تدعيمًا لأركان حكمهم ، وتبنيًا لملكتهم ، فوقعوا إلى جانب الأشاعرة — بعد أنْ كانوا ميالين إلى المعزلة ومقررين لهم — وتبناوا آرائهم ، وطعنوا في آراء الآخرين بعد أنْ أفرووا أربعة من المذاهب الفقهية الإسلامية وأعرضوا عن غيرها .

إنَّ هذا الموقف المتعجرف دفع إلى الظل بالكثير من الآراء والعقائد الأخرى ، وبالتالي تحية المحال خدم السلطة والمحاربين من أتباع المذهب الذي تؤمن به السلطة إلى الطعن بعقائد الآخرين ، وتزييف الكثير من الحقائق والتواتر ، وتركيز جملة مشوشة وهجينة من الأطروحات الباهتة ، ومن ضمنها هذا الخلط الواضح بين عقائد الشيعة الإمامية وبين عقائد المعزلة .

ونحن وإنْ لم نكن في معرض إثبات بطلان الشبهات القائلة بأنَّ الإمامية عيال على المعزلة في أصول عقائدهم ، أو أنهن مقلِّدون لهم ، أو غير ذلك من التفاهات المردودة ، والتي تصدى لإثبات بطلانها وردها الكثير من علماء الطائفة ومفكريها بشكل واضح وحلي لا جدوى من الاستفاضة في التعرُّض له ، مع إدراكنا الواضح بأنَّ المحال هنا لا يتسع لها ، إلاً إنا سنحاول من خلال هذه الأسطر المحدودة الإشارة المختصرة إلى الاختلافات الجوهرية بين هاتين العقائدتين الإسلاميتين .

فالأصول الخمسة التي تشكل أساس مذهب الاعتزال — والتي هي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمتزلة بين المترلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر— تترتب عليها دون شك جملة مفاهيم وتصورات تشكل القاعدة العقائدية للمعتزلة ، والتي تبدو عند مقارنة الكثير منها بآراء الإمامية شديدة التباين ، واسعة الاختلاف ، ولعل من جملة تلك الآراء المنبعثة عن تلك الأصول ، والتي خالفهم بها الإمامية ، وتعارضوا لهم فيها بالمناقشة والإبطال : قولهم بأنَّ الأشياء كانت قبل حدوثها أشياء ، والجواهر أيضاً كانت في حال عدمها جواهر ، وكذا هو حال الأعراض والألوان والحركات .

ومن ذلك أيضاً : قولهم بأنَّ الإنسان هو الذي يصنع أفعاله بنفسه ، متوافقين في ذلك مع القدرية ، وذاهبين فيه إلى التفويض .

ومن ذلك أيضاً : ما ذهبوا إليه من أنَّ الوفاء بالوعيد واجب على الله تبارك وتعالى ، خلاف الإمامية الذين يذهبون إلى عدم وجوبه .

ومن ذلك أيضاً : قولهم بأنَّ مرتكب الكبيرة بين الإيمان والكفر ، وأنَّه يخلد في النار ، حين إنَّ الإمامية يذهبون إلى اعتباره مؤمناً فاسقاً مستحقاً للعقاب على قدر ما أجرم . يضاف إلى ذلك جملة واسعة من الاختلافات الجوهرية في مسائل الصفات ، والحسن والقبح العقليين ، ووجوب اللطف ، والشفاعة ، والتي شغلت في مؤلفات أصحابنا رحمة الله تعالى مساحات واسعة ، وجوانب مهمة ، بل إنَّ العديد من أعلام الطائفة أفردوا العديد من مؤلفاتهم للرد على عقائد المعتزلة إبان تلك الحقب السالفة والتي شهدت فترة الاحتدام ، والصراع الفكري والعقائدي بين عقائد الفرق الإسلامية المختلفة ، أمثال شيخنا المفید رحمة الله تعالى (ت ٤١٣ هـ) حيث ألف كتاباً في الرد على الجاحظ المعتزلي ، وآخر في نقض فضائل المعتزلة ، وكذا كتابه الشهير (الفصول المختارة) وكتاب (الوعيد) وغيرها ، وحيث تعرض رحمة الله تعالى برحمته الواسعة إلى إبراد جملة آرائهم التي خالفوا بها الشيعة في مطاوي كتابه الشهير المعروف بـ (أوائل المقالات) والتي كان من أوضحها : إنكارهم نص النبي صلى الله عليه وآله على عليه السلام ، مع إنكارهم أيضاً وجود نص بإمامية الحسن والحسين عليهم السلام ، وكذا هو حال الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، حيث أنكروا بأجمعهم أنْ يكون إماماً للأئمة بما يوجب به الإمامة لأحد من أئمة المسلمين ، بل إنهم أنكروا ما تعتقد به الشيعة الإمامية من أنَّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً ، مع مخالفتهم لهم في مسألة عصمة الإمام ، حيث جوزوا أنْ يكون الأئمة عصاة في الباطن ، وأنْ يكونوا أيضاً من يُقارب الذنوب ، ثم إنَّهم أحازوا الإمامة في مَنْ لا معجزة له ، ولا نص عليه ، ولا توقيف ، مع تحويلهم لأن تكون الإمامة في غيربني هاشم ، بل وتحويلهم خلو الأزمان الكثيرة من إمام موجود ، فراجع .

وكذا هو حال سيدنا المرتضى رحمة الله تعالى (ت ٤٣٦ هجرية) والذي كان أبرز ما كتبه في ذلك كتابه الشهير (الشافي) ردًا على كتاب المغنى لعبد الجبار المعتزلي . وغير ذلك ، فنأمل .

راجع : أوائل المقالات : ٤٥ ، كشف المراد : ٢٦١ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : ٢٣٩ ، مقالات الإسلاميين ١ : ٣٣٠ ، شرح المقاصد ٢ : ٢٣٠ ، تاريخ المذاهب الإسلامية : ١٣٨ ، الملل والنحل ١ : ٤٣ ، مذاهب المسلمين : ٤٠ ، شرح الأصول الخمسة : ٦٢٥ وما بعدها ، الملل والنحل من كتاب البحر الزخّار : ١٢ ، الحجور العين : ٢٠٤ .

(164)

.....

ولو أردنا ضبط جميع سلاطين الشيعة ، ومنْ تقلّد الوزارة والإمارة والمناصب العالية —
بعلمهم ، وكتابتهم ، وعظيم خدمتهم للإسلام — لما وسعتهم المجلدات الضخمة والأسفار العديدة .

وقد تصدى والدنا العلامة — أعلى الله مقامه — إلى تراجم طبقات الشيعة ، من علماء ،
وحكماء ، وسلاطين ، ووزراء ، ومنجّمين ، وأطباء — وهكذا — إلى ثلاثين طبقة ، كلّ طبقة
مرتبة على حروف المعجم ، وسّاه (المحصون المنيعة في طبقات الشيعة) فكتب عشرة مجلدات ضخماً
لم تخرج إلى البيضاء ، ومع ذلك لم يأت [إلاّ] على القليل منهم .

ولكنا نريد — أن نقول لصاحب (فجر الإسلام) : إنْ كان هؤلاء الذين ذكرناهم ،
وأضعاف أمثالهم من رجال الشيعة ، الذين أسسوا علوم الإسلام ،

(166)

و شادوا دعائمه ، وأحكموا قوائمه ، إنْ كانوا هم الَّذين يريدون هدم الإسلام ، وأنت وأستاذك الدكتور وزملاؤكم هم الَّذين شيدوا الإسلام وأيدهوه ! إِذَا فعلى الدنيا العفا ، وعلى الإسلام السلام ، ورحمة الله فيلسوف المعرفة حيث يقول :

إِذَا وَصَفَ الطَّائِي بِالْبُخْلِ مَا دَرَ
إِلَى قَوْلِهِ : فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ . . . !

من قصيدة طويلة شهيرة كانت في زمنها محل جدل ونقاش ، لكون المعري قد نسب إلى نفسه في هذه القصيدة أمراً عظيماً من العسير أن ينسبه أحد إلى نفسه ، مطلعها :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ * عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَرَمٌ وَنَائِلٌ
وَحِيثُ يَقُولُ فِي بَعْضِ أَيْيَاهَا :
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ * وَلَا ذَنْبٌ لِي إِلَّا عُلُّ وَالْفَوَاضِلُ
وَقَدْ سَارَ ذَكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ * بِإِحْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَكَاملٌ
يُلْهِمُ الْلَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ * وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ * لَا تِبْغِي بِمَا لَمْ تُسْتَطِعِ الْأَوَابِلِ
وَالبيتان اللذان ذكرهما الشيخ رحمة الله تعالى أعلاه هما :

إِذَا وَصَفَ الطَّائِي بِالْبُخْلِ مَادِرٌ * وَعَيْرَ قَسَّاسًا بِالْفَقَاهَةِ بِاقْلُ
فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ * وَيَا نَفْسُ جِدِي إِنَّ دَهْرَكِ هازِلٌ
أُنْظِرْ : دِيْوَانُ الشَّاعِرِ الْمَسَمَّى بـ (سَقْطُ الزَّنْد) : ١٩٣ .

وما كان شيء من كل هذا من أصل قصدي ، وصمي غرضي ، ولكن جرى القلم به عفواً ، ونمط على القول فيه قهراً ، فعسى أن يعلم الكاتب من أبناء العصر ومن بعدهم — بعد ذا كيف يكتب ، ويتصور ماذا يقول ، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام — وما أشرف من قال — :

"لسانُ العاقلِ مِنْ ورَاءِ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ" ^١.

^١ نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ٤ : ٦٦٧ .

وقال السيد الرضا رحمه الله تعالى تعليقاً على هذا القول : وهذا من المعاني العجيبة الشريفة ، المراد به : أن العاقل لا يطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الروية ، ومؤامرة الفكرة ، والأحقن تسبق حذفات لسانه ، وفلنات كلامه ، مراجعة فكره ، ومحاسبة رأيه ، فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه ، وكان قلب الأحقن تابع لسانه .

أمّا قوله : « إنَّ اليهودية ظهرت في التشِّيُّع بالقول بالرجعة » ! فليت شعرى هل القول بالرجعة أصل من أصول الشيعة وركن من أركان مذهبها حتَّى يكون نبِّأً عليها ، ويقول القائل ظهرت اليهودية فيها !

ومنْ يكون هذا مبلغ علمه عن طائفة أليس كان الأحرى به السُّكوت وعدم التعرُّض لها . إذا لم تستطع أمراً فدعه .

وليس التدِّين بالرجعة في مذهب التشِّيُّع بلازم ، ولا إنكارها بضار ، وإنْ كانت ضرورية عندهم ، ولكن لا يُنطَاط التشِّيُّع بها وجوداً وعدماً ، وليس هي إلَّا كبعض أبناء الغيب ، وحوادث المستقبل ، أشراط الساعَة مثل : نزول عيسى من السَّماء ، وظهور الدجَّال ، وخروج السَّفِّياني ، وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين وما هي من الإسلام في شيء ، ليس إنكارها خروجاً منه ، ولا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه ، وكذا حال الرجعة عند الشيعة .

وعلى فرض أنَّها أصل من أصولهم ، فهل اتفاقهم مع اليهود بهذا يوجب كون اليهودية ظهرت في التشِّيُّع ، وهل يصح أن يقال إنَّ اليهودية ظهرت في الإسلام لأنَّ اليهود يقولون بعبادة إله واحد والمسلمون به قائلون ؟ وهل هذا إلَّا قول زائف ، واستنباط سخيف ؟

ثم هل ترى المتهوّسين على الشِّيَّعة بحديث الرجعة — قدِيمًا وحدِيثًا — عرفوا معنى الرجعة ، والمراد بها عند من يقول بها من الشِّيَّعة ، وأي غرابة واستحالَة في العقول أنَّ سُيُّحي الله سبحانه جماعة من الناس بعد موئم ،

وأي نكر في هذا بعد أنْ وقع مثله بنصِّ الكتاب الكريم ، ألم يسمع المتهوّسون قصة ابن العجوز التي قصها الله سبحانه بقوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفُ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ . . . } ^١

ألم تمر عليهم كريمة قوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا } ^٢ ، مع أنَّ يوم القيمة تُحشر فيه جميع الأمم لا من كُلِّ أُمَّةٍ فوجًا .

وحديث الطعن بالرجعة كان هجيري علماء السنة من العصر الأول إلى هذه العصور ، فكان علماء الجرح والتعديل منهم إذا ذكروا بعض العظاماء من رواة الشيعة ومحدثيهم ، ولم يجدوا مجالاً للطعن فيه — لوثاقته وورعه وأمانته — نبذوه بائنه يقول بالرجعة ، فكأنهم يقولون يعبد صنماً أو يجعل الله شريكاً ! ونادرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة معروفة ^٣ .

وأنا لا أريد أن أثبت في مقامي هذا — ولا غيره — صحة القول بالرجعة ، وليس لها عندي من الاهتمام قدر قلامة ظفر ، ولكنني أردتُ أن أدلّ (فجر الإسلام) ! على موضع غلطه وسوء تحامله .

يقول : الشيعة تقول : « إِنَّ النَّارَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الشِّيعَيِّي إِلَّا قَلِيلًا » ! وما أدرى في أي كتاب من كتب الشيعة وجد هذا ، وهل يليق برجل تربّع على دست النقد والتمحيص للمذاهب والأديان

^١ البقرة ٢٤٣: .

^٢ النحل ٢٧: . ٨٣

^٣ راجع ذلك في ترجمتنا المؤمن الطاق آخر الكتاب .

أنْ يقذف طائفة من المسلمين بشناعة لا يأتي عليها منهم بشاهد ولا برهان ، كيف وهذه كتب
الشِّيَعَةُ كادت أنْ سَمِعَ حَتَّى الأَصْمَ وَالْأَبْكَمْ .

إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ خَلَقَ الْجَنَّةَ مِنْ أَطْعَاهُ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبْشِيًّا ، وَخَلَقَ النَّارَ مِنْ عَصَاهُ وَلَوْ كَانَ سَيِّدًا قَرْشِيًّا ، وَيَرَوُونَ عَنْ أَئْمَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا يَفْوَتُ حَدَّ الْإِحْصَاءِ^١.

١ العريبي أَنْ تجد من تبلغ به الغفلة أو السذاجة هذا الحد من الإسفاف والتطاول الأحوف على طائفة كبيرة من طوائف المسلمين ، لها أصولها وعقائدها المعلنة والصريحة ، والتي ليست هي في محاجر مكهربة ، أو في أقبية سرية لا يطالها أحد ولا يستطيع الوصول إلى قراءة مضامينها باحث ، بل هي بحمد الله تعالى تكتض بها المكتبات العامة والخاصة ، وهي بتناول الجميع دون استثناء ، ناهيك بمن أراد التعرف عليها بصدق وحرص ، فكيف بالله عليك تجد رجلاً مثل أحمد أمين وهو الكاتب المعروف يتخطى هذا التخطيط المخزي وهو يتحدث عن عقائد الشيعة ، فتبليغ به الغفلة هذا الحد وهذا المستوى من الطعن الرخيص والباهت . . . فمن أين له إثبات مدعاه هذا ، والذي يستثير حتى عوام الناس لا مثقفيهم فحسب ، والذي يتناقض تناقضاً صريحاً مع مفهوم الشرعية الإسلامية التي ترتكز عليها العقائد الشيعية ، بل وتبنيت منها . فمن لا يعلم أنَّ الإيمان والعمل مقتربان كل واحد منها بالأخر ، لأن العمل هو الترجمة الواقعية للإيمان ، والتجسيد الفعلي له ، بل ومن لا يعلم أنَّ لا نجاة يومئذ إلا بعمل وتقوى؟! . . . نحن نعتقد أنَّ من لا يقول بذلك غير عاقل ، فكيف بالشيعة وهم يستقون علومهم من دوحة النبوة وشجرتها الوارفة ، أي أهل البيت عليهم السلام ، الذين هم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعذول القرآن ، وأمناء الرسالة !

كما أَنَّه ليس في الشيعة — من أدناها إلى أقصاها — من لا يعلم بذلك ، وهذا أنت ترى الملزمين منهم يصلون ، ويصومون ، ويحجُّون ، ويسارعون في الخيرات ، ويجتنبون المحaram والموبقات .

بل وهذه كتب الإمامية — التي لا عد لها ولا حصر — تنادي بتقوى الله تعالى واتباع أوامره . آلاف الأحاديث وآلاف الاخبار المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كلها ت نحو هذا المنهى الثابت الذي أشرنا إليه .

ثم — ولعل هذا الأمر هو ما فات صاحب فجر الإسلام وقد يفوت غيره إن أردنا أنْ ننحرم العذر في ذلك — لعله قد طرق سمع الدكتور أحمد أمين ، أوقرأ بعض الأخبار المنقولة في جملة من المصادر الحديثية المتواهدة بفضل الشيعة ، والإشادة بمحترفهم ، فتصور أنَّ الأمر هذا يقع على كلٌّ من تسمى باسم الشِّيعة ، أي سريانه على كلٍّ من يعده العرف شيعياً اسمًا لا واقعاً . . . فإذا كان كذلك تصوّره فإنَّ هذا هو الداء العيء ، والخلط العظيم .

إن التشيع لأهل البيت عليهم السلام لا يقترب إلا بالعمل الصالح واتباع أوامر الله تعالى ، والانتهاء عن نواهيه ، ودون ذلك المعنى للتشيع واقعاً إلا تسمية ، وهذه التسمية المجردة لا تغني عن الحق شيئاً ، ولا تعدو كونها انتحال من غير اتصف .

نعم إن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد بيتوا ذلك بوضوح في أكثر من مناسبة ومكان ، من خلال العديد من الأخبار والروايات الصحيحة ، والتي ستحاول أن نورد البعض منها ليطلع عليها من اخندع ببريق كلمات هؤلاء الكتاب دون الرجوع للتبثت من صحة ذلك إلى كتب الشيعة نفسها ، لا بالواسطة :

فقد روى الكليني في الكافي (٢ : ٧٣) بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله لأصحابه : « ألا تذهب بكم المذاهب ، فو الله ما شيعتنا إلّا مِنْ أطاع اللّه عز وجل ». .

وروى في موضع آخر (٢ : ٧٤) : بسنده عن حابر ، عن الإمام محمد بن علي الباير عليه السلام قوله لحابر : « يا حابر ، أياكتفي من يتحلل التشيع ألا يقول بحينا أهل البيت ! فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يُعرفون — يا حابر — إلّا : بالتواضع ، والتخشُّع ، والأمانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم ، والصلوة ، والبر بالوالدين ، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكمة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس ، إلّا من خير

يا حابر ، فو الله ما يُقترب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا على الله لأحد من حجة ، من كان الله مطیعاً فهو لنا ولی ، ومن كان الله عاصیاً فهو لنا عدو ، ولا تناول ولاياتنا إلّا بالعمل والورع ». .

وقوله عليه السلام (الكافي ٢ : ٧٥) : « والله ما معنا من الله براءة ، ولا بيننا وبين الله قرابة ، ولا لنا على الله حجة ، ولا يُقترب إلى الله إلّا بالطاعة ، فمن كان منكم مطیعاً لله تنفعه ولاياتنا ». .

أقول : هؤلاء أئمتنا وسادتنا وقادتنا ، بكم فنتدي ، وبنور علمهم نقتدي ، وهذا هو دينهم الذي ندين به ، وهو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآلـه ، بل وهذه هي أخلاقهم ليست بخافية على أحد ، فهيل عبد الله أن يقول ما يخالف ذلك إلّا أن يكون مغرراً أو كاذباً . فإذا كنا كشيعة نتلمس خطأ أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ونتبع هداهم ، فإن ذلك الأمر يعني بالتالي اتباع الخط الإلهي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآلـه من قبل الله تعالى باتباع الدليل الذي أمرنا به هو صلى الله عليه وآلـه باتباعه ، وحثنا على التمسك به دون تسمية غيره ، أو مجرد الإشارة إليه ، وإلى ذلك يشير بوضوح قوله صلى الله عليه وآلـه : « إلّي تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تختلفون فيهما ». انظر : سنن الترمذى ٥ : ٦٦٢ / ٣٧٨٦ ، ومسند أحمد ٣ : ١٧ و ٥ : ١٨١ ، مستدرک الحاکم ٣ : ١٠٩ او ١٤٨ ، أسد العابدة ٢ : ١٢ .

وإذا كان الشیعی من المتسکین بھذا الجبل المتن ، ومن الآخذین بجنبة أهل هذا البيت الطاهر ، ومن المتمثّلين لأوامرهم التي هي بالتالي عین أوامر رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، المتلقاة من قبل الله تعالى : { وإنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوه وَلَا تَتَّبِعُو السُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ تَقْرُونَ } فلماذا نشكل عليه هذا الفضل ، وهذه الكرامة التي وعد بها .

.....

(171)

نعم باب الشفاعة من النبي والأئمة عليهم السلام لبعض المذنبين باب آخر ، ولعل القول بالشفاعة في الجملة من ضروريات مذهب الإسلام^١ .

وأيضاً نعيد ما قلناه قريباً ، وإنّه لو تنازلنا وأفترضنا أن الشيعة يقول ذلك ، فهل يصح بهذا أنْ يقال [بأنَّ] التشيع أخذ من اليهودية أو [أنَّ] اليهودية ظهرت في التشيع؟ .

وهل يحسن بعاقل أن يقول : أن أبا حنيفة أخذ فقهه من المحسوس لأنّه وافقهم في بعض الفروع في باب النكاح أو غيره^٢ ، ويعضد ذلك أنّه فارسي

١ انظر : صحيح البخاري ٩٠ : (كتاب التيمم) و ٨ : ٨٢ (كتاب الدعوات) ، صحيح مسلم ١ : ١٨٨ (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وآلـهـ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وباب اختباء النبي صلـى اللهـ عليهـ وآلـهـ دعوة الشفاعة لأمـتهـ) و ٤ : ١٧٨٢ (باب تفضيل نبينا على جميع الخلق) ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٤٠ (كتاب الرهد ، باب ذكر الشفاعة) ، موطنـاـ مالـكـ ١ : ٢١٢ (كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء) ، مستندـاـ أحمدـ ٢ : ٢٧٥ ، ٣١٣ ، ٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٨٦ ، ٢ : ٣ ، ١٣٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ١٤٨ .

٢ راجع كتاب المبادئ العامة للفقه الجعفري صفحة ٣١٧ وما بعدها .

(172)

الأصل ؟ أليس يعدّ هذا من سفه القول ، وخطل الآراء التي لا فائدة فيها سوى إيقاد نار الشّحنة والبغضاء بين المسلمين ؟

ثم يقول : « والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم أن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إلى الله » ... !

إنَّ من حق الأمانة على ابن الأمين أنْ يُعيّن المدف ، ولا يرسل في غير سدد وبغير سداد ، كان يجب عليه أن يذكر مَنْ هو القائل بهذا القول من الشيعة .

فهل مراده ما يسمُونهم غلاة الشيعة كالخطابية^١ والغرابية^٢

١ اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي الذي كان يدعى بأنَّ الإمام الصادق عليه السلام جعله قيمه ووصيه من بعده ، وعلمه اسم الله الأعظم ، ثم ادعى بعد ذلك أنه نبي مُرسَل ! وأنَّه من الملائكة ! وغير ذلك من الخرافات والادعاءات الدالة على انحرافه وكفره .

وقيل : إنَّ الأجدع وأصحابه ادعوا بأنَّ الأئمة آله ! وأنَّ أولاد الحسن والحسين عليهما السلام أنبياء الله وأحبائه ! وأحلوا المحارم ، وتركوا الصلاة والصيام والحج ، وغير ذلك .

ولما بلغ الإمام الصادق عليه السلام مقالته ومقالة أصحابه لعنه ولعن أصحابه ، وتبرأ منه ومنهم ، بل وأباح دمه وأمواله هو وجماعةٌ أخرى من المشعوذين ، وأصحاب البدع والكفرية .

راجع : فرق الشيعة : ٤٢ ، التبصير : ١١١ ، الملل والنحل ١ : ١٧٩ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعزلة : ٥٤ ، مروج الذهب ٣ : ٢٢٠ ، مقالات المسلمين ١ : ١٣٣ .

٢ يذهب أصحاب هذه الفرقة الضالة إلى أنَّ الله تبارك وتعالى قد أرسل جبرئيل لعلي عليه السلام ، إلاَّ أنه توهم في ذلك وقد محمدًا صلَّى الله عليه وآلِه بالرسالة لأنَّه يشبهه كما يشبه الغراب !

ومنهم من يدعى بأنَّ الله تعالى قد فوَض أمر تدبیر الخلق لرسول الله صلَّى الله عليه وآلِه وآله فوَض ذلك الأمر لعلي عليه السلام !!

والعلياوية^١ والخمسة^٢ ، والبزيعية^٣ وأشباههم من الفرق الماكرة المنقرضة التي نسبتها إلى الشيعة من الظلم الفاحش ، وما هي إلا من الملاحدة كالقراططة^٤ ونظائرهم ، أمّا الشيعة الإمامية وأئمتهم عليهم السلام فيبرؤون من

بل وتنسب إليهم الكثير من الضلالات المخرجة لهم عن دين الإسلام بغير نقاش .

أنظر : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : ٥٤ ، تأريخ المذاهب الإسلامية : ٤٠ / ٥٣ ، الجور العين : ١٥٥ ، البحر الزخار :

. ٢٥

^١ وقيل العليائية أو العلباوية ، والظاهر أن الأخير هو الأصح ، وهو الموفق لما ذكره الشهري في ملله وقال : بأنهم من أتباع العلاء بن دراع الدوسي أو الأسي .

ويذهب أصحاب هذه الفرقة الضالة — على ما ذكر — إلى أن علي بن أبي طالب عليه السلام ربي — استغفر الله العظيم — وأنه ظهر بالعلوية الماشية ، وأظهر أنه عبده ، وأظهر وليه من عنده ورسوله بالحمدية ، فوافقوا أصحاب أبي الخطاب — لعنه الله — في أربعة أشخاص : علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وأن مضي الأشخاص الثلاثة — فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام — تلبيس ، والحقيقة شخص محمد صلى الله عليه وآله ، لأنه أول هذه الأشخاص في الإمامة ، وأنكروا أيضاً شخص محمد صلى الله عليه وآله وزعموا أنه عبد لعلي عليه السلام ! ! . . إلى آخر سخافتهم وكفرهم .

راجع : رجال الكشي : ٣٩٩ ، مقباس الهدى : ٣٦٢ ، الملل والنحل ١ : ١٧٥ .

^٢ من فرق الغلاة المنحرفة ، والملعوننة على السنة أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم . يذهب أصحاب هذه الفرقة الضالة إلى أن سلمان الفارسي ، وأبا ذر الغفارى ، والمقداد ابن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وعمرو بن أمية الضمرى هم النبيين والموكلين بمصالح العالم من قبل رب ، وأن رب في قوفهم — في جهنم — هو على عليه السلام .

أنظر : مقباس الهدى : ٣٦١ .

^٣ أتباع بزيع بن موسى الحائث الذين يذهبون إلى أنه — لعنه الله — نبي مُرسل كأبي الخطاب المتقدم الذكر ، وأن الإمام الصادق عليه السلام هو الذي أرسله بذلك ! ! فلما سمع خبره الإمام عليه السلام لعنه هو وجماعة من الغلاة والمنحرفين بقوله :

لعنهم الله ، فإننا لا نخلو من كتاب يكذب علينا ، أو عاحز الرأي ، كفانا الله تعالى مؤنة كل كذاب ، وأذاقهم الله حر الحديد .
أنظر : فرق الشيعة : ٤٣ ، رجال الكشي ٢ : ٥٩٣ | ٥٤٩ ، مقالات الإسلاميين : ١٢ .

^١ يذهب التوبيخ في فرقه إلى أن تسمية القرامطة بهذا الاسم تعود إلى رئيس لهم من أهل السواد كان يُلقب بـ (قرمطويه) وكانوا في الأصل يقولون بمقالة المباركة — الذين يزعمون بأن الإمامة بعد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أن كانت لأبيه في حياة الإمام الصادق عليه السلام ، وأسموا بذلك لأن رئيسهم يُدعى المبارك — ثم خالفوهم ، حيث قالوا بأن الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لا تكون إلا في سبعة أئمة هم : علي بن أبي طالب ، وهو إمام رسول ، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي و Georges بن إسماعيل ، وهو عندهم الإمام القائم المهدى ، وهو رسول .

وزعم أولئك — على قول التوبيخ وغيره — أن رسالة النبي صلى الله عليه وآله قد انقطعت يوم غدير حم ، وانتقلت إلى علي عليه السلام ! وكذا حال اللاحقين عند وفاة السابقين لهم .

ثم أن أصحاب هذه الفرقة يذهبون — على ما قيل عنهم — إلى أن الفرائض رموز وإشارات ، وأمر بالاعتصام بالغائب المفقود ، وأباحوا جميع المللات والمنكرات ، واستحلوا استعراض الناس بالسيف ، وغير ذلك مما يناسب إليهم من الضلالات ..

وأما ابن الجوزي فقد ذكر في كتابه المعروف بـ (تلييس إبليس) : أن للمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان : أحدهما : أن رجلاً من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فاظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيته الرسول صلوات الله عليه وعليهم ، ونزل على رجل يُقال له (كرميته) لقب بهذه عينيه ، وهو بالنطية حاد العين ، فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام ، فرقَت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه ، فلما طُلب ولم يوجد شاع الخبر وزاد افتتان الناس به ، فتوجه من هناك إلى الشام .

وأمّا وجه تسميته بذلك : فإنه أُسْمِي أول الأمر بـ "كرميته" أي اسم الرجل الذي كان نازلاً عنده ، ثم حُفِّف فقيل : "قرمط" ثم توارث مكانه أهله وأولاده .

وقيل : إنما عُرف حمدان هذا بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وقارب خطوه ، وكان يقال له : صاحب الحال ، والمدثر ، والمطوق .

وكان ابتداء أمره في سنة (٢٦٤ هـ) وحيث كان ظهوره بسواد الكوفة ، واشتهر مذهبه بالعراق .

وللمؤرخين وكتاب الفرق آراء أخرى في نشأتهم وتسمية روادهم الأوائل لا يسعنا هناك التعرض لها ، محيلين القارئ الكريم في ذلك إلى المصادر المختصة بهذا الباب .

(174)

.....

راجع : فرق الشيعة : ٧٢ ، الفصول المختارة : ٢٥١ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعزلة : ٨٤ ، الفرق بين الفرق : ٢٢ ، الملل والنحل ١ : ١٦٧ و ١٩١ ، تأريخ الطبرى ١٠ : ٢٣ ، الكامل في التاريخ ٧ : ٤٤ ، تلبيس إبليس : ١١٠ .

تلك الفرق براءة التحرير^١.

^١ لقد كان موقف الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حاداً وقطعاً في رد وتکفير الغلاة ، بل والبراءة منهم ، ونفي وجود أي صلة لهم بهم .

فهذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : « بُني الكفر على أربعة دعائم : الفسق ، والغلو ، والشك ، والشبهة » .

وأمام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقد قال : « أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه ويصدقه على قوله ، إن أبي حديثي عن أبيه عن جده عليهما السلام : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام : الغلاة ، والقدرية » .

وقال عليه السلام مخاطباً أحد أصحابه : " أيا مازام ، قُل لهم (أي للغالة) توبوا إلى الله تعالى ، فإنكم فساق ، كفار ، مشركون " .

وقال عليه السلام مثيرةً إلى نفي صلة أولئك الغلاة بأهل البيت عليهم السلام : " لعن الله المغيرة بن سعيد ، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعوذة والمخارق ، إن المغيرة كذب على أبي فسلبيه الله الإمام ، وإن قوماً كذبوا علىي ، ما لهم أذاقهم الله حر الحديد ... أبرا الله مما قال في الأجدع البراد عبد بن أسد أبو الخطاب لعنه الله ... أشهدكم : إني امرؤ ولدِي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما معى براءة من الله ، وإن أطعته رحمي ، لأن عصيته عذبني " .

وقال مخاطباً أحد إلى الغلاة (وهو بشار الشعيري) : « أخرج عنك الله ».

وأمام الإمام الرضا عليه السلام فقد قال عنهم : « كان بيان بن سمعان يكذب على علي بن الحسين عليه السلام ، فأذاقه الله تعالى حر الحديد ، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام ، فأذاقه الله تعالى حر الحديد ، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله تعالى حر الحديد ، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله عليه السلام فأذاقه الله تعالى حر الحديد » .

بل وترى الأئمة عليهم السلام يجذرون شيعتهم من أحاديث كان يتحولها أولئك الغلاة على ألسنة الأئمة عليهم السلام ، في محاولة منهم — لعنهم الله تعالى — لكتسب الأنصار والمؤيدين لهم ، فقد روی عن الإمام الصادق عليه السلام قوله محدراً الشيعة من الوقع في حبائدهم : « لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنّة ، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة ، فإن المغيرة

على أن تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى ، بل خلاصة مقالتهم — بل صلالتم — : أنَّ الإمام هو الله سبحانه وظهوراً أو اتحاداً أو حلولاً ، أو نحو ذلك مما يقول به كثير من متصوفة الإسلام ومشاهير مشايخ الطرق ، وقد ينقل عن الحلاج بل والكيلاني والرافعى والبدوى وأمثالهم من الكلمات — وان شئت فسمِّها كما يقولون شطحات — ما يدل بظاهره على أنَّ لهم مترلة فوق الربوبية ، وأنَّ لهم مقاماً زائداً عن الألوهية (لو كان ثمة موضع لمزيد) وقريب من ذلك ما يقول به أرباب وحدة الوجود أو الموجود .

بن سعيد — لعنه الله — دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يُحدث بها أبي ، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى .
وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله » .

وقال عليه السلام أيضاً : « كان المغيرة بن سعيد يعتمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة ، فكان يدس فيها الكفر والزنقة ، ويستندها إلى أبي ، ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أنْ يُثبوها في الشيعة ، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذلك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم » .

وإذا كان ذلك ديدن أئمتنا عليهم التحية والسلام ، فإن ذلك بلا شك منهج أتباعهم وشيعتهم ، وتجد ذلك واضحاً في مؤلفات أصحابنا رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة ، المتخصصة بهذا الموضوع ، فهم يحكمون عليهم بلا ترديد بالضلال والكفر ، ومن ذلك قول شيخنا المفيد رحمه الله تعالى عنهم : وهم ضلال كفار ، حكمَ فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والحرق بالنار ، وقضت عليهم الأئمة عليهم السلام بالأكفار والخروج عن الإسلام .

وأما التوجيهي فقد قال عنهم بعد أنْ استعرض فرقهم : فهذه فرق أهل الغلو من انتحل التشيع ، والى الخرميدنية ، والمذكورة ، والزنديقية ، والدهرية مرجعهم جميعاً ، لعنهم الله تعالى .

وغير ذلك مما يجده القارئ الكريم عند البحث والمراجعة فراجع : فرق الشيعة : ٤١ ، أوائل المقالات : ٢٣٨ ، الكافي ٢ : ١ | ٢٨٨ (باب دعائم الكفر وشعبه) ، الخصال ١ : ٧٢ | ١٠٩ ، رجال الكشي : ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٣٠٢ و ٣٩٨ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعزلة : ٥١ وما بعدها .

أما الشّيعة الامامية — وأعني بهم جمهرة العراق وإيران وملائين من مسلمي الهند ومئات الألوف في سوريا والأفغان — فإنّ جميع تلك الطائفة — من حيث كونها شيعة — يبرؤون من تلك المقالات ، ويعدّونها من أشنع [أشكال] الكفر والضلالات ، وليس دينهم إلّا التوحيد الخالق ، وتزريه الخالق عن كلّ مشابهة للمخلوق ، أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقص والإمكان ، والتغيير والحدوث ، وما ينافي وجوب الوجود والقدم والأزلية ، إلى غير ذلك من التزريه والتقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الكلام ، من مختصرة (كتالتجريد) أو مطولة (كتالأسفار) وغيرهما مما يتجاوز الألوف ، وأكثرها مطبوع منتشر ، وحلّها يشتمل على إقامة البراهين الدامغة على بطلان التناسخ والاتحاد والحلول والتجسيم .

ولو راجع المنصف — الذي يمشي وراء الحقائق وفوق العصبية والأغراض — شيئاً منها لعرف قيمة قول هذه الناشئة المترعرعة التي قذفتنا بهم أعاصر هذا العصر وتطورات هذا الزمان ، نعم يعرف قيمة قذف الشّيعة بالتناسخ والحلول والتجسيم .

والقصاري : إنّ أراد بالشّيعة هم تلك الفرق البائدة ، والمذاهب الملحدة — التي لا أحسب أنّ في رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرمة — فنحن لا نضايقه في ذلك ، ولكن نسبتهم إلى الشّيعة ظلم فاحش ، وخطأ واضح ، وقد أساء التعبير ، وما أحسنَ البيانَ ، ولم يعط الحقيقة حقّها .

وانْ أراد بالشّيعة الطائفة المعروفة اليوم بهذا الاسم [و] التي تعدُّ بملائين من المسلمين ، فنحن نطالبه بإثبات ذلك من مصنّفات أحد علمائهم من حاضر أو غابر .

وعلى أي حال ، فقد استبان — ممّا ذكرناه — أنّ جميع ما ذكره [صاحب] (فجر الإسلام) عن الشّيعة — في هذا المقام وغيره — هويل بلا تحصيل ،

ودعاو بغير دليل .

ونحن لا نريد في مقامنا هذا أن نتعقب كتاب (فجر الإسلام) بالنقد ، وندلّ على جميع خطيباته ، ومبهرج آرائه واجتهاداتـه ، وإنما ذكرنا هذه النبذة استطراداً في القول ، وشاهدـاً على صورة حال الشـيعة عند كتبـة العصر ، ومن ينظمونه في سلك العلماء وأهل الأقلام ، فما ظنك إذن بالسـواد والـعوام ؟ !

ومنبع البـلية أنَّ القوم الذين يكتـبون عن الشـيعة يأخذـون في الغالـب مذهبـ الشـيعة وأحوالـهم عن ابن خـلدون البرـبرـي ، الذي يكتـب وهو في أـفريقيـا وأـقصى المـغرب عن الشـيعة في العـراق وأـقصى المـشرق ، أو عن أـحمد ابن عبد رـبه الأـندلسـي وأـمثالـهم .

فإـذا أرادـ كتبـة العـصر أنـ يتضـلـلـوا ويتوسـعوا في مـعرفـة الشـيعة رـجـعوا إلى كـتبـ الغـربـيين وـكتـبة الأـجانـب كالـاستـاذ (ولـهـوسـن) أوـ الأـستـاذ (دـوزـي) وأـمثالـهم ، وهـنـاكـ الحـجـةـ القـاطـاعـةـ ، والـقـولـ الفـصلـ ! أمـاـ الرـجـوعـ إلىـ كـتبـ الشـيعـةـ وـعلمـائـهـمـ فـذـاكـ مـمـاـ لـاـ يـخـطـرـ عـلـىـ باـلـأـحـدـهـمـ .

ولـكـنـ الشـيعـيـ — الذي هو عـلـىـ بـيـنةـ منـ أمرـهـ وـحـقـيقـةـ مـذـهـبـهـ — إـذاـ نـظـرـ إـلـىـ ماـ يـكـتـبـ حـمـلةـ الأـقلـامـ — فيـ هـذـهـ الأـيـامـ — عـنـ الشـيعـةـ وـعـقـائـدـهـاـ وـجـدـهـاـ مـنـ غـنـطـ النـادـرـةـ الـتيـ يـحدـثـنـاـ بـهـاـ الرـاغـبـ الـاصـفـهـانـيـ فيـ كـتـابـهـ الـمعـرـوفـ بـ (ـ الـمـاحـضـراتـ)ـ قـالـ — عـلـىـ مـاـ يـخـطـرـ بـيـالـيـ — :ـ سـئـلـ رـجـلـ كـانـ يـشـهـدـ عـلـىـ آـخـرـ بـالـكـفـرـ عـنـ جـعـفـرـ بـنـ سـلـيـمانـ فـقـالـ :ـ إـنـهـ خـارـجـيـ ،ـ مـعـتـزـلـيـ ،ـ نـاصـيـ ،ـ حـرـورـيـ ،ـ جـبـرـيـ ،ـ رـافـضـيـ ،ـ يـشـتـمـ عـلـىـ بـنـ الـخـطـابـ ،ـ وـعـمـرـ بـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ ،ـ وـعـشـمـانـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ،ـ وـأـبـاـ بـكـرـ بـنـ عـفـانـ ،ـ وـيـشـتـمـ الـحـجـاجـ الـذـيـ هـدـمـ الـكـوـفـةـ عـلـىـ أـبـيـ سـفـيـانـ ،ـ وـحـارـبـ الـحـسـينـ بـنـ مـعـاوـيـةـ يـوـمـ الـقطـاـيفـ .ـ أـيـ يـوـمـ الـطـفـ أوـ يـوـمـ الطـائـفـ !

فـقـالـ لـهـ جـعـفـرـ بـنـ سـلـيـمانـ :ـ قـاتـلـكـ اللـهـ ،ـ مـاـ أـدـرـيـ عـلـىـ أـيـ شـيءـ

أحسدك ، أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات ؟^١.

أمّا (عبد الله بن سبأ^٢) الذي يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ،

^١ محاضرات الأدباء ٤ : ٤١٨ .

^٢ يبدو بوضوح للمتأمل في قصة عبد الله بن سبأ ، ودوره في الأحداث التي جرت إبان حكم الخليفة الثالث أو ما بعده — على قول البعض الآخر — أنه أمام وقائع وأحداث تُسجّت بكثير من المبالغة والتهويل لشخصية عادية مغمورة ، لا دور واقعي لها يذكر في صياغة أي حادث أو أمر ، وإنْ ذهب البعض حتى إلى التشكيك في صحة وجودها وأنها خرافات حبكت بقدر كبير من الخبر والخداع للطعن بالشيعة ومعتقداتها .

نعم ، إن استقراء السيرة الذاتية لهذه الشخصية في كتب العامة — لاكتبنا لأنها عندنا واضحة جلية أجمل من الشمس في رابعة النهار — يكشف للمرء الكثير من هذه الأخبار المليئة بالمبالغة والكذب والتناقض بشكل لا يخفى على أحد متأنّل ، رغم وضوح حال هذا الرجل ، ومحدودية أمره في كتب الشيعة ورواياتهم التي لا تذهب إلا إلى أنه غال ملعون غالى بعلي عليه السلام فحكم فيه حكم الإسلام الخاص بأمثاله من الغلاة ، لا أكثر ولا أقل ، فهو ضمن هذا المقياس شخصية عادية كحالها من الشخصيات المنحرفة التي تعج بها جميع الكتب لاكتبنا فقط .

والحق يقال : إنّ هذه المبالغة المفرطة في حياكة دور مهول لهذا الرجل في صياغة الكثير من الأحداث الجسام دفع بالعديد من المؤرخين والباحثين إلى التشكيك صراحة في وجود مثل هذا الشخص في أرض الواقع ، وتلك حالة رد فعل طبيعية لها بعض التبرير أمام أمور خرافية وغير عقلانية تزدريها الألباب ، فحدثت نتيجة ذلك ما نراه في تلك الكتب من الارتباط والتناظر وعدم الوضوح ، حين نرى أن البعض الآخر يذهب إلى أن ابن سبأ ليس إلا عمّار بن ياسر رحمة الله تعالى والذي حاولت قريش الطعن فيه فاختبرت له هذه التسمية كما كانت تسميه بابن السوداء ، وذلك لما يروونه عنه من تزعمه لقادرة الثورة التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان ، وتفانيه في خدمة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتشيعه الصريح له .

ثم لا يخفى عليك أخي القارئ الكريم أنّ أول الحائزين لهذه الأسطورة الخرافية حول هذا الرجل — والذي قفى بعد ذلك أثره المؤرخون — هو الطبراني في تاريخه ، وكان مصدره فيها سيف بن عمر البرجمي (ت ١٧٠ هـ) الذي يطعن به معظم أصحاب التراجم والسير بشكل صريح وواضح ، حتى لقد قال عنه مرة : فليس خيراً منه ، وقال عنه أبو حاتم : مترونك الحديث ، وقال عنه أبو داود : ليس بشيء ، وأمّا النسائي والدارقطني وابن معين فقد قالوا عنه : ضعيف الحديث . . . فراجع وتأمل .

وللحق أقول : إن مجرد التأمل البسيط في الظروف المحيطة بظهور هذه الرواية ، وما يمكن أن تترتب عليها من نتائج إذا ذهب البعض إلى التسليم بصحتها ، رغم تناقضها الصريحة الواضحة ، بل وما تحاول إبرازه إلى سطح الواقع من شواهد محددة و معروفة لدى الجميع ، يشير بدون لبس إلى غرض المؤامرة التي تبدو فيها أصابع الأمويين وبصماتهم واضحة جلية ، وذلك من خلال استقراء الأحداث المروية في المراجع والتي قبل أن هذا الرجل قام بتديبرها بين البصرة ، والكوفة ، والشام ، ومصر ، وخلال فترة زمنية محدودة ، وما ترتب عليها بعد ذلك من نتائج واسعة وخطير لا يمكن لأحد التسليم بصحتها ، والجزم بوقوعها إلا إذا حاول الحقيقة والمنطق ، وأعرض عن حكم العقل وحجته ، بل ولا بد — وكما ذكرت سابقا — من أن تتأكد لديه هذه الحقيقة وهذا الدور المفضوح لتلك الشجرة الملعونة في القرآن في صياغة وإشاعة هذه الأسطورة المضحك والمehlerة ، وهو أثار الكثير من الباحثين والدارسين حتى دفهم صراحة إلى القول بأن أعداء الشيعة ادخروا هذه الأسطورة وتغافلوا في حياتها للطعن بهم ، فجاء الخلف من بعد فتلقي ما قال الأوّلون وسلّموا بصحتها دون أدنى دراسة وتأمل فوقعوا في الشراك وشاركوا من سبّهم في ظلم الشيعة والافتراء عليهم ، وذلك مما تنطر له القلوب أسى وتأسفاً . . .

ولعل الملفت للنظر أن الأسطورة المنسوجة حول دور عبد الله بن سبأ في صناعة الأحداث التي عصفت بالدولة الإسلامية خلال حكم الخليفة عثمان بن عفان ، ودوره في خداع الشعوب — كما تجده مسطوراً في الكتب اللاحقة بكتاب الطبري — وحشدتها لتنفيذ خططه للإطاحة بال الخليفة ، وغفلتها (أي تلك الشعوب) المثيرة للتعجب والاستغراب ، تجدها متضاغرة متواضعة ، وذليلة عاجزة أمام طاعة أهل الشام — شام معاوية آنذاك — للدولة الإسلامية وحكامها ، وأنهم هم الذين لم يغيروا ولم يُيدلوا ، بل إن ابن سبأ لم يجد له فيها أذناً صاغية لدعوته ، حين وجد في أهل مصر ضالته ، هذا إذا علمتنا بأنّ مصر الدور الأكبر في الثورة على عثمان بن عفان حينها . . . إذن فلا متمسك بدين إسلام في هذه الأسطورة إلا الشام ، ويا حسرة على ما سواها من الشعوب المنحرفة اللاهثة وراء الفتنة وأصحابها ! فتأمل .

والخلاصة : إن قصة ابن سبأ — إن سلمنا بوجود شخص بهذا الاسم ، لأنّ هناك أقوال وتصريحات قائمة على دراسات علمية رصينة تذهب إلى نفي وجود هذه الشخصية ، كما ذهب إلى ذلك العالمة السيد مرتضى العسكري في كتابه المعروف عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى — أسطورة تُسجّت حول شخصية تافهة منحرفة ، وبولع فيها أشد المبالغة حتى أمست أقرب منها إلى حكايات العجائز في ليال الشتاء الباردة ، بل ومثيرة للاستخفاف والاستهجان ، وإنّ فأن موقف الشيعة وعلمائها من هذا الأمر أوضح من أن يحتاج إلى بيان ، فراجع ما شئت من كتبهم ترى حقيقة الأمر بجلاء ووضوح .

ولعل الأمر الواضح والجليل في سر صناعة هذه الأسطورة يكمن في أمر موالة الشيعة لعلي عليه السلام وأهل بيته الأطهار ، امثلاً لأمر الله تعالى ورسوله ، وهذا ما أثار حفيظة الأمويين وحقدتهم الأسود عليهم والذي لا يقف عند أي حد ، فاحتلقو ما زيتنه لهم نفوسهم المريضة ، ووجدها أعداء الشيعة لقمة سائحة فازدواها وطفقوا بجهل يتبحرون بها كالحمقى والمغفلين ، من دون أدنى مراجعة ودراسة ، وأنا أترك للقارئ الكريم مسألة الحكم حول هذا الموضوع بعد دراسته المحردة للواقع التاريخية الممتدة خلال فترة ظهور هذا الرجل ، أو ما كتب عنه من قبل الباحثين والدارسين المختلفين ، وحتى يدرك بالتالي تقاهة وسقامة الرابط الساذج بين عقيدة ثابتة جذورها إلى اليوم الأول لقيام الدعوة الإسلامية ، وبين رجل أبسط ما قيل في حقه أنه مشرك وكافر ، فراجع .

(180)

(181)

فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه ، وأحلف كلمة تقولها كتب رجال الشيعة في حّقه ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في حرف العين هكذا : " عبد الله بن سبأ ، العن منْ أَنْ يُذْكَر " .

انظر رجال أبي علي وغيره^١ .

على آنَّه ليس من البعيد رأي القائل : أنَّ عبد الله بن سبأ ، ومجنون بني عامر ، وأبي هلال ، وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال كلّها أحاديث خرافية وضعها القصّاصون وأرباب السّمْر والمحون ، فإنَّ الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط الدولتين الأموية والعباسية ، وكلّما اتسع العيش وتوفّرت دواعي اللهو ، اتسّع الحال للوضع ، وراج سوق الخيال ، وجعل القصص والأمثال ، كي تأنس بها ربّات الرجال ، وأبناء الترف والنعمة المنغمرين في

^١ بلى إن جميع مصادر الشيعة اتفقت على لعنه وتکفيره ، وأنه غال زعم أن أمير المؤمنين عليه السلام إله أو نبي مرسلاً من قبل الله على الأقل .

فراجع : رجال أبو علي : ٣٠٢ ، رجال الكشي ٩ : ٣٢٣ ، رجال الطوسي : ٥١ | ٧٦ ، نقد الرجال : ١٣١ | ١٩٩ ، الخلاصة (القسم الثاني) : ٢٣٧ | ١٩ ، تنقیح المقال ٢ : ١٨٣ وغيرها.

(182)

بُلَهْنِيَّة^١ العيش .

وأنَّ سَمَادِير^٢ الأَهَازِيجَ الَّتِي أَصْبَحَ يَتَغْنَىُ بِهَا لَنَا عَنِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ (الدَّكْتُورُ طَهُ حَسِينُ) وزَمَلَاؤُهُ ، وَالدُّورُ الَّذِي جَاءُوا يَلْعَبُونَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْحَرَابِ وَالدُّرُّقِ ، فَهُوَ أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَدْوَارِ تِلْكَ الْعَصُورِ الْخَالِيَّةِ ، لَا مِنْ أَدْوَارِ هَذِهِ الْعَصُورِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ تَحْمِيقَ الْحَقَائِقِ بِحُصَافَةٍ وَأَمَانَةٍ ، وَرِصَانَةٍ وَمِنَانَةٍ .

وَمَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ أَوْ يَكُنْ ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ صَمِيمِ غَرْضِنَا فِي شَيْءٍ ، وَمَا كَانَ ذَكْرُهُ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّوْطِيَّةِ وَالتَّمَهِيدِ لِلْقَصْدِ ، وَإِنَّمَا جَلَّ الْغَرْضُ أَنَّهُ بَعْدَ تَوْفِيرِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ وَالدُّوَاعِيِّ ، وَالشَّؤُونِ وَالشَّجُونِ ، وَالوُقُوفُ عَلَى تِلْكَ الطَّعُونَاتِ الطَّائِشَةِ عَلَى الشِّيَعَةِ الْمُتَابِعَةِ مِنْ كِتَابَةِ الْعَصْرِ فِي مَصْرِ وَغَيْرِهَا ، رَأَيْنَا مِنَ الْفَرْضِ عَلَيْنَا — الَّذِي لَا نَدْحَةَ عَنْهُ — أَنْ نَكْتُبَ موْجِزاً مِنَ القُولِ عَنِ الْمُعْتَقَدَاتِ الشِّيَعَةِ وَأُصُولِ مَذَهِبِهَا ، وَأَمْهَاتِ مَسَائلِ فَرَوْعَهَا الَّتِي عَلَيْهَا إِجْمَاعُ عَلَمَائِهَا ، وَالَّذِي يَصْحُحُ أَنْ يُقَالُ أَنَّهُ مَذَهَبُ الشِّيَعَةِ عَلَى إِطْلَاقِهَا ، أَمَّا مَا عَدَاهُ فَهُوَ رَأْيُ الْفَرَدِ أَوِ الْأَفْرَادِ مِنْهَا ، وَمِثْلُهُ لَا يَصْحُحُ أَنْ يُعَدُّ مَذَهِبًا لَهَا ، وَمَعْلُومُ أَنَّ بَابَ الْاجْتِهَادِ لَمْ يَزِلْ مَفْتُوحًا عَنِ الْشِيَعَةِ ، وَلَكُلِّ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَخَالِفْ إِجْمَاعَ أَوْ نَصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ ضَرُورَةِ الْعُقُولِ ، إِنَّ خَالِفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كَانَ زَائِغًا

^١ البُلَهْنِيَّةُ : السُّعَةُ وَالرُّفَاهِيَّةُ فِي العِيشِ ، انْظُرْ : القَامُوسُ الْمُحيَطُ ٤ : ٢٠٣ .

^٢ السَّمَادِيرُ : ضَعْفُ الْبَصَرِ ، وَقِيلَ : هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَتَرَاءَى لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَعْفِ بَصَرِهِ عِنْدِ السُّكَرِ وَغَشْبِ النَّعَاسِ وَالدُّوَارِ .

قال الكميـت :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَقْرِبَاتِ مُذَالَةً * وَأَنْكَرْتُ إِلَّا بِالسَّمَادِيرِ أَمَا

لِسَانُ الْعَرَبِ ٤ : ٣٨٠ .

عن الطريق ، ومارقاً عن تلك الطائفة ، على أصول مقرّرة ، وقواعد محّرّرة ، لا يتسع المقام بمحملاتها فضلاً عن مفصّلاتها ، وإنّما المقصود هنا بيان ذات المسائل التي يدور عليها محور التشيع ، ويعتقده عوام الشّيعة وخواصّها ، وعليها عملهم ، ولا خلاف فيها بينهم ، من دون تعرّض للأدلة والحجج ، فإنّها موكلة إلى الكتب المطولة ، وهو خارج عن الغرض المهم من تعريف كافة فرق المسلمين ، وأفراد كل طائفة من علمائها وعوامها عن عقائد الشّيعة ، حتى يعرفوا أنّهم مسلمون مثلهم ، فلا يظلموا أنفسهم ويتورطوا في نسبة الأضاليل والأباطيل إلى إخوانهم في الدين ، ولا يتمثّلوا لهم كالسعالي وأنبياء الأغوال ورؤوس الشياطين ، أو كوحوش صحاري أفريقيا وأكلة لحوم البشر ، بل هم — بحمد الله — ممّن تأدب بآداب الإسلام ، وتمسّك بتعاليم القرآن ، وأخذ بحظ وافر من الإيمان ومكارم الأخلاق ، ولا يعتمدون إلا على الكتاب والسنة وضرورة العقل ، فعسى أن يتبّعه الغافل ، ويعلم الجاهل ، ويرتدّع المهوّس الطائش عن غلوائه ، ويكسر المتّعصّب عن سورةه ، ويتقارب من إخوانه ، لعل الله يجمع شملهم ، و يجعلهم يداً واحدة على أعدائهم ، وما ذلك على الله بعزيز .
ولابدّ أولاً من بيان مبدأ التشيع ، وأسباب نشوئه ونموه ، ثم بيان أصوله ومعتقداته .

(١٨٤)

إِذَا فَالْغُرْضُ يَحْصُلُ فِي مَقْصِدِينَ :

المقصد الأول :

في أَنَّ التَّشِيعَ مِنْ أَينَ نَشَأَ ؟ وَمَنْ تَكُونُ ؟ وَمَنْ هُوَ غَارِسُ بَذْرَتِهِ الْأُولَى ، وَوَاضِعُ حَجْرِهِ الْأُولَى ، وَكَيْفَ أَفْرَعْتَ دَوْحَتِهِ حَتَّى سَمَا وَاسْطَالَ ، وَأَزْهَرَ وَأَثْرَ ، وَاسْتَدَامَ وَاسْتَمَرَ حَتَّى تَدَيَّنَتْ بِهِ جَمَلَةُ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، بَلْ وَجْهَةُ مِنْ خَلْفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ : كَالْمُؤْمِنُ ، وَالنَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ ، وَكَبَارُ وُزْرَاءِ الدُّولَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَغَيْرَهَا .

فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعْنُ :

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ بَذْرَةَ التَّشِيعِ فِي حَقْلِ الْإِسْلَامِ هُوَ نَفْسُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، يَعْنِي أَنَّ بَذْرَةَ التَّشِيعِ وَضَعَتْ مَعَ بَذْرَةِ الْإِسْلَامِ ، جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ ، وَسَوَاءَ بَسْوَاءَ ، وَلَمْ يَزُلْ غَارِسَهَا يَتَعَاهِدُهَا بِالسَّقِيِّ وَالْعِنَاءِ حَتَّى نَمَتْ وَأَزْهَرَتْ فِي حَيَاتِهِ ، ثُمَّ أَثْرَتْ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وَشَاهِدِي عَلَى ذَلِكَ نَفْسُ أَحَادِيثِ الْشَّرِيفَةِ ، لَا مِنْ طَرِيقِ الشَّیْعَةِ وَرَوَايَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، حَتَّى يُقَالُ : أَنَّهُمْ سَاقِطُونَ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ (بالرَّجْعَةِ) أَوْ أَنَّ رَاوِيهِمْ (يَجْرِي إِلَى قَرْصِهِ) بَلْ مِنْ نَفْسِ أَحَادِيثِ عُلَمَاءِ السَّنَّةِ وَأَعْلَامِهِمْ ، وَمِنْ طَرِيقِهِمُ الْوَثِيقَةِ الَّتِي لَا يَظْنُ ذُو مَسْكَةٍ فِيهَا الْكَذْبُ وَالْوَضْعُ ، وَأَنَا أَذْكُرُ جَمَلَةً مِمَّا عَلِقَ بِذَهْنِي مِنَ الْمَرَاجِعَاتِ الْغَابِرَةِ ، وَالَّتِي عَثَرْتُ عَلَيْهَا عَفْوًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا عِنَاءٍ . فَمِنْهَا : مَا رَوَاهُ السِّيَوَاطِيُّ فِي كِتَابِ (الدَّرُ المُشَوَّرُ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ بِالْمَأْتُورِ) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : { أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ } .

قال : أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ النَّبِيُّ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ إِنَّ

(185)

هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيمة » ، ونزلت : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ } ^١.

وأخرج ابن عدي : عن ابن عباس قال : لما نزلت : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ^٢ قال رسول الله [صلى الله عليه وآلها] لعلي [عليه السلام] : « هو أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيin ». .

وأخرج ابن مardonie : عن علي عليه السلام قال : « قال لي رسول الله صلى الله عليه واله : ألم تسمع قول الله : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ } ^٣ أنت وشيعتك ، وموعدكم الموعد ، إذا جاءت الأمم للحساب ثمدعون غرّاً محجّلين ». انتهى حديث السيوطي ^٤.

وروى بعض هذه الأحاديث ابن حجر في (صواعقه) عن الدارقطني ، حدث أيضاً عن أم سلمة أنَّ النبي صلى الله عليه واله قال : « يا علي أنت وأصحابك في الجنة » ^٥.

^١ سورة البينة (٩٨) : ٧ .

^٢ سورة البينة (٩٨) : ٧ .

^٣ سورة البينة (٩٨) : ٧ .

^٤ الدر الم Shrur في التفسير بالتأثر ٦ : ٣٧٩ .

^٥ الصواعق المحرقة : ٩٦ .

وفي نهاية ابن الأثيم ما نصه في مادة " قمح " : وفي حديث علي عليه السلام قال له النبي صلّى الله عليه وآله : « ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيin ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمّحين » ، ثم جمع يده إلى عنقه ليريهم كيف الاقماح^١ . انتهى .

وبالإلي أنَّ هذا الحديث أيضاً رواه ابن حجر في صواعقه ، وجماعة

^١ . النهاية ٤ : ١٠٦

(186)

آخرون من طرق أخرى تدل على شهرته عند أرباب الحديث^١.

والزمخشري في " ربيع الأبرار " يروي عن رسول الله [صلى الله عليه وآلـه] أَنَّه قال : « يا علي ، إذا كان يوم القيمة أخذت بحجزة الله تعالى ، وأخذت أنت بجزتي ، وأخذ ولدك بجزتك ، واحد شيعة ولدك بجزتهم ، فترى أين يؤمر بنا »^٢.

ولو أراد المتبع [لـ] كتب الحديث ، مثل : مسنـد الإمام أحمد بن حنـبل ، وخصائـص النسـائي ، وأمثالـهما أنْ يجـمع أضعافـ هذا القدر لـكان سهـلاً عـلـيهـ .

وإذا كان نفس صاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وآلـه يـكرـر ذـكرـ شـيعةـ عـلـيـ عـلـيـ السـلامـ وـيـنـوـهـ عـنـهـ بـأـنـهـ هـمـ الـآـمـنـونـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، وـهـمـ الـفـائـزـوـنـ وـالـراـضـيـوـنـ ، وـلـاـ شـاكـ أـنـ كـلـ مـعـتـقـدـ بـنـبـوـتـهـ يـصـدـقـهـ فـيـمـاـ يـقـولـ ، وـأـنـهـ لـاـ يـنـطـقـ عـنـ الـهـوـىـ إـنـ هـوـ إـلـاـ وـحـيـ يـوـحـىـ^٣ ، فـإـذـاـ لـمـ يـصـرـ كـلـ أـصـحـابـ الـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـ وـآلـهـ شـيـعـةـ لـعـلـيـ السـلامـ فـبـالـطـبـعـ وـالـضـرـورـةـ تـلـفـتـ تـلـكـ الـكـلـمـاتـ نـظـرـ جـمـاعـةـ مـنـهـمـ أـنـ يـكـوـنـواـ مـنـ يـنـطـقـ عـلـيـ ذـلـكـ الـوـصـفـ بـحـقـيـقـةـ مـعـنـاهـ ، لـاـ بـضـرـبـ مـنـ التـوـسـعـ وـالتـأـوـيلـ .

^١ راجـعـ : كـتـابـ فـضـائـلـ الـخـمـسـةـ مـنـ الصـحـاحـ الـسـتـةـ لـلـسـيـدـ مـرـضـيـ الـحـسـيـنـيـ ، وـكـتـابـ إـحـقـاقـ الـحـقـ وـإـزـهـاـقـ الـبـاطـلـ لـلـسـيـدـ التـسـتـرـيـ ، وـغـيـرـهـماـ مـنـ الـمـصـادـرـ الـمـخـتـصـةـ يـاـ يـارـادـ هـذـهـ الـأـحـادـيـثـ الـوارـدـةـ فـيـ كـتـابـ الـعـامـةـ ، حـيـثـ تـجـدـ الـكـثـيرـ الـكـثـيرـ مـنـ هـذـهـ الـرـوـاـيـاتـ وـبـطـرـقـهاـ الـمـخـتـلـفـةـ .

^٢ رـبـيعـ الـأـبـرـارـ ١ـ :ـ ٨٠٨ـ .

^٣ إـشـارـةـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ فـيـ حـقـ رـسـوـلـهـ الـكـرـيمـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـ وـآلـهـ فـيـ سـوـرـةـ النـحـمـ (٥٣ـ :ـ ٣ـ -ـ ٤ـ)ـ :ـ {ـ وـمـاـ يـنـطـقـ عـنـ الـهـوـىـ *ـ إـنـ هـوـ إـلـاـ وـحـيـ يـوـحـىـ }ـ .

نعم ، وهكذا كان الأمر ، فإنَّ عدداً ليس بالقليل اختصوا في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
بعلي عليه السَّلام ولازموه ، وجعلوه إماماً كمبُلغٍ عن

الرسول ، وشاح ومسنون لتعاليمه ، وأسرار حكمه وأحكامه ، وصاروا يُعرفون بأنّهم شيعة علي عليه السلام كعلم خاص بهم كما نصّ على ذلك أهل اللغة .

راجع النهاية^١ ولسان العرب^٢ وغيرهما^٣ تجدهم ينصّون على أنَّ هذا الاسم غالب على أتباع علي عليه السلام وولده ومن يواليهما ، حتى صار اسمًا خاصًا بهم .

ومن الغني عن البيان أنه لو كان مراد صاحب الرسالة من شيعة علي عليه السلام من يحبه أو لا يبغضه — بحيث ينطبق على أكثر المسلمين ، كما تخيله بعض القاصرين — لم يستقم التعبير بلفظ (شيعة) ، فإنَّ صرف محبة شخص لآخر أو عدم بغضه لا يكفي في كونه شيعة له ، بل لا بدَّ هناك من خصوصية زائدة ، وهي الاقتداء والمتابعة له ، بل ومع الالتزام بالمتابعة أيضًا ، وهذا يعرفه كلُّ من له أدنى ذوق في مجاري استعمال الألفاظ العربية ، وإذا استعمل في غيره فهو مجاز مدلول عليه بقرينة حال أو مقال .

والقصارى إِنَّى لا أحسب أنَّ المنصف يستطيع أنْ ينكر ظهور تلك الأحاديث وأمثالها في إرادة جماعة خاصة من المسلمين ، ولم نسبة خاصة بعلي عليه السلام ، يمتازون بها عن سائر المسلمين الذين لم يكن فيهم ذلك اليوم من لا يحب علياً ، فضلاً عن وجود من يبغضه .

^١ النهاية ٢ : ٥١٩ .

^٢ لسان العرب ٨ : ١٨٩ .

^٣ القاموس المحيط ٣ : ٤٧ ، أقرب الموارد ١ : ٦٢٧ ، مجمع البحرين ٤ : ٣٥٦ ، تاج العروس ٥ : ٤٠٥ .

ولا أقول : إنَّ الآخرين من الصحابة — وهم الأكثُر الَّذِين لم يتسموا بتلك السمة — قد
خالفوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَم يأخذوا بِإرشادِه ، كلاً و معاذ الله أنْ يُظْنَ فِيهِمْ ذَلِك ، و هُمْ خَيْرٌ
مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، و لَكُنْ

لعل تلك الكلمات لم يسمعها كلهم ، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها ، وصحابة النبي الكرام أسمى من أن تُحلق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام^١ .

^١ بلى إنَّ صاحبة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضْلِ وَالدَّرْجَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِخَافِيَةِ عَلَى أَحَدٍ ، بَلْ وَكَانُوا وَلَازَلُوا مَوْضِعَ إِحْتِرَامٍ وَتَقدِيرٍ وَتَبَجيْلٍ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالشِّيَعَةِ فِي أَوَّلِهِمْ . وَلَا غَرَوْ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَحْدُثُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ عَنْ تَلْكَ الْمُرْتَلَةِ السَّامِقَةِ لِأَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ شَادُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَرَامَ صَرْحَ الْإِسْلَامَ ، وَأَقَامُوا أَرْكَانَهُ .

قالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ حِفْظِهِ فِي سُورَةِ الْفُتْحِ الْمُبَارَكَةِ : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنُهُمْ تَرَاهُمْ رَكِعاً سَجَداً يَتَبَعَّونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... } .

وَكَذَا تَرَى ذَلِكَ بِوضُوحٍ عِنْدِ مَرْاجِعِكَ لِأَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمُصْوَمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَذَلِكَ مَا لَا نَدْعِيهِ وَلَا نَتَقْوِلُهُ . . . إِلَّا إِنَّا لَا نَتَقْوِلُ مَنْ يَنْدَهِبُ إِلَى سُرْيَانِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى جَمِيعِ صَاحِبَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، دُونَ فَحْصٍ وَتَميِيزٍ ، وَكَذَا يَوْافِقُنَا فِي ذَلِكَ كُلُّ عَاقِلٍ مُنْصَفٍ مُدْرِكٍ لِلْحَقِيقَةِ .

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالسِّنَّةِ النَّبِيَّيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَالْوَقَاعِنَّ التَّارِيخِيَّةِ الثَّابِتَةِ تُؤَكِّدُ صَوَابَ مَا نَذَهَبُ إِلَيْهِ ، وَبِطَلَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْآخَرُونَ ، سَوَاءً كَانُوا مِنَ الَّذِينَ اخْلَفُوا هَذِهِ الصَّفَةَ عَلَى الْجَمِيعِ ، أَوْ مِنَ طَعْنَوْنَا فِي الْجَمِيعِ دُونَ دَلِيلٍ أَوْ حَجَةٍ أَوْ بَرهَانٍ سَلِيمٍ ، وَإِنْ كَانَتِ الْجَمِيعَةُ الْأُولَى هِيَ الْأَكْثَرُ ، وَهِيَ صَاحِبَةُ الرَّأْيِ السَّائِدِ عِنْدِ إِخْرَانِ أَبْنَاءِ الْعَائِمَّةِ ، وَهُنَّ يُشَكِّلُونَ الْطَّرْفَ الْأَكْثَرَ وَالْأَوْسَعَ فِي عِمُومِ الْمُسْلِمِينَ ، قِبَالِ الشِّيَعَةِ الَّتِي تَشَكَّلُ الثَّقلُ الْأَكْبَرُ ثَالِثَةً فِي الْمَذاَهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ .

وَإِذَا كَنَّا لَا نَتَقْوِلُ مَعَهُمْ فِي نَسْبَةِ الْعَدْلَةِ إِلَى جَمِيعِ الصَّاحِبَاتِ دُونَ اسْتِثنَاءٍ ، وَدُونَ مَنَاقِشَةٍ تَذَكَّرُ فِي صَحَّةِ نَسْبَةِ تَلْكَ الْعَدْلَةِ إِلَى بَعْضِ الْجَمِيعَاتِ الَّتِي ثَبَّتَ تَارِيْخِيًّا أَخْرَافُهَا عَنْ مَفْهُومِ الْعَدْلَةِ الْإِسْلَامِيِّةِ ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَبْدًا الْاِتِّفَاقَ مَعَ الْجَمِيعَاتِ الْأُخْرَى الْذَاهِبَةِ إِلَى الطَّعْنِ فِي جَمِيعِ الصَّاحِبَاتِ ، لِأَنَّهُ رَأْيٌ تَافِهٌ وَسَقِيمٌ لَا يَسْتَحْقُ النَّقَاشَ ، وَلَذِذَنَ حَدِيثِنَا سَيَكُونُ مَعَ الْجَمِيعَةِ الْأُولَى ، وَالَّتِي تَلْقَى بِاللَّوْمِ عَلَى الشِّيَعَةِ لِاعْتِمَادِهِمْ أَسْلُوبَ تَقيِيمِ الصَّاحِبَاتِ وَفَقَدِ الْمَهْجُونَ السَّماَوِيِّ وَالْمَقِيَّاسُ الشَّرِعيُّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُتَكَامِلةُ وَالْوَاضِحةُ ، مِنْ دُونِ تَحْزُبٍ أَعْمَى ، أَوْ تَعْصِبَ مَقِيتَ ، وَحِيثُ تَعْضُدُنَا فِي ذَلِكَ الْمُبَادِئِ السَّلِيمَةِ الَّتِي اعْتَمَدْنَاهَا فِي هَذَا تَبْيَانِ هَذِهِ الْمَنْهَجِ السَّلِيمِ . فَلَنْ تَوقَفْ قَلِيلًا وَلَنْ تَأْمَلْ فِيمَا نَقُولُ .

أَقُولُ : وَلَنْ يَبْدُأْ أَوْلَى مَا تَقْدِمُ مَنًا مِنْ ذَكْرِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ السَّالِفَةِ وَالْمُشَيَّةِ عَلَى صَاحِبَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فهذه الآية القرآنية المباركة تحمل في طياتها الدليل الواضح على صحة هذا الاستثناء الذي نقول به ، والمؤيدة له ، حيث جاء في آخرها { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } فكلمة (منهم) المبعة تدل بوضوح على التمييز بين فئتين أو طائفتين ، إحداهما مؤمنة عاملة ، والأخرى لابد أن تكون مخالفة لها . بل وفي قوله تعالى في نفس السورة (الآية ١٠) { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } عين الدلالة ، وذات المعيار ، وغيرها وغيرها.

ثم أو ليس قد توادر في كتب القوم المعروفة بالصحاح وغيرها الكثير من الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدالة بوضوح على انحراف جماعة معلومة وبمجلة من الصحابة معرفة بأعيانها ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله المروي في البخاري (٨ : ١٤٨) : « أَنَا فِرْطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَلَيَرْفَعَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ ثُمَّ لِيَخْتَلِجُنَّ دُونِي ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ أَصْحَابِي ! فِيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثَوْا بَعْدَكَ ».

ومثله روى ذلك مسلم في صحيحه (٤ : ١٧٩٦) وأحمد في مسنده (٣ : ٢٨١ و ١٤٠ ، ٣٨٨ ، ٥٠ ، ٤٨ و ٥ : ٤٠٠).

وأما المحاكم النيسابوري فقد روى في مستدركه (٤ : ٧٤) : « إِنِّي — أَيُّهَا النَّاسُ — فِرْطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، فَإِذَا حَنَّ قَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ هُنَّا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فَلَانُ ، وَقَالَ هُنَّا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فَلَانُ . فَأَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُكُمْ ، وَلَكُمْ أَحَدَثُمْ بَعْدِي وَرَجَعْتُمُ الْفَهْقَرِ ».

بل إن ابن ماجة في سنته أضاف أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حق أصحابه أولئك « سُحْقًا سُحْقًا ».

ثم ألم يمر علينا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبي بكر — وهو من كبار الصحابة وأعيانهم — عندما قال صلى الله عليه وآله عن شهداء أحد : « هُؤُلَاءِ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ » فقال له أبو بكر : أَلَسْنَا — يا رسول الله — بِإِخْرَاهِنَا ، أَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمْنَا ، وَجَاهَدْنَا كَمَا جَاهَدُوا ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « بَلِّي ، وَلَكِنْ لَا أَدْرِي مَا تُحَدِّثُونَ بَعْدِي ». انظر : موطأ مالك ٢ : ٤ | ٣٢٦١ .

فانتظر وتأمل في دلالة هذا الحديث ، ومن هو المخاطب ، لتدرك بوضوح أن لا أحد مُستثنٍ من هذه الموازين الشرعية ، فمن خالق أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله واتبع هواه وهو الشيطان فان الشريعة الإسلامية هي التي تنبذه لا نحن ، وتلك بدبيهية لا اعتقاد أَنَّها تحتاج إلى برهان .

فهل نأتي نحن المسلمين في آخر الزمان ضاربين عرض الحائط بأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله بحق هذه الطائفة مَنْ أَحَدَثُوا وَبَدَّلُوا وَغَيَّرُوا وَأَخْرَفُوا لِنَتَرْحَمَ عَلَيْهِمْ ، وَنَبْجَلُهُمْ وَنَقْدِمُهُمْ ، دون وعي أو تدبُّر أو دليل ؟ إنَّ ذلك لا يقول به عاقل أبداً .

ثم أعود فأسال : مَنْ كَانَ أَصْحَابَ الْإِلَفِ الَّذِينَ آذَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَكْمَمُوهُ فِي عَرْضِهِ ، وَالَّذِينَ تَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَقَابِ الْأَلِيمِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، هَلْ كَانُوا إِلَّا جَمَاعَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَمْ مَاذَا ؟

بل وَمَنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَادُوا الْكِيدَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقُتِلُهُ عِنْدَ عُودَتِهِ مِنْ تَبُوكٍ ، هَلْ كَانُوا أَيْضًا إِلَّا مِنْ صَحَابَتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (راجع : مَسْنَدُ أَحْمَدَ : ٤٥٣ ، مَغَازِيُ الْوَاقِدِيِّ : ٣٠٤٢ ، دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ : ٥٢٥٦ ، وَغَيْرُهَا) .

ثُمَّ مَاذَا يَعْنِي هَذَا التَّكْرَارُ الْوَاضِعُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُخَدِّرُ مِنْ كِيدِ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظَهَرُوا إِيمَانَهُمْ وَأَسْرَوْا الْكُفَّارَ وَالْمَعَادَةَ ، حَتَّى لَقِدْ بَلَغَ عَدْدُ الْمَرْأَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا كَلِمَةُ الْمَنَافِقِينَ وَالْمَنَافِقَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٣٢) مَرَّةً .

وَأَخِيرًا أَعُودُ فَأَسَالُ الْعُقَلَاءَ : كَيْفَ تَسْتَسِعُ الْعُقُولُ أَنْ تُضْفَى مَسَالَةُ الْعَدْلَةِ وَالْتَّرَاهَةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ دُونَ اسْتِثنَاءِ أَوْ تَأْمُلِ فِي سِيرَةِ ذَلِكَ الصَّحَابِيِّ وَعَرْضِ أَفْعَالِهِ عَلَى الْمَقِيَّاسِ الشَّرِعيِّ الَّذِي أَفْرَغَهُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْخَالِدَةُ لَا لَشَيْءَ إِلَّا لَأَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ صَاحِبَهُ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الصَّحَابَةِ تَنْزِيَهًا أَوْ عَصْمَةً مِنَ الْإِدَانَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ ، وَجَوَازًا لِلْفَوْزِ بِالرِّضَا الإِلهِيِّ ، مَهْمَا فَعَلَ هَذَا الصَّحَابِيُّ وَأَسْرَفَ وَخَالَفَ ، رَغْمًا مُخَالَفَةِ ذَلِكَ التَّصْوِيرِ السَّقِيمِ لِأَبْسِطِ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعْرُوفَةِ لِدِي جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ !

إِنَّ ذَلِكَ وَاللَّهُ مَنْ عَجَابَ الْأَمْورُ . كَيْفَ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ هَدَدَ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — وَهُنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَشَدُ تَمَاسًاً بِهِ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ — بِعِصَمِيَّةِ الْعَذَابِ إِذَا ارْتَكَبُوا مَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، دُونَ نَظَرِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى شَدَّةِ هَذَا التَّمَاسِ هَذَا الْقَرْبُ ، إِذَا قَالَ جَلَّ اسْمُهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ (الْآيَةُ ٣٠) : { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحَاشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ وَفَقَ هَذَا الْمَفْهُومُ فَإِنَّ مَنْ يُخَالِفُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَجِبُ أَنْ يُضَاعِفَ عَلَيْهِ النَّكِيرُ ، لِأَنَّهُ أَسَاءَ إِلَى شَرْفِ الصَّحَابَةِ وَكَرَامَتِهَا .

نَعَمْ إِنْ لَدِينَا أَلْفَ دَلِيلٍ وَدَلِيلٍ عَلَى صَحَّةِ مَا نَذَهَبُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَرِيدُ هَذَا اسْتِعْرَاضَ حَمْلَةً مَعْرُوفَةً مِنْ يُسَمَّونَ بِالصَّحَابَةِ هُمْ وَاللَّهُ أَشَدُ ضَرَرًا وَكَلَّا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَكَانُ الْمَحْدُودُ بِمَحِلِّ مُسْتَسَاغٍ لِهَذَا الْمَبْحَثِ الْمُهَمِّ ، إِلَّا إِنِّي أَعْتَقُدُ بِأَنَّ الْقَوْلَ بِعَدَالَةِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ — وَالَّذِي كَانَ أَوْلَى مِنْ دُعَا إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَحْدِيثِ ثُمَّ أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ عَقِيَّدَةً ثَابِتَةً مِنَ الْعَقَائِدِ الَّتِي مُنْهَجَتْ عَلَى أَسَاسِهَا تَلْكَ الْجَمَاعَاتُ سَهْمًا فِي التَّشْرِيفِ الْإِسْلَامِيِّ ، بَلْ وَأَنْ تَكُونَ لَهُمْ سِنَنُ كَسْنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بَلْ وَأَنْ تَكُونَ آرَائِهِمْ حَجَةً عَلَى النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ — كَانَ مِنْ بَدْعِ الْفَتَنَاتِ الْمُتَرَحِّفَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَالْمَناصِرَةُ لِفَسَادِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ ، وَبَسَرَ بْنِ أَرْطَاطَةَ ، وَسَمْرَةَ مِنْ جَنْدِبَ ، وَعُمَرُو بْنِ العَاصِ ، وَالْمَغْرِبَةَ بْنِ شَعْبَةَ ، وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حَدِيجَ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَا عَدْرَ لَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ ، وَلَا يُسْتَطِعُ أَحَدٌ تَقْدِيمَ العَزْرَ لَهُمْ فِيهَا ، إِلَّا طَرِيقُ نَسْبَةِ الْعَدْلَةِ إِلَيْهِمْ ، وَكَذَا نَسْبَةُ حَقِّ الْاجْتِهَادِ لَهُمْ حَتَّى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قِبَالَةُ النَّصَّ ، فَعَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَتَشَبَّهُوا بِهِ ، فَصَارَ هَذَا الْخَلِيلُ الْمُسْحَوْجُ الْمُجْهِنُ سَنَةً سَارَتْ عَلَيْهَا الْجَمَاعَاتُ الْلَّاْحِقَةُ بِهِمْ دُونَ أَدِنَيْ وَفَقَهَةً أَوْ مَرَاجِعَةً لِمَدِي صَوَابِ ذَلِكَ الْمَهْجُونِ الْمَخَاطِرِيِّ وَالْمَرْدُودِ .

.....

(190)

.....

ثم إنَّ صاحب الشريعة لم يزل يتعاهد تلك البذرة ، ويُسقيها بماء النمير العذب من كلماته وإشاراته ، في أحاديث مشهورة عند أئمة الحديث من علماء السنة ، فضلاً عن الشيعة ، وأكثرها مروي في الصحيحين ، مثل : قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْهِ مَا يَنْهَا هَارُونَ مِنْ مُوسَى »^١ .

ومثل : « لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُغْضِبُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ »^٢ .

وفي حديث الطائر : « اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ »^٣ .

^١ انظر : صحيح البخاري ٥ : ٢٤ ، سنن ابن ماجة ١ : ٥٢ | ١١٤ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٤٠٤ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٣٨ | ٣٧٢٤ و ٣٧٣١ | ٦٤٠ ، أسد الغابة ٥ : ٨ ، الرياض النضرة ٣ : ١١٧ ، تاريخ بغداد ٤ : ١٠٤ ، حلية الأولياء ٧ : ١٩٤ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١ : ١٢٤ .

^٢ انظر : صحيح البخاري ٥ : ٨٦ | ١٣١ ، صحيح الترمذى ٥ : ٣٧١٧ | ٦٣٥ ، سنن ابن ماجة ١ : ١١٤ / ٤٢ ، تأريخ بغداد ٢ : ٢٥٥ ، و ٨٧ : ٤٢٦ ، حلية الأولياء ٤ : ١٨٥ ، الرياض النضرة ٣ : ١٨٩ .

^٣ انظر : سنن الترمذى ٥ : ٦٣٦ | ٣٧٢١ ، أسد الغابة ٤ : ٣٠ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٣٠ ، الرياض النضرة ٣ : ١١٤ ، حلية الأولياء ٦ : ٣٣٩ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ : ١٠٥ — ١٥١ ، تذكرة الخواص : ٤٤ .

ومثل : « لاعطين الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله »^١.

ومثل : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي »^٢.

و « عليٌ مع الحقٍ والحقٌ مع عليٍ »^٣.

إلى كثير من أمثالها مما لسنا في صدد إحصائه وإثبات أسانيده ، وقد كفانا ذلك موسوعات كتب الإمامية ، فقد ألف العالم الحبر السيد حامد حسين اللكتاهوي كتاباً أسماه (عبقات الأنوار) يزيد على عشرة مجلدات ، كل مجلد بقدر صحيح البخاري تقريباً ، أثبت فيها أسانيد تلك الأحاديث من الطرق المعتبرة عند القوم ومدليلها ، وهذا واحد من أوف ممّن سبقه ولحقه .

ثم لما ارتحل الرسول صلى الله عليه وآلـه من هذه الدار إلى دار القرار ، ورأى جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعلي عليه السلام : إما لصغر سنّه ! أو لأنّ قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة لبني هاشم ، زعموا منهم أنّ النبوة والخلافة إليهم يضعونها حيث شاءوا ! أو لأمور

^١ انظر : صحيح البخاري ٤ : ٦٥ و ٧٣ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٣٨ | ٣٧٢٤ ، سنن ابن ماجة ٤٥:١ | ١٢١ ، مستند أحمد ٤ : ٥٢ ، سنن البيهقي ٩ : ١٣١ ، التاريخ الكبير للبخاري ٧ : ٢٦٣ ، المصنف لعبد الرزاق ٥ : ٢٨٧ | ٩٦٣٧ .

^٢ انظر : سنن الترمذى ٥: ٦٦٢ | ٣٧٨٦ و ٦٦٣ | ٣٧٨٨ ، مستند أحمد ٣: ١٧ و ٥: ١٨١ ، مستدرك الحكم ٣: ١٠٩ و ١٤٨ ، أسد الغابة ٢: ١٢ .

^٣ انظر : تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١ ، مستدرك الحكم ٣: ١٢٤ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٣: ١١٥٩ | ١١٧

أُخرى لسنا بصدد البحث عنها ، ولكنَّه باتفاق الفريقيْن امتنع أولاً عن البيعة ، بل في صحيح البخاري — في باب غزوة خيبر : أنه لم يُبايع إلَّا بعد ستة أشهر^١ .

^١ صحيح البخاري ٥ : ١٧٧ ، وانظر كذلك : صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ٥ : ١٥٢ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١ ، صحيح الذهب ٢ : ٣٠٢ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٧ ، الصواعق المحرقة : ١٣ .

وتبعه على ذلك جماعة من عيون الصحابة ، كالزبير وعمّار والمقداد وآخرين^١ .

ثمَّ لَمْ رأَيْ تَخْلُفَه يَوْجِب فَتْقًا فِي الإِسْلَام لَا يُرْتَق ، وَكَسْرًا لَا يُجْبَر ، وَكُلُّ أَحَد يَعْلَم أَنَّ عَلَيْهِ مَا كَان يَطْلَب الْخِلَافَة رَغْبَة فِي الْإِمْرَة ، وَلَا حِرْصًا عَلَى الْمُلْك وَالْغَلْبَة وَالْأَثْرَة ، وَحَدِيثَه مَعَ ابْنِ عَبَّاس بَذِي قَارِ مَشْهُور^٢ ، وَإِنَّمَا يَرِيد تَقوِيَّة الإِسْلَام ، وَتَوْسِيع نَطَاقَه ، وَمَدْ روَاقَه ، وَإِقَامَة الْحَق ، وَإِمَاتَة الْبَاطِل .

وَحِينَ رَأَيَ أَنَّ الْمُتَخَلِّفِينَ^٣ — أَعْنِي الْخَلِيفَة الْأَوَّل وَالثَّانِي — بِذَلِّ أَقْصَى الْجَهَد فِي نَسْرَ كَلْمَة التَّوْحِيد ، وَبِجَهِيزِ الْجَنُود ، وَتَوْسِيعِ الْفَتوْح ، وَلَمْ يَسْتَأْنُرُوا وَلَمْ يَسْتَبِدُوا ، بَايْعَ وَسَالِم ، وَأَغْضَى عَمَّا يَرَاه حَقًّا لَه ، مَحَافَظَة عَلَى الإِسْلَام أَنْ تَتَصَدَّعْ وَحْدَتَه ، وَتَتَفَرَّقَ كَلْمَتَه ، وَيَعُودُ النَّاس إِلَى جَاهْلِيَّتِهِم الْأُولَى .

^١ منهم : أبو ذر الغفارى ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن عمرو ، وعمار بن ياسر ، وفروة بن عمرو ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبي بن كعب ، والبراء بن عازب ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وخزيمة بن ثابت ، وغيرهم .

راجع : مروج الذهب ٢ : ٣٠١ ، العقد الفريد ٤ : ٢٥٩ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٥ ، تاريخ العقاوى ٢ : ١٠٣ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٣ .

^٢ قال عبد الله بن عباس : دخلتُ عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام بذِي قار وهو يخصف نعله ، فقال رحْمَهُ اللَّهُ لِي : ما قيمة هذهِ النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها .

فقال عليه السلام : « والله هي أحب إلى من إمرتكم إلا أنْ أُقيم حَقًا ، أو أدفع باطلًا »
انظر : شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١ : ٣٢ | ٧٦ .

^٣ صواهِمَا (المختلف) لأنَّ الأمر برمته كان في عهد أبي بكر ، ومثل ذلك في المفردات اللاحقة ، فلاحظ .

وبقي شيعته منضوين تحت جناحه ، ومستنيرين بمصباحه^١ ، ولم

^١ إن إدراك حقيقة الموقف الذي اتخذه أمير المؤمنين على عليه السلام بالتسليم الظاهري لواقع الحال الذي ترتب عليه وضع الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا يتأتى إلاّ من خلال التأمل الدقيق لمفردات الواقع الذي عايشته تلك الدولة الفتية والغضة أبان تلك الفترة الحساسة والحقيقة من حياتها وجودها المقدس .

أقول : إنَّ من الثابت الذي سجله معظم المؤرخين لتلك الحقبة الغابرة من التاريخ الإسلامي أنَّ أباً بكر وعمر وجماعة من الصحابة حاولوا قسراً وهميًّا إجبار الإمام علي عليه السلام على البيعة لأبي بكر أول الأمر ، والتنازل عن موقفه المبني على حقة الشرعي في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى بلغ الأمر بهم إلى التهديد الصريح بإحرق بيته عليه السلام ، وحيث كانت فيه بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وثلاثة من الصحابة الذين أعلنوا رفضهم لما ترتب عليه الأمر في سقيفة بين ساعدة أثناء غيبة أهل البيت عليهم السلام وانشغالهم بأمر تغسيل وتكفير رسول الله صلى الله عليه وآله ، بالشكل الذي ينبغي أن يكون عليه ، لما يمثله من الوداع الأخير لنبي الرحمة صلى الله عليه وآله . . . وإلى حقيقة هذه المحاولة الخطيرة التي جاء إليها هؤلاء الصحابة وأشارت بوضوح الكثير الكثير من المصادر والمراجع التاريخية المختلفة المشتبة لوقائع الأيام الأولى لما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله .

راجع : تاريخ الطبرى ، الإمامية والسياسة لابن قتيبة ، أنساب الأشراف للبلذارى ، تاريخ ابن شحنة ، تاريخ أبي الفداء ، شرح النهج لابن أبي الحميد المعترلي ، كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، مروج الذهب ، العقد الفريد ، كتاب أعلام النساء لابن طيفور ، وغيرها .

ونحضرني اللحظة جملة أبيات شعرية قرأتها للشاعر حافظ إبراهيم ، تشير بوضوح إلى هذا الأمر ، يقول فيها :

وَقَوْلَةٍ لِعَلَىٰ قَالُهَا عُمَرُ * أَكْرِمٌ بِسَامِعِهَا أَعْظَمٌ بِمُنْقِبِهَا

حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أُبْقِي عَلَيْكَ بِهَا * إِنْ لَمْ تُبَايِعْ ، وَبَنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا !!

ما كَانَ غَيْرُ أَبِي حَفْصٍ بِقَائِلِهَا * أَمَامٌ فَارِسٌ عَدَنَانٌ وَحَامِيَهَا !!!.

بيد أن هذه المحاولة الرهيبة — والتي تشكّل سابقة خطيرة في التاريخ الإسلامي ، وغيرها من المحاولات السقيمة — لم تكن لتؤدي بالنتيجة المرجوة من قبل الحكومة الإسلامية آنذاك لولا الحسن العريق ، والإدراك الدقيق لجملة النتائج المترتبة على الوقوف المعارض المعلن أمام ذلك الطرف المستهجن في مسيرة الدولة الإسلامية — وما سيتلاقي به مع واقع الحال الذي يحيط بالدولة الفتية من كل جانب — لدى الإمام علي عليه السلام ، وإلى ذلك تشير خطبه وكلماته الملية بالشكوى والتظلم .

نعم ، لقد كانت المدينة المنورة وما يحيط بها حلقة حساسة وخطيرة لقراها من مركز الدولة الإسلامية وعاصمتها ، في حين كان يعيش بين جدرانها والى جوارها من يريد الكيد لها ، والانقضاض عليها ، ومن هؤلاء :

أولاً: المنافقون الذين كانوا يشكلون شريحة لا يستهان بها ، بل وكان خطورهم أكبر وأعظم من أن يُغضض الطرف عنه .

قال تعالى في سورة التوبه الآية ١٠١ : { وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنَ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْذِبُهُمْ مَرَيْئِينَ ثُمَّ يُرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } .

ثانياً : اليهود ، وهم أشد الناس عداوة للإسلام وأهله .

ثالثاً : الدول والإمبراطوريات التي كانت ترى في السلام خطراً أكيداً عليها ، كالروماني والاكاسرة والقياصرة .

رابعاً : المراكز المنحرفة والفاشدة التي حاولت عبثاً أن تجد لها موطناً قديماً في أرض الواقع ، يضاف إليها مدعى النبوة من وجدوا أعداداً لا يستهان بها من الحمقى والمغفلين يؤيدونهم في ترهاتهم ومفاسدهم أمثال : مسیلمة الكذاب ، وطلیحة بن خویلد ، وسجاح بنت الحرت .

وغير ذلك من الأسباب الأخرى ، والتي أدرك الإمام علي عليه السلام مدى خطورها على الدولة الإسلامية المباركة التي كاد مجاهده وسيفه الفضل الأكبر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في إقامتها وتبنيتها .

وإليك أخي القارئ الكريم شيئاً من كلماته عليه السلام الموضحة لواقع الحال الذي عاشه عليه السلام ، والذي دفعه لغض النظر عن حقه الشرعي ، ومكانه الحقيقي :

قال عليه السلام فيما يعرف بالخطبة الشقشيقية : « أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ تَقْصَصَهَا فَلَانْ [وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ: ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ ، وَلَا خَلَافٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ لَوَاضِحٌ ، وَالتَّلْمِيذُ يَعْنِي عَنِ التَّصْرِيفِ هُنَا] وَإِنَّهُ لِيَعْلَمُ أَنَّ مَحْلِي مِنْهَا مَحْلُ الْقَطْبِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، يَنْحُدِرُ عَنِ السَّيْلِ ، وَلَا يَرْقُى إِلَى الطَّيْرِ ، فَسَدَّلْتُ دُونَهَا ثُوَبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا ، وَطَفَقْتُ أَرْتَهِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءِ ، أَوْ أَصِيرَ عَلَى طُخْيَةِ عَمِيَاءِ ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشَبِّهُ فِيهَا الصَّغِيرَ ، وَيَكْدُحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى بِهِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّرِيرَ عَلَى هَاتَنِ الْأَحْجَجِ .

فَصَبِرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذِيًّا ، وَفِي الْحَلْقِ شَحَّاً ، أَرَى ثُرَاثِي نَهْبًا

وفي إحدى خطبه عليه السلام يقول : « . . . فَنَظَرْتُ إِذَا لَيْسَ لِي مَعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَظَنَنْتُ بَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذِيِّ ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشُّجْنِ ، وَصَبِرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ ، وَعَلَى أَمْرِ مِنْ طَعْنِ الْعَلْقَمِ » .

وفي كتابه عليه السَّلَام إلى أهل مصر يقول : « . . . فما راعي إلا إنشغال الناس على فلان ليبايعونه ، فامسكتُ يدي حتىرأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فخشيتُ إنْ لم أنصر الإسلام وأهله أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا ينكم ». .

وقوله عليه السَّلَام عند فتنة الجمل : « فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي ، مُستأثراً علىيَّ منذ قبض الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ». .

ويروي هو عليه السَّلَام حديثاً له مع بعض الصحابة : « وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب — لحريص ! فقلتُ : بل أنتم والله أحرص وأبعد ، وأنا أخص وأقرب ، وإنما طلبتُ حقاً لي وأنتم تحولون بيبي و بينه ، وتضربون وجهي دونه .

فلما قرعته باللححة في الملا حاضرين هبَ كأنه يُهْتَ لا يدرِي ما يجيئ به ». .

وأخيراً إليك أخي القارئ الكريم دعاء أمير المؤمنين عليه السلام وتظلمه مما وقع عليه من قِبَل قريش ، فتأمل فيه بروية وإمعان : « اللهم إني أستعديك على قريش ، ومن أعادهم ، فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم مترلي ، وأجمعوا على منازعي أمرأ هو لي ». .

(196)

يُكَلِّنُ لِلشِّيَعَةِ وَالشِّيَعَةِ يُوْمَئِذٍ بِمَحَالِ الظَّهُورِ ، لَأَنَّ الْإِسْلَامَ كَانَ يَجْرِي عَلَى مَنَاهِجِهِ الْقَوِيمَةِ ، حَتَّى إِذَا تَمَيَّزَ
الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَتَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، وَامْتَنَعَ مَعَاوِيَةُ عَنِ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهَارِبٍ فِي
(صَفَّيْنِ) ، انْضَمَ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ أَكْثَرُهُمْ تَحْتَ رَأْيِهِ^١ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ
عَظِيمَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ثَمَانُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ بَدْرِيَّ عَقْبَيٌ : كَعْمَارٌ بْنُ يَاسِرٍ ، خَرْبِيَّ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ،
وَأَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَنَظَرَائِهِمْ .

ثُمَّ لَمَ قُتِلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَبَ الأَمْرُ لِمَعَاوِيَةِ ، وَانْفَضَّ دُورُ

^١ منهم : عمار بن ياسر ، خريفة بن ثابت ذو الشهادتين ، أبو عمارة الأنباري ، ثابت بن عبيد الأنباري ، عبد الله بن بدبل المخزاعي ، أبو الهيثم مالك بن التيهان ، هاشم المقال ، عبد الرحمن بن بدبل المخزاعي ، جندب بن زهير الأزدي ، سعد بن الحارث الأنباري .

الخلفاء الراشدين ، سار معاوية بسيرة الجبابرة في المسلمين ، واستبد واستأثر عليهم ، و فعل في شريعة الإسلام ما لا مجال لتعداده في هذا المقام ، ولكن باتفاق المسلمين سار بضد سيرة من تقدمه من الخلفاء ، وتغلب على الأمة قهراً عليها ، وكانت أحوال أمير المؤمنين عليه السلام وأطواره في جميع شؤونه حاربة على نواميس الزهد والورع ، وخشونة العيش ، وعدم المخادعة والمداهنة في شيء من أقواله وأفعاله ، وأطوار معاوية كلّها على الضد من ذلك تماماً .

وقضية إعطائه مصر لابن العاص على الغدر والخيانة مشهورة^١ ، وقهر

^١ روت المصادر التاريخية المختلفة : أن معاوية بن هند لما عزم على الخروج على علي ابي طالب عليه السلام ، أرسل إلى عمرو بن العاص طالباً منه القدوم إليه من مصر ، فشد إليه الرحال حتى قدم عليه في الشام ، فتذاكرا أمر الخروج على علي عليه السلام وقتاله ، فترادا في القول حتى قال معاوية له : ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ، ونُلزمه قتل عثمان .

فقال عمرو: واسوأاته ، إنَّ أَحَقَ النَّاسُ أَلَا يُذْكَرُ عُثْمَانُ لَا أَنَا وَلَا أَنْتَ !

فقال معاوية : ولِمَ وَيَحْكُ ؟

فقال : أما أنت فخذلته — ومعك أهل الشام — حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي ، وأما أنا فتركته عياناً وهررت إلى فلسطين ! !

فقال معاوية : دعني من هذا ، مُدَّ يدك فباعني .

قال : لا لعمر الله ، لا أُعطيك ديني حتى آخذ من دنياك !

فقال معاوية بن هند: لك مصر طعمة .

وهكذا اتفق الفريقان حيث تم لمعاوية ما أراد من شراء دين ابن العاص قبل ثمن زهيد ومتاع قليل ، لم يلبث أن خلفه من وراءه ليقف أمام محكمة السماء متقدلاً بذنبه ومعاصيه ، حتى قيل أنه تذكر ذلك على فراش الموت — على ما ترويه كتب التاريخ — فقال : يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ، أثرت دنياي وتركت آخرتي ، عُمّي على رشدي حتى حضرني أحلى .

الأُمَّةَ عَلَى بَيْعَةِ يَزِيدٍ^١ ، وَاسْتِلْحَاقِ زِيَادِ أَشْهَرٍ^٢ ، وَتَوْسِعَهُ بِالْمَوَائِدِ وَالْأَلوَانِ الْمَطَاعِمِ الْأَنْيَقَةِ مَعْلُومٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ ، وَفِي ظُلْمِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي كَانَ يَصْرُفُهُ

أنظر: وقعة صفين : ٣٤ ، تاريخ البغوي ٢ : ١٨٤ ، شرح نجح البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٦١ | ٢ ، سير أعلام النبلاء ٧٢ : ٣ ، مختصر تاريخ دمشق ١٩ : ٢٤٤ ، العقد الفريد ٤ : ٩٢ و ٥ : ٩٧ ، عيون الأخبار ١ : ٤٣٨ .

^١ وتلك والله وحدها موبقة عظيمة كفيلة بإيriad معاوية في أسفل درك الجحيم ، حيث ملأ رقاب الأمة رجالاً تجمعت فيه كل صفات الرذيلة والانحطاط بشكل جلي ، بل وكان من أوضح الناس عداءً لله ولرسوله ، وبغضاً لأهل بيته عليهما السلام ، حتى فعل ما فعل إبان حكمه القصير من الفجائع والنكبات ما ترتعش من هولها السموات والأرضيات ، كان أعظمها قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورياحتاته ، وسيد شباب أهل الجنة ، الإمام السبط الحسين بن علي بن أبي طالب عليهمما السلام مع إخوانه وأهل بيته وأصحابه ، بل وسي عياله والطواف بهم في البلدان بشكل تنفس له القلوب ، وتنتصد له الجبال فما فعل معاوية بهذه الأمة وما جنن عليها بل ومن تتعلق هذه الجنائية العظيمة ، والرزية المهولة ؟

ثم هل ينجو معاوية من واقعة الحرج التي فجع فيها ولده اللعين مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستباح فيها الأموال والدماء والأعراض ، وغير ذلك مما لا تحتمله القلوب ولا تصدقه العقول ، بل ووضع سيفه في رقاب المسلمين حتى قتل يومئذ من المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين أكثر من عشرة آلاف رجل كما تذكر ذلك الكثير من المراجع والمصادر المختلفة ، حتى لقد قيل بأنه لم يبق في المدينة بدرى بعدها ، ناهيك عن قتل من النساء أيضاً والصبيان . . . ، بل وروي أيضاً بأن جنده وأزلامه افتضوا في هذه الواقعة ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار ، وأمرروا المسلمين بالبيعة لأميرهم اللعين يزيد على أنهم عبيد وخول ، إن شاء استرق وإن شاء أعتق ! ! .

نعم ، هذه وغيرها من الموبقات العظيمة التي لا عد لها ولا حصر ، والتي لا تصدر إلا عن كافر ، خبيث السريرة ، نتن الطوية ، لعن المرتع .

وأخيراً أقول : ماذا فعل معاوية بهذه الأمة ، وأن له التنصُّل من تبعات هذه الأفعال الشفال التي لحقت بأفعاله هو والتي لا تقل عنها فساداً ولا انحرافاً .

^٢ نعم ألحقه بدعوى أن أبي سفيان زنى بسمية — وكانت من ذوات الرايات — وهي على فراش عبيد ، فحملت بزياد ، وذلك بشهادة أبي مريم ، المتاجر بالخمور والقيادة ، فهنيئاً لlama الإسلامية بكل ذرءاً لا يزال البعض يتكتون لهم الاحترام والتقدير والتقديس ، بعد أن حرفوا الذين ، وضيّعوا حدوده ، وأباحوا حرماته ، وسفكوا دماء أهله ، وما تركوا شيئاً منكراً إلا وفعلوه .

(199)

الخليفتان^١ في الكراع والسلح والجند .

ويحدثنا الوزير أبو سعيد منصور بن الحسين الابي المتوفى سنة (٤٢٢) في كتابه (نشر الدرر) : ما نصّه :

قال أحنف بن قيس : دخلت على معاوية فقدم لي من الحار والبارد ، والحلو والحامض ، ما كثر تعجي منه ، ثم قدم لوناً لم أعرف ما هو : فقلت : ما هذا ؟

فقال : هذا مصارين البط محسنة بالملح ، قد قلبي بدهن الفستق ، وذر عليه بالطبرزد .

فبكى ، فقال : ما يُبكيك ؟

قلت : ذكرت علياً ، بينما أنا عنده وحضر وقت الطعام وإفطاره — وسائلني المقام — فجيء له بجراب مختوم ، قلت : ما في الجراب ؟

قال : سويق شعير.

قلت : خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به ؟

قال : لا ولا أحدهما ، ولكن خفت أن يلته الحسن والحسين بسمن أو زيت .

فقلت : محروم هو يا أمير المؤمنين ؟

أنظر: تاريخ الطبرى ٥: ٢١٤ ، الكامل في التاريخ ٣: ٤٤١ ، مروج الذهب ٣: ١٩٣ ، العقد الفريد ٥: ٢٦٧ و ٦: ١٤٤ ، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٥ ، الإصابة ٣: ٤٣ .

^١ لعله رحمه الله تعالى يقصد بما أبا بكر وعمر ، ولكن لم أدرك وجه تخصيصهما بذلك ، فتأمل .

فتهال : لا ، ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتذروا أنفسهم من ضعفة الناس لغلا يطغى الفقير فقره .

فقال معاوية : ذكرتَ مَنْ لا ينكر فضله^١ .

^١ نشر الدر ١ : ٥ ، ٣ .

وتجد في (ربيع الأبرار) للزمخشي ونظائره لهذه النادرة نظائر كثيرة^١ .

هذا كلّ الناس قريو عهد بالنبي والخلفاء ، وما كانوا عليه من التجاف عن زخارف الدنيا وشهوتها ، ثم انتهى الأمر به إلى أنْ دسَ السُّم إلى الحسن عليه السَّلام فقتله^٢ ، بعد أنْ نقض كل عهد وشرط عاهد الله عليه له^٣ ، ثم أخذ البيعة لولده يزيد قهراً ، وحاله معلوم عند الأمة يومئذ أكثر مما هو معلوم عندنا

^١ انظر: ربيع الابرار ١: ٩٠ ، ٩٢ ، ٨٠٧ ، ٩٢ ، ٨٣٥ و ٢: ٦٩٣ ، ٧٢٠ ، ٧٧: ٣ و ٤: ٨٠ و ٢٤٢ و ٢٣٩ .

^٢ مقاتل الطالبين : ٧٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٦: ٤٩ ، الاستيعاب بкамش الإصابة ١: ٣٧٥ ، مروج الذهب ٣: ١٨٢ | ١٧٦٠ .

^٣ قد يكتفي البعض بمقولة معاوية بن هند في مسجد الكوفة من أن كلَّ العهود والمواثيق — التي أبرمتها وتعهد للإمام الحسن عليه السلام بالوفاء بها ، وأشهد على نفسه في ذلك الشهود — تحت قدميه لا يفي منها شيء ، إلاّ أن استقراء سيرة معاوية وأفعاله بعد ذلك الصلح خير شاهد على هذا النقض والتخلص عما عاهد الله تعالى عليه لأن يفي به .

بلى ، فقد عاهد الإمام الحسن عليه السلام بأن تكون الخلافة له بعد موته ، وإذا توفي الإمام الحسن عليه السلام قبله فإنَّ الخلافة تكون للإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية ، بيد أنه (أي معاوية) جهد على إستحصال البيعة لولده يزيد الفاجر بشتى الوسائل والذرائع بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام ، حين كان قد تحايل في التمهيد لإذاعة هذا الأمر في حياة الإمام الحسن عليه السلام على ما تذكره المراجع المختلفة .

ثم إنَّ معاوية تعهد للإمام الحسن عليه السلام بالكف عن مطاردة شيعته وحقن دمائهم ، لكنه لم يترك وجهًا من أصحاب الإمام عليه السلام وشيعته إلاّ ونكل به أو قتله .

بل ونقض ما تعهد به من رفع السنة السيئة التي ابتدعها بسب الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام على المنابر ، ولكنَّ هلك وهلك الذين بعده وهم على هذه الفعلة النكرة دائمون ، حتى نهى عنها عمر بن عبد العزيز من بعد . واحيأً فقد تعهد بأن يحكم بما في القرآن وما جاء عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . . . وكما قيل شتان بين مشرق ومغرب .

اليوم .

فَمِنْ هَذَا وَأَصْعَافُ أَمْثَالِهِ اسْتَمْكِنُ الْبَعْضُ لَهُ وَالْكَرَاهَةُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ رَجُلٌ دُنْيَا لَا عَلَاقَةُ لَهُ بِالدِّينِ ، وَمَا أَصْدَقُ مَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ فِيمَا حَدَّثَنَا الزَّمْخَشْرِيُّ فِي (رِبيعِهِ) قَالَ : قَالَ معاوية : أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَدْ سَلَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَلَمَتْ مِنْهُ ، وَأَمَّا عُمرٌ فَقَدْ عَالَجَهَا وَعَالَجَتْهُ ، وَأَمَّا عُثْمَانَ فَقَدْ نَالَ مِنْهَا وَنَالَتْ مِنْهُ ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ تَضَعَّتْهَا ظَهِيرًا لِبَطْنِي ، وَانْقَطَعَتْ إِلَيْهَا وَانْقَطَعَتْ إِلَيْيَّ^١ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ — أَعْنِي يَوْمَ خِلَافَةِ معاوِيَةَ وَيَزِيدَ — انْفَصَلَتِ السُّلْطَةُ الْمَدْنِيَّةُ عَنِ الدِّينِ ، وَكَانَتْ مُجَمَّعَةً فِي الْخَلْفَاءِ الْأَوَّلَيْنَ ، فَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَقْبِضُ عَلَى إِحْدَاهُمَا بِالْيَمِينِ وَعَلَى الْأَخْرِيِّ بِالشَّمَالِ ، وَلَكِنَّ مِنْ عَهْدِ معاوِيَةِ عَرَفُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ عَلَى شَيْءٍ ، وَأَنَّ الدِّينَ لِهِ أَئْمَةٌ وَمَرَاجِعٌ هُمْ أَهْلُهُ وَأَحْقَقُهُ ، وَلَمْ يَجِدُوا مَنْ تَوَفَّرَ فِيهِ شُرُوطُ الْإِمَامَةِ — مِنْ : الْعِلْمِ ، وَالْزَّهْدِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَشَرْفِ الْحَسْبِ وَالنَّسْبِ — غَيْرُ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوِلْدِهِ .

ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ الصَّحَابَةُ لِلنَّاسِ مِنْ كَلِمَاتِ النَّبِيِّ فِي حَقِّهِمْ ، وَالإِيَّازِ إِلَى أَحْقِيقِهِمْ ، فَلَمْ يَزِلَ التَّشْيُعُ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْلَادِهِ — بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ — يَنْمُو وَيُسْرِي فِي جَمِيعِ الْأَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَرِيَانَ الْبُرُءِ فِي جَسَدِ الْعَلِيلِ ، خَفِيًّا وَظَاهِرًّا ، وَمُسْتَوْرًًا وَبَارِزًًا .

ثُمَّ تَلَاهَ شَهَادَةُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا جَرِيَ عَلَيْهِ يَوْمُ الطَّفِ ، مَمَّا أَوجَبَ انْكِسَارَ الْقُلُوبِ وَالْجُرُوحِ الدَّامِيَّةِ لَهُ فِي النُّفُوسِ ، وَهُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَرِيحَانَتِهِ ، وَبَقَايَا الصَّحَابَةِ : كَزِيدُ بْنُ أَرْقَمَ ، وَحَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، الَّذِينَ شَاهَدُوا حَفَاوةَ رَسُولِ اللَّهِ

راجع ما شئت من كتب التاريخ التي تحدثت عن هذه الواقعة ، واحكم بما يعلمه عليك دينك وعقلك .

^١ ربيع الأبرار ١ : ٩٠ .

صلى الله عليه وآلـهـ به وبـأـخـيهـ ، وكـيـفـ كانـ يـحـمـلـهـمـاـ ويـقـولـ : « نـعـمـ المـطـيـةـ مـطـيـتـكـماـ ، وـنـعـمـ الـراكـبـانـ أـنـتـمـاـ . وـأـنـهـمـاـ سـيـدـاـ شـيـابـ أـهـلـ الجـنـةـ^١ ، وـكـثـيرـ منـ أـمـثـالـ ذـلـكـ ، لـمـ يـزـالـواـ بـيـنـ ظـهـرـانـيـ الـأـمـةـ يـبـثـونـ تـلـكـ الـأـحـادـيـثـ ، وـيـنـشـرـونـ تـلـكـ الـفـضـائـلـ ، وـبـنـوـ أـمـيـةـ يـلـعـونـ فـيـ دـمـائـهـمـ ، وـيـتـعـقـبـوـهـمـ قـتـلـاـ وـسـمـاـ وـأـسـرـاـ .

كـلـ ذـلـكـ كـانـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ مـمـاـ يـزـيدـ التـشـيـعـ شـيـوعـاـ وـأـنـتـشـارـاـ ، وـيـجـعـلـ لـعـلـيـ عـلـيـ السـلـامـ وـأـوـلـادـ الـمـكـانـةـ الـعـظـمـىـ فـيـ النـفـوسـ . وـغـرـسـ الـحـبـةـ فـيـ الـقـلـوبـ ، وـالـمـظـلـومـيـةـ — كـمـاـ يـعـلـمـ كـلـ أـحـدـ — لـهـ أـعـظـمـ الـمـدـخـلـيـةـ.

فـكـانـ بـنـوـ أـمـيـةـ كـلـمـاـ ظـلـمـوـاـ وـاستـبـدـوـاـ ، وـاستـأـثـرـوـاـ وـتـقـاتـلـوـاـ عـلـىـ الـمـلـكـ كـانـ ذـلـكـ كـخـدـمـةـ مـنـهـمـ لـأـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـتـرـوـيجـاـ لـأـمـرـهـمـ ، وـعـطـفـاـ لـلـقـلـوبـ عـلـيـهـمـ ، وـكـلـمـاـ شـدـدـوـاـ بـالـضـغـطـ عـلـىـ شـيـعـتـهـمـ وـمـوـالـيـهـمـ ، وـأـعـلنـوـاـ عـلـىـ مـنـابـرـهـمـ سـبـ عـلـيـ عـلـيـ السـلـامـ وـكـتـمـانـ فـضـائـلـهـ ، وـتـحـوـيرـهـاـ إـلـىـ مـثـالـبـ ، اـنـعـكـسـ الـأـمـرـ وـصـارـ (ـرـدـ فـعـلـ)ـ عـلـيـهـمـ .

أـمـاـ سـمعـتـ مـاـ يـقـولـ الشـعـيـ لـوـلـدـهـ : يـاـ بـنـيـ ، مـاـ بـنـيـ الدـيـنـ شـيـئـاـ فـهـدـمـتـهـ الدـنـيـاـ ، وـمـاـ بـنـتـ الدـنـيـاـ شـيـئـاـ إـلـاـ وـهـدـمـهـ الدـيـنـ ، أـنـظـرـ إـلـىـ عـلـيـ [ـعـلـيـ السـلـامـ]ـ وـأـوـلـادـهـ ، فـانـ بـنـيـ أـمـيـةـ لـمـ يـزـالـواـ يـجـهـدـوـنـ فـيـ كـتـمـ فـضـائـلـهـمـ ، وـإـخـفـاءـ أـمـرـهـمـ ، وـكـأـنـمـاـ يـأـخـذـوـنـ بـضـعـهـمـ إـلـىـ السـمـاءـ . وـمـاـ زـالـوـاـ يـبـذـلـوـنـ مـسـاعـيـهـمـ فـيـ نـشـرـ فـضـائـلـ أـسـلـافـهـمـ ، وـكـأـنـمـاـ يـنـشـرـوـنـ مـنـهـمـ جـيـفـةـ .

هـذـاـ مـعـ أـنـ الشـعـيـ كـانـ مـنـ يـتـهـمـ بـيـغـضـ عـلـيـ عـلـيـ السـلـامـ^٢ .

^١ تراجع كتب الفضائل المختلفة ، فقد استفاضت بإيراد الكثير من الروايات الصحيحة الدالة على عظيم منزلة الحسين عليهما السلام .

^٢ راجع كتاب البيان في تفسير القرآن للسيد أبي القاسم الخوئي رحمه الله : ٥٠٠ ، فقد أورد فيه مباحثًا شافيًا حول هذا الموضوع ، موثقاً بالأدلة الواضحة والصریحة .

ولكنَّ الزمخنثري يحدِّثنا عنه في (ربیعه) : أَتَهُ كَانَ يَقُولُ : مَا لَقِينَا مِنْ عَلَيْ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] إِنْ أَحِبَّنَا قُتِلْنَا وَإِنْ أَبْغَضَنَا هَلَكْنَا^١ .

إِلَى أَنْ تَصْرَّمَتِ الدُّولَةُ السَّفِيَّانِيَّةُ وَخَلْفَتِهَا الدُّولَةُ الْمَرْوَانِيَّةُ^٢ ، وَعَلَى رَأْسِهَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، نَصَبَ الْحَجَّاجَ الْمَجَانِقَ عَلَى الْكَعْبَةِ بِأَمْرِهِ حَتَّى هَدَمَهَا وَأَحْرَقَهَا ، ثُمَّ قُتِلَ أَهْالِهَا ، وَذَبَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَالْمَقَامِ ، وَانْتَهَى حِرْمَةُ الْحَرَمِ الَّذِي كَانَ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْظِيمَهُ وَلَا تَسْتَبِعُ دَمَاءَ الْوَحْشِ فِيهِ فَضْلًا عَنِ الْبَشَرِ ، وَأَعْطَى عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَابْنِ عَمِّهِ عُمَرُ بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ ثُمَّ قُتِلَهُ غَدْرًا وَغَيْلَةً حَتَّى قَالَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكْمِ مِنْ آيَاتِ :

٣ غَدَرْتُمْ بِعُمَرٍ يَا بْنَ خَيْطٍ بَاطِلٍ * وَمَثَلُكُمْ يَبْنُ الْعُهُودِ عَلَى الْغَدَرِ

١ ربیع الأبرار ١ : ٤٩٤ .

٤ ينقسم الأمويون إلى بطئين كبيرين ، هما : العنابية ، والاعياص . فالعنابية يعودون بنسبيهم إلى عنبسة عم أبي سفيان بن حرب ، ومنه كل سرت تسميتها عليهم ، فأسموا بالسفويين .

وأمام الاعياص فيعودون بنسبيهم إلى رجل يقال له : العيص ، أو العويص ، أو العاص ، أو أبا العاص ، والذي من أبناءه الحكم ، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله ، هو وابنه مروان سيئ الذكر .

فالسفويون كانوا هم الذين امتطوا أول الأمر ناصية الدولة الإسلامية في عهد معاوية بن أبي سفيان عام (٤١ هـ) وحيث امتدت دولتهم حتى نهاية حكم معاوية الثاني وتسلّم مراون بن الحكم زمام الأمور عام (٦٤ هـ) ليُتّيّم بعد ذلك ما أسمى بالدولة المروانية ، خلفاً للسفويين ، فشا به الخلف السلف .

٥ روت المصادر التاريخية : أَتَهُ بَعْدَ أَنْ خَالَفَ عُمَرُ بْنَ سَعِيدَ عَبْدَ الْمَلِكَ وَغَلَبَهُ عَلَى دَمْشَقٍ فِي سَنَةِ تِسْعَ وَسَيِّنَ هِجْرِيَّةَ ، حَصَلَ بَيْنَ الْاثْنَيْنِ قَتْلٌ اسْتَمْرَ أَيَّامًا ، ثُمَّ عَقَدَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا ، وَكَتَبَا بِذَلِكَ كِتَابًا ، وَآمَنَ عَبْدُ الْمَلِكُ عُمَرُو وَأَعْطَاهُ عَلَى ذَلِكَ الْعَهُودَ ، إِلَّا أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكَ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ نَفَضَ عَهْدَهُ ، وَضَرَبَ عَرْضَ الْحَائِطَ بِوَعْدِهِ ، وَخَانَ — وَلَيْسَتِ الْخِيَانَةُ إِلَّا خَحْلَةٌ مُتَوَاضِعَةٌ

(204)

فهل هذه الأعمال تسبيغ أن يكون صاحبها مسلماً ، فضلاً عن أن يكون خليفة المسلمين ،
وأمير المؤمنين ؟ !

ثم سارت المروانية كلها على هذه السيرة ، وما هو أشقر وأشقى منها ، عدا ما كان من العبد
الصالح عمر بن عبد العزيز .

ثم خلفتها الدولة العباسية ، فزادت — كما يقال — في الطنبور نغمات ، حتى قال أحد
مخضرمي الدولتين :

يا ليت جور بني مروان دام لنا * وليت عدل بني العباس في النار
وتتبعوا الذراري العلوية من بني عمهم ، فقتلواهم تحت كل حجر ومدر ، وخربوا ديارهم ،
وهدموا آثارهم ، حتى قال الشاعر في عصر المتوكل :

تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتته بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شار * كانوا في قتلها فتبعدوه رميمًا^١

من خصاهم — عمرو ، حيث أرسل إليه بعد أربعة أيام من دخوله دمشق مستضيفاً إياه ، ومرحباً به بشد الترحيب ، فوثق به عمرو ، واطمأن إليه ، إلا أن عبد الملك لم يلبث أن قتله قتلة بشعة ، بعد أن احتال عليه بخيلاً ماكراً .

انظر : تاريخ الطبرى ٦ : ١٤٠ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٢٩٧ ، مروج الذهب ٣ : ٣٠٤ ، العقد الفريد ٥ : ١٥٥ .

^١ ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء (صفحة ٢٧٧) وغيره : أن في سنة ست وثلاثين هجرية أمر المتوكل لعنه الله تعالى بدم قبر الإمام الحسين عليه السلام ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع . ومنع الناس من زيارته ، وخراب وبقي صحراء .

ضع في قبال ذلك سيرة بين علي عليه السلام وانسبها إلى سيرة المروانيين والعباسيين ، هناك
تنجلي لك الحقيقة في أسباب انتشار التشيع ،

وكان المتوكل معروفاً بالتعصب ، فتأمل المسلمين من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه
الشعراء ، فمما قيل في ذلك . . . وأورد الأبيات المذكورة .

وتعرف سخافة المهوسين أنها نزعة فارسية أو سبائية أو غير ذلك ، هناك تعرف أنها إسلامية محمدية لا غير.

انظر في تلك العصور إلى بني علي عليه السلام وفي أي شأن كانوا ، انظرهم وعلى رأسهم الإمام زين العابدين عليه السلام ، فإنه بعد شهادة أبيه انقطع عن الدنيا وأهلها ، وتخلى للعبادة ، وتربيه الأخلاق ، وتحذيب النفس ، والزهد في حطام الدنيا ، وهو الذي فتح هذا الطريق لجماعة من التابعين : كالحسن البصري ، وطاوس اليماني ، وابن سيرين ، وعمرو بن عبيد ، ونظائرهم من الزهاد والعرفاء ، بعد أن أوشك الناس أن تزول معرفة الحق من قلوبهم ، ولا يبقى لذكر الله أثراً إلا بأفواههم ، ثم انتهى الأمر إلى ولده محمد الباقر عليه السلام وحفيده جعفر الصادق عليه السلام ، فشادوا ذلك البناء .

وجاءت الفترة بين دولي بني أمية وبني العباس ، فاتسع المجال للصادق عليه السلام ، وارتفع كابوس الظلم وحجاب التقى ، فتوسعت في بث الأحكام الإلهية ، ونشر الأحاديث النبوية التي استقاها من عين صافية من أبيه ، عن جده ، عن أمير المؤمنين ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وظهرت الشيعة ذلك العصر ظهوراً لم يسبق له نظير فيما غير من أيام آبائه ، وتولعوا في تحمل الحديث عنه ، وبلغوا من الكثرة ما يفوت حد الإحصاء ، حتى أن أبو الحسن الوشاء قال لبعض أهل الكوفة : " أدركت في هذا الجامع — يعني مسجد الكوفة — أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين كل يقول : حدثني جعفر بن محمد^١ .

ولا نطيل بذكر الشواهد على هذا فنخرج عن الغرض ؛ مع أن الأمر

^١ راجع رجال النجاشي : ٤٠ | ٨٠ .

أجلٍ من ضاحية الصيف .

ولا يرتاتب متذرٌ أن اشتغال بني أمية وبني العباس في تقوية سلطانهم ، ومحاربة أعدائهم ، وأنهم كهم في نعيم الدنيا ، وتجاهرهم بالملاهي والمطربات ، وانقطاع بني علي عليه السلام إلى العلم والعبادة ، والورع والتجافى عن الدنيا وشهوتها ، وعدم تدخلهم في شأن من شؤون السياسة — وهل السياسة إلا الكذب والمكر والخداع — كل ذلك هو الذي أوجب انتشار مذهب التشيع ، وإقبال الجم الغفير عليه .

ومن الواضح الضروري أن الناس وإن تمكّن حب الدنيا والطموح إلى المال في نفوسهم ، وتملك على أهواهم ، ولكن مع ذلك فإن للعلم والدين في نفوسهم المكان المكين ، والمتزلة السامية ، لا سيما وعهد النبوة قريب ، وصدر الإسلام رحيب لا يمنع عن طلب الدنيا من طرقها المشروعة ، لا سيما وهم يجدون عياناً أن دين الإسلام هو الذي در عليهم بضروع الخيرات ، وصب عليهم شآبيب البركات ، وأذل لهم ملك الأكاسرة والقياصرة ، ووضع في أيديهم مفاتيح خزائن الشرق والغرب ، وبعض هذا فضلاً عن كله لم تكن العرب لتحلم به في المنام ، فضلاً عن أن تأتي بتحقيقه الأيام ، وكل هذا مما يبعث لهم أشد الرغبات في الدين ، وتعلم أحكامه ، والسير ولو في الجملة على مناهجه ، ولو في النظام الاجتماعي ، وتدبير العائلة ، وطهارة الأنساب ، وأمثال ذلك ، لا جرم أنهم يطلبون تلك الشرائع والأحكام أشد الطلب ، ولكن لم يجدوها عند أولئك المتخلفين ، والمتسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ! !.

نعم وجدوا أكمله وأصحه وأوفاه عند أهل بيته ، فدُنوا لهم ، واعتقدوا بإمامتهم ، وأنهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه واله حقاً ، وسدنة شريعته ، ومبلغو أحكامه إلى امته .

و كانت هذه العقيدة الإيمانية ، والعاطفة الإلهية ،

كشولة نار في نفوس بعض الشيعة ، تدفعهم إلى ركوب الأخطار ، وإلقاء أنفسهم على المشانق ، وتقديم أعناقهم أضاحي للحق ، وقرباين للدين .

اعطف بنظرك في هذا المقام إلى حجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، ورشيد المجري ، وميثم التمار ، وعبد الله بن عفيف الأزدي ، إلى عشرات المئات من أمثالهم ، انظر كيف نطحوا صخرة الضلال والجور وما كسرت رؤوسهم حتى كسروها وفضخوها ، وأعلنوا للملأ بمخازيها ، فهل تلك الإقدامات والتضحية من أولئك الليوث كانت لطبع مال ، أو جاء عند أهل البيت عليهم السلام ، أو خوفاً منهم وهم يومئذ الخائفون المشردون ؟ ! كلا ، بل عقيدة حق ، وغريزة إيمان ، وصخرة يقين .

ثم انظر إلى فطاحل الشعراء في القرن الأول والثاني ، مع شدة اطماعهم عند ملوك زمامهم ، وخوفهم منهم ، ومع ذلك كله لم يمنعهم عظيم الطمع والخوف — والشاعر مادي على الغالب والسلطة من حلفهم ، والسيوف مشهورة على رؤوسهم — أن جهروا بالحق ونصروه ، وجاحدوا الباطل وفضخوه .

خذ من الفرزدق ، إلى الكمي ، إلى السيد الحميري ، إلى دعبدل ، إلى ديك الجن ، إلى أبي تمام ، إلى البحترى ، إلى الأمير أبي فراس الحمداني صاحب الشافية :

الدين محترم والحق مهضوم * وفيء آل رسول الله مقتسم

إلى آخر القصيدة ، راجعها وانظر ما يقول فيها^١.

^١ تعد هذه القصيدة من روائع هذا الشاعر المبدع المتوفى سنة (٣٥٧ هـ) ، ومنها :

الحق مهضوم والدين محترم * وفيء رسول الله مقتسم

بل لكل واحد من نوابع شعراء تلك العصور القصائد الرنانة ، والمقاطع العبرية في مدح أئمة الحق ، والتشنيع على ملوك زمامهم بالظلم والجحود ، وإظهار الولاء لأولئك والبراءة من هؤلاء .

فلقد كان دعبدل يقول : إني أحمل خشبي على ظهري منذ أربعين سنة ، فلم أجد من يصلبني عليهما .

وكان قد هجا الرشيد والأمين والأموي والمعتصم ، ومدح الصادق والكاظم والرضا ، وأشعاره بذلك مشهورة ، وفي كتب الأدب والتاريخ مسطورة^١.

والناس عندك لأناس فيحفظهم * سوم الرعاة ولا شاء ولا نعم

إني أبكيت قليل النوم أرقني * قلب تصارع فيه الهم والهم

يا للرجال أما الله منتصر * من الطغاة؟ أما الله من ينتقم؟

بنو علي رعايا في ديارهم * والأمر تملكه النساء والخدم

محلئون فأصفى شرهم وشل * عند الورود وأوفى ودهم لم

* أَنفَخْرُونَ عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَكُمْ حَتَّىٰ كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَدُّكُمْ !

ولا توازن فيما بينكم شرف * ولا تساوت لكم في موطن قدم

بعض الجزاء جزيرتم في بني حسن * أباهم العلم الهاادي وأمههم

يا باعة الخمر كفوا عن مفاحركم * لعشر بييعهم يوم الهياج دم

الركن والبيت والأستار متلهم * وزمزم والصفا والحجر والحرم

^١ راجع ترجمتنا له في التراجم الملحقة بالكتاب .

هذا كله في أيام قوة بني أمية وبني العباس ، وشدة بأسهم وسطوهم ، فانظر ماذا يصنع الحق واليقين بنفوس المسلمين ، واعرف هنالك حق الشجاعة والبسالة ، والمفادة والتضحية ، وهذا بحث طويل الذيل ينصب — لو أردنا استيفاءه — انصباب السيل ، وليس هو المقصود الآن بالبيان ، وإنما المقصود بيان مبدأ [شجرة] التشيع وغارسها في حديقة الإسلام ، وشرح أسباب نشوئها ونموها ، وسموها وعلوها ، وما تكلمت عن عاطفة ، بل كباحث

(209)

عن حقيقة ، يمشي على ضوء أمور راهنة ، وعلل وأسباب معلومة ، وأحسبني بتوقيفه تعالى قد أصرحت بذلك وأعطيته من البحث حقه ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ثم لا يذهب عنك أنه ليس معنى هذا أنا نريد أن ننكر ما لأولئك الخلفاء من الحسنات ، وبعض الخدمات للإسلام ، التي لا يجحدها إلا مكابر ، ولسنا بحمد الله من المكابرین ، ولا سبابين ولا شتامين ، بل من يشكّر الحسنة ويغضي عن السيئة ، ونقول : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت عليها ما اكتسبت ، وحساهم على الله ، فإن عفا بفضله ، وإن عاقب بعدله ، وما كنا نسمح لصل القلم أن ينفت بتلك النفات لولا أن بعض كتاب العصر بتحاملهم الشيعي على الشيعة أحرجونا فأحوجونا إلى بشها (نفثة مصدر) وما كان صميم الغرض إلا الدلاله على غارس بذرة التشيع ، وقد عرفت أنه هو النبي الأمين ، وأن أسباب شيوعها وانتشارها سلسلة أمور مرتبطة بعضها ببعض ، وهي علل ضرورية تقتضي ذلك الأثر بطبيعة الحال .

ولنكتفي بهذا القدر من « المقصود الأول » ونستأنف الكلام في :

(210)

المقصد الثاني :

وهو بيان عقائد الشيعة (أصولاً وفروعاً) ونحن نورد أمehات القضايا ، ورؤوس المسائل ، على الشرط الذي أشرنا إليه آنفاً من الاقتصار على المجتمع عليه ، الذي يصح أن يقال : أنه مذهب الشيعة ، دون ما هو رأي الفرد والأفراد منهم .

فنقول : إن الدين ينحصر في قضايا خمس :

— 1. معرفة الخالق.

— 2. معرفة المبلغ.

— 3. معرفة ما تعبد به ، والعمل به.

— 4. الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة.

— 5. الاعتقاد بالمعاد والدينونة.

فالدين علم وعمل { أن الدين عند الله الإسلام }^١ والإسلام والإيمان مترادافان ، ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان :

التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ..

^١ سورة آل عمران (٣) : ١٩ .

فلو أنكر الرجل واحداً منها فليس بMuslim ولا مؤمن ، وإذا دان بتوحيد الله ، ونبوة سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله) ، واعتقد بيوم الجزاء — من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر — فهو Muslim حقاً ، له ما للMuslimين وعليه ما عليهم ، دمه وماله وعرضه حرام .

ويطلقان أيضاً على معنى أخص يعتمد على تلك الأركان الثلاثة وركن رابع وهو العمل بالدعائم التي بني الإسلام عليها وهي خمس :

(211)

الصلوة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد .

وبالنظر إلى هذا قالوا : الإيمان إعتقد بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان^١ ، { من آمن بالله ورسوله وعمل صالحا } .

فكل مورد في القرآن اقتصر على ذكر الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، يراد به الإسلام والإيمان بالمعنى الأول ، وكل مورد أضيف إليه ذكر العمل الصالح يراد به المعنى الثاني . والأصل في هذا التقسيم قوله تعالى : { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } ^٢ .

وزاده تعالى إيضاحاً بقوله بعدها : { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاحدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } ^٣ يعني : أن الإيمان قول ويقين وعمل .

فهذه الأركان الأربع هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين .

ولكن الشيعة الإمامية زادوا (ركناً خامساً) وهو : الإعتقد بالإمامية .

^١ انظر : نهج البلاغة ٣ : ٢٠٣ | ٢٢٧ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٢٦ | ١ و ٢ ، أمالي الشجري ١ : ٢٤ ،

جامع الأخبار : ١٧٢ | ١٠٣ ، سنن ابن ماجة ١ : ٢٥ | ٦٥١ ، الفردوس بتأثر الخطاب ١ : ١١٠ | ٣٧١ .

^٢ الحجرات ٤٩ : ١٤ .

^٣ الحجرات ٤٩ : ١٥ .

يعني أن يعتقد : أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، ويؤيده بالمعجزة التي هي كنصل من الله عليه { وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة }^١ فكذلك يختار

^١ القصص : ٦٨ .

لإمامية من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي . فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي .

والإمامية متسلسلة في اثني عشر ، كل سابق ينص على اللاحق . ويشترطون أن يكون معصوماً كالنبي عن الخطأ والخطيئة ، وإلا لزالت الشقة به ، وكريمة قوله تعالى : { إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين }^١ ،^٢ صريحه في لزوم العصمة في الإمام لمن تدبرها جيداً .

وأن يكون أفضل أهل زمانه في كل فضيلة ، وأعلمهم بكل علم ، لأن الغرض منه تكميل البشر ، وتركيبة النفوس وتنزيتها بالعلم والعمل الصالح

^١ سورة البقرة (٢) : ١٢٤ .

^٢ قال شيخنا الطوسي رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم بالتبیان في تفسیر القرآن (١ : ٤٤٩) تعليقاً على هذه الآية الكريمة : استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح ، لأن الله تعالى نفى أن ينال عهده — الذي هو الإمامة — ظالم ، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم ، إما لنفسه ، أو لغيره .

فإن قيل : إنما نفى أن يناله ظالم في حال كونه كذلك ، فأما إذا تاب وأناب فلا يسمى ظالماً ، فلا يمتنع أن ينال .

قلنا : إذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته — في حال كونه ظالماً — فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها ، ولم يفده أنه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها ، فيجب أن تحمل الآية على عموم الأوقات في ذلك ، ولا ينالها وإن تاب فيما بعد . واستدلوا بها أيضاً على أن منزلة الإمامة منفصلة عن النبوة ، لأن الله تعالى خاطب إبراهيم عليه السلام وهو نبي ، فقال له : انه سيجعله إماماً جزاء له على إتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات ، ولو كان إماماً في الحال لما كان للكلام معنى . فدل ذلك على أن الإمامة منفصلة من النبوة ، وإنما أراد الله تبارك وتعالى أن يجعلها لإبراهيم عليه السلام

(213)

{ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة }^١ والناقص لا يكون مكملاً ، والفاقد لا يكون معطياً.

فإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر.

فمن اعتقد بالإمامية بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص ، وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربع فهو مسلم ومؤمن بالمعنى العام ، تترتب عليه جميع أحكام الإسلام ، من حرمة دمه ، وماله ، وعرضه ، ووجوب حفظه ، وحرمة غيبته ، وغير ذلك ، لا أنه بعدم الإعتقاد بالإمامية يخرج عن كونه مسلماً (معاذ الله).

نعم يظهر أثر التدين بالإمامية في منازل القرب والكرامة يوم القيمة ، أما في الدنيا فال المسلمين بأجمعهم سواء ، وبعضهم لبعض أكفاء ، وأما في الآخرة فلاشك أن تتفاوت درجاتهم ومنازلهم حسب نياتهم وأعمالهم ، وأمر ذلك وعلمه إلى الله سبحانه ، ولا مساغ للبت به لأحد من الخلق . والغرض : إن أهم ما امتازت به الشيعة عن سائر فرق المسلمين هو : القول بإمامية الأئمة الاثني عشر ، وبه سميت هذه الطائفة " إمامية " إذ ليس كل الشيعة تقول بذلك ، كيف واسم الشيعة يجري على الزيدية^٢ ،

١ الجمعة ٦٢ : ٢ .

٢ نشأت هذه الفرقة إبان الظروف القاسية التي أحاطت بالشيعة في العراق أثناء حكم الأمويين المعروف بعده الشديد ، وبغضبه المشهور للشيعة وأئمتهم عليهم السلام ، وكردة فعل للأحوال المزرية المحيطة بهم .

فقد كان العراق آنذاك تحت ولاية يوسف بن عمر الثقفي الجندي المطيع ، والكلب الوفي ، والعديل المخلص المتفاني في تحقيق أهداف الأمويين ، بل ويدهم الضاربة التي لا تتردد في البطش بكل من يفكر في الاعتراض على سياستهم الخرقاء الفاسدة ، وظلمهم الذي لا يقف عند أي حد.

ومن الثابت أن هذا الرجل كان من أشد المبغضين للشيعة حتى قبل تسلمه لمنصب ولاية العراق ، لأنه عمل جهده قبل ذلك على إقصاء خالد القسري عن هذه الولاية لاتهامه سياسة الرفق واللين مع عموم أناس في العراق ، وحيث يمثل الشيعة الأكثريتهم منهم ، فالقى في روع الأمويين ما يمكن أن تشكله سياسة خالد المتساهلة مع الشيعة من عوامل لعلها تؤدي إلى تقوية شوكتهم ، وتنامي قوتهم ، فعزل خالد وولي يوسف الشفقي محله ، فكان أول ما افتتح به ولايته أن شدد الخناق على الشيعة ، وضيق عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ونكل بهم ، وشردهم ، وأعمل السيف في رقابهم ، فعاش الشيعة ظروفا قاسية ومرة شلت الصغير منهم والكبير ، والنساء منهم والرجال ، فلم يسلم منهم أحد ، ولا سيما وجوههم وأعيانهم ، حيث كان الأمر عليهم شديدا ، والبلاد حولهم مضيقاً ، ومنهم أخ الإمام الباقر عليه السلام زيد بن علي رحمة الله تعالى برحمته الواسعة ، فنانه ما نالم ، و تعرض لمثل ما تعرضوا له من الظلم والتعدى ، بل ووشى به يوسف إلى أسياده ، فاستدعي (أبي زيد) إلى مقر الحكم الأموي في الشام ، وحيث كان آذاك هشام بن عبد الملك ، فعمد توجيه الإهانات اللاذعة والجارحة لزيد رحمة الله تعالى ، فثار بوجهه ، ورد عليه حتى أحجهه ولم يجر أمامه جواباً .

ثم خرج بعد ذلك زيد من الشام حانقاً على هشام ، ثائراً على سياسته ، وتوجه إلى الكوفة ، ثم أراد أن يقصد المدينة إلا أن أهل الكوفة استغاثوا به وطلبوه الخروج على الأمويين وأعطوه على مناصرته العهود والمواثيق ، وبايده على ذلك أربعون ألفاً — وفي خبر : أئم بلغوا ثمانين ألفاً — فخرج بهم .

لقد كان زيد رحمة الله تعالى مشهوراً بالصلاح والورع والتقوى ، وكان صاحب فضل وعلم مشهود ، وكان أيضاً من أكثر الداعين إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ، ولم يدع الإمامة لنفسه قطعاً — كما يدعى البعض ذلك — لإدراكه قبل غيره موضع الحق وأهله ، ولكن وبعد النهاية المفجعة لثورته العارمة تلك ، وبالتحديد بعد ما يقارب من نصف قرن من الزمان وقع الخلاف من بعض الشيعة — والذي يعد من أوضح أسبابه شدة ضيقهم وبغضهم للأمويين وسياستهم الظالمة الخرقاء ، وقسواوهم وشدة تنكيلهم بالشيعة — حيث توهموا وادعوا بان الإمامة لكل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ، وكان من أهل العلم والشجاعة ، وكانت بيته تجرید السيف للجهاد .

ومن هنا ونتيجة لرأي دعاء هذه الفرقة فان الإمامة بعد مقتل زيد قد انتقلت إلى ولده يحيى الذي خرج بعد ذلك على الأمويين أيضاً ، وحاربهم حتى قتلوه بعد فترة في الجوزجان ، وهكذا .

ومن هنا فإن هذه الطائفة من الشيعة قد كونت لها آراء مستقلة و خاصة بها ، تختلف مع العقائد الشيعية الأساسية في العديد من الموارد المعروفة ، والتي توسيع مع الأيام نتيجة لانقسامهم و تفرقهم حيث يذهب المؤرخون إلى أنهم انقسموا إلى ثلاثة فرق : جارودية ، و سليمانية ، وبترية ، حين يضيف البعض الآخر إليهم فرقاً أكثر ؟ وإن كان التوبيخ يذهب إلى أن فرق الزيدية تشعبت من الجارودية .

وأتباع هذه الفرق — أو الفرق — يشكلون أولى الفرق الإسلامية من سكان اليمن في عصرنا الحاضر .

(214)

.....

راجع : فرق الشيعة : ٢١ و ٥٥ ، أوائل المقالات : ٤٦ ، الفصول العشرة في الغيبة : ٢٧٣ ، الملل والنحل ١ : ١٥٤ ، الإمام زيد : ٥ ، تاريخ المذاهب الإسلامية : ٤٤ ، الفرق بين الفرق : ٢ .

والإسماعيلية^١ ،

^١ تفترق هذه الجماعة عن الشيعة الإمامية بقولهم أن الإمامة بعد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام تنتقل لولده الأكبر إسماعيل ، لذهبهم إلى القول بنص الإمام عليه دون ولده ، ولذا فهم بين من يقول بوفاته الثابتة في حياة أبيه إلا أنه يرجح الإمامة إلى ولده وأولهم محمد بن إسماعيل ؟ وبين من يقول ببقائه حيا إلى ما بعد وفاة أبيه ، وأن أباه عليه السلام أظهر موته خوفاً عليه من العباسين .

وهكذا فإن هؤلاء ينقسمون إلى قسمين اثنين : القسم الأول منهم يقف على محمد بن إسماعيل ولا يتجاوزه إلى غيره ، والقسم الثاني يتعداه ويجعل الإمامة في سبعة سبعة ، بين ظاهر ومستور ، أولهم محمد بن إسماعيل ، ثم ولده جعفر المصدق ، ثم ولده محمد الحبيب ، وبعده عبد الله المهدي الذي ظهر في شمالي أفريقيا والذي من ولده تكونت الدولة الفاطمية .

ومن ثم فإن هذه الجماعة وبحلول الزمن بدأت تأخذ لنفسها جملة مستقلة من الآراء والمعتقدات الخاصة به كنتيجة منطقية لتشعبهم وتفرقهم ، ولعل من أوضح ذلك قول جماعة منهم — وهو السبعية — بأن الإمامة تدور على سبعة سبعة ، ك أيام الأسبوع والسماءات والأرضين والأفلاك ، وأن السبعة الأولى أولهم علي عليه السلام وآخرهم إسماعيل بن جعفر ، وهو يمثلون الدور الأول والذي يبدأ الثاني منه بمحمد بن إسماعيل ومن يليه من الأئمة المستورين السائرين في البلاد سراً ، وأن الإمام السابع ينسخ شرائع من تقدمه . . . وهكذا .

انظر : فرق الشيعة : ٦٧ ، الفصول المختارة من العيون والمحاسن : ٣٠٨ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعزلة : ٧٨ ، تاريخ المذاهب الإسلامية : ٥٤ ، الملل والتحل ١ : ١٦٧ .

والواقفية^١ ،

^١ تطلق هذه التسمية على الأفراد والجماعات المنحرفة من الذين وقفوا على إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم يذهبوا إلى القول بوجوب امتداد الإمامة إلى من بعده من الأئمة كما هو ثابت ومنصوص عليه ، رغم أن هذه التسمية ، ولكرة ما اشتهر من الذين وقفوا على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، أخذت تنصرف إلى هذه الجماعة عند الإطلاق .

والحق يقال : أن هذه الظاهرة المنحرفة كانت تشكل حالة مرضية لا يمكن الإعراض عنها وإهمالها لما تثله من تفكير فاسد ومنحرف وضع لبنياته جملة مشخصة من الجماعات لأغراض ومارب واضحة ومعروفة ، ولذا فقد تصدى لإبطال شبهات ودعوى هذه الجماعات أئمة أهل البيت عليهم السلام وكبار رجالات الطائفة وأعيانها ، ودعوا الناس إلى نبذهم وإدراك أغراضهم من هذا الطرح الباهت والباطل .

ولعل المرور المتعجل على الأسباب التي نشأت من خالما هذه الأطروحة الساقطة يبين بوضوح أن أولى تلك الأسباب كان الحشيش والطبع والضعف قبل الثروات الطائلة التي أوثقت عليها أولئك الرواد الأوائل لهذه الجماعات المنحرفة ، والتي كان ينبغي أن تخضع لوصاية الإمام التالي للإمام المتوفى ، والتي كانت أوضح صورها بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، بعد غيبته التي امتدت لستين طويلاً في سجن الرشيد ، فكان وجود هذه الثروات الضخمة والطائلة بأيدي ذلك البعض إبان الظروف العسيرة والشاقة التي أحاطت بالشيعة — ولا سيما وإمامهم مغيب في قعر السجون ، وهم دائمًا تحت طائلة العقاب ، من سجن ونفي وتشريد وقتل ، بأيدي اسلام السلطة ، والعديد من عشاق المال والثروة ، وطلاب الجاه والشهرة — غنيمة باردة صورتها لهم نفوسيهم المريضة ، وأفكارهم المضطربة أمام بريق هذا المال ووجهه البراق ، فكان أن وقع ما هو ليس مستغرب ، بل وكثير ما نشاهده ونسمعه في كل زمان ومكان ، من أهالي البعض وسقوطه في هذا الامتحان الكبير . . . فلم يجد أولئك المفتونين — بعد قدح زناد الفكر — حيلة — كما صورتها لهم أفكارهم الفاسدة — انساب من ادعاء عدم وفاة الإمام الذي كان هو المصرف الأول لشؤون هذه الأمة ، ومن له الحق المطلقاً في كيفية أنفاق هذه الأموال ، والقول بأنه حي يرزق ، وأنه سيعود لتصريف هذه الشؤون ولو بعد حين . وإن فلا ولி لهذه الأموال في غيبة الإمام — كنتيجة لقوفهم هذا — إلا هم ، وهم أسياد في التصرف بما لا رقيب عليه . فطلبو للدعوه الباهنة هذه وزموا ، وتشبّهوا بها تشبيهاً مستميتاً .

وكان من نتيجة ذلك الموقف أن ردوا إماماً ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وبقيت أيدهم حرّة في التلاعب بتلك الأموال الطائلة .

نعم ، هذا الجانب كان يشكل الطرف الأهم في بروز ونشوء هذه الحالة المنحرفة لدى تلك الجماعات المنبودة والمردودة ، وإن كانت هناك جملة أخرى من الأسباب الباهنة التي سوّغت لهم هذا الموقف المشين والمخزي ، ومن ضمنها حالة الغرور والتكبر

والفضحية^١ ، وغيرهم ، هذا إذا اقتصرنا على الداخلين في حظيرة الإسلام منهم ، أما لو توسعنا في الإطلاق والتسمية حتى للملائحة — الخارجين عن الحدود — كالخطابية وأضرابهم^٢ فقد تتجاوز طوائف الشيعة المائة أو أكثر ، بعض الاعتبارات والفارق ، ولكن يختص اسم الشيعة اليوم — على إطلاقه — بالإمامية التي تمثل أكبر طائفة في المسلمين بعد طائفة السنة .

والقول بالاثني عشر ليس بغرير عن أصول الإسلام وصحاح كتب المسلمين ، فقد روى البخاري — وغيره — في صحيحه حديث الاثني عشر

والنفرعن التي أصابت رواد تلك المدرسة المنحرفة مع تقادم السنين وتكدس الشروات بأيديهم ، واحترام وتقدير الناس لهم ، فلم يكن هذا ليتوافق — في مخيلتهم المريضة — مع إذاعتهم لإمام يصغرهم سنًا ، والانقياد لأوامره . . . مضافاً إلى غير ذلك من الشبهات والارتباكات الفكرية التي تفاعلت مع غيرها من الأسباب في صناعة هذه الفتنة الفاسدة والتي ليست هنا محل بحثنا.

راجع : فرق الشيعة : ٥٤ ، ٨١ ، الفصول المختارة : ٣١٣ ، فوائد الوحيد البهبهاني : ٤٠ ، معراج أهل الكمال في معرفة الرجال (مخطوط) ، الواقعية ١ : ١٨ وما بعدها ، الملل والنحل ١ : ١٦٧ .

^١ ذهبت هذه الجماعة إلى أن الإمامة بعد الإمام الصادق عليه السلام إلى ولده عبد الله المعروف بالافطح ، لشبهات دخلت عليهم ، إلا أنهم لا يخالفون الإمامية في الاعتراف ببقية الأئمة المنصوص عليهم باستثناء إضافتهم عبد الله الافطح إليهم ، حيث يقولون بإمامية ثلاثة عشر ، وإن كان حياة عبد الله لم تنتد بعد أبيه الصادق عليه السلام إلا سبعين يوماً لا غير.

راجع : فرق الشيعة : ٧٨ ، روضة المتدينين ١٤ : ٣٩٥ ، تبييض المقال ١ : ١٩٤ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعترلة : ٧٧ ، الملل والنحل ١ : ١٦٧ .

^٢ تقدم الحديث عن ذلك ، فراجع .

(218)

الخليفة بطريق متعددة :

منها : بسنده عن النبي صلى الله عليه وآلـه : « إن هذا الأمر لا ينقضـي حتى يمضي فيـهم اثـنا عشر خـليفة ». .

قال [الراوي] : ثم تكلـم بكلـام خـفي عـلـي فـقـلت لأـبي : ما قال ؟ .

قال : كلـهم من قـريـش .

ورـوى أـيـضاً : « لا يـزال أـمـر النـاس مـاضـياً مـا وـلـيـهم اثـنا عـشـر رـجـلاً ». .

ورـوى أـيـضاً : « لا يـزال الإـسـلام عـزيـزاً إـلـى اثـني عـشـر خـليـفة »^١ .

وـما أـدـري مـن هـؤـلـاء الـاثـنا عـشـر ؟ وـالـقـوم يـرـوـون عـنـه صـلـى الله عـلـيـه وـآلـه : الـخـلـافـة بـعـدـي ثـلـاثـون ثـم تـعـود مـلـكـاً عـضـوـضاً .

دعـعنـك ذـا فـلسـنا بـصـدـد إـقـامـة الدـلـيل وـالـحـجـة عـلـى إـمامـة الـاثـني عـشـر ، فـهـنـاك مـؤـلفـات لـهـذـا الشـأـن تـنـوـف عـلـى الـأـلـوـف ، وـلـكـن القـصـد أـن نـذـكـر أـصـوـل عـقـائـد الشـيـعـة وـرـؤـوس أـحـكـامـها الـمـجـمـعـ علىـهـا عـنـهـم ، وـالـعـهـدـة فيـإـثـبـاـتـها عـلـى مـوـسـوعـات مـؤـلـفـاـتـهم .

^١ هذه الأحاديث وغيرها من التي تنحو عين منحاتها ، رواها كتب العامة بكثرة وبأسانيد متعددة يصعب حصرها ، ولكن انظر على سبيل المثال لا الحصر : صحيح البخاري (كتاب الأحكام) صحيح مسلم (كتاب الإمارة) ، سنن الترمذى (كتاب الفتن) ، مسند أحمد ١: ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٥: ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، المعجم الكبير للطبراني ٢: ٤١٢ .

^٢ انظر : فتح الباري ٨: ٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢: ٢٩٧ ، البداية والنهاية ٣: ٣١٩ .

وهنا نعود فنقول : الدين علم وعمل ، وظائف للعقل ووظائف للجسد ، فهاهنا منهجان :
الأول : في وظائف العقل .

التوحيد :

يجب على العاقل — بحكم عقله عند الإمامية — تحصيل العلم والمعرفة بصناعه ، والإعتقاد بوحدانيته في الألوهية ، وعدم شريك له في الريوبوبيّة ، واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والإيجاد والإعدام ، بل لا مؤثر في الوجود عندهم إلا الله ، فمن اعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربة الإسلام .

وكذا يجب عندهم إخلاص الطاعة والعبادة لله ، فمن عبد شيئاً معه ، أو شيئاً دونه ، أو ليقربه زلفى إلى الله فهو كافر عندهم أيضاً .

ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له ، ولا تجوز الطاعة إلا له ، وطاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام فيما يبلغون عن الله طاعة الله ، ولكن لا يجوز عبادتهم بدعوى أنها عبادة الله ، فإنها خدعة شيطانية ، وتلبيسات إبليسية .

نعم ، التبرك بهم ، والتسلل إلى الله بكرامتهم ومتلتهم عند الله ، والصلاحة عند مراقدهم لله ، كلهم حائز ، وليس من العبادة لهم بل العبادة لله ، وفرق واضح بين الصلاة لهم والصلاحة لله عند قبورهم { في بيوتِ أذن الله أن ترفع ويدَكُر فيها اسمه }^١ .

هذه عقيدة الإمامية في التوحيد — المجمع عليها عندهم — على اختصار وإيجاز ، ولعل الأمر في التوحيد أشد عندهم مما ذكرناه ، وله مراتب ودرجات ، كتوحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وغير ذلك مما لا يناسب المقام ذكرها وبسط القول فيها.

^١ سورة النور (٢٤) : ٣٦ .

(220)

النبوة :

يعتقد الشيعة الإمامية : أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسلاً من الله ، وعباد مكرمون ، بعثوا للدعوة الخلق إلى الحق ، وأنَّ مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاتِمَ النَّبِيَّاَءِ ، وَسَيِّدِ الرَّسُولِ ، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ، وأنه ما ارتكب المعصية مدة عمره ، وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه .

وأنَّ اللهَ سَبَّحَهُ أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، ثُمَّ عَرَجَ مِنْ هَنَاكَ بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ إِلَى مَا فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَمَا وَرَاءِ الْحِجَبِ وَالسَّرَادِقَاتِ ، حَتَّى صَارَ مِنْ رَبِّهِ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

وأنَّ الْكِتَابَ الْمُوْجَودَ فِي أَيْدِيِّ الْمُسْلِمِينَ هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ لِلإِعْجَازِ وَالتَّحْدِيِّ ، وَلِتَعْلِيمِ الْأَحْكَامِ ، وَتَبْيَانِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ ، وَأَنَّهُ لَا نَفْعَلَ فِيهِ وَلَا تَحْرِيفٌ وَلَا زِيَادَةٌ ، وَعَلَى هَذَا إِجْمَاعِهِمْ ، وَمِنْ ذَهَبِهِمْ — أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ — إِلَى وَجْهِ نَفْعٍ فِيهِ أَوْ تَحْرِيفٍ فَهُوَ مُخْطَئٌ يَرْدِهِ نَصُّ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }^١ .

وَالْأَخْبَارُ الْوَارَدَةُ مِنْ طَرِيقِهِمُ الظَّاهِرَةُ فِي نَفْعِهِ أَوْ تَحْرِيفِهِ ضَعِيفَةٌ شَاذَةٌ ، وَأَخْبَارُ آحَادِ لَا تَقِيدُ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا ، فَإِمَّا أَنْ تَأْوِلَ بِنَحْوِهِ مِنَ الاعتْبَارِ ، أَوْ يَضُربُ بِهَا الجَدَارُ . وَيُعْتَقِدُ الإِمامِيَّةُ أَنَّ كُلَّ مَنْ اعْتَقَدَ أَوْ ادْعَى نَبُوَّةَ بَعْدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ نَزْوَلِ وَحْيٍ أَوْ كِتَابٍ فَهُوَ كَافِرٌ يُحْبَبُ قَتْلَهُ .

^١ سورة الحجر (١٥) : ٩ .

الإمامية :

قد أنبأناك أن هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافتقرت عن سائر فرق المسلمين ، وهو فرق جوهرى أصلي ، وما عداه من الفروق فرعية عرضية كالفرق التي تقع بين أئمة الاجتهد عندهم كالحنفي والشافعى وغيرهما.

وعرفت أن مرادهم بالإمامية : كونها منصباً إلهياً يختاره الله بسابق علمه بعباده ، كما يختار النبي ، ويأمر النبي بان يدل الأمة عليه ، ويأمرهم باتباعه .

ويعتقدون : أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي عليه السلام وينصبه علمًا للناس من بعده ، وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس ، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصهره ، ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم ، وإلى اليوم ، ليسوا في مستوى واحد من الإيمان واليقين بتراهه النبي وعصمه عن الهوى والغرض ، ولكن الله سبحانه لم يعذر في ذلك فأوحى إليه : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته }^١ ، فلم يجد بداً من الإمثال بعد هذا الإنذار الشديد ، فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم ، فنادى — وجلهم يسمعون — : « ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ .

فقالوا : اللهم نعم .

فقال : « من كنت مولاه فهذا على مولاه » . . . إلى آخر ما قال^٢ .

^١ المائدة ٥ : ٦٧ .

^٢ روت معظم المصادر الحديثية وغيرها واقعة الغدير ، ونص الرسول صلى الله عليه وآله فيها بالولاية لعلي عليه السلام ، بأسانيد متعددة يصعب حصرها هنا ، ولكن راجع : سنن ابن ماجة ١ : ٤٣ | ٤٥ | ١٢١ ، سنن الترمذى ٥ :

(222)

ثم أكَد ذلك في مواطنٍ آخرٍ تلوِّيحاً وتصرِّيحاً، إشارة ونصًا، حتَّى أدى الوظيفة، وبلغ عند الله المunderة.

ولكن كبار المسلمين بعد النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ تَأوَّلُوا تلك النصوص، نظراً منهم لصالح الإسلام — حسب اجتهادهم — فقدموا وأخروا، وقالوا: الأمر يحدث بعده الأمر.

وامتنع عليٌّ وجماعة من عظماء الصحابة عن البيعة أولاً، ثم رأى [أن] امتناعه من الموافقة والمسالمة ضررٌ كبيرٌ على الإسلام، بل ربما ينهاه عن أساسه، وهو بعد في أول نشوئه وترعرعه، وأنت تعلم أن للإسلام عند أمير المؤمنين عليه السلام من العزة والكرامة، والحرص عليه والغيرة، بالمقام الذي يضحي له بنفسه وأنفس ما لديه، وكم قذف بنفسه في هوا المنايا تصحيحة للإسلام. وزد على ذلك أنه رأى الرجل الذي تخلف على المسلمين قد نصح للإسلام، وصار يبذل جهده في قوته وإعزازه، وبسط رايته على البسيطة، وهذا أقصى ما يتواхاه أمير المؤمنين من الخلافة والإمرة، فمن ذلك كله تابع وبائع^١، حيث رأى أن بذلك مصلحة الإسلام، وهو على منصبه الإلهي من الإمامة، وإن سلم لغيره التصرف والرئاسة العامة، فإن ذلك المقام مما يمتنع التنازل عنه بحال من الأحوال.

أما حين انتهى الأمر إلى معاوية، وعلم أن موافقته ومسالمته وإيقائه والياً

٦٣٣/٣٧٦٣ ، خصائص الإمام علي عليه السلام للنسائي : ٩٩/٨٣ و ٩٦/٧٩ ، مستند أحمد ١ : ٨٤ ، ٨٨ و ٤ : ٣٦٨ ، ٣٧٢ و ٥ : ٣٦٦ ، ٤١٩ ، تاريخ بغداد ٧ : ٣٧٧ و ٨ : ٣٤٣ ، أسد الغابة ٢ : ١٢ و ٢٩٠ ، ٣٤٣ : ٢٣٣ و ٣ : ٩٣ ، الإصابة ١ : ٣٠٤ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، كفاية الطالب : ٦٤ ، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ : ٥٣١ — ٥٠١ | ٥٢١٢١ ، الرياض النبرة ٢ : ١٧٥ ، المناقب للمغازلي : ١٦ — ٢٦ ، مصنف ابن أبي شيبة ١٢ : ٥٩ / ١٢١٢١ ، وغيرها كثير.

^١ تقدم منا الحديث عن ذلك ، فراجع .

(٣٣٣)

— فضلاً عن الإمارة — ضرر كبير ، وفتق واسع على الإسلام — لا يمكن بعد ذلك رتقه — لم يجد بُدأً من حربه ومنابذته .

والخلاصة : أن الإمامية يقولون : نحن شيعة علي وتابعوه ، نسالم من سالمه ، ونحارب من حاربه ، ونعادي من عاده ، ونواли من والاه ، إجابة وامتنالاً لدعوة النبي صلى الله عليه وآله : «اللهم وال من والاه ، وعاد من عاده ». .

وحبنا وموالاتنا لعلي عليه السلام وولده إنما هي محبة وموالاة للنبي صلى الله عليه واله وإطاعة له .

تالله ما جَهَلَ الأقوامُ موضعها * لكنهم ستروا وجه الذي عَلِمُوا

وهذا كله أيضاً خارج عن القصد ، فلنعد إلى ما كنا فيه من إثبات حديث الإمامية ، فنقول :

إن الإمامية تعتقد أن الله سبحانه لا يخلو الأرض من حجة على العباد ، من نبي أو وصي ، ظاهر مشهور ، أو غائب مستور ، وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وأوصى إلى علي ، وأوصى علي ولده الحسن ، وأوصى الحسن أخاه الحسين ، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليهم السلام وهذه سنة الله سبحانه في جميع الأنبياء ، من آدمهم إلى خاتمهم .

وقد ألف جم غفير من أعظم علماء الدين مؤلفات عديدة في إثبات الوصية ،وها أنا أورد لك أسماء المؤلفين في الوصية ، من القرون الأولى والصدر الأول قبل القرن الرابع :

١. كتاب الوصية : لهشام بن الحكم المشهور.

٢. الوصية : للحسين بن سعيد .

٣. الوصية : للحكم بن مسكين .

(٣٤)

٤. الوصية : لعلي بن المغيرة .
٥. الوصية : لعلي بن الحسين بن الفضل .
٦. كتاب الوصية : لمحمد بن علي بن الفضل .
٧. كتاب الوصية : لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال .
٨. الوصية : لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ، صاحب المحسن .
٩. الوصية : للمؤرخ الجليل عبد العزيز بن يحيى الجلودي .

وأكثر هؤلاء من أهل القرن الأول والثاني ، أمّا أهل القرن الثالث فهم جماعة كثيرة أيضاً :

١. الوصية : لعلي بن رئاب .
٢. الوصية : لعيسى^١ بن المستفاد .
٣. الوصية : محمد بن أحمد الصابوني .
٤. الوصية : محمد بن الحسن بن فروخ .
٥. كتاب الوصية والإماماة : للمؤرخ الثبت الجليل علي بن الحسين المسعودي ، صاحب مروج الذهب .

^١طبعات متضاربة في ذلك ، ففي نسختي النجف وإيران : يحيى ، وفي نسخة بيروت : محمد ، وجميعها مصحف ، والصواب : عيسى كما أثبتناه . وهو : أبو موسى البحدلي الضرير ، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، ذكره النجاشي في رجاله (٢٩٧ | ٨٠٩) وقال : له كتاب الوصية ، وكذا الطهراني في الذريعة (٢٥ | ٥٦٥ | ١٠٣).

٦. الوصية : لشیخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي .
 ٧. الوصية : محمد بن علي الشلمغاني المشهور .
 ٨. الوصية : موسى بن الحسن بن عامر .
 ٩. أما ما ألف بعد القرن الرابع فشيء لا يستطيع حصره .
- وذكر المسعودي في كتابه المعروف بـ (إثبات الوصية) لكلنبي اثني

عشر وصيًّا ، ذكرهم بأسمائهم ، ومحتصر من تراجمهم ، وبسط الكلام بعض البسط في الأئمة الثانية عشر. وقد طبع في إيران طبعة غير جيدة^١.

الأول : استبعاد بقائه طول هذه المدة التي تتجاوز الألف سنة ، وكأئمهم ينسون أو يتناسون حديث عمر نوح الذي لبث في قومه بنص الكتاب ألف سنة إلا خمسين عاماً^٢ ، وأقل ما قيل في عمره : ألف وستمائة سنة ، وقيل أكثر إلى ثلاثة آلاف^٣ .

وقد روی علماء الحديث من السنة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك ، هذا النموي — وهو من كبار محدثيهم — يحدث في كتابه (تهذيب الأسماء) ما نصه : اختلقو في حياة الخضر ونبوته ، فقال الأكثرون من العلماء : هو حي موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعونة ، وحكاياتهم في رؤيته ، والاجتماع به ، والأخذ عنه ، وسؤاله وجوابه ، ووجوده في الموضع الشريف ومواطن الخير أكثر من أن تتصisi ، وأشهر من أن

^١ أعيد طبعه في النجف الأشرف وإيران مع بعض التصحيحات المهمة .

^٤ إشارة إلى قوله تعالى في الآية (١٤) من سورة العنكبوت { ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً } .

^٣ انظر : تفسير الكشاف للزمخشري ٣ : ٢٠٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ : ٤١٨ ، زاد المسير لابن الجوزي ٦ :

تذكرة.

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه : هو حي عند جمahir العلماء والصالحين وال العامة معهم ، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين . انتهى^١ .

ويحظر لي أنه قال هو في موضع آخر ، والزمخشري في (رباع الأبرار) : إن المسلمين متفرقون على حياة أربعة من الأنبياء ، إثنان منهم في السماء وهما : إدريس وعيسى ، واثنان في الأرض : إلياس والخضر ، وأن ولادة الخضر في زمان إبراهيم أبي الأنبياء^٢ .

والمعمرون الذين تجاوزوا العمر الطبيعي إلى مئات السنين كثيرون ، وقد ذكر السيد المرتضى في أماليه^٣ جملة منهم ، وذكر غيره كالصادق في " إكمال الدين " ^٤ أكثر مما ذكر الشريف .

وكم رأينا في هذه الأعصار من تناهت بهم الأعمار إلى المائة والعشرين وما قاربها ، أو زاد عليها .

على أن الحق في نظر الاعتبار أن من يقدر على حفظ الحياة يوماً واحداً يقدر على حفظها آلافاً من السنين ، ولم يبق إلا أنه خارق العادة ، وهل خرق العادة والشذوذ عن نوميس الطبيعة في شؤون الأنبياء والأولياء بشيء عجيب أو أمر نادر ؟ !

^١ تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٧٦ .

^٢ تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٧٧ ، رباع الأبرار ١ : ٣٩٧ .

^٣ أمالى المرتضى ١ : ٢٣٢ — ٧٢ .

^٤ إكمال الدين : ٥٥٥ — ٥٧٥ .

راجع مجلدات (المقتطف) السابقة ، تجد فيها المقالات الكثيرة ، والبراهين الجلية العقلية
لأكابر فلاسفة الغرب في إثبات إمكان الخلود في

الدنيا للإنسان .

وقال بعض كبار علماء ، أوروبا : لو لا سيف ابن ملجم لكان علي بن أبي طالب من الخالدين في الدنيا ، لأنه قد جمع جميع صفات الكمال والاعتدال . وعندنا هنا تحقيق بحث واسع لا مجال لبيانه .

الثاني : السؤال عن الحكمة والمصلحة في بقائه مع غيته ، وهل وجوده مع عدم الإنتفاع به إلا كعدمه ؟ .

ولكن ليت شعري هل يريد أولئك القوم أن يصلوا إلى جميع الحكم الربانية ، والمصالح الإلهية ، وأسرار التكوين والتشريع ، ولا تزال جملة أحكام إلى اليوم مجھولة الحكم ، كتبيل الحجر الأسود ، مع أنه حجر لا يضر ولا ينفع ، وفرض صلاة المغرب ثلاثة ، والعشاء أربعاً ، والصبح اثنين ، وهكذا إلى كثير من أمثالها ، وقد استأثر الله سبحانه بعلم جملة أشياء لم يطلع عليها ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً ، كعلم الساعة وأخواته { إن الله عندـه علم الساعة ويـنزل الغـيث } ^١ .

وأخفى جملة أمور لم يعلم على التحقيق وجه الحكم في إخفائها ، كالاسم الأعظم ، وليلة القدر ، وساعة الاستجابة .

والغاية : أنه لا غرابة في أن يفعل سبحانه فعلاً أو يحكم حكمًا مجھولي الحكم لنا ، إنما الكلام في وقوع ذلك وتحقيقه ، فإذا صاح إخبار النبي وأوصيائه المعصومين عليهم السلام لم يكن بد من التسليم والإذعان ، ولا يلزمـنا البحث عن حكمـته وسبـبه ، وقد أخذـنا على أنفسـنا في هذا الكتاب الوجيز أن لا تـعرض لـشيء من الأـدلة ، بل هي موـكولة إلى مواـضعـها ، والأـخبارـ في (المـهـديـ) عنـ النبيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ مـنـ الفـرـيقـيـنـ مـسـتـفـيـضـةـ ، وـنـحـنـ وـإـنـ اـعـتـرـفـناـ بـجـهـلـ الحـكـمـ ، وـعـدـمـ الوـصـولـ إـلـىـ حـاقـ

^١ سورة (لقمان) ٣١ : ٣٤ .

(228)

المصلحة ، ولكن كان قد سألنا نفس هذا السؤال بعض عوام الشيعة ، فذكرنا عدة وجوه تصلح للتعليق ، ولكن لا على البت ، فإن المقام أدق وأغمض من ذلك ، ولعل هناك أموراً تسعها الصدور ، ولا تسعها السطور ، وتقوم بها المعرفة ، ولا تأتي عليه الصفة .

والقول الفصل : إنه إذا قامت البراهين في مباحث الإمامة على وجوب وجود الإمام في كل عصر ، وأن الأرض لا تخلو من حجة ، وأن وجوده لطف ، وتصرفة لطف آخر ، فالسؤال عن الحكمة ساقط ، والأدلة في حالها على ذلك متوفرة ، وفي هذا القدر من الإشارة كفاية إن شاء الله .

العدل :

ويراد به : الاعتقاد بان الله سبحانه لا يظلم أحداً ، ولا يفعل ما يستقبه العقل السليم .

وليس هذا في الحقيقة أصلاً مستقلاً ، بل هو مندرج في نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجماعيته لصفات الجمال والكمال ، فهو شأن من شؤون التوحيد ، ولكن الأشاعرة لما خالفوا العدلية ، وهم المعتزلة والإمامية ، فأنكرروا الحسن والقبح العقليين ، وقالوا : ليس الحسن إلا ما حسن الشرع ، وليس القبح إلا ما قبحه الشرع ، وأنه تعالى لو حلد المطیع في جهنم ، والعاصي في الجنة ، لم يكن قبيحا ، لأنه يتصرف في ملکه { لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون }^١ .

حتى أنهم أثبتوا وجوب معرفة الصانع ، ووجوب النظر في المعجزة لمعرفة النبي من طريق السمع والشرع لا من طريق العقل ، لأنه ساقط عن منصة الحكم ، فوقعوا في الاستحالـة والدور الواضح .

أما العدلية فقالوا : إن الحكم في تلك النظريات هو العقل مستقلاً ، ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيداً وإرشاداً ، والعقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر ، ويحكم بأن القبيح محال على الله تعالى لأنـه حـكيم ، و فعل القبيح مناف للحكمة ، وتعذيب المطـيع ظـلم ، والظلم قـبيح ، وهو لا يقع منه تعالى .

وبهذا أثبـتوا للـله صـفة العـدل ، وأفـردوـها بالـذكر دونـ سـائر الصـفات إـشارـة إلىـ خـالـفـ الأـشـاعـرة ، معـ أنـ الأـشـاعـرةـ فيـ الحـقـيقـةـ لاـ يـنـكـرـونـ كـوـنـهـ تـعـالـيـ عـادـلاًـ ، غـايـتـهـ : أـنـ العـدـلـ عـنـهـمـ هـوـ مـاـ يـفـعـلـهـ ، وـكـلـ مـاـ يـفـعـلـهـ فـهـوـ حـسـنـ ، نـعـمـ

^١ سورة الأنبياء : ٢١ : ٢٣ .

أنكروا ما أثبته المعتزلة والإمامية من حكم العقل ، وإدراكه للحسن والقبح على الحق جل شأنه ، زاعمين أنه ليس للعقل وظيفة الحكم بأن هذا حسن من الله وهذا قبيح منه.

والعدلية بقاعدة الحسن والقبح العقليين — المبرهن عليها عندهم — أثبتوا جملة من القواعد الكلامية : كقاعدة اللطف ، ووجوب شكر المنعم ، ووجوب النظر في المعجزة . وعليها بنوا أيضاً مسألة الجبر والاختيار ، وهي من مضلالات المسائل التي أخذت دوراً مهماً في الخلاف ، حيث قال الأشاعرة بالجبر أو بما يؤدي إليه ، وقال المعتزلة : بأن الإنسان حر مختار له حرية الإرادة والمشيئة في أفعاله .

غايتها : أن ملكة الاختيار وصفته كنفس وجوده من الله سبحانه ، فهو خلق العبد وأوجده مختاراً ، فكلي صفة الاختيار من الله ، والاختيار الجزئي في الواقع الشخصية للعبد ومن العبد ، والله جل شأنه لم يجبره على فعل ولا ترك ، بل العبد اختار ما شاء منهما مستقلاً ، ولذا يصبح عند العقل والعقلاء ملامته وعقوبته على فعل الشر ، ومدحه وموبيته على فعل الخير ، وإلا لبطل الشواب والعذاب ، ولم تكن فائدة في بعثة الأنبياء وإنزال الكتب والوعيد .

ولا مجال هنا لأكثر من هذا ، وقد بسطنا بعض الكلام في هذه المباحث في آخر الجزء الأول من كتاب (الدين والإسلام)^١ وقد أوضحتها

^١ يقع الكتاب في جزئين ، ضمن مؤلفه رحمه الله تعالى الجزء الأول منه ثلاثة فصول تهدى لها خمسة سوانح يتعرض فيها إلى الأخطر المحيطة بالإسلام ، ومكائد الغربيين له ، وتأثير البعض من المسلمين بالأراء والمعتقدات الغربية .

ثم ينفذ من ذلك إلى تبيان دور العلم والعمل في رقي الأديان وثبات أصوتها ، مع شرح موجز لماهية الشرف والسعادة ، ودور الأخلاق في رقي الشعوب ، ونبذ من أقوال الحكماء ومؤلفاتهم ، والإشارة من خلالها إلى القصور الذي يحيط البعض في كيفية الدعوة إلى الإسلام وتبيان عقائده وأفكاره ، وغير ذلك .

(231)

بوجه يسهل تناوله وتعقله للأواسط ، فضلاً عن الأفضل ، وإنما الغرض هنا : أن من عقائد الامامية وأصولهم أن الله عادل ، وأن الإنسان حر مختار.

والمؤلف رحمه الله تعالى يتعرض في الفصل الأول منه إلى مسألة إثبات الصانع جل اسمه بشكل علمي رصين ، حين يتعرض في فصله الثاني إلى إثبات وحدة الصانع تبارك وتعالى ، ونفي الشريك عنه ، ثم يتناول بالشرح في الفصل الثالث منه ماهية العدل وكيفية القيام به ، بشكل مفصل ومسهب .

وأما الجزء الثاني من الكتاب فقد تعرض المؤلف رحمه الله تعالى فيه إلى إيضاح كلي للنبوة ووجوبها وال الحاجة إليه ، منطلقاً من خلال ذلك إلى كثير من الجوانب الأخرى المتعلقة بها وصولاً إلى تبيان الإعجاز القرآني الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وما يتعلق به .

المعاد :

يعتقد الامامية — كما يعتقد سائر المسلمين — : أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موئم يوم القيمة للحساب والجزاء ، والمعاد هو الشخص بعينه — وبجسده وروحه — بحيث لو رأه الرائي لقال : هذا فلان.

ولا يجب أن تعرف كيف تكون الإعادة ، وهل هي من قبيل إعادة المعدوم ، أو ظهور الموجود ، أو غير ذلك .

ويؤمنون بجميع ما في القرآن والسنة القطعية من الجنة والنار ، ونعم البرزخ وعداته ، والميزان ، والصراط ، والأعراف ، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شرًا فشر { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرَا يره }^١ . إلى غير ذلك من التفاصيل المذكورة في محلها من كل ما صدح به الوحي المبين ، وأخبر به الصادق الأمين .

هذا تمام الكلام في الشطر الأول من شطري الإيمان بمعنى الأنص ، وهو ما يرجع إلى وظيفة العقل والقلب ، ومرحلة العلم والاعتقاد ، ونستانف الكلام فيما هو من وظيفة القلب والجسد ، أعني مرحلة العمل بأركان الإيمان من أفعال الجوارح .

^١ سورة الزمر (٩٩) : ٧ — ٨ .

تمهيد وتوطئة :

يعتقد الإمامية : أن الله — بحسب الشريعة الإسلامية — في كل واقعة حكماً حتى أرش الخدش ، وما من عمل من أعمال المكلفين — من حركة أو سكون — إلا والله فيه حكم من الأحكام الخمسة : الوجوب ، والحرمة ، والندب ، والكرابة ، والإباحة .

وما من معاملة على مال ، أو عقد نكاح ، ونحوهما إلا وللشرع فيه حكم صحة أو فساد .

وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وعرفها النبي بالوحى من الله تعالى أو الإلهام ، ثم انه سلام الله عليه — حسب وقوع الحوادث ، أو حدوث الواقع ، أو حصول الابتلاء ، وتجدد الآثار والأطوار — بين كثيراً منها للناس ، وبالأخص ل أصحابه الحافين به ، الطائفين كل يوم بعرش حضوره ، ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق {لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} ^١ .

وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لبيانها ، أما لعدم الابتلاء بها في عصر النبوة ، أو لعدم اقتضاء المصلحة لنشرها .

والحاصل : إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ، ولكن سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه ، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة ، من عام مخصوص ، أو مطلق مقيد ، أو محمل مبين ، إلى أمثال ذلك .

فقد يذكر النبي عاماً ، ويذكر مخصوصه بعد برهة من حياته ، وقد لا

^١ سورة البقرة (٢) : ١٤٣ .

(234)

يذكره أصلًا ، بل يودعه عند وصيه إلى وقته.

ثم أن الأحاديث التي نشرها النبي صلى الله عليه واله في حياته قد يختلف الصحابة في فهم معانيها على حسب اختلاف مراتب أفهامهم وقرائتهم {أنزل من السماء ماً فسالت أودية بقدرها }^١.

ولكن تأخذ الأذهان منه * على قدر القرائح والفهم

ثم إن الصحابي قد يسمع من النبي في واقعة حكمًا ، ويسمع الآخر في مثلها خلافه ، وتكون هناك خصوصية في أحدهما اقتضت تغایر الحكمين ، غفل أحدهما عن الخصوصية أو التفت إليها وغفل عن نقلها مع الحديث ، فيحصل التعارض في الأحاديث ظاهراً ، ولا تنافي واقعاً .

ومن هذه الأسباب وأضعاف أمثالها احتاج حتى نفس الصحابة — الذين فازوا بشرف الحضور في معرفة الأحكام إلى الاجتهاد والنظر في الحديث ، وضم بعضه إلى بعض ، والإلتفات على القرائن الحالية ، فقد يكون للكلام ظاهر ومراد النبي خلافه ، اعتماداً على قرينة كانت في المقام ، والحديث نقل والقرينة لم تنقل . وكل واحد من الصحابة من كان من أهل الرأي والرواية . . . — إذ ليس كلهم كذلك بالضرورة — تارة يروي نفس ألفاظ الحديث للسامع من بعيد أو قريب ، فهو في الحال راو ومحدث ، وتارة يذكر الحكم الذي استفاده من الرواية أو الروايات بحسب نظره واجتهاده ، فهو في هذا الحال مفت وصاحب رأي ، وأهل هذه الملكة مجتهدون ، وسائر المسلمين — الذين لم يبلغوا إلى تلك المرتبة — إذا أخذوا برأيه مقلدون .

وكان كل ذلك قد جرى في زمن صاحب الرسالة ، وبمرأى منه

^١ سورة الرعد (١٣) : ١٧ .

ومسمى ، بل وربما رجع بعضهم إلى بعض ، على أن الناس من هذا بازاء أمر واقع لا محالة .

وإذا أمعنت النظر فيما ذكرناه ، اتضح لديك أن باب الاجتهاد كان مفتوحاً في زمان النبوة وبين الصحابة ، فضلاً عن غيرهم ، وفضلاً عن سائر الأزمنة التي بعده ، نعم غايته : أن الاجتهاد يومئذ كان خفيف المؤونة جداً لقرب العهد ، وتتوفر القرائن ، وإمكان السؤال المفيد للعلم القاطع .

ثم كلما بعد العهد من زمن الرسالة ، وتكثرت الآراء ، واحتللت الأعارة بالأعاجم ، وتغير اللحن ، وصعب الفهم للكلام العربي على حاق معناه ، وتكثرت الأحاديث والروايات ، وربما دخل فيها الدس والوضع ، وتوافرت دواعي الكذب على النبي صلى الله عليه وآله ، أخذ الاجتهاد ومعرفة الحكم الشرعي يصعب ويحتاج إلى مزيد مؤونة ، واستفراغ وسع ، للجمع بين الأحاديث ، وتمييز الصحيح منها من السقيم ، وترحيم بعضها على البعض ، وكلما بعد العهد ، وانتشر الإسلام ، وتكثرت العلماء والرواة ، ازداد الأمر صعوبة .

ولكن مهما يكن الحال ، فباب الاجتهاد كان في زمان النبي صلى الله عليه وآله مفتوحاً ، بل كان أمراً ضرورياً عند من يتدبّر ، ثم لم يزل مفتوحاً عند الإمامية إلى اليوم ، والناس بضرورة الحال لا يزالون بين عالم وجاهل . وبسنة الفطرة ، وقضاء الضرورة أن الجاهم يرجع إلى العالم .

فالناس إذاً في الأحكام الشرعية بين عالم مجتهد ، وجاهل مقلد يجب عليه الرجوع في تعين تكاليفه إلى أحد المجتهددين .

وال المسلمين متّفقون أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة في الكتاب والسنة ، ثم العقل والإجماع ، ولا فرق في هذا بين الإمامية وغيرهم من فرق المسلمين .

(236)

نعم يفترق الإمامية عن غيرهم هنا في أمور :

منها: إن الإمامية لا تعمل بالقياس ، وقد تواتر عن أئمتهم عليهم السلام : " أن الشريعة إذا قيست محق الدين " ^١ .

والكشف عن فساد العمل بالقياس يحتاج إلى فضل بيان لا يتسع له المقام .

ومنها : أئمّهم لا يعتبرون من السنة — أعني الأحاديث النبوية — إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عليهم السلام عن جدهم صلى الله عليه وآلـه ، يعني : ما رواه الصادق ، عن أبيه الباقي ، عن أبيه زين العابدين ، عن الحسين السبط ، عن أبيه أمير المؤمنين ، عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً.

أما ما يرويه مثل : أبي هريرة ، وسميرة بن جنديب ، ومروان بن الحكم ، وعمران بن حطان الخارجي ، وعمرو بن العاص ، ونظائرهم ، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة ، وأمرهم أشهر من أن يذكر ، كيف وقد صرّح كثير من علماء السنة بمعطائهم ، ودل على جائفة جروحهم ^٢ .

ومنها : أن باب الاجتهاد — كما عرفت — لا يزال مفتوحاً عند الإمامية ، بخلاف جمهور المسلمين ، فإنهم قد سدّ عندهم هذا الباب ، وأغلل على ذوي الألباب ، وما أدرى في أي زمان ، وبأي دليل ، وبأي نحو كان ذلك الانسداد ، ولم أحد من وفي هذا الموضوع حقه من علماء القوم ، وتلك أسئلة لا أعرف من جوابها شيئاً ، والعلة في إيضاحها عليهم .

^١ انظر : الكافي ١ : كتاب فضل العلم ، باب البدع والرأي والمقاييس .

^٢ تقدم منا الحديث عن ذلك ، فراجع .

وما عدا تلك الأمور فالإمامية وسائر المسلمين فيها سواء ، لا يختلفون

إلا في الفروع ، كاختلاف علماء الإمامية أو علماء السنة فيما بينهم من حيث الفهم والاستنباط .

ومراد بالجتهد : من زاول الأدلة ومارسها ، واستفرغ وسعه فيها حتى حصلت له ملكرة وقوية يقدر بها على استنباط الحكم الشرعي من تلك الأدلة .

وهذا أيضا لا يكفي في جواز تقليده ، بل هنا شروط أخرى ، أهمها العدالة ، وهي : ملكرة يستطيع معها المرء الكف عن المعاصي ، والقيام بالواجب ، كما يستطيع من له ملكرة الشجاعة اقتحام الحرب بسهولة ، بخلاف الجبان .

وقصاراها : إنها حالة من خوف الله ومراقبته تلازم الإنسان في جميع أحواله ، وهي ذات مراتب ، أعلىها العصمة التي هي شرط في الإمام .

ثم أنه لا تقليد ولا اجتهاد في الضروريات ، كوجوب الصلاة والصوم وأمثالها ، مما هو مقطوع به لكل مكلف ، ومنكره منكر لضوري من ضروريات الدين .

كما لا تقليد في أصول العقائد : كالتوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، ونحوها مما يلزم تحصيل العلم به من الدليل على كل مكلف ولو إجمالا ، فإنها تكاليف علمية ، وواجبات اعتقادية ، لا يكفي الظن والاعتماد فيها على رأي الغير (فاعلم أنه لا إله إلا) .

وما عدتها من الفروع فهو موضع الاجتهاد والتقليد .

وأعمال المكلفين — التي هي موضوع لأحكام الشرع ، يلزم معرفتها اجتهاداً أو تقليداً ، ويعاقب من ترك تعلمها بأحد الطريقين — لا تخلو إما أن يكون القصد منها المعاملة بين العبد وربه ، فهي العبادات الموقوف صحتها على قصد التقرب بها إلى الله ، [وهي أما] بدنية : كالصوم ، والصلاة ، والحج . أو مالية : كالخمس ، والزكاة ، والكافارات .

(238)

أو المعاملة بينه وبين الناس ، وهي أما أن تتوقف على طرفيين : كعقود المعاوضات والمناقحات ، أو تحصل من طرف واحد : كالطلاق والعتق ونحوهما.

أو المعاملة مع خاصة نفسه ، ومن حيث ذاته : كأكله ، وشربها ، ولباسه ، وأمثال ذلك .

والفقه يبحث عن أحكام جميع تلك الأعمال في أبواب أربعة :

١. العبادات .

٢. المعاملات .

٣. الإيقاعات .

٤. الأحكام .

وأمهات العبادات ست :

اثنان بدنية محبضة ، وهما : الصلاة والصوم .

واثنان مالية محبضة وهما : الزكاة ، والخمس .

واثنان مشتركة على المال والبدن وهما : الحج والجهاد { جاهدوا بأموالكم وأنفسكم }^١.

أما الكفارات فعقوبات خاصة على جرائم مخصوصة .

^١ سورة التوبة (٩) : ٤١ .

(239)

هي عند الإمامية — بل عند عامة المسلمين — : عمود الدين ، والصلة بين العبد والرب ، ومراج الوصول إليه .

فإذا ترك الصلاة فقد انقطعت الصلة والرابطة بينه وبين ربه ، ولذا ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام : أنه ليس بين المسلم وبين الكفر بالله العظيم إلا ترك فريضة أو فريضتين^١ .

وعلى أي : فإن للصلاحة — بحسب الشريعة الإسلامية — مقاماً من الأهمية لا يوازيه شيء من العبادات ، وإجماع الإمامية على أن تارك الصلاة فاسق لا حرمة له قد انقطعت من الإسلام عصمه ، وذهبت أمانته ، وحلت غيبته ، وأمرها عندهم مبني على الشدة جداً .

والواجب منها بحسب أصل الشرع خمسة أنواع : الفرائض اليومية ، صلاة الجمعة ، صلاة العيددين ، صلاة الآيات ، وصلاة الطواف . وقد يوجبها المكلف على نفسه بسبب من نذر أو يمين أو استئجار ، وما عدا ذلك فنوافل .

وأهم النوافل عندنا : الرواتب ، يعني رواتب اليوم والليلة ، وهي ضعف الفرائض التي هي سبع عشرة ركعة ، فمجموع الفرائض والنوافل في اليوم والليلة عند الشيعة إحدى وخمسين .

وخطر على بالي هنا ذكر طريقة أوردها الراغب الاصفهاني في كتاب (الحاضرات) وهو من الكتب القيمة الممتدة :

قال : كان بأصبهان رجل يقال له الكناني ، في أيام أحمد بن

^١ راجع كتاب الوسائل للحر العاملی رحمه الله تعالى ، الجزء الرابع ، باب ثبوت الكفر والارتداد بتترك الصلاة الواجبة جحوداً لها واستخفافاً .

(240)

عبد العزيز ، وكان يتعلم أَحْمَدَ مِنْهُ الْإِمَامَةَ ، فَاتَّفَقَ أَنْ تَطَلَّعَتْ عَلَيْهِ أُمُّ أَحْمَدَ يَوْمًا فَقَالَتْ : يَا فَاعِلُ ، جَعَلْتَ ابْنِي رَافِضًا .

فَقَالَ الْكَنَانِيُّ : يَا ضَعِيفَةَ الْعُقْلِ ! الرَّافِضُ تَصْلِي كُلَّ يَوْمٍ إِحْدَى وَخَمْسِينَ رَكْعَةً ، وَابْنُكَ لَا يَصْلِي فِي كُلِّ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا رَكْعَةً وَاحِدَةً ، فَأَيْنَ هُوَ مِنَ الرَّافِضَةِ^١ ؟

وَيَلِيهَا فِي الْفَضْلِ أَوِ الْأَهْمَىْ : نَوَافِلُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَهِيَ أَلْفُ رَكْعَةٍ زِيادةً عَنِ النَّوَافِلِ الْيَوْمِيَّةِ ، وَهِيَ كَمَا عِنْدُ إِخْرَانَا مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ ، سُوَى أَنَّ الشِّعْيَةَ لَا يَرَوْنَ مَشْرُوعِيَّةَ الْجَمَاعَةِ فِيهَا (إِذَا لَا جَمَاعَةَ إِلَّا فِي فَرْضٍ) وَالسَّنَةَ يَصْلُونَهَا جَمَاعَةً ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ عِنْهُمْ بِالْتَّرَاوِيْحِ .

وَبَاقِيَ الْفَرَائِضُ : كَالْجَمَاعَةِ ، وَالْعِيدَيْنِ ، وَالآيَاتِ ، وَغَيْرِهَا ، كَبَقِيَّةِ النَّوَافِلِ قَدْ اسْتَوْفَتْ كُتُبُ الْإِمَامَيْةِ بِيَانَهَا عَلَى غَايَةِ الْبَسْطِ ، وَتَزِيدُ الْمُؤْلِفَاتُ فِيهَا عَلَى عَشْرَاتِ الْأَلْفِ . وَلَهَا أُورَادٌ وَأَدْعِيَّةٌ وَآدَابٌ وَأَذْكَارٌ مُخْصُوصَةٌ قَدْ أَفْرَدَتْ بِالتألِيفِ ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهَا الْحَسْرُ وَالْعَدُّ .

وَلَكِنْ تَتَحَصَّلُ مَاهِيَّةُ الصَّلَاةِ الصَّحِيْحَةِ عِنْدَنَا شَرْعًا مِنْ أَمْوَالِ ثَلَاثَةَ :

الْأَوَّلُ : الشَّرُوطُ : وَهِيَ أَوْصَافُ تَقَارِنَهَا ، وَاعْتِبارَاتٌ تَنْتَرِعُ مِنْ أَمْوَالٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا ، وَأَرْكَانٌ الشَّرُوطُ الَّتِي تَبْطِلُ بِدُونِهَا مُطلِقاً سَتَةً : الطَّهَارَةُ ، الْوَقْتُ ، الْقَبْلَةُ ، السَّاتِرُ ، النِّيَّةُ .

أَمَّا الْمَكَانُ فَلِيْسَ مِنَ الْأَرْكَانِ وَإِنْ كَانَ ضَرُورِيًّا ، وَيُشَرِّطُ إِبَاحَتِهِ وَطَهَارَةُ مَوْضِعِ السَّجْدَةِ .

الثَّانِيُّ : أَجْزَاءُهَا الْوِجُودِيَّةُ الَّتِي تَرْكِبُ الصَّلَاةَ مِنْهَا : وَهِيَ نُوعَانٌ :

رَكْنٌ تَبْطِلُ بِدُونِهِ مُطلِقاً ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ : تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ ، وَالْقِيَامِ ،

^١ محاضرات الأدباء ٤ : ٤٤٨ — ٤٤٩ .

(241)

والركوع ، والسجود .

وغير ركن ، وهي : القراءة ، والذكر ، والتشهد ، والتسليم .

والطمأنينة معتبرة في الجميع ، والأذان والإقامة مستحبان مؤكdan ، بل الأخير وجوبه قوي مع السعة .

الثالث : المowanع : وهي أمور بوجوتها تبطل الصلاة ، وهي أيضا نوعان :
ركن تبطل به مطلقاً ، وهو : الحدث ، والإستدبار ، والعمل الكثير الماحي لصورتها .

وغير ركن تبطل بوجوته عمداً فقط ، وهو : الكلام ، والضحك — بصوت — والبكاء كذلك ، والإلتفات يميناً وشمالاً ، والأكل والشرب .

والطهارة : وضوء وغسل ، ولكل منهما أسباب توجبهما ، وإذا لم يتمكن منها — إما لعدم وجود الماء ، أو لعدم التمكن من استعماله لمرض أو برد شديد أو ضيق وقت — فبدلها التيمم {فنيمموا صعيداً طيباً} ^١ .

واختلف الفقهاء واللغويون في معنى الصعيد ، فقيل : خصوص التراب ، وقيل : مطلق وجه الأرض ، فيشمل الحصى والرمل والصخور والمعادن قبل الإحراق ، ويجوز السجود عليها ، وهذا هو الأصح .

وهذا موجز من الكلام في الصلاة ، وفيها أبحاث جليلة وطويلة تستوعب الجدلات الضخمة .

^١ النساء ٤ : ٤٣ ، والمائدة ٥ : ٦ .

الصوم :

هو عند الإمامية ركن من أركان الشريعة الإسلامية ، وينقسم من حيث الحكم إلى ثلاثة أقسام :

واجب ، وهو قسمان : واجب بأصل الشرع ، وهو صوم شهر رمضان . وواجب بسبب كصوم الكفارة ، وبدل المدي ، والنيابة ، والنذر ، ونحوها .

ومستحب : كصوم رجب وشعبان ونحوهما ، وهو كثير.

وحرام : كصوم العيددين وأيام التشريق.

قيل : ومكروه : كصوم يوم عرفة ، وعاشوراء ، وهو نسيبي .

וללصوم شروط وموانع وأذكار مذكورة في محلها ، وقد ألفت الإمامية فيه ألف المؤلفات .

والالتزام الشيعة بصيام شهر رمضان قد تجاوز الحد ، حتى أن الكثير منهم يشرف على الموت من مرض أو عطش وهو لا يترك الصيام ، فالصلوة والصوم هما العبادة البدنية الحضرة .

(٢٤٣)

الزكاة :

هي عند الشيعة تالية الصلاة ، بل في بعض الأخبار عن أئمة المذهب ما مضمونه : إن من لا زكاة له لا صلاة له .^١

وتجب عندهم — كما عند عامة المسلمين — في تسعة أشياء :

الأنعام الثلاثة : الإبل ، البقر ، الغنم .

وفي الغلال الأربع : الحنطة ، الشعير ، التمر ، الزبيب .

وفي النقدين الذهب والفضة .

وتستحب في مال التجارة ، وفي الخيل ، وفي كل ما تنبتة الأرض من الحبوب : كالعدس ، والفول ، وأمثالها .

ولكلٍ من الوجوب والإستحباب شروط وقيود مفصلة في محالها ، ولا شيء منها إلا وهو موافق لمذهب المذاهب المعروفة : الحنفي ، الشافعي ، المالكي ، الحنبلبي .

ومصرفها ما ذكره حل شأنه في آية : { إنما الصدقات للفقراء والمساكين }^٢ إلى آخرها .

^١ انظر : الكافي ٣ : ٤٧٩ | ٢ و ٥ ، الفقيه ٢ : ٢٦ | ٨ .

^٢ سورة التوبة (٩) : ٦٠ .

(244)

زَكَاةُ الْفَطْرَةِ :

وهي تجب على كل إنسان بالغ عاقل غني ، عن نفسه وعمن يعول به من صغير أو كبير ، حر أو ملوك . وقدرها عن كل إنسان صاع من حنطة أو شعير ، أو قمر ، أو نحوهما مما يحصل به القوت . ومذهب الشيعة هنا لا يخالف مذاهب السنة في شيء .

(245)

الخمس :

ويجب عندنا في سبعة أشياء : غنائم دار الحرب ، الغوص ، الكفر ، المعدن ، أرباح المكاسب ، الحلال المختلط بالحرام ، الأرض المنتقلة من المسلم إلى الذمي .

والأصل فيه : قوله تعالى : { وأعلموا أن ما غنمتم من شيءٍ فأن الله حمسه ولرسول ولذى القربى }¹ ... إلى آخرها .

والخمس عندنا حق فرضه الله تعالى لآل محمد صلوات الله عليه وعليهم ، عوض الصدقة التي حرمتها عليهم من زكاة الأموال والأبدان .

ويقسم ستة سهام ؟ ثلاثة لله ولرسوله ولذى القربى .

وهذه السهام يجب دفعها إلى الإمام إن كان ظاهراً ، وإلى نائبه وهو (المجتهد العادل) إن كان غائباً ، يدفع إلى نائبه في حفظ الشريعة ، وسدانة الملة ، ويصرفه على مهامات الدين ، ومساعدة الضعفاء والمساكين ، لا كما قال محمود الآلوسي في تفسيره مستهزئاً : ينبغي أن توضع هذه السهام في مثل هذه الأيام في السرداداب² !

مشيراً إلى ما يرمون به الشيعة من أن الإمام غاب فيه ! وقد أوضحتنا غير مرة أن من الأغلاط الشائعة عند القوم — من سلفهم إلى خلفهم وإلى اليوم — زعمهم أن الشيعة يعتقدون غيبة الإمام في السرداداب ، مع أن السرداداب لا علاقة له بغيبة الإمام أصلاً ، وإنما تزوره الشيعة وتؤدي بعض المراسم العبادية فيه لأنه موضع تجد الإمام وآبائه العسكريين ، ومحل قيامهم في

¹ سورة الأنفال (8) : 41 .

² روح المعاني ١٠ : ٥ .

الأحسار لعبادة الحق جل شأنه .

أما الثلاثة الأخرى : فهو حق المخوايج والفقراء من بني هاشم ، عوض ما حرم عليهم من الزكاة .

هذا حكم الخمس عند الإمامية من زمن النبي إلى اليوم ، ولكن القوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآلها منعوا الخمس عن بني هاشم ، وأضافوه إلى بيت المال ، وبقي بنو هاشم لا خمس لهم ولا زكاة ، ولعل إلى هذا أشار الإمام الشافعي (رحمه الله) حيث يقول في كتاب (الأم) صفحة ٦٩ : فأما آل محمد الذين جعل لهم الخمس عوضاً من الصدقة ، فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئاً — قل أو كثراً — ولا يحل لهم أن يأخذوها ، ولا يجزي عنهم عطيتهم إذا عرفهم — إلى أن قال — وليس منهم حقهم في الخمس يجل لهم ما حرم عليهم من الصدقة. انتهى .

ومن جهة سقوطه عندهم لا تجد له عنواناً وباباً في كتب فقهائهم ، حتى الشافعي في كتابه بخلاف الإمامية ، فإنه ما من كتاب فقه لهم صغير أو كبير إلا وللخمس فيه عنوان مستقل كالزكوة وغيرها^١ .

فالزكوة والخمس هما العبادة المالية الخضة ، وأما المشتركة بينهما فالحج والجهاد .

^١ نعم ، ذكر الحافظ الثبت أبو عبيد القاسم بن سالم المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) في كتابه (كتاب الأموال) الذي هو من أهم الكتب ونفائس الآثار ، ذكر كتاب الخمس مفصلاً ، والأصناف التي يجب الخمس فيها ، ومصرفيه ، وسائل حكمه . وأكثر ما ذكره موافق لما هو المشهور عند الإمامية ، فليراجع من شاء من صفحة ٣٠٣ إلى ٣٤٩ . « منه قدس سره » .

الحج :

من أعظم دعائم الإسلام عند الشيعة ، وأهم أركانه ، ويخير تاركه بين أن يموت يهودياً أو نصراانياً . وتركه على حد الكفر بالله كما يشير إليه قوله تعالى : { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } .

وهو نوع من الجهاد بالمال والبدن حقيقة ، بل الحج جهاد معنوي ، والجهاد حج حقيقي ، وبإمعان النظر فيهما يعلم وجه الوحدة بينهما .

وبعد توفر الشرائط العامة في الإنسان : كالبلوغ ، والعقل ، والحرية . وخاصة : كاليإستطاعة بوجдан الزاد والراحلة ، وصحة البدن ، وأمن الطريق ، يجب الحج في العمر مرة واحدة فوراً .

وهو ثلاثة أنواع :

إفراد : وهو المشار إليه بقوله تعالى : { والله على الناس حج البيت } ^١ .

وقران : وهو المراد بقوله تعالى : { وأتموا الحج والعمرة لله } ^٢ .

وتمتع : وهو المعنى بقوله جل وعلا { فمن تمتع بالعمرة إلى الحج } ^٣ .

^١ سورة آل عمران (٣) : ٩٧ .

^٢ سورة البقرة (٢) : ١٩٦ .

^٣ سورة البقرة (٢) : ١٩٦ .

ولكل واحد منها مباحث وفيرة ، وأحكام كثيرة ، موكولة إلى محالٌها من الكتب المطولة .
وقد سيرتُ عدة مؤلفات في الحج لعلماء السنة فوجدتها موافقة في

(248)

الغالب لأكثر ما في كتب الإمامية ، لا تختلف عنها إلا في الشاذ النادر.

والتزام الشيعة بالحج لا يزال في غاية الشدة ، وكان يحج منهم كل سنة مئات الألوف ، مع ما كانوا يلاقونه من المهالك والأخطار من أناس يستحلون أموالهم ودماءهم وأعراضهم ، ولم يكن شيء من ذلك يقعد بهم عن القيام بذلك الواجب ، والمبادرة إليه ، وبذل المال والنفس في سبيله ، وهم مع ذلك كله « ويا للأسف » يريدون هدم الإسلام ؟ !

الجهاد :

وهو حجر الزاوية من بناء هيكل الإسلام ، وعموده الذي قامت عليه سرادقه ، واتسعت مناطقه ، وامتدت طرائقه ، ولو لا الجهاد لما كان الإسلام رحمة للعالمين ، وبركة على الخلق أجمعين .

والجهاد هو : مكافحة العدو ، ومقاومة الظلم والفساد في الأرض ، بالنفوس والأموال ، والتضحية والمفادة للحق .

والجهاد عندنا على قسمين :

الجهاد الأكبر : مقاومة العدو الداخلي وهو (النفس) ومكافحة صفاتها الذميمة ، وأخلاقها الرذيلة ، من الجهل ، والجبن ، والجور ، والظلم ، والكبير ، والغور ، والحسد ، والشح ، إلى آخر ما هناك من نظائرها (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك).

والجهاد الأصغر : هو مقاومة العدو الخارجي ، عدو الحق ، عدو العدل ، عدو الصلاح ، عدو الفضيلة ، عدو الدين .

ولصعوبة معالجة النفس ، وانتزاع صفاتها الذميمة ، وغرائزها المستحكمة فيها ، والمطبوعة عليها ، سمى النبي صلى الله عليه وآله هذا النوع في بعض كلماته (بالجهاد الأكبر) ولم يزل هو وأصحابه — رضوان الله عليهم — طوال حياته وحياتهم مشغولين بالجهادين حتى بلغ الإسلام إلى أسمى مبالغ العز والمجد .

ولو أردنا أن نطلق عنان البيان للقلم في تصوير ما كان عليه الجهاد بالأمس عند المسلمين ، وما صار اليوم ، لتفجرت العيون دماً ، ولتمزقت القلوب أسفًاً وندماً ، ولتسابقت العبرات والعبارات ، والكلوم والكلمات ، ولكن ! أتراك فطنت لما حبس قلمي ، ولوى عناني ، وأجح لوعي ، وأهاج

(250)

أحزاني ، وسلبني حتى سرية القول ، ونفثة المصدور ، وبثة الجمود :

فدع عنك نهباً صبح في حجراته * ولكن حديثاً ما حديث الرواحل^١

^١ بيت شعري لامرئ القيس ذهب صدره مثلاً ، والبيت من قصيدة له قالها في حادثة وقعت له حين نزل على خالد بن سدوس بن أصم النبهاني ، حيث أغمار عليه باعث بن حويص وذهب بإبله ، فقال له خالد : اعطي صنانعك ورواحلك حتى أطلب عليها مالك ، ففعل ، فذهب بها . وقيل إنه لحق بالقوم فاخذوا منه الرواحل وتركوه ، فهجاه امرأة القيس بهذه القصيدة .

وتصدر البيت يضرب مثلاً لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجل منه .

ومن أبيات القصيدة :

دَعْ عَنَكَ نَهْبًا صِبَحَ فِي حَجَرَاتِهِ * وَلَكُنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

كَانَ دِثَارًا حَلَقْتُ بِلِبِونِهِ * عَقَابُ تُنْوِي لَا عَقَابُ الْقَوَاعِلِ

تَلَعَّبَ باعْثُ بِذَمَّةِ خَالِدٍ * وَأَوْدَى عَصَامٌ فِي الْخَطُوبِ الْأَوَّلِ

انظر : ديوان الشاعر : ١٤٦ ، مجمع الأمثال ١ : ٤٧٠ / ٤٠٢ .

حديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الذي هو من أهم الواجبات شرعاً وعقلاً ، وهو أساس من أسس دين الإسلام ، وهو من أفضل العبادات ، وأنبل الطاعات ، وهو باب من أبواب الجهاد ، والدعوة إلى الحق ، والدعابة إلى المهدى ، ومقاومة الضلال والباطل ، والذي ما تركه قوم إلا وضررهم الله بالذل ، وأليسهم لباس المؤس ، وجعلهم فريسة لكل غاشم ، وطعنة كل ظالم .

وقد ورد من صاحب الشريعة الإسلامية ، وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم ، في الحديث عليه ، والتحذير من تركه ، وبيان المفاسد والمضار في إهماله ما يقصم الظهرور ، ويقطع الأعناق .

والمحاذير التي أنذرنا بها عند التواكل والتخاذل في شأن هذا الواجب قد أصبحنا نراها عياناً ، ولا نحتاج إليها دليلاً ولا برهاناً .

وياليت الأمر وقف عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتجاوزه إلى أن يصير المنكر معروفاً ومعروفاً منكراً ، ويصير الأمر بالمعروف تاركاً له ، والنافي عن المنكر عملاً به ، فإنما الله وإنما إليه راجعون { ظهر الفسادُ في البرّ والبحر }^١ فلا منكر مغير ، ولا زاجر مزدجر . لعن الله الأمرتين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به^٢ .

^١ سورة الروم : (٣٥) : ٤١ .

^٢ والله دين الإسلام ما أوسعه وأجمعه لقوانين السياسة الدينية والمدنية ، وأمهات أسباب الرقي والسعادة . فلما جعل الشارع الأحكام ، ووضع الحدود والقيود للبشر ، والأوامر والتواهي بمثابة القوة التشريعية ، احتاج ذلك إلى قوة تنفيذية ، فجعل التنفيذ على المسلمين جميعاً ، حيث أوجب على كل مسلم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ليكون كل واحد قوة تنفيذية لتلك الأحكام ، فكلكم راع وكلكم مسؤول [عن رعيته] ، والجميع مسيطر على الجميع . فإذا لم تنجح هذه القوة ، ولم يحصل

(252)

هذه أمهات العبادات عند الإمامية طبق الشريعة الإسلامية ، إكتفينا منها بالإشارة والعنوان ، وتفاصيلها على عهدة مؤلفات أصحابنا من الصدر الأول إلى اليوم ، الموجود منها في هذا العصر فضلاً عن المفقود — ينوف على مئات الألوف .

أما المعاملات : وهي ما يتوقف على طرفين : موجب وقابل ، فتارة : يكون المقصد المهم منها المال ، وهي عقود المعاوضات ، وهي على قسمين :

العقود الالزمة : كالبيع ، والإجارة ، والصلح ، والرهن ، والهبة المغوضة ، وما إلى ذلك من نظائرها ، وهي عقود المغابنات .

والعقود الجائزة : كالقرض ، والهبة غير المغوضة ، والجعلة ،

الغرض منها بحمل الناس على الخير ، وكفهم عن الشر ، فهناك ولادةولي الأمر ، والراعي العام ، والمسؤول المطلق ، وهو الإمام أو السلطان المنصوب لإقامة الحدود على الجرمين ، وحفظ ثغور المسلمين .

وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل به من الفوائد والثمرات ، وعظيم الآثار ، ما يضيق عنه نطاق البيان في هذا المقام ، ولكن هل تجد مثل هذه السياسة في دين من الأديان ؟ وهل تجد أعظم وأدق من هذه الفلسفة أن يكون كل إنسان رقياً على الآخر ، ومهيمناً عليه ؟

وعلى كل واحد واجبات ثلاثة : أن يتعلم ويعمل ، وأن يعلم ، وأن يبعث غيره على العلم والعمل ؟

فتأمل واعجب بعظمة هذا الدين ، وأعظم من ذلك واعجب من حالة أهليه اليوم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . « منه قدس سره » .

وأضرابها.

والكل مشرح في كتب الفقه ، في متوتها وشروحها ، وأصولها وفروعها ، وقواعدها وأدلتها ، من مطولات ومحضرات .

ولكن أصحابنا — رضوان الله عليهم — لا يحيدون قيد شعرة في شيء من أحكام تلك المعاملات — كما لا يحيدون في العبادات أيضاً — عن الكتاب والسنة ، والقواعد المستفادة منها من استصحابه وغيره .

ولا يحل عندنا اكتساب المال إلا من طرقه المشروعة ، بتجارة أو إجارة ، أو صناعة أو زراعة ، أو نحو ذلك. ولا يحل بالغصب ، ولا بالربا ، ولا بالخيانة ، ولا بالغش ، ولا التدليس ، ولا تحل عندنا الخديعة للكافر فضلاً عن المسلم . كما يجب أداء الأمانة ، ولا تحل خيانة الكافر فيها فضلاً عن المسلم .

وتارة : يكون الغرض المهم ليس هو المال ، وإن تضمن المال ، وذلك كعقود الزواج الذي يقصد منه النسل ونظام العائلة وبقاء النوع ، وهو عندنا قسمان :

عقد الدوام : وهو الزواج المطلق .

والعقد المرسل : { وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم }^١ .

وعقد الانقطاع : وهو الزواج المقيد والنكاح المؤقت .

وال الأول هو الذي اتفقت عليه عامة المسلمين .

^١ سورة النور : (٢٤) : ٣٢

وأما الثاني ويعرف (بنكاح المتعة) المصرح به في الكتاب الكريم بقوله تعالى : { فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجرهن }^١ فهو الذي انفرد به

^١ سورة النساء (٤) : ٢٤ .

الإمامية من بين سائر فرق المسلمين بالقول بجوازه وبقاء مشروعيته إلى الأبد ، ولا يزال التزاع محتدماً فيه بين الفريقين ، من زمن الصحابة وإلى اليوم . وحيث إن المسألة لها مقام من الاهتمام ، فجدير أن نعطيها ولو بعض ما تستحق من البحث ، إنارة للحقيقة ، وطلبًا للصواب .

فنقول : إن من ضروريات مذهب الإسلام — التي لا ينكرها من له أدنى إلمام بشرائع هذا الدين الحنيف — أن المتعة — بمعنى العقد إلى أجل مسمى — قد شرعها رسول الله صلى الله عليه واله ، وأباحها ، وعمل بها جماعة من الصحابة في حياته ، بل وبعد وفاته ، وقد اتفق المفسرون : أن جماعة من عظماء الصحابة كعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعمران بن الحchin ، وأبي مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهم كانوا يفتون بإباحتها ، ويقرأون الآية المتقدمة هكذا : {فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى} ^١ .

ومما ينبغي القطع به أن ليس مرادهم التحرير في كتابه جل شأنه ، والنقص منه (معاذ الله) بل المراد بيان معنى الآية على نحو التفسير الذي أخذوه من الصادع بالوحى ، ومن انزل عليه ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه .

والروايات التي أوردها ابن حجر في تفسيره الكبير وان كانت ظاهرة في أنها من صلب القرآن المترى حيث يقول أبو نصيرة : قرأت هذه الآية على ابن عباس فقال : إلى أجل مسمى . فقلت : ما أقرأها كذلك ، قال : والله لأنزلها الله كذلك (ثلاث مرات) ^٢ . ولكن يجل مقام حبر الأمة عن هذه

^١ انظر : جامع البيان للطبرى ٥ : ٩ ، التفسير العظيم لابن كثير ١ : ٤٧٤ ، تفسير الكشاف للزمخشري ١ : ٥١٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ١٤٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٢٠٥ .

^٢ جامع البيان للطبرى ٥ : ٩ .

(255)

الوصمة ، فلا بد أن يكون مراده — إن صحت الرواية — أن الله أنزل تفسيرها كذلك .

وعلى أي ، فالإجماع ، بل الضرورة في الإسلام قائمة على ثبوت مشروعيتها ، وتحقق العمل بها ، غاية ما هناك أن المانع يدعون أنها نسخت وحرمت بعد ما أباحت ، وحصل هنا الاضطراب في النقل والإختلاف الذي لا يفيد ظناً فضلاً عن القطع ، ومعلوم — حسب قواعد الفن — إن الحكم القطعي لا ينسخه إلا دليل قطعي .

فتارة : يزعمون أنها نسخت بالسنة ، وأن النبي حرمتها ، بعد ما أباحها^١ ، وأخرى : يزعمون أنها قد نسخت بالكتاب ، وهنا وقع الخلاف والإختلاف أيضا ، فيين قائل : أنها نسخت بأية الطلاق { إذا طلقت النساء فطلقوهن لعدهن }^٢ وآخر يقول : نسختها آية مواريث الأزواج { لكم نصف ما ترك أزواجهكم }^٣ وأجدهي في غنى عن بيان هذه الأوهام وسخافتها ، وأنه لا تنافي ولا تدافع بين هذه الآيات وتلك الآية حتى يكون بعضها ناسحا

^١ أقوال القوم هنا متضاربة ومتغيرة أشد التعارض ، فمنهم من يذهب إلى أنها أباحت ثم نهي عنها يوم خير ، وآخر أنها كانت مباحة وحرمت عام الفتح ، وثالث أنها أباحت وحرمت في حجة الوداع ، ورابع أنها أباحت عام أو طاس ثم حرمت . . . وهكذا ، فراجع .

انظر : صحيح مسلم باب نكاح المتعة ، مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٤ ، سنن أبي داود ٢ : ٢٢٧ ، طبقات ابن سعد ٤ : ٣٤٨ ، سنن البيهقي ٤ : ٣٤٨ ، مصنف ابن أبي شيبة ٤ : ٢٩٢ ، فتح الباري ١١ : ٧٣ ، سنن الدارمي ٢ : ١٤٠ ، سنن ابن ماجة حديث ١٩٦٢ .

^٢ سورة الطلاق (٦٥) : ١ .

انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥ : ١٣٠ ، التفسير الكبير للرازي ١٠ : ٤٩ ، سنن البيهقي ٢٠٧:٧ .

^٣ سورة النساء (٤) : ١٢ .

لبعض.

وسيأتي له مزيد توضيح في بيان أنها زوجة حقيقة ولها جميع أحكامها .

نعم ، يقول الأكثر منهم : أنها منسوخة بآية { إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم }^١ ، حيث حصرت الآية أسباب حلية الوطء بأمررين : الزوجية ، وملك اليمين .

قال الآلوسي في تفسيره : ليس للشيعة أن يقولوا أن المتمتع بها مملوكة ، لبداهة بطلانه ، أو زوجة ، لانتفاء لوازم الزوجية : كالميراث ، والعدة ، والطلاق ، والنفقة^٢ ! انتهى .

وما أدحضاها من حجة ، أما أولاً : فإن أراد لزومها غالباً فهو مسلم ولا يجديه ، وإن أراد لزومها دائماً ، وأنها لا تنفك عن الزوجية ، فهو من نوع أشد المنع ، ففي الشرع مواضع كثيرة لا ترث فيها الزوجة : كالزوجة الكافرة ، والقائلة ، والمعقود عليها في المرض إذا مات زوجها فيه قبل الدخول .

كما أنها قد ترث حق الزوجة مع خروجها عن الزوجية ، كما لو طلق زوجته في المرض وماتت فيه بعد خروجها عن العدة قبل انقضاء الحول .

انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥ : ١٣٠ ، التفسير الكبير للرازي ١٠ : ٥٠ .

^١ سورة المؤمنون (٢٣) : ٦ ، وسورة المعارج : (٧٠) : ٣٠ .

انظر : سنن الترمذى ٥٠:٥ ، سنن البيهقي ٧:٢٠٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥:١٣٠ ، التفسير الكبير للرازي

١٠:٥٠ ، المبسوط للسرحسي ٥:١٥٢ .

^٢ روح المعاني ٥:٧ .

إذاً فالإرث لا يلزم الزوجية طرداً ولا عكساً .

وأما ثانياً : فلو سلمنا الملازمة ، ولكن عدم إرث المتمتع بها ممنوع . فقيل : بأنها ترث مطلقاً .
وقيل : ترث مع الشرط . وقيل : ترث إلا مع شرط

العدم .

والتحقيق حسب قواعد صناعة الإستنباط ، ومقتضى الجمع بين الآيتين إن المتمتع بها زوجة ، تترتب عليها آثار الزوجية إلا ما خرج بالدليل القاطع .

أما العدة ، فهي ثابتة لها بإجماع الإمامية قولًا واحدًا ، بل وعند كل من قال بمشروعيتها .

أما النفقة ، فليست من لوازم الزوجية ، فإن الناشر زوجة ولا تجب نفقتها إجماعاً .

أما الطلاق ، فهبة المدة تغنى عنه ، ولا حاجة إليه .

وأما ثالثاً : فنسخ آية المتعة بآية الأزواج مستحيل ، لأن آية المتعة في سورة النساء وهي مدنية^١ ، وآية الأزواج في سورة المؤمنين والمعارج ، وكلاهما مكיתان^٢ ، ويستحيل تقدم الناشر على المنسوخ .

وأما رابعاً : فقد روى جماعة من أكابر علماء السنة : أن آية المتعة غير منسخة ، منهم الزمخشري في (الكافل) حيث نقل عن ابن عباس : أن آية المتعة من الحكمات^٣ .

ونقل غيره : أن الحكم بن عبيدة سئل : إن آية المتعة هل هي منسخة ؟

^١ انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٣٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥ : ١ ، الكافل للزمخشري ١ : ٤٩٢ .

^٢ انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ : ١٢٥ و ٣٣٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ : ١٠٢ و ١٨ : ٢٧٨ ، الكافل للزمخشري ٣ : ٤٥٦ و ٤ : ٢٤ .

^٣ الكافل ١ : ٥١٩ .

فقال : لا .^١

^١ الدر المنشور للسيوطى ٢ : ١٤٠ .

والخلاصة: إن القوم يعد اعترافهم قاطبة بالمشروعية ادعوا أنها منسوخة ، فرعموا تارة نسخ آية بآية وقد عرفت حاله ، وأخرى نسخ آية بحدث ، واستشهدوا على ذلك بما رواه البخاري ومسلم من أن النبي صلى الله عليه وآلـه ، نهى عنها وعن الحمر الأهلية في فتح مكة أو فتح خير أو غزوة أوطاس^١ .

وهنا اضطربت القضية اضطراباً غريباً ، وتلونت ألواناً ، وتنوعت أنواعاً ، وجاء الخلف والاختلاف ، الواسع الأكناـف ، فقد حـکـي عن القاضـي عـيـاضـ : أن بعضـهـمـ قالـ : إنـ هـذـاـ مـاـ تـدـاوـلـهـ التحرـيمـ والإـبـاحـةـ والنـسـخـ مـرـتـيـنـ^٢ !

ولكن من توسع في تصفـحـ أـسـفـارـهـمـ ، وـمـأـثـورـ أحـادـيـثـهـمـ وـأـخـبـارـهـمـ ، يـجـدـ القـضـيـةـ أـوـسـعـ بـكـثـيرـ ، فـفـيـ بـعـضـهـاـ : أنـ النـسـخـ كـانـ فـيـ حـجـةـ الـوـدـاعـ [الـسـنـةـ] الـعاـشـرـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ^٣ .

وـأـخـرىـ : أـنـهـ فـيـ غـزـوـةـ تـبـوـاـكـ [الـسـنـةـ] التـاسـعـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ^٤ .

وقـيلـ : فـيـ غـزـوـةـ أوـطـاسـ ، أـوـ غـزـوـةـ حـنـينـ ، وـهـمـاـ فـيـ [الـسـنـةـ] الثـامـنـةـ فـيـ [شـهـرـ] شـوـالـ^٥ .

^١ صحيح البخاري ٧ : ١٢ ، صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٣ | ١٠٢٧ و ١٨ | ٢٩ ، ٣٠ . وتقـدمـتـ الإـشـارـةـ إـلـىـ ذـلـكـ ، فـرـاجـعـ .

^٢ شـرـحـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ لـلنـوـويـ ٩ : ١٨١ ، التـفـسـيرـ العـظـيمـ لـابـنـ كـثـيرـ ١ : ٤٧٤ .

^٣ سنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ ٢ : ٢٢٧ ، سنـنـ الـبـيـهـقـيـ ٤ : ٣٤٨ ، طـبـقـاتـ اـبـنـ سـعـدـ ٤ : ٣٤٨ .

^٤ الجـامـعـ لـلـأـحـكـامـ الـقـرـطـيـ ٥ : ١٣٠ ، سنـنـ الـبـيـهـقـيـ ٧ : ٢٠٧ ، مـجـمـعـ الزـوـائـدـ ٤ : ٢٦٦ ، فـتـحـ الـبـارـيـ ١١ : ٧٣ .

^٥ صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٣ .

وقيل : يوم فتح مكة ، وهو في شهر رمضان من [السنة] الثامنة أيضاً^١.

^١ صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٥ ، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٢ ، سنن الدارمي ٢ : ١٤٠ ، مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ٤ : ٢٩٢ .

وقالوا : إنه أباها في فتح مكة ثم حرمها هناك بعد أيام^١.

والشائع — وعليه الأكثر — : أنه نسخها في غزوة خيبر [في السنة] السابعة من الهجرة ، أو في عمرة القضاء ، وهي في ذي الحجة من تلك السنة^٢.

ومن كل هذه المزاعم يلزم أن تكون قد أبيحت ونسخت خمس أو ست مرات لا مرتين أو ثلاث كما ذكره النووي وغيره في (شرح مسلم)^٣ !

فما هذا التلاعيب بالدين يا علماء المسلمين ؟ وبعد هذا كله ، فهل يبقى قدر جناح بعوضة من الثقة في وقوع النسخ بمثل هذه الأساطير المدحوضة باضطرابها أولاً ، وبأن الكتاب لا ينسخ بأخبار الآحاد ثانياً ، وبأنها معارضة بأخبار كثيرة من طرقهم صريحة في عدم نسخها ثالثاً.

ففي صحيح البخاري : حدثنا أبو رجاء ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله

^١ صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٥ ، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٢ .

^٢ سنن ابن ماجة ١ : ٦٣٠ | ١٩٦١ ، صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٧ .

والغريب أن القوم عند محاولتهم لا يراد الأدلة التي يحتاجون بها لإثبات مدعاهم بتحريم نكاح المتعة لم يلتفتوا إلى كثير من مواضع الخلل البينة في استدلالاتهم ومحاولتهم ، بل والى مواضع التهافت البينة فيها ، ومن ذلك قولهم بتحريمها في غزوة خيبر ، حيث يظهر بطلان ذلك من عدة وجوه ، لعل أوضحها ما ذكره ابن القيم في زاد المعاد (٢ : ١٥٨ و ٢٠٤) في معرض رد لهذا الرأي السقيم ، حيث قال — : وقصة خيبر لم يكن الصحابة يتمتعون باليهوديات ، ولا استأذنوا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة ، ولا كان للمتعة فيها ذكر البنة ، لا فعلاً ولا تحريراً . . . فان خيبر لم يكن فيها مسلمات وإنما كان يهوديات ، وإباحة نساء أهل الكتاب لم يكن ثبت بعد ، إنما أبحن بعد . . فتأمل .

^٣ شرح صحيح مسلم للنووي ٩ : ١٨٠ .

(260)

عليه وآلـه وـلم يـنزل قـران بـحرمتـها ، وـلم يـنهـ عنها رـسول اللـه حـتـى مـات ، قـال رـجـل بـرأـيه ما شـاء . مـحمد : يـقال : أـنه عـمر . اـنتـهى نـص البـخارـي^١ .

وـفي صـحـيق مـسـلم : بـسـنـده عن عـطـاء قـال : قـدـم جـابر بن عبد اللـه الأـنصـارـي مـعـتـمـراً ، فـجـئـناه في مـتـرـلـه ، فـسـأـلـه الـقـوم عن أـشـيـاء ، ثـم ذـكـرـوا المـتـعـة فـقـال : نـعـم ، اـسـتـمـتـعـنا عـلـى عـهـد رـسـول اللـه صـلـى اللـه عـلـيـه وـآلـه ، وـعـلـى عـهـد أـبـي بـكـر وـعـمـر^٢ .

وـفـيه : عن جـابر أـيـضاً حـيـث يـقـول : كـنـا نـسـتـمـتـع بـالـقـبـضـة من التـمـر وـالـدـقـيق لـأـيـام عـلـى عـهـد رـسـول اللـه صـلـى اللـه عـلـيـه وـآلـه ، وـأـبـي بـكـر ، حـتـى نـهـى عـنـه عـمـر في شـأن عـمـرو بـن حـرـيـث^٣ .

وـفـيه : عن أـبـي نـضـرة قـال : كـنـت عند جـابر بن عبد اللـه فـأـتـاه آـت فـقـال : ابن عـبـاس وـابـن الزـبـير اـخـتـلـفـا في المـتـعـيـن ، فـقـال جـابر : فـعـلـنـاهـما مع رـسـول اللـه صـلـى اللـه عـلـيـه وـآلـه ، ثـم نـهـانـا عـنـهـما عـمـر ، فـلـم نـعـد لـهـما^٤ .

أـقـول : وـإـنـما لم يـعـودـوا لـهـا لـأـنـ عـمـرـ كان يـرـجمـ من يـثـبـتـ عـنـهـ أـنـهـ قد تـمـتـعـ .

^١ صحيح البخاري ٦ : ٣٣ ، وانظر كذلك : صحيح مسلم ٢ : ٩٠٠ | ١٧٢ ، التفسير الكبير للرازي ١٥ : ٤٩ ، تفسير البحر الخيط لابن حيان ٣ : ٢١٨ ، السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٢٠ .

^٢ صحيح مسلم ٢ : ١٥ | ١٠٢٣ .

^٣ صحيح مسلم ٢ : ١٦ | ١٠٢٣ .

^٤ صحيح مسلم ٢ : ١٧ | ١٠٢٣ .

ومن يراجع هذا الباب من صحيح مسلم بإمعان يرى العجائب فيما أورده فيه من الأحاديث
المشتبه والنافية ، والنسخ وعدم النسخ ، والجهني يقول : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ بالملائكة عام
الفتح حين دخلنا

(261)

مكة ، ثم لم نخرج حتى هانا عنها^١.

والنسخ تارة ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، وأخرى إلى عمر ، وأنها كانت ثابتة في عهد النبي وعهد أبي بكر ، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام نهى ابن عباس عن القول بالمتعة في مواطن فرجع عن القول بها^٢ ، مع إنه روي أن ابن الزبير قام بمكة فقال : إن أنساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم (يعني ابن عباس) يفتون بالمتعة ، فناداه (أبي ابن عباس) : إنك بخلف جاف ، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقيين . . . إلى آخر الحديث^٣.

وهذا يدل على بقائه على فتواه إلى آخر عمره في حلافة ابن الزبير.

وأعجب من الجميع نسبة النهي عنها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، مع أن حلية المتعة قد صار شعاراً لأهل البيت وشاراً لهم ، وعلى عليه السلام بالخصوص قد تظافر النقل عنه بإنكار حرمة المتعة ، ومن كلماته المأثورة التي جرت بمحرى الأمثال قوله : « لولا نهي عمر عن المتعة ما زنى إلا شفا أو شقي » .

ففي تفسير الطبرى الكبير : روى عن علي بن أبي طالب أنه قال : « لولا أن عمر نهى الناس عن المتعة ما زنى إلا شقي — أو شفا^٤ — ».

^١ صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٥ / ٢٢ .

^٢ المصنف لعبد الرزاق ٧ : ٥٠١ ، الكشاف للزمخشري ١ : ٥١٩ .

^٣ صحيح مسلم ٢ : ١٠٢٦ | ٢٧ ، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٥ .

^٤ أبي قليل من الناس ، وقيل : إلا خطيبة قليلة من الناس لا يجدون ما يستحلون به الفروج .

(262)

ومن طرقنا الوثيقة عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول : « ثلا ث لا أتقى فيهن أحداً : متعة الحج ، ومتعة النساء ، والمسح على الخفين »^٢.

وكيف كان : فلا ريب حسب قواعد الفن ، والأصول المقررة في (علم أصول الفقه) أنه إذا تعارضت الأخبار وتکافأت سقطت عن الحجة والاعتماد ، وصارت من المشابهات ، ولا بد من رفضها والعمل بالمحكمات . وبعد ثبوت المشروعية والإباحة باتفاق المسلمين ، واستصحاب بقائهما ، وأصالة عدم النسخ عند الشك ، يتبعن القول بجوازها وحليتها إلى اليوم .

انظر : الصداح ٦ : ٢٣٩٣ ، لسان العرب ١٤ : ٤٣٧ .

^١ جامع البيان للطبراني ٥ : ٩ ، وانظر كذلك : التفسير الكبير للرازي ١٠ : ٥٠ ، تفسير البحر المحيط لابن حيان ٣ : ٢١٨ ، الدر المصور ٢ : ١٤٠ .

^٢ راجع كتاب وسائل الشيعة للحر العاملی رحمه الله تعالى (٢١ : ٥ — ٨٠) فقد أورد الكثير من الأحاديث المبینة لأحكام هذا النوع من النكاح وشروطه ، وأما الحديث المذكور أعلاه فقد وجدته مرويًّا بصيغة مختلفة ، ولعل ذلك مرجعه السهو أو التصحیف . راجع الفقیہ ١ : ٤٨ | ٩٥ .

التمحیص و حل العقدة:

وإذا أردنا أن نسير على ضوء الحقائق ، ونعطي المسألة حقها من التمحیص والبحث عن سر ذلك الارتباك وبذرته الأولى — التي غلت وتأثلت — لا بحد حلاً لتلك العقدة إلا : أن الخليفة عمر قد اجتهد برأيه لصلاحة رآها بنظره لل المسلمين في زمانه وأيامه ، اقتضت أن يمنع من استعمال المتعة منعاً مدنياً لا دينياً ، لصلاحة زمنية ، ومنفعة وقنية ، ولذا توادر النقل عنه أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا احرمها وأعاقب عليهما^١ ، ولم يقل أن رسول الله صلى الله عليه وآلـه حرمهما أو نسخهما ، بل نسب التحرير إلى نفسه ، وجعل العقاب عليهما منه لا من الله سبحانه .

وحيث أن أبا حفص الحريص على نواميس الدين ، الخشن على إقامة شرائع الله ، أجل مقاماً ، وأسمى إسلاماً ، من أن يحرم ما أحل الله ، أو يدخل في الدين ما ليس من الدين ، وهو يعلم أن حلال محمد حلال إلى يوم القيمة ، وحرامه حرام إلى يوم القيمة ، والله سبحانه يقول في حق نبيه الكريم : { ولو تقول علينا بعض الأقوایل * لأندنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوبتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين }^٢ فلا بد من أن يكون مراده المنع الزمني ، والتحرير المدى ، لا الدين ، ولكن بعض معاصريه ، ومن بعده من المحدثين البسطاء ، لما غفلوا عن تلك النكتة الدقيقة ، واستكروا من ذلك الرعيم العظيم — القائم على حراسة الدين — أن يحرم ما

^١ انظر : السنن الكبيرى للبيهقي ٧ : ٢٠٦ ، زاد المعاد لابن قيم الجوزي ٣ : ٤٦٣ ، المبسوط للسرخسى ٤ : ٢٧ .

^٢ سورة الحاقة (٦٩) : ٤٤ — ٤٧ .

(٣٦٤)

أحل الله ، ويجترىء على حرمات الله ، اضطروا إلى استخراج مصحح ، فلم يجدوا إلا دعوى النسخ من النبي بعد الإباحة ، فارتباوا ذلك الارتكاب ، واضطربت كلماتهم ذلك الاضطراب ، ولو أفهم صاحوا عمل الخليفة بما ذكرناه لأنهم عن ذلك التكليف والارتكاب .

ويشهد لما ذكرناه ما سبق من رواية مسلم عن جابر : كنا نتمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، وأبي بكر ، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حرث ^١ الحديث .

فإنه يدل دلالة واضحة أن عمر نهى عن المتعة من أجل قضية في واقعة استنكر الخليفة منها ، فرأى من الصالح للأمة النهي عنها ، وإن كنا لم نعثر على شيء من شأن القضية ، ولكن أبا حفص كان معلوماً حاله في الشدة والتنمر ، والغلظة والخشونة في عامة أموره ، فربما يكون قد استنكر شيئاً في واقعة خاصة أوجب تأثيره وهي حجه الشديد الذي بعثه على المنع المطلق خوف وقوع أمثاله ، اجتهاداً منه ورأياً تمكن في ذهنه ، وإلا فأمر المتعة وحليتها بعد : نص القرآن ، وعمل النبي ، والصحابة طول زمن النبي ، ومدة خلافة أبي بكر ، وبرهة من خلافة عمر ، أوضح من أن يحتاج إلى شيء من تلك المباحث واله나يث ^٢ ، وتلك المداولات العريضة الطويلة .

^١ في شرح مسلم المسمى بإكمال المعلم للوشناني الآي قوله في شأن عمرو بن حرث : كأن نهيه عن ذلك في آخر خلافته ، وقيل : في أثنائها . وقال [أي عمر بن الخطاب] : لا يؤتى برجل تمنع وهو محسن إلا رحمته ، ولا برجل تمنع وهو غير محسن إلا جلدته . وقضية عمرو بن حرث : أنه تمنع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) ودام ذلك حتى خلافة عمر ، بلغه ذلك فدعاه فسألها فقالت : نعم ، قال : من شهد ؟ قال عطاء : فأرها قالت أمها وأباها ، قال : فهلا غيرهما . فنهى عن ذلك إنتهی « منه قدس سره » .

^٢ الهنايث : جمع هنية ، وهي الأمر الشديد ، الصحاح ١ : ٢٩٦ .

(٣٦٥)

كيف والذي يظهر من فلي نواصي التاريخ ، والاستطلاع في ثنايا القضايا ، أن عقد المتعة كان مستعملاً في زمن الرسالة ، حتى عند أشراف الصحابة ورجالات قريش ، ونتجت منه الدراري والأولاد الأئمداد.

فهذا الراغب الأصفهاني — من عظماء علماء السنة — يحدثنا — وهو الشقة الثبت — في كتابه السابق الذكر ما نصه : أن عبد الله بن الزبير عير ابن عباس بتحليله المتعة ، فقال له ابن عباس : سل أمك كيف سطعت الجامر بينها وبين أبيك .

فسألها فقالت : والله ما ولدتك إلا بالمعنة^١ .

وأنت تعلم من هي أم عبد الله بن الزبير ، هي أسماء ذات النطاقين ، بنت أبي بكر الصديق ، أخت عائشة أم المؤمنين ، وزوجها الزبير من حواري رسول الله ، وقد تزوجها بالمعنة ، فما تقول بعد هذا أيها المكابر الجادل ؟ !

ثم أن الراغب ذكر عقيب هذه الحكاية رواية أخرى فقال : سأله يحيى ابن أكثم شيخاً من أهل البصرة فقال له : من اقتديت في جواز المتعة ؟

فقال : عمر بن الخطاب .

فقال له : كيف وعمر كان من أشد الناس فيها ؟!

قال : نعم ، صح الحديث عنه أنه صعد المنبر فقال : يا أيها الناس ، متعتان أحلمهما الله ورسوله لكم وأنا أحرمها عليكم وأعقب عليهما ، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريره . انتهى^١ .

^١ محاضرات الأدباء ٣ : ٢١٤ .

وَقَرِيبٌ مِّنْهَا مَا يُنَقَلُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^٢.

^١ مُحَاضَرَاتُ الْأَدِيَاءِ ٣ : ٢١٤ .

^٢ سَنْنُ التَّرْمِذِيِّ ٣ : ١٨٥ | ٨٢٤ .

ولكن في عبارة شيخ أهل البصرة من الشطح والتجاوز ما لا يرتضيه كل مسلم ، والعبارة الشائعة عن أبي حفص أخف وألطف من ذلك ، وهي قوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أحرمهما . وإذا كان مراده ما أوعزنا إليه ، وكشفنا حجابه ، وحللنا عقدته ، يهون الأمر ، وتحف الوطأة .

وبعد ما انتهينا في الكتابة إلى هنا ، وقفنا على كلام لبعض الأعظم من علمائنا المتقدمين ، وهو المحقق محمد بن إدريس الحلبي ، من أهل القرن السادس ، وجدناه يتفق مع كثير مما قدمناه ، فأحببنا نقله هنا ليتأكد البيان ، وتتجلى الحجة .

قال في كتابه (السرائر) الذي هو من جلائل كتب الفقه والحديث — ما نصه : النكاح المؤجل مباح في شريعة الإسلام ، مأذون فيه ، مشروع في الكتاب والسنة المتواترة بإجماع المسلمين ، إلا أن بعضهم ادعى نسخه ، فيحتاج في دعوه إلى تصحيحتها ، ودون ذلك خرط القتاد . وأيضاً فقد ثبت بالأدلة الصحيحة : أن كل منفعة لا ضرر فيها في عاجل ولا في أجل مباحة بضرورة العقل ، وهذه صفة نكاح المتعة ، فيجب إياحته بأصل العقل .

فإن قيل : من أين لكم نفي المضرة عن هذا النكاح في الآجل ، والخلاف في ذلك ؟

قلنا : من ادعى ضرراً في الأجل فعليه الدليل .

وأيضاً فقد قلنا : إنه لا حلاف في إياحتها من حيث أنه قد ثبت بإجماع المسلمين : أنه لا خلاف في إباحة هذا النكاح في عهد النبي صلى الله عليه وآله بغير شبهة ، ثم ادعى تحريمها من بعد ونسخها ، ولم يثبت النسخ ، وقد ثبتت الإباحة بالإجماع ، فعلى من ادعى الحظر والنسخ الدلالة .

فإن ذكروا الأخبار التي رووها في أن النبي صلى الله عليه وآله حرمتها

ونهي عنها.

فالجواب عن ذلك: إن جميع ما يروونه من هذه الأخبار — إذا سلمت من المطاعن والضعف — أخبار آحاد ، وقد ثبت أنها لا توجب علمًا ولا عملاً في الشريعة ، ولا يرجع بهنلها عما علم وقطع عليه .

وأيضاً قوله تعالى بعد ذكر المحرمات من النساء : { وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تتبعوا بأموالكم محسنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة }^١ .

ولفظة (استمتعتم) لا تعدو وجهين : إما أن يراد بعما الانتفاع أو الالتزام الذي هو أصل موضوع اللفظة ، أو العقد المؤجل المخصوص الذي اقتضاه عرف الشرع .

ولا يجوز أن يكون المراد هو الوجه الأول لأمرتين :

أحدهما: إنه لا خلاف بين محسلي من تكلم في أصول الفقه في أن لفظ القرآن إذا ورد وهو محتمل الأمرين : أحدهما : وضع اللغة ، والآخر : عرف الشريعة ، فإنه يجب حمله على عرف الشريعة ، وهذا حملوا كلهم لفظ : صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، على العرف الشرعي دون الوضع اللغوي .

وأيضاً فقد سبق إلى القول بإباحة ذلك جماعة معروفة الأقوال من الصحابة والتابعين : كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وابن عباس ، ومناظراته لابن الزبير معروفة رواها الناس كلهم ، ونظم الشعراء فيها الأشعار فقال بعضهم :

^١ سورة النساء (٤) : ٢٤ .

(٣٦٨)

أقول للشيخ لما طال مجلسه * يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس وعبد الله بن مسعود ، ومجاهد ، وعطاء ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وسلمة بن الأكوع ، وأبي سعيد الخدري ، والمغيرة بن شعبة ، وسعيد بن جبير ، وابن حريج ، وأنهم كانوا يفتون بها . فادعاء الخصم الاتفاق على حضر النكاح المؤجل باطل . انتهى كلامه^١ .

وكل ذي بصيرة يعرف ما فيه من المتنانة والرصانة ، وقوة الحجة والمعارضة .

هذا كله في البحث عن المسألة من وجهتها الدينية والتاريخية ، والنظر إليها من حيث الدليل حسب القواعد الأصولية ، والطرق الشرعية .

أما النظر فيها من الوجهة الأخلاقية والاجتماعية :

فأقول: أليس دين الإسلام هو الصوت الإلهي ، والنجمة الربوبية الشجية التي هبت على البشر بنسائم الرحمة ، وعطرت مشام الوجود بلطائف السعود ، وجاءت لسعادة الإنسان لا لشقائه ، ولنعمته لا لبلائه ، هو الدين الذي يتمشى مع الزمان في كل أطواره ، ويدور مع الدهر في جميع أدواره ، ويسد حاجات البشر في نظم معاشهم ومعادهم ، وحلب صلاحهم ، ودرء فسادهم ما جاء دين الإسلام ليشق على البشر ، ويلقيهم في حظيرة المشقة ، وعصارة البلاء والمحنة ، وكلفة الشقاء والتعاسة ، كلا ! بل جاء رحمة للعالمين ، وبركة على الخلق جميع ، مهدأً سبل الهناء والراحة ، ووسائل الرخاء والنعمـة ، ولذا كان أكمل الأديان ، وختامة الشرائع ، إذ لم يدع نقصاً في نواميس سعادة البشر يأتي دين بعده فيكمـلـه ، أو ثلمـةـ في ناحـيـةـ من نواحيـ الـحـيـاةـ فـتـأـتـيـ شـرـيـعـةـ أـخـرىـ فـتـسـدـهـاـ .

^١ السراجير ٢ : ٦١٨ - ٦٢٠ .

ثم أو ليس من ضرورات البشر ، منذ عرف الإنسان نفسه ، وأدرك حسه ، ومن المهن التي لا ينفك عن مزاولتها ، والإندفاع إليها بداع شتى وأغراض مختلفة هو السفر والتغرب عن الأوطان ، بداعي التجارة والكسب ، في طلب علم أو مال ، أو سياحة أو ملاحة ، أو غير ذلك من جهاد وحروب وغزوات ونحوها ؟

ثم أو ليس الغالب في أولئك المسافرين لتلك الأغراض هم الشبان ، وما يقاربهم من أصحاب الأبدان ، وأقوياء الأجساد ، الراتعين بنعيم الصحة والعافية ؟

ثم أليس الصانع الحكيم — بباهر حكمته ، وقاهر قدرته — قد أودع في هذا الهيكل الإنساني غريزة الشهوة ، وشدة الشوق والشبق إلى الأزواج ، لحكمة سامية ، وغاية شريفة ، وهي بقاء النسل ، وحفظ النوع ، ولو خلي من تلك الغريزة ، وبلت أو ضعفت فيه تلك الجبلة لم يبق للبشر على مر الأحقاب عين ولا أثر.

ومن المعلوم أن حالة المسافرين المقوين لا تساعده على القران الباقي ، والزواج الدائم ، لما له غالباً من التبعات واللوازم ، التي لا تتمشى مع حالة المسافر ، فإذا امتنع هذا النحو من الزواج حسب محاري العادات ، وعلى الغالب والمعارف من أمر الناس ، وملك اليمين ، والتسرى بالإماء والجواري المملوكة بأحد الأسباب ، قد بطل اليوم بتاتاً ، وكان متعدراً أو متعرضاً من ذي قبل ، فالمسافر لا سيما من تطول أسفارهم في طلب علم أو تجارة ، أو جهاد أو مرابطة ثغر ، وهم في ميعة الشباب وريغان العمر ، وتأجج سعير الشهوة ، لا يخلو حالم من أمرتين : إما الصبر ومحاهدة النفس الموجب للمشقة التي تنجر إلى الوقوع في أمراض مزمنة ، وعلل مهلكة ، مضافاً إلى ما فيه من قطع النسل ، وتضييع ذراري الحياة المودعة فيهم ، وفي

(٣٧٠)

هذا نقض للحكمة ، وتفويت للغرض ، وإلقاء في العسر والخرج وعظيم المشقة التي تأباه شريعة الإسلام ، الشريعة السهلة { ي يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }^١ { ما جعل عليكم في الدين من حرج }^٢ وأما الوقوع في الزنا والعهر ، الذي ملأ الممالك والأقطار ، بالفاسد والمضار .

ولعم الله ، وقساً بشرف الحق ، لو أن المسلمين أخذوا بقواعد الإسلام ، ورجعوا إلى نواميس دينهم الحنيف ، وشرائعه الصحيحة { لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض }^٣ ولعاد إليهم عزهم الداير ، وبمحدهم الغابر .

ومن تلك الشرائع : مشروعية المتعة ، فلو أن المسلمين عملوا بها على أصولها الصحيحة من : العقد ، والعدة ، والضبط ، وحفظ النسل منها ، لانسدت بيوت المواхير ، وأوصدت أبواب الزنا والعهر ، ولارتقت — أو قلت — وياتت هذا الشر على البشر ، ولأصبح الكثير من تلك المؤسسات المتهتكات مصنونات محصنات ، ولتضاعف النسل ، وكثرت المواليد الطاهرة ، واستراح الناس من اللقيط والنبيذ ، وانتشرت صيانة الأخلاق ، وطهارة الأعراق ، إلى كثير من الفوائد والمنافع التي لا تعد ولا تحصى .

ولله در عالم بن هاشم ، وحبر الأمة عبد الله بن عباس (رض) في كلمته الخالدة الشهيرة التي رواها ابن الأثير في (النهاية) والزمخري في (الفائق) وغيرهما حيث قال : ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد

^١ سورة البقرة (٢) : ١٨٥ .

^٢ سورة الحج (٢٢) : ٧٨ .

^٣ سورة الأعراف (٧) : ٩٦ .

(۱۷)

صلى الله عليه وآلـه ، ولو لا نـھـيـهـ عنـھـاـ ماـ زـنـ إـلـاـ شـقـيـ ١ـ . وـقـدـ أـخـذـھـاـ مـنـ عـيـنـ صـافـيـةـ ،ـ منـ أـسـتـاذـهـ وـمـعـلـمـھـ وـمـرـبـيـهـ أـمـيـرـ الـقـوـمـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ .

وفي الحق إِنَّمَا رحمةٌ واسعةٌ ، وبركة عظيمة ، ولكن المسلمين فوتوها على أنفسهم ، وحرموا من ثمارها وخيراتها ، ووقع الكثير في حماة الخنا والفساد ، والعار والنار ، والخزي والبوار {أَسْتَبْدِلُونَ
الذِّي هُوَ أَدنى بِالذِّي هُوَ خَيْرٌ }^٤ فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولكن مع هذا كله ألا تعجب حين ترى ما نشر في (الاعتدال) أيضاً (١٦١) من المجلد الأول بعنوان : (لم يبق إلا أن نتخد من القلم إبرة تطعيم ، ونجعل المعاني مصلحاً) .

وذكر صورة كتاب ورد إليه من بغداد بتوقيع (خادم العلماء) ! ! على الجواب الذي تقدم في مبادئ هذه النسخة ، بتوقيع (ابن ماء السماء) يعيد فيه إشكال اختلاط الأنساب ، وضياع النسل ، وعقد عابر الطريق والمحظوظ ، ويقول : إن ابن ماء السماء لم يتعرض للمجهول الذي هو محل النظر — إلى أن قال : — فما يقول في تحليل المتعة الدورية التي يتناوهاها ويتعاقبها ثلاثة أو أربعة بل وعشرة بحسب الساعات ! ! فما يقول في الولد إذا جاء من هذه الجهة ، فمن يتبع ، ومن يلحق .

نعم ، من المعلوم حلية المتعة بجميع طرقها عند الشيعة ، ولكن تراهم يتحاوشون ويتحاشى أشرافهم وسرادهم من تعاطيها بينهم ، فلم يسمع من يقول : حضرنا قمّع السيد الفلاي أو الفاضل الفلاي بالأنسة بنت السيد الفلاي ، كما يقال : حضرنا عقد نكاح الفاضل الفلاي بآنسة الفاضل ، بل

. ٢٥٥ : ٤٨٨ ، الفائق ٢ : النهاية

سورة البقرة (٢) : ٦١ .

أكثر جرياتها وتعاطيها في الساقطات والسفارات ! ! فهل ذلك إلا لقضاء الوطر وإن حصل منه النسل قهراً . وجدير من العالمة كاشف الغطاء — الذي قام بتهذيب أصل الشيعة وأصولها — أن يهذب أخلاق أهلها ! ! وينهض بهم إلى مراتب التراة ! ! وفقه الله لذلك .

بغداد : خادم العلماء

ونشر في جواب هذا الكتاب ما نصه :

ورد على إدارة مجلة الإعتدال كتاب من بغداد ، من كاتب مجهول يقول : إنه قرأ في العدد الثالث من المجلة جواباً لابن ماء السماء ، فوجده لا يناسب السؤال ، ولا يلائم المقال ، ثم أعاد الكاتب ما ذكره السيد الراوي من إختلاط الأنساب ، وضياع النسل ، الذي دفعه ابن ماء السماء بأقوى حجة ، وأجلى بيان ، وقد أوضح له : أن حكمة تشرع العدة هو حفظ النسل ، ومنع احتلاط المياه ، وهي كما أنها لازمة في الدائم ، كذلك تلزم في المنقطع ، فلا يجوز لأحد أن يتمتع بإمرأة تمنع بها غيره حتى تخرج من عدة ذلك الغير ، وإلا كان زانياً ، ومع اعتبار العدة ، فأين يكون إختلاط الأنساب وضياع النسل ؟ !

ثم قال الكاتب : ولم يتعرض ابن ماء السماء للمجهول الذي هو محل النظر ، فما حال الولد إذا تمع بها عابر الطريق والمجهول وأتت بعد فراقه بالولد ؟ فقول ابن ماء السماء (والولد يتبع والده) فليت شعري أين يجده وهو مجهول . انتهى .

وما أدرني أن هذا الخادم لم ينظر إلى تمام كلام ابن ماء السماء ، أو نظر فيه ولم يفهمه ، وإلا فأي بيان أوضح في دفع هذا الإشكال من قوله (صفحه ١١٢) : ويجب على الزوج أن يتعرف حالها ، ويعرفها بنفسه ، حتى

إذا ولدت ولداً أحق به ، كي لا تضيع الأنساب ، كذلك المتمتع بها إذا انتهى أجلها يجب عليها أن تعتد وأن يتعرف حالها وتعرف حاله ونسبة كي تلحق الولد به بعد فصاله أينما كان .

فأين المجهول الذي لم يتعرض له ابن ماء السماء أيها الكاتب المجهول ؟ !

وإذا كنت لا تفهم هذا البيان — مع هذا الوضوح والجلاء — فلم يبق إلا أن نتخد من القلم إبرة تعليم ، ونجعل المعاني مصلاً نحقن بها دماغك ، عساك تحس بها وتفهمها.

وأما قولك : فما قولكم في المتعة الدورية التي يتناولها ويتناوبها الثلاثة والأربعة بل والعشرة بحسب الساعات ! ! فمن يتبع الولد ومن يلحق ؟

فاللازم (أولاً) أن تدلنا على كتاب جاهم من الشيعة ذكر فيه تحليل هذا النحو من المتعة ، فضلاً عن عالم من علمائهم ، وإذا لم تدلنا على كتابة منهم أو كتاب ، فاللازم أن تحد حد المفترى الكذاب كيف وإجماع الإمامية على لزوم العدة في المتعة ، وهي على الأقل خمسة وأربعون يوماً ، فأين التناوب والتعاقب عليها حسب الساعات ؟ !

وإن كنت تريد أن بعض العوام والجهلاء ، الذين لا يبالون بمقارنة المعاصي ، وانتهاء الحرمات ، قد يقع منهم ذلك ، فهذا مع أنه لا يختص بعوام الشيعة ، بل لعله في غيرهم أكثر ، ولكن لا يصح أن يسمى هذا تحليلاً ، إذ التحليل ما يستند إلى فتوى علماء المذهب ، لا ما يرتكبه عصاهم وقسائم ، وهذا النحو من المتعة عند علماء الشيعة من الزنا الحض الذي يجب فيه الحد ، ولا يلحق الولد بوحد ، كيف وقد قال سيد البشر : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^١ .

^١ صحيح البخاري ٥ : ١٩٢ ، سنن أبي داود ٢ : ٢٨٢ | ٢٢٧٣ | ٦٤٧ : ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ ، سنن

الترمذى ٣ : ٤٦٣ | ١١٥٧

أما تحاشي أشراف الشيعة وسراهم من تعاطيها فهو عفة وترفع ، واستغناه واكتفاء بما أحل الله من تعدد الزوجات الدائمة مثنى وثلاثة ورابع ، فإن أرادوا الزيادة على ذلك جاز لهم التمتع بأكثر من ذلك ، كما يفعله بعض أهل الشروة والبذخ من رؤساء القبائل وغيرهم .

وعلى كل فإن تحاشي الأشراف والسراء لا يدل على الكراهة الشرعية ، فضلاً عن عدم المشروعية ، ألا ترى أن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم كانوا كثيراً ما يتصرفون بالإماء ، ويتمتعون بملك اليمين ، ويلدن لهم الأولاد الأفضل . . . ؟ أما اليوم فالأشراف والسراء يأنفون من ذلك ، مع أنه حلال بنص القرآن العزيز .

كما أن تحاشي الأشراف والسراء من الطلاق ، بحيث لم نسمع أن شريفاً طلق زوجة له ، لا يدل على عدم مشروعية الطلاق .

أما قولك : وجدير من العالمة كاشف الغطاء — الذي قام بتهذيب أصل الشيعة وأصولها — أن يهذب أخلاق أهلها وينهض بهم إلى مراتب التراهنة .

فهو حق ، وما في الحق مغبة ، وهو — دامت بركاته — لا يزال قائماً بوظيفته من التهذيب والإرشاد ، ليس للشيعة فقط ، بل لعامة المسلمين ، والجميع في نظره على حد سواء . ولكن لا تختص هذه الوظيفة به — أيده الله — بل تعم سائر علماء المسلمين ، ولعل وجوبها على علماء العواصم التي تكثر فيها المنكرات ، ويجاهر فيها بالكثير أشد وأكدر المسؤولية عليهم ألزم وأعظم .

ولولا أنها لا نريد أن نحيط عن خطة هذه الصحفة (الاعتدال) لسردنا

من أحوال سائر الطوائف ما يتجلى لكل أحد أن عوام الشيعة الإمامية — فضلاً عن خواصهم — أعنف وأنره ، وأتقى وأبر ، بيد أنها — حسب تعاليم أستاذنا العلامة الأكبر كاشف الغطاء — تبتعد عن كل ما يشم منه رائحة النعرات الطائفية ، والتزععات المذهبية ، ونسعي — حسب إرشاده — إلى توحيد الكلمة ، ورفض الفوائل والفوارق بين الأمم الإسلامية .

ولا يزال يعلمنا — وهو العلامة المصلح — أن دين الإسلام دين التوحيد لا دين التفريق ، وشريعته شريعة الوصل لا التمزق ، وأن صالح المسلمين أجمعين قلع شجرة الشاحر والخلاف فيما بينهم من أصلها.

ولا يزال يوصينا ويقول : أيها المسلمون ، نزهوا قلوبكم عن نيةسوء وأستنتم عن بذيء القول والهمز واللمز ، وأفلامكم عن طعن بعضكم في بعض . . إذاً تسعدون وتعيشون كمسلمين حقاً ، وكما كان آباءكم من قبل ، رجال صدق في القول ، وإخلاص في العمل .

هذه هي (مراتب التراهة) يا خادم العلماء ، لا ما جعتنا به منذ اليوم ، وكنا نظن أن هذه المبارأة والمناظرات في قضية المتعة قد انتهى دورانها ، وغسلت أدراها ، بأجوبة ابن ماء السماء ، ولكن المسمى نفسه بـ (خادم العلماء) قد شاء — أو شاءت له الجهالة — أن يثير غبارها ، ويعيد شرارها ، ويستدل على الحقيقة أستارها ، والحقيقة نور تمزق الحجب والستور ، وتأتي إلا الحالء والظهور ، حتى من معلم (الجهلاء). انتهى .

الفذلكة:

وفذلكرة تلك الأبحاث : أن الزواج — الذي هو علقة بين المرء والمرأة ، وربط خاص له آثار خاصة — يحدث بالعقد الخاص من الإيجاب والقبول بشرط معلومة .

فإن وقع العقد مرسلاً مطلقاً ، غير مقيد بمدة ، حدثت الزوجية بطبيعتها المرسلة المطلقة الدائمة المؤبدة ، التي لا ترتفع إلا برفع من طلاق ونحوه .

وإن قيد العقد بأجل معين ، من يوم أو شهر أو نحوهما ، حدثت الزوجية الخاصة المحددة ، وطبيعة الزوجية فيهما سواء ، لا يختلفان إلا في الضيق والسعفة ، والطول والقصر ، ويشتهر كان في كثير من الآثار ، ويتنازع كل منهما عن الآخر في بعضها . وليس الاختلاف من اختلاف الحقيقة ، بل من اختلاف النوع أو التشخص ، كاختلاف الرنجي والروماني في كثير من اللوازם مع وحدة الحقيقة .

ونظير الزوجية المطلقة والمقيدة في الشرع : الملكية التي تحدث بعقد البيع ، وهي عبارة عن علقة تحدث بين الإنسان وعين ذات مالية من الأعيان ، فإن أطلق العقد حدثت الملكية المطلقة الالزمة الدائمة المؤبدة ، التي لا ترتفع إلا برفع اختياري كبيع أو هبة ، أو صلح أو اضطراري ، كفلس أو موت .

وإن قيدت بخيار فسخ أو الإنفساخ حدثت الملكية المقيدة الجائزة المحددة إلى زمن الفسخ أو الإنفساخ ، وكل هذه المعاني والاعتبارات أمور يتطابق عليها العقل والشرع ، والعرف والإعتبار .

فما هذا النكير والنفي ، والنبيز والتعبير على الشيعة في أمر المتعة يا علماء الإسلام ، ويَا حملة الأقلام !

(٣٧٧)

لَبِثْ قَلِيلًا يُلْحِقُ الْمِيَاجَا حَمْلٌ^١.

أَفْهَلَ فِي هَذَا مَقْنَعَ مَعَ اخْتِصَارِهِ لَكُمْ فِي كَفِ الْخَصَامِ ، وَحَصْوَلِ الْوَئَامِ ، وَالْإِنْقِيَادِ لِلْحَقِّ
وَالْإِسْلَامِ .

فَوْعَزَةُ الْحَقِّ ، وَشَرْفُ الْحَقِيقَةِ ، إِنِّي لَمْ أَتَعَصَّبْ فِيمَا كَتَبْتَ إِلَّا لِلْحَقِّ ، وَلَمْ أَتَحَمِلْ إِلَّا عَلَى
الْبَاطِلِ ، وَحَسِبْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ تَوْكِلَنَا وَإِلَيْهِ أَبْنَانَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

وَلَنَكْتَفِي مِنْ مَبَاحِثِ عَقُودِ النِّكَاحِ وَأَحْكَامِهِ بِهَذَا الْقَدْرِ. أَمَّا نِكَاحُ الْإِمَاءِ ، وَأَحْكَامُ الْأُولَادِ ،
وَالنَّفَقَاتِ ، وَالْعَدْدِ ، وَالنِّشُوزِ ، وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْمَبَاحِثِ الْعَرِيشَةِ الطَّوِيلَةِ ، فَهِيَ مُوكَلَةٌ إِلَى مَحَالُهَا مِنْ
كِتَابِ الْإِمَامِيَّةِ الَّتِي بَرَعُوا وَأَبْدَعُوا فِيهَا ، بَيْنَ مُخْتَصِرٍ حَوْيَيْنِ الْفَقَهِ مِنَ الْطَّهَارَةِ إِلَى الْحَدُودِ وَالْدِيَاتِ
فِي حَمْسِينِ وَرْقَةٍ بِقُطْعَ الْرَّبْعِ ، وَبَيْنَ مَطْوِلٍ (كَالْجَوَامِعِ) وَ(الْحَدَائِقِ) الَّذِي جَمَعَ الْفَقَهَ فِي عَشْرِينَ
مَجْلِدًا مِثْلَ (الْبَخَارِيِّ) وَ(صَحِيحِ مُسْلِمٍ). وَبَيْنَ الْطَّرْفَيْنِ أَوْسَاطٌ وَمَتْوَسِطَاتٌ لَا تَعْدُ وَلَا تَخْصُى .

^١ صدر بيت شعري ذهب مثلاً ، وهو:

لَبِثْ قَلِيلًا يُلْحِقُ الْمِيَاجَا حَمْلٌ * مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجْلِ
وَيُضَربُ مثلاً لِمَنْ نَاصَرَهُ مِنْ وَرَائِهِ.

وَالْمِيَاجَاءُ : الْحَرْبُ . وَحَمْلُ : اسْمُ رَجُلٍ شَجَاعٍ كَانَ يَسْتَظْهُرُ بِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَلِعَلِهِ — كَمَا قِيلَ — حَمْلُ بْنُ بَدْرٍ ، صَاحِبُ
الْغَرَاءِ.

انظر المستقصى في أمثال العرب ٢ : ٢٧٨ / ٩٦٩ ، جمهرة الأمثال ٢ : ٢٠٦ / ١٥٤٦ .

الطلاق :

لقد استحليت من كلماتنا التي مرت عليك قريباً : أن حقيقة الزواج هي عبارة عن علقة وربط خاص يحدث بين الرجل والمرأة ، يصير ما هو فرد من كل منهما — بلحاظ نفسه — زوجاً بلحاظ انضمام الآخر إليه ، وارتباطه به ، وملابسته معه ملابسة صيرت كلاً منهما قريناً للآخر ، وعدلاً له ، ومتكافئاً معه ، مثل اقتران العينين واليدين ، بل السمعين والبصرين . وبعد أن كان كل منهما مبانياً للآخر ومنفصلًا عنه ، أحدث العقد الخاص ذلك الربط ، وتلك الملابسة التي لا ملابسة فوقها ، ولا يعقل — بل لا يمكن — أن توجد عبارة تشير إلى حقيقة ذلك الربط وعميق آثاره أعلى من قوله تعالى : { هن لباس لكم وأنتم لباسهن }^١ وهي من آيات الإعجاز والبلاغة ، وفوائد القرآن ومحترعاته ، ولا يتسع المقام لتعداد ما تضمنته من دقائق المعاني ، وأسرار البيان ، وعجب الصنعة.

وعرفت أن من شأن ذلك الربط وطبيعته — مع إرسال العقد وإطلاقه — أن يقى ويذوم إلى الموت ، بل وما بعد الموت ، إلا أن يحصل له رافع يرفعه ، وعامل يزيله ، ولما كانت الحاجة والضرورة ، والظروف والأحوال قد تستوجب حل ذلك الربط ، وفك تلك العقدة ، ويكون من صالح الطرفين أو أحدهما ذلك ، لذلك جعل الشارع الحكيم أسباباً رافعة ، وعوامل قاطعة ، تقطع ذلك الحبل ، وتفصل ذلك الوصل.

فإن كانت النفرة والكراهة من الزوج ، فالطلاق بيده ، وإن كانت من الزوجة فالخلع بيدها ، وإن كان منهما فالمباراة بيدهما . ولكل واحد منها

^١ سورة البقرة (٢) : ١٨٧ .

(٣٧٩)

أحكام وشروط ، وموقع خاصة لا تتعداها ، ولا يقوم سواها مقامها .

ولكن لما كان دين الإسلام ديناً اجتماعياً ، وأساسه التوحيد والوحدة ، وأهم مقاصده الاتفاق والألفة ، وأبغض الأشياء إليه التنازع والفرقة ، لذلك ورد في كثير من الأحاديث ما يدل على كراهة الطلاق والردع عنه ، ففي بعض الأخبار (ما من حلال أبغض إلى الله من الطلاق)^١ .

فكان الحاجة والسرعة على العباد ، وجعلهم في فسحة من الأمر تقتضي بتشريعه ، والرحمة والحكمة ، وإرشاد العباد إلى مواضع جهلهم بالعقوبة { فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً }^٢ كل ذلك يقتضي التحذير منه ، والردع عنه ، والأمر بالتروي والتبصر فيه .

ونظراً لهذه الغاية ، جعل الشارع الحكيم للطلاق قيوداً كثيرة ، وشرط فيه شروطاً عديدة ، حرصاً على تقليله وندرته (والشيء إذا كثرت قيوده ، عز وجوده) .

فكان من أهم شرائطه — عند الإمامية — : حضور شاهدين عدلين { وأشهدوا ذوي عدل منكم }^٣ ولو وقع الطلاق بدون حضورهما كان باطلأً ، وفي هذا أبدع ذريعة ، وأنفع وسيلة ، إلى تحصيل الوئام ، وقطع مواد الخصم بين الزوجين ، فإن للعدول وأهل الصلاح مكانة وتاثيراً في النفوس ، كما أن من واجبهم الإصلاح والوعظة ، وإعادة مياه صفاء الزوجين المتخاصلين إلى مجاربها ، فإذا

^١ انظر : الكافي ٦ : ٥٤ | ٢ : ٣ .

^٢ سورة النساء (٤) : ١٩ .

^٣ سورة الطلاق (٦٥) : ٢ .

لم تنجع نصائحهم ومساعيهم في كل حادثة ، فلا أقل من التخفيف والتلطف ، والتأثير في عدد
كثير.

وقد ضاعت هذه الفلسفة الشرعية على إخواننا من علماء السنة ، فلم يشترطوا حضور العدلين ، فاتسعت دائرة الطلاق عندهم ، وعظمت المصيبة فيه ، وقد غفل الكثير منا ومنهم عن تلك الحكم العالية ، والمقاصد السامية ، في أحكام الشريعة الإسلامية ، والأسرار الاجتماعية ، التي لو عمل المسلمون بها لأخذوا بالسعادة من جميع أطرافها ، ولما وقعوا في هذا الشقاء التعيس ، والعيش الحسيس ، واحتلال النظام العائلي في أكثر البيوت .

ومن أهم شرائط الطلاق أيضاً : أن لا يكون الزوج مكرهاً ومتهيجاً ، أو في حال غضب وانزعاج ، وأن تكون الزوجة ظاهرة من الحيض ، وفي طهر لم يواعدها فيه .

وقد اتفقت الإمامية أيضاً على أن طلاق الثلاث واحدة ، ولو طلقها ثلاثة لم تحرم عليه ، ويجوز له مراجعتها ، ولا تحتاج إلى محلل نعم ، لو راجعها ثم طلقها وهكذا ثلثاً حرمت عليه في الطلاق الثالث ، ولا تخل له حتى تنكح زوجاً غيره ، ولو طلقها ثم راجعها تسع مرات مع تخلل المحلل حرمت عليه في التاسعة حرمة مؤبدة .

وقد خالف في طلاق الثلاث الأكثر من علماء السنة ، فجعلوا قول الزوج لزوجته : أنت طالق (ثلاثة) يوجب تحريرها ، ولا تخل إلا بال محلل ، مع أنه قد ورد في الصحاح عندهم ما هو صريح في أن الثلاث واحدة ، مثل ما في البخاري بسنده عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، ولو أمضيناها عليهم . فأمضاه عليهم^١ .

^١ لم أجده في صحيح البخاري ، بل في صحيح مسلم ٢ : ١٥ / ١٠٩٩ ، وفي مستند أحمد ١ : ٣١٤ .

والكتاب الكريم أيضاً صريح في ذلك لمن تأمله { الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان } إلى أن قال جل شأنه : { فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره }^١ وفي هذا كفاية .

هذا محمل من أسباب الفراق ، والتفصيل موكول إلى محله .

وهناك أسباب أخرى للفرقة : كالعيوب الموجبة للفسخ في الزوج مثل : العنن ، والجنون ، والجذام ، ونحوها . وفي الزوجة : كالرثق ، والقرن ، ونحوهما ، وكالظهار ، والإيلاء ، مما تجده مستوفى في كتب الفقه ، كما تجد فيها تفاصيل العدد وأقسامها ، من عدة الوفاة ، وعدة الطلاق ، ووطء الشبهة ، وملك اليمين .

والعدة تجب على الزوجة في وفاة الزوج مطلقاً ، حتى اليائسة والصغريرة وغير المدخول بها .

أما في الطلاق ، فتتجب على ما عدا هذه الثلاث ، فموت الزوج مطلقاً ، ولوطء الغير المحرم مطلقاً يوجban العدة مطلقاً ، إلا في اليائسة والصغريرة .

أما الوطء المحرم — كالزنا — فلا عدة فيه ، لأن الزاني لا حرمة لمائه .

وعدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام إن كانت حائلاً ، وفي الحامل أبعد الأجلين .

وعدة الطلاق ثلاثة قروء ، أو ثلاثة أشهر ، وفي الحامل وضع الحمل ، وللأمة نصف الحرة .

والطلاق إذا لم يكن ثلاثة ولا خليعاً فللزوج أن يرجع بها مادامت في العدة ، فإذا خرجت من العدة فقد ملكت أمرها ، ولا سبيل لها عليها إلا بعقد

^١ سورة البقرة (٢) : ٢٢٩ - ٢٣٠ .

جديد.

ولا يعتبر عندنا في الرجعة حضور الشاهدين كما يعتبران في الطلاق ، وأن استحب ذلك^١ .

^١ أهدى إلينا هذا العام العلامة المتبحر الأستاذ أحمد محمد شاكر ، القاضي الشرعي بمصر — أيده الله — مؤلفه الجليل : نظام الطلاق في الإسلام) فراغي وأعجبني ، ووجده من أنفس ما أخرجه هذا العصر من المؤلفات ، فكتبت إليه كتاباً نشره هو — حفظه الله — في مجلة (الرسالة) الغراء (عدد ١٥٧) بعد تمهيد مقدمة قال فيها :

ومن أشرف ما وصل إلي وأعلاه ، كتاب كريم من صديقي الكبير ، وأستادي الجليل ، شيخ الشريعة ، وإمام مجتهدي الشيعة بالنجف الأشرف ، العالمة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، فقد تفضل — حفظه الله — بمناقشة رأيي في مسألة من مسائل الكتاب ، وهي (مسألة اشتراط الشهود في صحة مراجعة الرجل مطلقته) فإني ذهبت إلى : اشتراط حضور شاهدين حين الطلاق ، وأنه إذا حصل الطلاق في غير حضرة الشاهدين لم يكن طلاقاً ، ولم يعتد به .

وهذا القول وإن كان مخالفًا للمذاهب الأربعة المعروفة ، إلا أنه يؤيده الدليل ، ويواافق مذهب الأئمة من أهل البيت والشيعة الإمامية .

وذهبت أيضًا إلى اشتراط حضور شاهدين حين المراجعة ، وهو يوافق أحد قولين للإمام الشافعى بمخالف مذهب أهل البيت والشيعة ، واستغربت من قولهم أن يفرقوا بينهما ، والدليل واحد فيهما ، فرأى الأستاذ — بارك الله فيه — أن يشرح لي وجهة نظرهم في التفريق بينهما فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والحمد من النجف الأشرف (٨ ص ١٣٥٥) إلى مصر.

لفضيلة الأستاذ العلامة ، المتبحر النبيل ، الشيخ أحمد محمد شاكر المحترم أيده الله .

سلامة لك وسلام عليك .

وصلتي هديتك الشنية (رسالة نظام الطلاق في الإسلام) فأمعنت النظر فيها مرة ، بل مرتين ، إعجاباً وتقديرًا لما حوتة من غور النظر ، ودقة البحث ، وحرية الفكر ، وإصابة هدف الحق والصواب ، وقد استخرجت لباب الأحاديث الشريفة ، وأزاحت عن محيا الشريعة الوضاء أغشية الأوهام ، وحطمت قيود التقليد الذميمة ، وهيأكل الحمود بالأدلة القاطعة ، >

ولا يعتبر فيها لفظ مخصوص ، بل يكفي كل ما دل عليها حتى الإشارة ، وتعود زوجته له كما كانت .

والبراهين الدامغة ، فحياك الله ، وحيا ذهنك الوقاد ، وفضلك الجم .

وأمهات مباحث الرسالة ثلاثة :

طلاق الثلاث .

الحلف بالطلاق والعتاق .

الإشهاد على الطلاق .

وكل واحدة من هذه المسائل قد وفتها حقها من البحث ، وفتحت فيها باب الاجتهاد الصحيح على قواعد الفن ، ومدارك الاستنباط القويم ، من الكتاب السنة ، فانتهى بك السير على تلك المناهج القوية إلى مصاف الصواب ، وروح الحقيقة ، وجوهر الحكم الإلهي ، وفرض الشريعة الإسلامية ، وقد وافقت آراؤك السديدة في تلك المسائل ما اتفقت عليه الإمامية من صدر الإسلام إلى اليوم ، ولم يختلف منهم اثنان ، حتى أصبحت عندهم من الضروريات .

كما اتفقوا على عدم وجوب الإشهاد على الرجعة ، مع اتفاقهم على لزومه في الطلاق ، بل الطلاق باطل عندهم بدونه .

وقد ترجح عندك قول من يقول بوجوب الإشهاد فيما معا ، فقلت (في صفحة ١٢٠) : وذهب الشيعة إلى وجوب الإشهاد في الطلاق ، وأنه ركن من أركانه كما في كتاب (شرائع الإسلام) ولم يوجبه في الرجعة ، والتفريق بينهما غريب ولا دليل عليه ، انتهى .

وفي كلامك هذا — أيدك الله — نظر ، أستمحيك السماح في بيانه ، وهو : إن من الغريب — حسب قواعد الفن — مطالبة النافي بالدليل والأصل معه ، وإنما يحتاج المثبت إلى الدليل ، ولعلك — ثبتك الله — تقول : قد قام الدليل عليه ، وهو ظاهر الآية على ما ذكرته في صفحة (١١٨) حيث تقول : والظاهر من سياق الآية إن قوله تعالى { وأشهدوا } راجع إلى الطلاق وإلى الرجعة معا . . . إلى آخر ما ذكرت .

وكأنك — أثار الله برهانك — لم تعن النظر هنا في الآيات الكربلة كما هي عادتك من الإمعان في غير هذا المقام ، وإنما كان يخفي عليك أن السورة الشريفة مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه ، حتى أنها قد سميت بسورة الطلاق ، وابتدا الكلام في صدرها بقوله تعالى : { إذا طلقتم النساء } ثم ذكر لزوم وقوع الطلاق في صدر العدة ، أي لا يكون في طهر المواقعة ولا في الحيض ، ولزوم إحصاء العدة ، وعدم إخراجهن من البيوت ، ثم استطرد إلى ذكر الرجعة من خلال بيان أحكام الطلاق ، حيث قال عز شأنه : { فإذا بلغن أحدهن فأمسكوهن بمعرف } أي إذا أشرفن على الخروج من العدة فلهم إمساكهن بالرجعة

.....
أو ترکهن على المفارقة ، ثم عاد إلى تتمة أحكام الطلاق ، فقال : { وأشهدوا ذوي عدل منكم } أي في الطلاق الذي سبق الكلام لبيان أحكامه .

ويستهجن عوده إلى الرجعة التي لم تذكر إلا تبعاً واستطراداً ، ألا ترى لو قال القائل : إذا جاءك العالم وجب عليك احترامه وإكرامه ، وأن تستقبله سواء جاء وحده أو مع خادمه أو رفيقه ، ويجب [عليك] المشابعة وحسن المودعة ، فإنك لا تفهم من هذا الكلام إلا وجوب المشابعة والمواعدة للعالم لا له ولخادمه ورفيقه ، وإن تأخرا عنه . وهذا لعمري — حسب القواعد العربية والذوق السليم — جلي واضح ، لم يكن ليخفى عليك — وأنت خريت العربية — لولا الغفلة ، والغفلات تعرض للأرباب .

هذا من حيث لفظ الدليل وسياق الآية الكريمة ، وهنالك ما هو أدق وأحق بالاعتبار ، من حيث الحكمة الشرعية ، والفلسفة الإسلامية ، وشمول مقامها ، وبعد نظرها في أحكامها ، وهو : أن من المعلوم أنه ما من حلال أبغض إلى الله سبحانه من الطلاق ، ودين الإسلام كما تعلمون جمعي اجتماعي ، لا يرغب في أي نوع من أنواع الفرقة ، ولا سيما في العائلة والأسرة ، وعلى الأخص في الروحية بعد ما أفضى كل منهما إلى الآخر بما أفضى . فالشارع — بحكمته العالية — يريد تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، فكثير قيوده وشروطه على القاعدة المعروفة من أن الشيء إذا كثرت قيوده عز ، أو قل وجوده ، فاعتبر الشاهدين العدلين للضبط أولاً ، وللتأخير والاناءة ثانياً ، وعسى إلى أن يحضر الشاهدان أو يحضر الزوجان أو أحدهما عندهما يحصل الندم ، ويعودان إلى الألفة كما أشير إليه بقوله تعالى : { لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً } وهذه حكمة عميقة في اعتبار الشاهدين لا شك أنها ملحوظة للشارع الحكيم ، مضافة إلى الفوائد الأخرى :

وهذا كله يعكس قضية الرجوع فإن الشارع يريد التحجيل به ، ولعل للتأخير آفات ، فلم يوجب في الرجعة أي شرط من الشروط تصح عندنا عشر الإمامية بكل ما دل عليه من قول أو فعل أو إشارة .

ولا يشترط فيها صيغة خاصة كما يتشرط في الطلاق ، كل ذلك تسهيلًا لوقوع هذا الأمر الحبوب للشارع الرحيم بعباده ، والرغبة الأكيدة في الفهم وعدم تفرقهم . وكيف لا يكفي في الرجعة حتى الإشارة ولمسها ووضع يده عليها بقصد الرجوع ، وهي — أي المطلقة الرجعية — عندنا عشر الإمامية لا تزال زوجة إلى أن تخرج من العدة ، ولذا ترثه ويرثها ، وتغسله ويسلسها ، وتحب عليه نفقتها ، ولا يجوز أن يتزوج بأختها وبالخمسة ؟ إلى غير ذلك من أحكام الروحية .

.....

فهل في هذه كلها مقنع لك في صحة ما ذهبت إليه الإمامية من عدم وجوب الإشهاد في الرجعة بخلاف الطلاق ؟ فإن استصوبيته حمدنا الله وشكراً ، وإنما مستعد للنظر في ملاحظاتك وتلقيها بكل ارتياح ، وما الغرض إلا إصابة الحقيقة ، واتباع الحق أينما كان ، ونبذ التقليد الأجوف والعصبية العمياء ، أعادنا الله وإياكم منها ، وسد خطواتنا عن الخطأ والخطيبات إن شاء الله ، ونسأله تعالى أن يوفقكم لأمثال هذه الآثار الخالدة ، والأثريات اللامعة ، والمأثر الناصحة ، (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً ملائلاً) ولكلم في الختام أسمى تحية وسلام من :

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ملاحظة : ومن جملة المسائل التي أجدت فيها البحث والنظر : بطلان طلاق الحائض ، وقد غربلت حديث ابن عمر بغربال الدقيق ، وهذه الفتوى أيضاً ما اتفقت عليه الإمامية ، وهي : بطلان طلاق الحائض إلا في موارد استثنائية معروفة . هذا هو نص كتاب الأستاذ شيخ الشريعة ، لم أحذف منه شيئاً إلا كلمة خاصة لا علاقة لها بالموضوع ، وإنما هي عن تفضله بإهداء بعض كتبه إلى ، وسأحاول أن أبين وجهة نظري ، وأناقش أستاذتي فيما رأه وأختاره بما يصل إليه جهدي في عدد قادم إن شاء الله .

أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي

هذا تمام ما نشره فضيلة القاضي في ذلك العدد ، ثم تعقبه في عدد (١٥٩) وعدد (١٦٠) بمقالات أسهب فيها بعض الإسهاب ، مما دل على طول باع ، وسعة اطلاع ، واستفراغ وسع ، في تأييد نظريته ، وتقوية حاجته ، وكتبنا الجواب عنهم ، وأعرضنا عن ذكر تلك المساجلات هنا ، خوف الإطالة والخروج عن وضع هذه الرسالة التي أخذنا على أنفسنا فيها بالإيجاز ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجع أعداد مجلة (الرسالة) الغراء يجد في مجموعات تلك المراجعات فوائد جمة ، وقواعد لعلها في الفقه مهمة . وإن الحقيقة منتهىقصد . « منه قدس سره » .

(٣٨٦)

الخلع والمبارة :

لا ينبعث الزوجان إلى قطع علاقة الزوجية بينهما إلا عن كراهة أحدهما لآخر ، أو كراهة كل منهما لآخر ، وهذا هو سبب الفرقة غالباً .

فإن كانت الكراهة من الزوج فقط فالطلاق بيده ، يتخلص به منها إذا أراد ، وإن كانت الكراهة منها خاصة كان لها أن تبذل لزوجها من المال ما تفتدي به نفسها ، سواء كان بمقدار ما دفع لها أو أكثر ، فيطلقها على ما بذلت ، وهذا هو الخلع ، فيقول : فلانة طالق على ما بذلت ، فهي مختلفة .

ويشترط فيه جميع شرائط الطلاق ، وإضافة كون الكراهة منها ، وكوتها كراهة شديدة كما يشير إليه قوله تعالى : { فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدى به تلك حدود الله فلا تعندها } ^١ .

وتفسيره في أخبار أهل البيت : أن تقول لزوجها : لا أبر لك قسماً ، ولا أقيم حدود الله فيك ، ولا أغتسل لك من جنابة ، ولإؤطئن فراشك ، وأدخلن بيتك من تكره ^٢ .

ومعلوم أن المراد بهذا ظهور الكراهة الشديدة ، وعدم إمكان الالتفات ، لا خصوص تلك الألفاظ .

^١ سورة البقرة (٢) : ٢٢٩ .

^٢ انظر : تفسير العياشي ١ : ١١٧ | ٣٦٧ ، تفسير القمي ١ : ٧٥ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ١ : ٣٢٩ .

وإن كانت الكراهة منهما معاً فهي المbaraة ، ويعتبر فيها أيضاً جميع شرائط الطلاق ، ولا يحل له أن يأخذ أكثر مما أعطاها ، فيقول لها : بارعوك على كذا فأنت طالق .

(٣٨٧)

والطلاق في الخلع والمبارة بائن لا رجوع للزوج فيه ، نعم لها أن ترجع في البذل ، فيجوز له الرجوع حينئذ ما دامت في العدة .

الظهور والإيلاء واللعان :

هي من أسباب تحريم الزوجة أيضا في الجملة ، وبشرط مخصوصة مذكورة في كتب الفقه لم نذكرها لندرة وقوعها .

الفرائض والمواريث :

الإرث : عبارة عن انتقال مال أو حق من مالكه عند موته إلى آخر ، لعلاقة بينهما من نسب أو سبب . فالحي ، القريب وارث ، والميت موروث ، والاستحقاق إرث ، والنسب هو تولد شخص من آخر أو تولدهما من ثالث .

والوارث إن عين الله سبحانه وتعالى حقه في كتابه الكريم بأحد الكسور التسعة المعروفة فهو من يرث بالفرض ، وإلا فيرث بالقرابة .

والفروض المنصوصة بالكتاب الكريم ستة : نصف ، وهو للزوج مع عدم الولد ، وللبنت مع عدمه ، وللأخت كذلك .

ونصفه ، وهو الرابع للزوج مع الولد ، وللزوجة مع عدمه .

ونصفه ، وهو الثمن للزوجة مع الولد .

والثالث ، وهو للأم مع عدم الولد ، وللمتعدد من كلالتها .

وضعفه ، الثناء للبنتين ، مما زاد مع عدم الذكر المساوي ، وللأخرين كذلك للأب أو الأبوين .

ونصفه ، وهو السادس لكل واحد من الأبوين مع الولد ، وللأم مع الحاجب وهم الأخوة ، وللواحد من كلالتها ذكرا كان أو أنثى .

وَمَا عَدَاهُؤلَاءِ فَيُرثُونَ بِالْقِرَابَةِ { لِلذِّكْرِ مُثْلُ حَظِّ الْأَنْثِيَنِ }^١ فِي جُمِيعِ طَبَقَاتِ الْوِرَثَةِ وَهِيَ ثَلَاثٌ : الْأَبْوَانُ وَالْأَبْنَاءُ وَإِنْ نَزَلُوا ، ثُمَّ الْأَجْدَادُ وَإِنْ عَلَوْا وَالْأَخْوَةُ وَأَنْ نَزَلُوا ، ثُمَّ الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالُ وَهُمْ أُولُو الْأَرْحَامِ ، وَلَيْسُ فِيهِمْ ذُو فِرْضٍ أَصْلًا .

ثُمَّ إِنَّ أَرْبَابَ الْفَرَوْضِ إِمَّا أَنْ تَسَاوِي فَرَائِضُهُمُ الْمَالُ كَأَبْوَيْنِ وَبَنْتَيْنِ

^١ سورة النساء (٤) : ١١ .

(٢٨٩)

" ثلث وثلثين " أو تزيد كأبوبين وبنتين وزوج ، فتعول الفريضة ، أي زادت على التركة بربع أو نقصت عنها بربع ، أو تنقص كأخت وزوجة ، ففضل من التركة بعد الفريضة ربع . فال الأولى مسألة العول ، والثانية مسألة التعصيib .

وليس في جميع مسائل الإرث خلاف يعتد به بين الإمامية وجمهور علماء السنة ، إلا في هاتين المسألتين ، فقد توادرت عند الشيعة عن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أنه : لا عول ولا تعصيib^١ .

وهو أيضاً مذهب جماعة من كبراء الصحابة ، وقد اشتهر عن ابن عباس رضي الله عنه : أن الذي أحصى رمل عاج ليعلم أن الفريضة لا تعول^٢ .

وأن الزائد يرد لذوي الفروض على نسبة سهامهم ، والعصبة بفيها التراب ، فلو اجتمع بنت وأبوان من الأولى ، وأخ وعم من الثانية والثالثة ، فللبيت النصف ، ولكل من الأبوين السادس ، ويفضل السادس من المال ، يرد عندنا على البنت والأبوبين بنسبة سهامهم ، وغيرنا من فقهاء المسلمين يورثونه الأخ والعم ، وهم العصبة .

نعم ، لا رد عندنا على زوج أو زوجة ، كم لا نقص عليهما ، أما إذا عالت الفريضة وزادت على المال — كالمثال المتقدم — فالنقص يدخل على البنت أو البنات ، والأخت والأخوات ، دون الزوج والزوجة وغيرهما .

^١ انظر : علل الشرائع : ٢ | ٥٦٨ ، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢ : ١٢٥ .

^٢ علل الشرائع : ٣ | ٥٦٨

والضابطة : إن كل ما أنزله الله من فرض إلى فرض فلا يدخله النقص ، ومن لم يكن له إلا فرض واحد كان عليه النقص ، وله الرد. أما الأب ففي دخول النقص عليه وعدمه خلاف ، أما جمهور فقهاء المسلمين فيدخلون النقص على الجميع .

(٣٩٠)

وللامامية على نفي العول والتعصيب أدلة كثيرة من الكتاب والسنة مدوّنة في مواضعها من الكتب المبسوطة.

وما انفردوا به من أحكام المواريث : الحبوة للولد الأكبر ، فإنهم يخصونه بشياب أبيه ، وملابسها ، ومصحفه ، وخاتمه ، زائداً على حصته من الميراث ، على تفاصيل وشروط مذكورة في باها .

وانفردوا أيضاً بحربمان الزوجة من العقار ، ورقبة الأرض عيناً وقيمة ، ومن الأشجار والأبنية عيناً لا قيمة . فتعطى الثمن أو الربع من قيمة تلك الأعيان . كل ذلك لأخبار وردت عن أئمتهم سلام الله عليهم ، والأئمة يروونها عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذه مهمات المسائل الخلافية في الإرث ، وما عدا ذلك فالخلاف على قلته في بعض المسائل هو كالخلاف بين فقهاء الجمهور أنفسهم ، وكاختلاف فقهاء الإمامية فيما بينهم .

الوقف والهبات والصدقات :

المال الذي هو ملك لك وتريد أن تخرجه عن ملكيتك ، فإنما أن يكون إخراجه ليس عن ملكك فقط بل عن مطلق الملكية ، بمعنى أنك يجعله غير صالح للملكية أصلاً ، فيكون تحريراً ، وذلك كالعبد تعتقه فيكون حرّاً ، وكالدار أو الأرض تفكها من الملكية فتجعلها معبداً أو مشهدًا . وهذا القسم لا يصلح أن يعود إلى الملكية أبداً ، مهما عرضت العوارض ، واختلفت الطوارئ .

وإنما أن يكون إخراجه لا عن مطلق الملكية بل عن ملك غيرك فقط ، وحينئذ فإنما أن يكون ذلك بعوض مع التراضي في عقد لفظي ، أو ما يقوم مقامه ، فذلك عقود المعاوضات كالبيع ، والبيع الوفائي ، والصلح وأمثالها .

وإنما أن يكون بغير عوض مالي ، فإن كان بقصد الأجر والمشوبة ولو جه الله فهو الصدقة بالمعنى الأعم ، فإن المال مما يبقى مدة معتمداً بها ، وقصد المتصدق بقاء عينه ، فحبس العين وأطلق المنفعة ، فهذا هو (الوقف) .

وإن كان المال مما لا يبقى ، أو لم يشترط المتصدق بقاءه فهو (الصدقة) بالمعنى الأخص .

وإن كان التمليل لا بقصد الأجر والمشوبة ، بل تمليل مجاني محضر ، فهو (الهبة) فإن اشترط فيها مقابلتها هبة في (الهبة الموعضة) كما لو قال : وهبتك الثوب بشرط أن تهبني الكتاب ، فقال : قبلت . وهي لازمة ، لا يجوز لأحد هما الرجوع ب悍ته إلا إذا تراضيا على التفاسخ والتقايل ، وإلا فهي (الهبة الجائزة) .

ولا يصح شيء من أنواع الهبات إلا بالقبض ، ويجوز الرجوع في الهبات الجائزة حتى بعد القبض ، إلا إذا كانت لذي رحم ، وزوج أو زوجة ، أو بعد التلف .

أما الصدقات ، فلا يجوز الرجوع في شيء منها بعد القبض ، ولا تصح أيضاً إلا بالقبض .

وإذا أجرى الواقف صيغة الوقف ، وهي قوله : وقفت هذه الدار — مثلاً — قربة إلى الله تعالى ، ثم أقبضه المتولى أو الموقوف عليهم ، أو قبضه هو بنية الوقف ، إذا كان قد جعل التولية لنفسه فحينئذ لا يجوز الرجوع فيه أصلاً ، ولا بيعه ، ولا قسمته ، سواء كان وقف ذرية وهو (الوقف الخاص) أو وقف جهة وهو (الوقف العام) كالوقف على الفقراء ، والغرباء ، والمدارس ، وأمثالها .

نعم ، قد يصح البيع في موارد استثنائية تلजأ إليها الضرورة المحرجة ، يجمعها خراب الوقف خراباً لا ينتفع به منفعة معتمداً بها ، أو خوف أن يبلغ خرابه إلى تلك المرتبة ، أو وقوع الخلاف بين أربابه بحيث يخشى أن يؤدي إلى تلف الأموال أو النفوس أو هتك الأعراض .

ومع ذلك كله لا يجوز بيع الوقف بحال من الأحوال ، ولا قسمته إلا بعد عرض المورد الشخصي على الحاكم الشرعي ، وإحاطته بالموضوع من جميع جهاته ، وصدور حكمه بالبيع أو القسمة لحصول المسوغ الشرعي ، وبدون ذلك لا يجوز .

وقد تساهل الناس في أمر الوقف ، وتوسعوا في بيده وإخراجه عن الوقفية توسيعاً آخر جهم عن الموازين الشرعية ، والقوانين المرعية ، والله من وراء القصد ، وهو اللطيف الخبير .

هذا كله على طريقة المشهور ، ولنا تحقيق ونظر آخر في الوقف لا مجال له هنا .

القضاء والحكم :

لولاية القضاء ونفوذ الحكم في فصل الحكومات بين الناس متزلاً رفيعة ، ومقام منيع ، وهي عند الإمامية شجن من دوحة النبوة والإمامية ، ومرتبة من الرئاسة العامة ، وخلافة الله في الأرضين {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالعدل }^١ { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسألكوا تسلیماً }^٢.

كيف لا ، والقضاة والحكام أمناء الله على النوميس الثلاثة : النفوس ، والأعراض ، والأموال . ولذا كان خطره عظيماً ، وعثرته لا تقال ، وفي الأحاديث من تهويل أمره ما تخف عنده الجبال ، مثل قوله عليه السلام : القاضي على شفير جهنم ، ولسان القاضي بين حمرتين من نار»^٣.

"يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي ، أو وصي نبي ، أو شقي " ^٤.

وفي الحديث النبوي : « من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين »^٥.

^١ سورة ص (٣٨) : ٢٦ .

^٢ سورة النساء (٤) : ٦٥ .

^٣ التهذيب ٦ : ٢٩٢ | ٨٠٨ .

^٤ الكافي ٧ : ٤٥٦ | ٢ ، الفقيه ٣ : ٣٢٢٣١٥ ، المقنع : ١٣٢ .

^٥ المقنع : ٧٢١ ، سنن أبي داود ٣ : ٣٥٧١ | ٢٩٨ ، سنن الترمذى ٣ : ١٣٢٥ | ٦١٤ ، سنن ابن ماجة ٢ : ٨٤ | ٢٣٠٨ ، مسند أحمد ٢ : ٢٣٠ .

إلى كثير من نظائرها .

والحكم الذي يستخرجه الفقيه ويستتبّطه من الأدلة إن كان على

(٣٩٤)

موضوع كلي فهو (الفتوى) مثل : إن مال الغير لا يجوز التصرف فيه إلا بإذن مالكه ، وإن وطء الزوجة حلال ووطء الأجنبية حرام . . .

وإن كان على موضوع جزئي فهو (القضاء والحكومة) مثل : إن هذه زوجة ، وتلك أجنبية وهذا مال زيد .

وكل منهما من وظائف المحتهد العادل ، الحائز [على] منصب النيابة العامة عن الإمام ، سوى أن القضاء — الذي هو في الحقيقة عبارة عن تشخيص الموضوعات مع المرافعة والخصومة أو بدوها ، كالحكم بالهلال ، والوقف ، والنسب ، ونحوها — يحتاج إلى لطف قريحة ، وقوة حدس ، وعبرية ذكاء ، وحدة ذهن ، أكثر مما تحتاجه الفتوى واستنباط الأحكام الكلية بكثير ، ولو تصدى له غير الحائز لتلك الصفات كان ضرره أكبر من نفعه ، وخطأه أكثر من صوابه .

أما تصدي غير المحتهد العادل — الذي له أهلية الفتوى — فهو عندنا عشر الإمامية من أعظم المحرمات ، وأفظع الكبائر ، بل هو على حد الكفر بالله العظيم ، بل رأينا أعاظم علماء الإمامية من أساتذتنا الأعلام يتورعون من الحكم ، ويفصلون الحكومات غالباً بالصلاح ، ونحن لا نزال غالباً على هذه الوريرة اقتداء بسلفنا الصالح .

ثم أن أمehات أسباب الحكم والخصوصيات والحقوق ثلاثة : الإقرار ، البينة ، اليمين . والبينة هي الشاهدان العادلان ، وإذا تعارضت البينتان — أو البينات — فخلاف عظيم في تقديم بينة الداخل والخارج ، أو الرجوع إلى المرجحات .

وقد أفرد الكثير من فقهائنا للقضاء مؤلفات مستقلة في غاية البساط والإحاطة ، سوى ما دونوه في الكتب المشتملة على تمام أبواب الفقه ، ولا يسعنا بأن نأتي بأقل قليل منه ، فضلاً عن الكثير ، وقد ذكرنا جملة صالحة من

(٣٩٥)

هذه المباحث في الجزء الرابع من (تحرير المجلة) فليرجع إليه من شاء .

وإذا حكم الحكم الجامع للشرائط المتقدمة فالراد عليه ، والمتخلف عن اتباع حكمه راد على الله تعالى ، ولا يجوز لغيره بعد حكمه أن ينظر في تلك الدعوى . نعم له أن يعيد النظر فيها بنفسه ، فإذا تبين له الخلل نقض حكمه بالضرورة .

الصيد والذبابة :

الأصل في الحيوان مطلقاً عند الإمامية حرمة أكله ونجاسته بالموت إذا كانت له عروق يشخّب دمها عند القطع ، وهو المعتبر عنه عند الفقهاء بذى النفس السائلة .

ثم إن الحيوان قسمان : بحس العين ذاتاً ، وهو ما لا يمكن أن يظهر أبداً ، كالكلب والختير ، وظاهر العين ، وهو ما عدا ذلك .

وال الأول لا تفارقه النجاسة ، وحرمة الأكل حياً وميتاً ، مذكى أو غير مذكى . والثاني إذا مات بغير الذكارة الشرعية فهو بحس العين ، حرام الأكل مطلقاً ، طيراً كان أو غيره ، وحشياً أو أهلياً ، ذا نفس أو غير ذي نفس ، أما إذا مات بالتدكية فهو ظاهر العين مطلقاً كما كان في حياته .

ثم إن كان من السباع أو الوحوش فهو حرام الأكل ، وإن كان ظاهراً ، وإن فهو حلال الأكل أيضاً .

وتذكية ذي النفس تحصل شرعاً بأمرتين :

الأول : الصيد ، ولا يحل منه إلا ما كان بأحد أمرتين : الكلب المعلم الذي يتجر إذا زجر ، ويأتمر إذا أمر ، ولا يعتاد أكل صيده ، ويكون الرامي مسلماً ويسمى عند إرساله ، ولا يغيب عن عين مرسله .

أو السهم ، ويدخل فيه : السيف ، والرمح ، والمعراض إذا خرق ، وكل نصل من حديد ، بل حتى البندقية إذا خرقت — من حديد كانت أو غيره —.

ويلزم أن يكون الرامي مسلماً ، وأن يسمى ، فلو قتل الكلب أو السهم صيدا ومات حل أكله ، ولو أدركه حيا ذكاها ، ولا يحل بباقي آلات الصيد كالفهود والحبالة وغيرهما ، نعم لو أدركه حيا ذكاها .

الثاني من أسباب التذكرة : الذبابة الشرعية ، ويشترط عندنا في

(٣٩٧)

الذابح الإسلام أو ما بحكمه ، كولده أو لقيطه ، وأن يكون الذبح بالحديد مع القدرة ، ومع الضرورة بكل ما يفرى الأوداج ، وأن يسمى ويستقبل ، وأن يفرى الأوداج الأربع : المري ، والودجين ، والحلقوم . ويكفي في الإبل نحرها عوض الذبح ، ولو تعذر ذبح الحيوان ونحره — كالمتردي والمستعصي — يجوز أحذه بالسيف ونحوه مما يقتل ، فإن مات حل وإلا ذakah .

أما ما لا نفس له فلا يحل شيء منه ، إذ حيوان البحر لا يحل إلا ما كان له فلس كالسمك .

(٣٩٨)

طريقة :

قال محمد بن النعمان الأحول مؤمن الطاق : دخلت على أبي حنيفة فوجدت لديه كتاباً كثيرة
حالت بيبي وبينه ، فقال لي : أترى هذه الكتب ؟ قلت : نعم ، قال : كل هذه الكتب في أحكام
الطلاق .

فقلت له : قد أغنانا الله سبحانه عن جميع كتبك هذه بآية واحدة في كتابه : { يا أيها النبي إذا
طلقتم النساء فطلقوهن لعدهن وأحصوا العدة } ^١ .

فقال لي : هل سألت صاحبك جعفر بن محمد عن بقرة خرجت من البحر هل يحل أكلها ؟
فقلت : نعم ، قال لي : كل ما له فلس فكله جمالاً كان أو بقرة ، وكل ما لا فلس له لا يحل
أكله وذكاة السمك عندنا موته خارج الماء ^٢

^١ سورة الطلاق (٦٥) : ١ .

^٢ الاختصاص : ٢٠٦ ، رجال الكشي ٢ : ٦٨١ | ٧٨١ . وفيهما عن حرير بدلاً من مؤمن الطاق .

(٣٩٩)

الأطعمة والأشربة وال محلل والمحرم منها :

أنواع الحيوان ثلاثة : حيوان الأرض ، حيوان الماء ، حيوان الهواء . وقد عرفت أنه لا يحل من حيوان البحر إلا السمك ، وبقية تابع له .

ولا يحل من حيوان الأرض إلا الغنم الأهلية ، وبقر الوحش ، وكبش الجبل ، والحمير ، والغزلان ، واليhamir .

ويحل الخيل ، والبغال ، والحمير على كراهة ، ويحرم الحلال منها ، وهو ما يتغذى بالعذرة ، ويظهر بالاستقرار .

ويحرم كل ذي ناب ، كالسباع ، والذئاب .

وتحرم الأرانب ، والثعالب ، والضب ، واليربوع ، وأمثالها من الوحوش .

وتحرم الحشرات مطلقاً ، كالخنافس ، والديدان ، والحييات ، ونحوها .

أما حيوان الهواء — وهي الطيور — فيحرم منها سباع الطير ، كالصقر والبازى ونحوهما مطلقاً .

أما ما عدتها فقد جعل الشارع لما يحل أكله منها ثلاثة علامات في ثلاثة حالات : فإن كان طائراً في الجو فما كان رفيقه أكثر من صفيحة فهو حلال ، وإلا فلا . وإن كان على الأرض فإن كان له صيصية — وهي ما يكون كالإصبع الزائد — فهو حلال ، وإلا فلا . وإن كان مذبوحاً ، فإن كانت له حوصلة أو قانصة فهو حلال ، وإلا فلا .

فالخفاش والطاووس والزناير والنحل ونحوها كلها محمرة ، أما الغراب فما يأكل الجيف محمر ، وما يأكل النبات حلال .

أما الحرم من المشروب والماكول غير الحيوان فيمكن ضبطه ضمن قواعد كليلة :

(٣٠٠)

١. كل مغصوب حرام .
٢. كل نحس حرام .
٣. كل مصر حرام .
٤. كل خبيث حرام .

وأعظم المحرمات من المائعات البول ، وأعظم منه الخمر وأخواها من النبيذ ، والفقاع ،
والعصير إذا غلا ، ولم يذهب ثلثاه .

ولحرمة الخمر ونحوها عند الإمامية من الغلظة والشدة ما ليس عند فرقة من المسلمين ، فقد
ورد في التحذير منها عن أئمتهم سلام الله عليهم أحاديث هائلة ، وزواجر دامغة ، تشيب لها النواصي
، ويرتخيق منها أجراً الناس على العاصي ، وتكررت منهم لعنة الله على عاصرها ، وجابيها ، وبائعها
، وشاربها ، وتعرف في شرعنا بأم الخبائث ^١ .

وفي بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يظهر منه حرمة الجلوس على مائدة وضع فيها
قدح خمر ^٢ ، ولعل السر شدة الحذر والتحرج من أن يتطاير بخار منها يمس الطعام فيفسده ، أو يدخل
في جوف الأكل ذرة من جراثيمها الخبيثة وموادها الماكرة ولو بعد حين ، وقد اهتدى العلم الحديث
بعد الجد والجهد في تحليلها الكيماوي ، وتحقيقها الطبي ، إلى مضارها التي أنبأ عنها الإسلام قبل
ثلاثة عشر قرناً بدون كلفة ولا عناء ، فحرموا على أنفسهم ما يحرمه دينهم ، وتنفعه شريعتهم ، فللهم

^١ انظر : الكافي ٦ : ٢ | ١٣٢ | ٤١ ، الفقيه ٤ : ٩ | ١١٦ | ٥٠١ .

^٢ راجع كتاب الوسائل ٢٥ : ٢٩٦ (باب تحريم شرب الخمر والأبواب التي بعده) فقد أورد الحر العاملی رحمة الله تعالى
فيها جملة واسعة من الروایات الخاصة بهذا الباب .

شريعة الإسلام ما أشرفها ، وأنبلها ، وأدقها ، وأحلها ، وأكملها ، وخسرت صفة
ال المسلمين الذين أضاعوها فضاعوا ، واستهانوا بها فهانوا ، وعسى أن يحدث

(٣٠١)

الله بعد ذلك امرأً.

هذا محمل القول في أمهات الحلال والحرام من المأكول والمشروب ، وهناك بنات فروع كثيرة
لا يتسع لشرحها صدر هذه الرسالة الوجيزة .

(۳۰۲)

.....

(٣٠٣)

الحدود :

عقوبات عاجلة على جنایات خاصة ، الغرض منها حفظ نظام الاجتماع ، وقطع دابر الشر عن البشر.

حد الزنا :

كل بالغ عاقل وطأ امرأة لا يحل له وطؤها شرعاً ، عالماً عامداً وجب علىولي الأمر أن يحده بمائة جلدة ، ثم بالرجم بالحجارة إن كان محسناً ، أي عنده من الحلال ما يسد حاجته ، وإن لم يكن محسناً فبالجلد وحده ، ويخلق رأسه ، وينفي عن البلد سنة .

ثم إن كانت هي راضية حدت أيضاً بما إن كانت محسنة ، وإلا فبالجلد وحده .

وإذا زن بإحدى محارمه النسبية أو الرضاعية ، أو بامرأة أبيه ، أو مسلمة وهو ذمي ، أو أكره امرأة على الزنا كان حده القتل .

ويثبت الزنا بإقراره أربع مرات ، أو بأربعة شهود عدول ، أو ثلاثة رجال وامرأتين.

ولو شهد رجالان وأربع نسوة ثبت الجلد دون الرجم ، ولا يثبت بأقل من ذلك ، ولو شهد ثلاثة أو اثنان حد واحد القذف ، ويشترط اتفاق شهادتهم من كل وجه ، والمشاهدة عياناً .

ولو اقر بمحجب الرجم ثم انكر سقط ، ولو اقر ثم تاب تخير الإمام ، ولو تاب بعد البيينة لم يسقط ، ولو زن ثالثاً بعد الحدين قتل .

ولا تجلد الحامل حتى تضع ، ولا المريض حتى يبرأ.

(304)

حد

اللواط

والسحق

لا شيء من المعاصي والكبائر أفعى حداً وأشد عقوبة من هذه الفاحشة وال فعلة الخبيثة ، حتى أن التعذيب بالإحرق بالنار لا يجوز بحال من الأحوال إلا في هذا المقام . وحد الائط أحد أمور يتخير ولـي الأمر فيها : القتل ، أو الرجم ، أو إلقاءه من شاهق تتكسر عظامه ، أو إحراقه بالنار . ويقتل المفعول به أيضاً إن كان بالغاً مختاراً ، وإن كان صغيراً عزراً . ويثبت اللواط بما ثبت به الزنا ، وكذا السحق ، وتجلد كل من الفاعلة والمفعولة مائة جلدة ، ولا يبعد الرجم مع الإحسان .

ويجلد (القواد) خمسة وسبعين جلدة ، ويحلق رأسه ، ويشهر ، وينفى . ويثبت بشهادتين . وبالإقرار مرتين .

حد القذف :

يجب أن يجد المكلف إذا قذف المسلم البالغ العاقل الحر بما فيه حد — كالزنا واللواط أو شرب الخمر — بثمانين جلدة ، ويسقط ذلك باليقنة المصدقة ، أو يصدقه المقذوف .

ويثبت بشهادة العدولين أو الإقرار مرتين .

ولو واجهه بما يكره : كالفاشق ، والفاجر ، والأجذم ، والأبرص ، وليس فيه ، كان حكمه التعزير .

ومن ادعى النبوة ، أو سب النبي صلى الله عليه وآله ، أو أحد الأنبياء

(٣٥)

سلام الله عليهم ، فحكمه القتل .

حد المسكر :

من شرب حمراً أو فقاعاً أو عصيراً قبل ذهاب ثلثيه ، أو أي نوع من المسكرات — من أنواعه الحديثة أو القديمة — عملاً عامداً بالغاً ، وجب أن يجد ثمانين جلدة عارياً على ظهره وكتفه ، ولو تكرر الحد ولم يرتدع قتل في الرابعة . ولو شربها مستحلاً فهو مرتد يجب قتله .

وبائع الخمر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

حد السرقة :

إذا سرق الرجل البالغ العاقل من الحرز — وهو المصون بقفل وصندوق أو نحو ذلك — ما قيمته ربع مثقال من الذهب الخالص ، وجب — بعد المرافة عند الحاكم ، والثبت بالاقرار مرتين ، أو البيينة — أن تقطع أصابعه الأربع من يده اليمنى ، فإن عاد بعد الحد قطعت رجله اليسرى من وسط القدم ، فإن عاد ثالثاً خلد في السجن ، فإن سرق فيه قتل .

ولو تكررت السرقة قبل الحد كفى حد واحد ، والطفل والجنون يعززان ، والسارق يغرم ما سرق مطلقاً ، ويكتفى في الغرامة بالإقرار مرة ، وشهادة العدل الواحد مع اليمنى .

والوالد لا يقطع بسرقة مال ولده ، والولد يقطع .

(٣٠٦)

حدّ المحارب :

كل من شهر سلاحاً في بلد أو بحر للإحافة والسلب والنهب ، وجب علىولي الأمر
حده مخيراً بين : قتله ، وصلبه ، وقطعه من خلاف — بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى — أو نفيه
من الأرض وفق الآية الشريفة : { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يَحْارِبُونَ }^١ إلى آخرها .

وإذا نفي إلى بلد كتب بالمنع من مؤاكلته ومعاملته وبمحالسته إلى أن يتوب .

واللص الذي يهجم على الدار محارب ، فإن قتل فدمه هدر .

ومن كابر امرأة على عرضها ، أو غلاماً ، فلهمما دفعه ، فإن قتلاه فدمه هدر .

ويعزز المختلس ، والمحتاب ، وشاهد الزور بما يراه الحاكم من العقوبة التي يرتدع بها هو وغيره .

حدود مختلفة :

من وطأ هميّة وجب تعزيزه ، فإن كان بالغاً وتكرر منه ذلك قتل في الرابعة ، ثم إن كانت
مأكولة اللحم حرم لحمها ولحم نسلها بعد الوطء ، وتذبح ، وتحرق ، ويغنم قيمتها لصاحبها ، ولو
اشتبهت أخرى جرت بالقرعة . ولو كانت غير معدة للأكل كالخيل ونحوها بيعت في بلد آخر ويتصدق
بشنمنها ،

^١ سورة المائدة (٥) : ٣٣ .

(٣٠٧)

ويغرم لصاحبها قيمتها إن لم تكن له. ويثبت بشهادة العدلين أو الإقرار مرتين .

ومن زنى بمعية كمن زنى بجية ، وتغلوظ العقوبة هنا ، ولو كانت زوجته أو ملوكته عزرا.

ويثبت بأربعة كالزنا بالحي ، وكذا اللواط .

ومن إستمنى بيده عزرا.

وللإنسان أن يدفع عن نفسه وحرمه وماليه ما استطاع بالأسهل ، فإن لم يندفع فالصعب متدرجاً .

ومن اطلع على دار قوم فز جروه فلم يتجر فرموه بحجارة أو نحوها فقضت عليه ، فدمه هدر.

(۳۰۸)

.....

القصاص والديات :

قتل النفس المحرمة من أعظم الكبائر ، وهو الفساد الكبير في الأرض ، ومن قتل مؤمناً متعمداً فحزاؤه جهنم خالداً فيها ، وكذا الجناية على طرف .

ثم إن الجناية مطلقاً على نفس أو طرف : إما عمد ، أو شبيه العمد ، أو خطأ محضر .

والعمد واضح ، وشبيه العمد أن يكون عامداً في القتل مخططاً في قصده ، كمن قصد الفعل ولم يقصد القتل اتفاقاً ، ولو ضربه بما لا يقتل غالباً للتأديب فمات ، أو سقاوه دواء فقضى عليه فهو من شبيه العمد .

وأما الخطأ المحضر فهو ما لم يقصد فيه القتل ولا الفعل ، كمن رمى طائراً فأصاب إنساناً ، أو رفع بندقيته فثارت وقتلت رجلاً ، ومن أوضح أنواعه فعل النائم ، أو الساهي الذي لا قصد له أصلاً ، وفعل الجنون ، والصبي غير المميز ، بل والمميز ، لأن عمد الصبي خطأ شرعاً .

ولو قصد رجلاً فأصاب آخر وكلاهما محقون الدم فهو عمد محضر ، أما لو كان القصد إلى غير المحقون فأصاب المحقون فهو من شبه العمد ، ولا فرق في جميع ذلك بين المباشرة والتسبيب ، إذا أثر في انتساب الفعل إليه ، كما لا فرق في الإنفراد والإشتراك .

ولا قصاص إلا في العمد المحضر ، أما الخطأ وشبيه العمد ففيه الديمة . ويشترط في القصاص بلوغ الجاني ، وعقله ، فلا يقاد الصبي وإن بلغ عشرة ، لا بصبي ، ولا ببالغ ، ولا بجنون وإن كان أدوارياً إذا جنى حال جنونه ، لا بعاقل ولا بجنون ، فإن عمدهما خطأ فيه الديمة على العاقلة .

أما المجنى عليه فالآقوى اشتراط البلوغ والعقل فيه أيضاً ، ولو قتل البالغ صبياً فالدية ، وقيل : يقاد به ، وكذا الجنون .

(٣١٠)

ويشترط اختياره إن كان في طرف ، أما في النفس فلا أثر للإكراه ، إذ لا تقية في الدماء ، فلو اكره على القتل قتل ، ويحبس المكره حتى يموت . وأن يكون الحني عليه معصوم النفس ، فلو كان من أباح الشارع دمه فلا قصاص . وأن لا يكون الجاني أباً أو جداً وإن علا ، فإنه لا يقاد الأب أو الجد بالولد ، بل عليهمما الديمة لباقي الورثة .

ولا يقاد المسلم إلا بالمسلم ، كما لا يقاد الحر إلا بالحر ، ويقاد الحر بالحرقة ويرد ولها على أهله نصف ديته ، لأن ديته ضعف ديتها ، وتقاد الحرقة بالحر ، ولا يدفع أهلها شيئاً ، لأن الجاني لا يجني بأكثر من نفسه .

ودية الحر المسلم مائة من الإبل ، أو مائتان من البقر ، أو ألف شاة ، أو مائتا حلة ، كل حلة ثوبان ، أو ألف دينار (خمسمائة ليرة عثمانية) ، فإذا أرضى أولياء الدم بها سقط القصاص ، ووجب دفعها إليهم في مدة سنة .

وفي شبه العمد تتعين الديمة ، وتستوفى مدة ستين ، وكذلك في الخطأ ، ولكن في ثلاثة سنوات ، كل سنة ثلث .

وجنائية الطرف — كقطع يده أو رجله ، أو فقاً عينه وما أشبه ذلك — إن كانت عمداً فالقصاص { العين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص }^١ .

وإن كانت خطأ أو شبهة فلكل واحد من الأعضاء أما الديمة أو نصفها أو أقل من النصف .

وكل مفرد في الإنسان كالأنف والذكر فيه تمام الديمة ، وكل مثنى كالعينين واليدين والرجلين ففي واحد النصف وفي كليهما تمام الديمة .

^١ سورة المائدة (٥) : ٤٥ .

والدية في شبه العمد على الجافي ، وفي الخطأ على العاقلة ، والتفاصيل موكولة إلى الموسوعات ، كما إننا لم نذكر كثيراً من كتب الفقه وأبوابه كالبيوع

مثل : السلف ، والصرف ، وبيع الثمار ، وبيع الحيوان ، ومثل : الإجارة ، والرهن ، والعارية ، والوديعة ، والمزارعة ، والمسافة ، والمسابقة والضمان ، والحوالة ، والكفالات ، والإقرارات ، والكافارات ، وكثير من أمثالها .

ولم يكن الغرض هنا إلا الإشارة واللمحة ، والنماذج والنفحات ، وما ذكرناه في هذه الوجيزة هو رؤوس عناوين من عقائد الإمامية وفقهائها ، وهو أصغر صورة مصغرة تحكي عن معتقداتها ومناهجها ، في فروعها وأصولها ، وقواعدها وأدلتها ، وثقافة عقولها ومداركها ، وسعة علومها ومعارفها .

فيما علماء الدين ، ويا رجال المسلمين ، هلرأيتم فيما ذكرناه عن هذه الطائفة ما يوجب هدم الإسلام ، أو ما هو مأخوذ من اليهودية والنصرانية ، أو الجhosية والزرادشتية ؟ !

وهل في شيء من تلك المباحث ما فيه شذوذ عن أصل قواعد الإسلام ، وخروج عن منطقة الكتاب والسنة ؟ ليحكم المنصفون منكم والعارفون ، وليرتدع عن إفکهم الجاهلون .

وعسى أن يجمع الله الشمل ، ويلم الشعث ، وتزول الوحشة ، ويتحد الإخوان تحت راية القرآن ، ويعيدوا مجدهم الغابر ، وعزهم الداير ، وأنهم لن ينالوا ذلك ، ولن يبلغوا العر والحياة ، حتى يميتوه بينهم الترعرات المذهبية ، والتزععات الطائفية .

ولا زلت أقول : يلزم أن تكون المذاهب عندنا محترمة ، ونحن فوق المذاهب ، نعم ، وفوق ذلك كله ما هو البذرة والنواة لحياة الأمم ، هو أن يخلص كل لأخيه المودة ، وبيادله الحبة ، ويساركه في المنفعة ، فینفعه وینتفع به ، ولا يستبد ويستأثر عليه ، فيحب لأخيه ما يحب لنفسه ، جداً وحقيقة لا مخادعة ومخاتلة .

وتحقق هذه السجايا بحقائقها وإن أوشك أن يعد ضرباً من الخيال ،

(٣١٢)

ونوعا من الحال ، ولكن ليس هو على الله بعزيز ، ولا يأس من روح الله ، وأن يبعث في هذه الأمة اليائسة من لدنه روحًا جديدة ، فتحيا بعد الموت ، وتبصر بعد العمى ، وتصحو بعد السكر إن شاء الله تعالى .

الخاتمة :

ما يشنع به الناس على الشيعة ويزدرى به عليهم أيضاً أمران :

الأول: قولهم بـ (البداء) تخيلاً من المتشعين أن البداء الذي تقول به الشيعة هو عبارة عن أن يظهر ويبدو لله عز شأنه أمراً لم يكن عالماً به^١ ! وهل هذا إلا الجهل الشنيع ، والكفر الفظيع ، لاستلزمهم الجهل على الله تعالى ، وأنه محل للحوادث والتغيرات ، فيخرج من حظيرة الوجوب إلى مكانة الإمكان ، وحاشا الإمامية — بل وسائل فرق الإسلام — من هذه المقالة التي هي عين الجهالة بل الصلاة ، اللهم إلا ما ينسب إلى بعض المحسنة من المقالات التي هي أشبه بالخرافات منها بالديانات ، حتى قال بعضهم فيما ينسب إليه : اعفوني عن الفرج واللحية وأسألوني عما شئتم .

أما البداء الذي تقول به الشيعة — والذي هو من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله وغامض علومهم ، حتى ورد في أخبارهم الشريفة أنه : ما عبد الله بشيء مثل القول بالبداء ، وأنه : ما عرف الله حق معرفته ولم يعرفه بالبداء^٢ ، إلى كثير من أمثال ذلك — فهو : عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمراً يرسم في ألواح الحو والإثبات ، وربما يطلع عليه بعض الملائكة المقربين ، أو أحد الأنبياء والمرسلين ، فيخبر الملك به النبي والنبي يخبر به أمته (ثم)^٣ يقع بعد ذلك خلافه ، لأنه جل شأنه محظوظ وأوجد في الخارج

^١ راجع ما كتبناه في مقدمتنا التحقيقية حول تحرير أحد الكتاب لهذه العبارة بصلة عجيبة .

^٢ انظر كتاب الكافي ١ : ١١٣ (باب البداء).

^٣ في نسختنا : لم ، ومعها لا يستقيم السياق ، فأثبتنا ما رأينا صواباً .

غيره.

وكل ذلك كان جلت عظمته يعلمه حق العلم ، ولكن في علمه المخزون المصنون الذي لم يطلع عليه لا ملك مقرب ، ولانبي مرسلا ، ولا ولی ممتحن ، وهذا المقام من العلم هو المعبر عنه في القرآن الكريم بـ (أم الكتاب) المشار إليه وإلى المقام الأول بقوله تعالى : { يَحْوِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَبْتَدِئُ عَنْهُ أَمُّ الْكِتَابِ } ^١ .

ولا يتوهם الضيف أن هذا الإخفاء والإبداء يكون من قبيل الإغراء بالجهل وبيان خلاف الواقع ، فإن في ذلك حکماً ومصالح تقصّر عنها العقول ، وتقف عندها الألباب .

وبالجملة : فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع ، فكما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسرار بعضها غامض وبعضها ظاهر ، فكذلك في الإخفاء والإبداء في عالم التكوين ، على أن قسماً من البداء يكون من إطلاع النفوس المتصلة بالملأ الأعلى على الشيء وعدم اطلاعها على شرطه أو مانعه ، (مثلاً) اطلع عيسى عليه السلام أن العروس يموت ليلة زفافه ولكن لم يطلع على أن ذلك مشروط بعدم صدقة أهله .

فاتفق أن أمه تصدقته عنه ، وكان عيسى عليه السلام أخيراً بموته ليلة عرسه فلم يمت ، وسئل عن ذلك فقال : لعلكم تصدقتم عنه ، والصدقة قد تدفع البلاء المبرم ^٢ . وهكذا نظائرها.

وقد تكون الفائدة الامتحان وتوطين النفس كما في قضية أمر إبراهيم بذبح إسماعيل .

^١ سورة الرعد (١٣) : ٣٩ .

^٢ روى نحوها الشيخ الصدوق في أماليه : ٤٠٤ | ١٣ ، فراجع .

ولولا البداء لم يكن وجه للصدقة ، ولا للدعاء ، ولا للشفاعة ، ولا لبكاء الأنبياء والأولياء وشدة خوفهم وحذرهم من الله ، مع أنهم لم يخالفوه طرفة عين ، إنما خوفهم من ذلك العلم المصنون المخزون الذي لم يطلع عليه أحد ، ومنه يكون البداء .

وقد بسطنا بعض الكلام في البداء وأضرابه ، من القضاء والقدر ، ولوح الخبر والإثبات ، في الجزء الأول من كتابنا (الدين والإسلام) فراجع إذا شئت.

الثاني : من الأمور التي يشنع بها بعض الناس على الشيعة ويزدرى عليهم بها قولهم (بالثقة) جهلاً منهم أيضاً بمعناها وعمقها وحقيقة مغزاها ، ولو ثبتوها في الأمر ، وتربيتوا في الحكم ، وصبروا وتبصروا لعرفوا أن التقية التي تقول بها الشيعة لا تختص بهم ، ولم ينفردوها بها ، بل هو أمر ضرورة العقول ، وعليه جبلة الطياع ، وغرائز البشر. وشرعية الإسلام في أسس أحكامها ، وجوهريات مشروعيتها ، تماشي العقل والعلم جنباً إلى جنب ، وكتفاً إلى كتف ، رائدتها العلم ، وقادتها العقل ، ولا تنفك عنهما قيد شعرة ، ومن ضرورة العقول وغرائز النفوس : أن كل إنسان مجبول على الدفاع عن نفسه ، والحافظة على حياته ، وهي أعز الأشياء عليه ، وأحبها إليه .

نعم قد يهون بذلها في سبيل الشرف ، وحفظ الكرامة ، وصيانة الحق ، ومهانة الباطل ، أما في غير أمثال هذه المقصود الشريفة ، والغايات المقدسة ، فاللتغري بها ، وإلقاءها في مظان الملحمة ، وموطن الخطر ، سفه وحماقة لا يرتضيه عقل ولا شرع ، وقد أحazرت شريعة الإسلام المقدسة للمسلم في مواطن الخوف على نفسه أو عرضه إخفاء الحق ، والعمل به سراً ، ريشما تنتصر دولة الحق وتغلب على الباطل ، كما أشار إليه جل شأنه

(٣١٦)

بقوله : { إلا أن تتقوا منهم تقاة }^١ ، قوله : { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان }^٢ .

وقصة عمار وأبويه ، وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة ، وحملهم لهم على الشرك وإظهارهم الكفر مشهورة^٣ .

والعمل بالتقية له أحكامه الثلاثة :

فتارة : يجب ، كما إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة .

وأخرى : يكون رخصة ، كما لو كان في تركها والظهور بالحق نوع تقوية له ، فله أن يضحي بنفسه ، وله أن يحافظ عليها.

وثالثة : يحرم العمل بها ، كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل ، وإضلال الخلق ، وإحياء الظلم والجور.

ومن هنا تنصاع لك شمس الحقيقة ضاحية ، وتعرف أن اللوم والتعيير بالتقية — إن كانت تستحق اللوم والتعيير — ليس على الشيعة ، بل على من سلبهم موهبة الحرية ، وأجأهم إلى العمل بالتقية . تغلب معاوية على الأمة ، وابتزها الإمارة عليها بغير رضا منها ، وصار يتلاعب بالشريعة

^١ سورة آل عمران (٣) : ٢٨ .

^٢ سورة النحل (١٦) : ١٠٦ .

^٣ راجع : البيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ٦ : ٤٢٨ ، مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي ٣ : ٣٨٧ ، جامع البيان للطبراني ١٤ : ١٢٢ ، التفسير الكبير للرازي ١٩ : ١٢٠ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٦٠ .

الإسلامية حسب أهوائه ، وجعل يتبع شيعة علي ، ويقتلهم تحت كل حجر ، ويأخذ على الظنة والتهمة^١ ، وسارت على طريقته العوجاء ،

^١ روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهر البلاغة (٤٤ : ١١) عن أبي الحسن علي ابن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث : أن معاوية بن أبي سفيان كتب نسخة إلى عماله بعد عام الجماعة [بل هو والله عام تفرق المسلمين وضياعهم] : أن برئت الذمة من روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته [عليه وعليهم آلاف التحية والسلام] . فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر ، يلعنون علياً ويرعون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته [أي في أهل ذلك البيت الطاهرين الذين وأذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيراً ، أولئك الذين جعل الله تعالى أجر الرسالة والمداية مودتهم ، أولئك الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله عدلاً القرآن و ، ولكنك تجد من يعد معاوية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله العدول ، وخليفة له ، بل ويترحم عليه ، وتلك والله أم المصائب ، وعظيمة العظام] .

وأضاف : وكان أشد الناس بلاء حينذ أهل الكوفة ، لكترة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليها [أي معاوية بن هند] زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف . . . فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأحاففهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسلم العيون ، وصلبهم على حذوع النخل ، وطردهم ، وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم .

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الأفاق : أن لا يغيروا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ! ! .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان ، واسقطوا عطايه ورزقه ! ! .

وشفع ذلك بنسخة أخرى : من احتمموه بموالة هؤلاء القوم [أي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله] فنكلوا به ، واهدوا داره .

(٣١٧)

وسياسته الخرقاء الدولة المروانية ، ثم جاءت الدولة العباسية فزادت على ذلك بنغمات ، اضطرت الشيعة إلى كتمان أمرها تارة ، والتظاهر به أخرى ، زنة ما تقتضيه مناصرة الحق ، ومكافحة الضلال ، وما يحصل به إتمام الحجة ، وكيف لا تعمى سبيل الحق بتناً عن الخلق ، ولذا تجد الكثير من رجالات الشيعة وعظمائهم سحقوا التقية تحت أقدامهم ، وقدموا هيأكلهم المقدسة قرابين للحق على مشانق البغي ، وأضاحي في مجازر الجور والغبي .

أهل استحضرت ذاكرتك شهداء (مرج عذراء) — قرية من قرى الشام —

(٣١٨)

وهم أربعة عشر من رجال الشيعة ، ورئيسهم ذلك الصحابي الذي أنهكه الورع والعبادة حجر بن عدي الكندي الذي كان من القادة في فتح الشام ؟ .

قتلهم معاوية صبراً ، ثم صار يقول : ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيما قتلته خلا حجر ، فإنني لا أعرف بأي ذنب قتله ! !

نعم أنا أعرف معاوية بذنب حجر ، ذنبه ترك العمل بالتقية ، وغرضه إعلان ضلالبني أمية ، ومقدار علاقتهم من الدين .

وهل تذكرت الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي ، وعبد الرحمن بن حسان العتري الذي دفنه زياد في (قس الناطف) حياً^٢ ؟

^١ راجع تاريخ الطبرى ٥ : ٢٥٣ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٤٧٢ وغيرهما تجد هذه المأثرة الحالدة من مآثر معاوية بن هند في قتله للصالحين والخيرين من رجال الأمة ، وهداها ، واحكم بعد ذلك بما تشاء ..

^٢ روى الطبرى في تاريخه (٥ : ٢٧٦) ، وابن الأثير في الكامل (٣ : ٤٥٦) وغيرهما ، واللفظ للأول : ثم أقبل (أي معاوية بن هند) على عبد الرحمن العتري فقال له : ايه يا أخا ربعة ، ما قولك في علي ؟ قال : دعني ولا تسألني فإنه خير لك ، قال : والله لا أدعك حتى تخبرني عنه .

قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الأمراء بالحق ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس .

قال : وما قولك في عثمان ؟

قال : هو أول من فتح باب الظلم وارتज أبواب الحق .

قال : قتلت نفسك ، قال : بل إياك قتلت . . . فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : أما بعد فإن هذا العتري شر من بعثت ! ! فعاقبه عقوبته التي وو أهلها ، واقتله شر قتلة ! ! .

أتراك تذكرت ميثم التمار ، ورشيد الهمجي ، وعبد الله بن يقطر الذين شنقهم ابن زياد في
كتامة الكوفة^١؟

فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف ، فدفن به حيًّا .

^١ نعم ، إن التاريخ يجدهنا بوضوح عن وحشية وقساوة الدول المتلاحقة وظلمها للشيعة بشكل لا تصدقه العقول ، حتى لقد نالهم من الظلم والقتل الذريع المتلاحق الذي أحرجهم على اللجوء إلى التقية — التي أباحها الشارع المقدس عند الضرورة — حفاظاً على البقية الباقية منهم ، وليس لهم من دون ذلك حيلة ولا ملجأ ، وكان ينبغي أن يلقى اللوم على من أحرجهم على اللجوء إلى هذا الأمر إلا إليهم . وأنا أدعوك أخي القارئ الكريم إلى مطالعة كتاب « الشيعة والحاكمون » للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله تعالى للاطلاع عن كثب على بعض جوانب المأساة التي أحاطت بالشيعة إبان تلك العصور .

(٣١٩)

هؤلاء — والآلاف من أمثالهم — هانت عليهم نفوسهم العزيزة في سبيل نصرة الحق ، ونطحوا صخرة الباطل وما تقسمت رؤوسهم حتى هشمواها ، وما عرفوا أين زرع التقية وأين واديهما ، بل وجدوا العمل بها حراماً عليهم ، ولو سكتوا وعملوا بالتقية لضاعت البقية من الحق ، وأصبح دين الإسلام دين معاوية ويزيد و زياد و ابن زياد ، دين المكر ، دين الغدر ، دين النفاق ، دين الخداع ، دين كل رذيلة ، وأين هذا من دين الإسلام الذي هو دين كل فضيلة ، أولئك ضحايا الإسلام ، وقربان الحق .

ولا يغيب عنك ذكر (الحسين) وأصحابه سلام الله عليهم ، الذين هم سادة الشهداء ، وقادة أهل الإباء.

نعم . . . هؤلاء وجدوا العمل بالتقية حراماً عليهم ، وقد يجد غيرهم العمل بها واجباً ، ويجد الآخرون العمل بها رخصة وجوازاً ، حسب اختلاف المقامات ، وخصوصيات الموارد .

يختبر على بالي من بعض المرويات : أن مسيلمة الكذاب ظفر برجلين من المسلمين ، فقال لهما : إشهدوا أني رسول الله وأن محمداً رسول الله .

فقال أحدهما : أشهد أن محمد رسول الله وانك مسيلمة الكذاب. فقتله ، فشهاد الآخر بما أراد منه فأطلقه .

(٣٣٠)

ولما بلغ خبرهما إلى النبي صلى الله عليه وآلـه قال : أما الأول فقد تعجل الرواح إلى الجنة ،
وأما الآخر فقد أخذ بالرخصة ، ولكلـ أجره ^١ .

فيما أيها المسلمين ، لا تحوّجوا إخوانكم إلى العمل بالتنقية وتعيروهم بها ، ونسأله تعالى أن يختتم
لنا ولهم بالحسنى ، ويجمع كلمتنا على الحق والهدى إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

^١ انظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ١ : ٤٣٠ ، تفسير الحسن البصري ٢ : ٤٢٨ .

(٣٢١)

تراجم العلماء

(۳۲۲)

١ . أبان بن عثمان:

أبو عبد الله ، أبان بن عثمان الأحمر البجلي ، كوفي الأصل ، وكان ينتقل بين البصرة والكوفة .

أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره ، وأكثروا الحكاية عنه في كتبهم .

كان شاعراً عارفاً بأخبار الشعراء والأيام والأنساب .

روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ١٠ ، فهرست الطوسي : ٦٢ | ١٨ ، رجال الطوسي : ١٩١ | ١٥٢ ، الخلاصة : ٢١ | ٣ ، تنقیح المقال ١ : ٦ ، میزان الاعتدال ١ : ١٣ | ١٠ ، لسان المیزان ١ : ٣٤ | ٢٠ .

٢ . ابن هلال ، إبراهيم بن محمد بن سعد الثقفي الكوفي :

من أكابر علماء القرن الثالث الهجري .

نشأ في الكوفة وانتقل منها إلى اصفهان حيث توفي فيها سنة ثلث وثمانين ومائتين .

له مصنفات كثيرة منها : كتاب المغازي ، والسقيفة ، والردة وغيرها .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٦١ | ١٩ ، الخلاصة : ١٥ | ١٠ ، فهرست الطوسي : ٧ | ٤ ، أعيان الشيعة ٢ : ٢٠٩ ، تنقیح المقال ١ : ٣١ ، معجم الأدباء ١ : ٢٣٣ ، الواقي بالوفيات ٦ : ٢٢٠ ، لسان المیزان ١ : ١٠٢ .

٣. أبي بن كعب :

ابن قيس بن عبيد بن زيد بن النجار ، الصحابي الجليل . كان سيد القراء ، وكاتباً للوحى .

شهد بدرًا والعقبة وبaidu لرسول الله صلى الله عليه وآلـه .

مدوحاً ومثنى عليه عند أصحابنا ، وكان رحمه الله تعالى من المخلصين الموالين لأهل البيت عليهم السلام ، وقيل : كان من الاثني عشر الذين أنكروا على

(٣٢٤)

أبي بكر تقدمه وجلوسه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله .

توفي في زمن عمر أو عثمان بالمدينة المنورة على ما قيل .

انظر ترجمته في : تنقیح المقال ١ : ٤٤ ، الخلاصة : ٢٢ ، رجال الطوسي : ٤ | ١٦ ، رجال ابن داود : ٤٨ | ٣٥ ، أعيان الشيعة ٢ : ٤٥٥ ، طبقات ابن سعد ٣ : ٤٩٨ ، التاريخ الكبير ٢ : ٣٩ ، تاريخ الإسلام ١ : ١٦ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٨٩ | ٨٢ ، العبر ١ : ١٧ و ٢٠ ، دول الإسلام ١ : ١٦ ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٦ ، تهذيب التهذيب ١ : ١٦٤ ، طبقات القراء ١ : ٣١ ، الإصابة ١ : ٢٦ ، شدرات الذهب ١ : ٣٢ ، أسد الغابة ١ : ٦٨ ، تهذيب الكمال : ٧٠ ، طبقات الحفاظ : ٥ ، حلية الأولياء ١ : ٢٥٠ .

٤. أحمد بن إسحاق:

ابن جعفر بن وهب بن واضح ، الأخباري ، مؤرخ حغرافي ، وأديب شاعر ، وكاتب شهير ، له تصانيف كثيرة ومشهورة .

كان رحالة يحب الأسفار ، فطاف البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً .

توفي في نهاية القرن الثالث الهجري .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٣ : ١ ٠ ٢ ، الكنى والألقاب ٣ : ٢٤٦ ، معجم الأدباء ١٥٣:٥ / ٣٤ ، الأعلام للزركلي ١ : ٩٥ .

٥. أحمد بن أمين:

كاتب ومؤلف مصري ، ولد في القاهرة عام (١٨٧٨ م) ، ودرس في مدارسها وتخرج منها .

انتخب عضواً للمجمع اللغوي في القاهرة ودمشق ، وكذا في الجمع العلمي بغداد .

كان يتولى التدريس في كلية الآداب بالقاهرة قبل أن يتولى عمادها ، كما أنه تولى القضاء في مصر أيضاً .

شغل في أواخر حياته منصب مدير الإدارة الثقافية بالجامعة العربية .

توفي عام (١٩٥٤ م) ، وله من المؤلفات : فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ،

(٣٥)

ظهر الإسلام ، فيض الخاطر ، النقد الأدبي .

أقحم نفسه في الحديث عن عقائد المسلمين ، ومنهم الشيعة الإمامية ، دون دراية واضحة ودراسة مستفيضة تتناسب وأهمية الموضوع ومكانته العلمية ، فأوقع نفسه في اشتباكات وملابسات لصقت به رغم اعتذاره عنها ، وتبريره لها ...

٦. أبو العباس ، أحمد بن أبي الحسن الرفاعي المغربي :

مؤسس الطريقة الرفاعية .

ولد في أول سنة خمسينات هجرية ، في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق ، وتوفي في جمادى الأولى من عام ثمان وسبعين وخمسينات هجرية وقبره لا زال معلوما ، وله أصحاب ومریدین وأشار المؤرخون إلى جملة من أحوالهم المنحرفة والفاسدة ، وأشار إلى ذلك بوضوح الذهبي في العبر حيث قال : وقد كثر الزغل فيهم ، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق ، من دخول النيران ، وركوب السباع ، واللعب بالحيات . . . وكذا تحدث في تاريخ الإسلام ، فراجع .

وللشيخ في كتب أصحابه كرامات عجيبة وغريبة لا يخفى على أحد ما فيها من الغلو الفاحش والخرافة المعلومة (راجع الغدير ١١ : ١٧٤) .

وانظر : الكامل في التاريخ ١١ : ٢٠٠ ، شذرات الذهب ٤ : ٢٥٩ ، مرآة الزمان ٨ : ٣٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٢١ : ٢٨ | ٧٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣١٢ ، الوافي بالوفيات ٧ : ٢١٩ ، الأعلام للزر كلي ١ : ١٧٤ .

٧. بديع الزمان ، أحمد بن الحسين الهمداني:

شاعر وأديب ميز ، قيل : أنه أول من اخترع عمل المقامات ، وبه اقتدى الحريري .

ولد في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة (٣٥٣ھـ) أو (٣٥٨ هجرية) .

روي عنه أنه كان قوي الحافظة بحيث تقرأ عليه القصيدة التي لم يسمع بها — وهي أكثر من
خمسين بيتاً — فيحفظها بتمامها دون أي نقص .

لم يذكره قدماؤنا رحمة الله تعالى برحمته الواسعة في عداد الشيعة ، إلا أن

(٣٣٦)

الشيخ الحر العاملی رحمه الله تعالى عده في أمل الآمل من الشیعه الامامية ، وتبغه على ذلك الآخرون ، وللسید الأمین رحمه الله تعالى في أعيانه بحث رصين حول هذا الموضوع ، يراجع لمزيد من التوسيع ، والإحاطة .

توفي عام (٣٩٨ هـ) ببراء ، واحتلّف في سبب موته .

انظر ترجمته في : أعيان الشیعه ٢ : ٥٧٠ ، الکنى والألقاب ٢ : ٦٦ ، أمل الآمل ٢ : ٢٦ | ١٣ ، يتيمة الدهر ٤ : ٥٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ١٠٥ ، معجم الأدباء ٢ : ١٦١ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣٥ ، الواقی بالوفیات ٦ : ٣٥٥ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٤٠ ، شذرات الذهب ٣ : ١٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢١٨ ، اللباب ٣ : ٣٩٢ ، وفيات الأعيان ١ : ١٢٧ .

أحمد بن عبد الله بن سليمان ، أبو العلاء المعري:

اللغوي الشاعر ، وصاحب التصانیف الشهیرة .

ولد في سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة هجرية بمصرة النعمان من أعمال الشام .

أصابه الحدري وله أربع سنين وشهر ، فسألت واحدة من عينيه وايضحت الأخرى .

سمى برهین المحسین لملازمته متزله وعماه .

له مصنفات كثيرة ومشهورة ، مثل : رسالة الغفران ، رسالة الملائكة ، لزوم ما لا يلزم ، الطیر ، وغيرها .

توفي في يوم الجمعة الثاني من شهر ربیع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة هجرية ، وهناك موافق بين الأخذ والرد حول حملة من أشعاره ومؤلفاته ، تراجع في مظاهرها .

انظر ترجمته في : روضات الجنات ١ : ١٦١ ، الكني والألقاب ٣ : ٨٣ | ٢٦٥ ، تاريخ
بغداد ٤ : ٢٤٠ ، معجم الأدباء ٣ : ١٠٧ ، الأنساب ٣ : ٩٠ ، الكامل في التاريخ ٩ : ٦٣٦ ،
سير أعلام النبلاء ١٨ : ١٦ | ٢٣ ، العبر ٢ : ٢٩٥ ، ميزان الاعتدال ١ : ١١٢ ، اللباب ١ : ٢٢٥ و
٣ : ٢٣٤ ، الوفي بالوفيات ٧ : ٩٤ ، وفيات الاعيان ١ : ١١٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٦٦ ، البداية
والنهاية ١٢ : ٧٢ ، لسان الميزان ١ : ٢٠٣ ، النجوم الزاهرة

٥ : ٦١ ، معاهد التنصيص ١ : ١٣٦ ، كشف الظنون ١ : ٤٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٨٠ ، طبقات النحوين : ١٦٩ ، إنباء الرواة ١ : ٤٦ ، عقد الجمان ١ : ٢٠ ، المنظم ٨ : ١٨٤ ، معجم المؤلفين ١ : ٢٩٠ .

٩. أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني ، أبو العباس البدوي:

متصوف مشهور ، أصله من المغرب ، ولد عام (٥٦٩ هـ) وطاف الكثير من البلاد ، واستقر به المقام في مصر .

له مصنفات في التصوف ومقالات حوله ، كما إن له شهرة كبيرة في الديار المصرية .
توفي عام (٦٧٥ هجرية—) ودفن في طنطا حيث تقام هناك في كل عام سوق يتوارد إليها الكثير من الناس بذكرى مولده .

انظر : شذرات الذهب ٥ : ٣٤٥ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٢٥٢ ، الأعلام للزركلي ١ : ١٧٥ .

١٠. أحمد بن محمد بن خالد البرقي الكوفي:

صاحب المؤلفات الكثيرة ، والتي أشهرها كتاب الحاسن المشهور .

كان يوسف بن عمر قد حبس جده محمد بن علي بعد قتل زيد ثم قتله ، وكان خالد آنذاك صغير السن ، فاضطر إلى الهرب إلى مدينة قم في إيران مع أبيه حيث أقام بها إلى وفاته حدود عام (٢٧٤ هجرية—) .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ١٨٢ | ٧٦ ، الكني والألقاب ٢ : ٦٩ ، الخلاصة : ١٤ ، فهرست الطوسي : ٢٠ ، رجال ابن داود : ٤٣ | ١٢٢ ، معالم العلماء : ٥٥ | ١١ .

١١. أبو العباس ، أحمد بن محمد الدارمي المصيحي :

كان يعد من فحول الشعراء ومتقدميهم ، وكان فاضلاً أدبياً ، بارعاً عارفاً باللغة والأدب ، له
أعمال أملاها بحلب .

مدح سيف الدولة واحتضن به .

وأما عن تشيعه فللسيد الأمين رحمه الله تعالى شرح مفصل ، يراجع للاستزادة .

(۳۲۸)

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٣ : ١٠٧ ، الكني والألقاب ٣ : ١٩٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ١٢٥ ، فهرست ابن النديم : ١١ | ٣٢٢ ، شدرات الذهب ٣ : ١٥٣ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٥٠ ، وفيات الأعيان ١ : ١٢٥ .

١٢ . الناصر ل الدين الله ، أبو العباس أحمد بن المستضيئ بأمر الله :

كان يعد من أفضّل الخلفاء وأعيانهم ، ويصفونه بأنه كان بصيراً بالأمور ، عالماً مهياً ، مقدماً ، عارفاً ، شجاعاً ، مؤلفاً ، وأديباً شاعراً .

ولد يوم الاثنين العاشر من شهر رجب عام (٥٥٣ هـ) وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٥٧٥ هجرية)، وبقي في الخلافة نحوًا من ٤٧ عامًا.

كان يتshire ويجاهر في ذلك ، وعرف من ذلك مذهبـه .

شهدت الدولة الإسلامية في عهده عدلاً واستقراراً وأمناً ، وذل له ملوك وأمراء عصره ، وانقادوا لارادته .

كان مستقلاً بأمور العراق ، مهيمنا عليه ، فشاع في عصره العمران في العراق وانتشر ، وإليه ينسب بناء سردار الغيبة في سامراء ، حيث جعل فيه شباباً من الآنسوس الفاخر — أو الساج — كتب عليه اسمه وتاريخ صنعه ، ولا زال باقياً حتى يومنا هذا .

توفی عام (۶۲۲ھ) .

انظر : أعيان الشيعة ٢ : ٥٠٥ ، الكنى والألقاب ٣ : ١٩٣ ، العقد الفريد ٥ : ٣٧٨ ،
الكامل في التاريخ ١٢ : ١٠٨ ، مرآة الزمان ٨ : ٦٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٢٢ : ١٩٢ | ١٣١ ،
الوافي بالوفيات ٦ : ٣١٠ ، فوات الوفيات ١ : ٦٢ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٠٦ ، النجوم الزاهرة
٦ : ٢٦١ ، شدرات الذهب ٥ : ٩٧ .

١٣ . أبو العباس ، أحمد بن الموفق :

ولد سنة اثنين وأربعين ومائتين ، وبويع له بخلافة الدولة العباسية في عام تسع وسبعين ومائتين.

امتاز عهده بانبساط الأمن والاستقرار في عموم الدولة ، ورفع الضغط والتقييد

(٣٢٩)

عن الشيعة ، بل وتسهيل البعض من أمورهم .

كما يحكي عنه أنه أمر بإنشاء كتاب يدعوه فيه إلى اتباع هدى آل محمد عليهم السلام ، ولعن معاوية بن هند وبنى أمية .

توفي في بغداد شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

انظر ترجمته وسيرته في : تاريخ الطبرى ١٠ : ٤١ ، العقد الفريد ٥ : ٣٨٢ ، مروج الذهب ٥ : ١٣٧ ، تاريخ الخلفاء : ٥٨٨ ، الوفى بالوفيات ٦ : ٤٢٨ ، البداية والنهاية ١١ : ٦٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٢٦ ، شذرات الذهب ٢ : ١٩٩ ، تاريخ بغداد ٤ : ٤٠٣ ، المنتظم ٥ : ١٢٣ ، فوات الوفيات ١ : ٧٢ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٦٣ | ٢٣٠ ، العبر ١ : ٤٠٤ و ٤١٣ .

١٤. أحمد والقاسم ابني يوسف:

كانا من عائلة عريقة معروفة بالعلم والأدب ، برع فيها الكثير من الشعراء والأدباء والوزراء .

فقد روى الصوالي عن كنasa الأسدى قوله : خرجت الكوفة وسواها جماعة من الكتاب ،
فما رأيت فيهم أجل ولا أبرع أدبا من بيت أبي صبيح .

وقال ياقوت : كان أحمد وأخوه القاسم شاعرين أدبيين ، وأولادهما جميعاً أهل أدب يطلبون
الشعر والبلاغة .

كان أحمد المعروف بابن الداية — لأن أبيه كان ولد داية المهدى — كاتباً للمأمون ، وزر له
أيضاً بعد أحمد بن أبي خالد ، وله مصنفات وآثار منتشرة في الكثير من الكتب .

وكان القاسم أكبر سنًا من أحمد ، وبقي بعده مدة من الزمن .

انظر : أعيان الشيعة ٣ : ٢٠٦ ، معجم الأدباء ٥ : ١٥٤ .

١٥ . الأحنف بن قيس:

أبو بحر التميمي ، الأمير الجليل ، والعالم الكبير ، وسيد تميم .

اختلف في اسمه ، فقيل : الضحاك ، وقيل : صخر . وكني بالأحنف لحنف

(٣٣٠)

رجلية ، وهو العوج والميلان .

كان يضرب بحمله وسُؤده المثل ، وكان من أعاظم أهل البصرة وسادتها .

أدرك النبي صلى الله عليه وآلها و لم يصحبه ، وامتد به العمر حتى زمن مصعب ابن الزبير ،
فصحبه إلى الكوفة حيث توفي هناك .

شهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢٢٢:٣ ، الكنى والألقاب ٩:٢ ، تنقية المقال ١٠٣:١ ،
طبقات ابن سعد ٩٣:٧ ، المعارف : ٢٤٠ و ٣٢٠ ، التاريخ الكبير ٢:٥٠ ، اسد الغابة ١:٥٥
، سير أعلام النبلاء ٤:٢٩ / ٨٦ ، تاريخ الإسلام ٣:١٢٩ ، العبر ١:٥٢ ، البداية والنهاية ٨:
٣٢٦ ، وفيات الأعيان ٢:٤٩٩ ، النجوم الراحلة ١:١٨٤ .

أبو يعقوب ، إسحاق بن إسماعيل بن نوبحث الكاتب :

كان متكلماً عارفاً بالكثير من العلوم ، وكان يجري مجرى الوزراء ، ومن رجال الحل والعقد .

وكان أيضاً من مشاهير كتاب ديوان الخلافة العباسية ، وله دور بارز في صياغة وترتيب
الكثير من الأحداث والأمور .

قتله القاهر بوحشية وقسوة عام (٣٢٢ هـ) مع أبي السرايا نصر بن حمدون ، حيث أمر
بإلقائهما في بئر وتسوية التراب عليهما !! وما هذه إلا شواهد للظلم والقسوة الصادرة عن الطغيان
والتفرع عن .

انظر : أعيان الشيعة ٣:٢٦٢ ، تأسيس الشيعة : ٣٧١ ، العبر ٢:١٣ ، شذرات الذهب
٢:٢٩٢ ، النجوم الراحلة ٣:٢٤٥ ، الكامل في التاريخ ٨:٢٩٥ .

١٦ . ابن عباد ، إسماعيل بن عباد الاصفهاني القرزي :

الكاتب والأديب والشاعر المعروف . ولد لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ذي القعدة عام (٣٢٦ هـ) باصطنخ فارس ، فأقبل على طلب العلم منذ نعومة أظفاره ، ففاق أقرانه وبلغهم في كثير من العلوم .

(٣٣)

كان يلقب بالصاحب كافي الكفأة ، وإلى ذلك أشار ابن خلkan في قوله : هو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقي عالما عليه .

كان أبوه وجده من الوزراء ، فلذا قيل فيه :

ورث الوزارة كابرًا عن كابرٍ * موصولة الإسناد بالإسناد

له قصائد رائعة كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام ، منها :

لو شق عن قلبي يرى وسطه * سطران قد خططا بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانب * وحب أهل البيت في جانب

ومنها :

إن الحبة للوصي فريضة * أعني أمير المؤمنينا عليا

قد كلف الله البرية كلها * واختاره للمؤمنين ولها

ومنها :

أنا وجميع من فوق التراب * فداء تراب نعل أبي تراب

ومنها:

يا أمير المؤمنين المرتضى * إن قلبي عندكم قد وقفنا

كلما حددت مدحني فيكم * قال ذو النصب نسيت السلفا

منَ كِمْوَلَىٰ عَلَيْهِ مُفْتَيَاً * خَضَعَ الْكُلُّ لَهُ وَأَعْتَرَفَ
منَ كِمْوَلَىٰ عَلَيْهِ زَاهِدًا * طَلَقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَوَفَى
مَنْ دُعِيَ لِلطَّيِّرِ أَنْ يَأْكُلَهُ * وَلَنَا فِي بَعْضِ هَذَا مُكْتَفِى
كَمَا أَنْ لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ وَالرَّائِعَةِ مَا اسْتَغْرَقَتْ أَكْثَرُ الْعِلُومِ ، مِنَ الْكَلَامِ وَالْلُّغَةِ وَالْأَدَبِ
وَالتَّارِيخِ وَغَيْرَهَا .

توفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من شهر صفر سنة (٣٨٥ هـ) بالري على الأقوى ،
ونقل جثمانه إلى إصبهان ، ودفن في محلة كانت تعرف آنذاك بباب درية ، واسمها الآن باب
الطوقجي ، وقبره لا زال معروفاً .

(٣٣٢)

انظر ترجمته في : معالم العلماء : ١٤٨ ، اليقين للسيد ابن طاووس : ٤٥٧ ، أمل الآمل ٢ : ٩٦ | ٣٤ ، الكنى والألقاب ٢ : ٣٦٥ ، أعيان الشيعة ٣ : ٣٢٨ ، الغدير ٤ : ٤٠ ، تأسيس الشيعة : ١٥٩ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٣ ، بنتية الدهر ٣ : ١٨٨ ، معجم الأدباء ٦ : ١٦٨ ، انباه الرواة ١ : ٢٠١ ، الإمتناع والمؤانسة ١ : ٥٣ ، فهرست ابن النديم : ١٩٤ ، الكامل في التاريخ ٨ : ٣٥٢ و ٩ : ٥٩ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥١١ | ٣٧٧ ، العبر ٢ : ١٦٦ ، البداية والنهاية ١١ : ٣١٤ ، المنظم ٧ : ١٩٧٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٢١ ، لسان الميزان ١ : ٤١٣ ، معاهد التنصيص ٤ : ١١ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٦٩ ، ودول الإسلام : ٢٠٨ .

١٧. السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد :

سيد الشعراء ، وصاحب الكلمة النافذة ، جليل القدر ، عظيم المترلة . ينسب إلى حمير إحدى قبائل اليمن المعروفة .

والسيد نسبة لغوية لا أسرية ، حيث لم يكن فاطميًّا ولا علوياً .

كان رحمة الله تعالى من شعراء أهل البيت عليهم السلام المحاهرين بولائهم ، والمصرحين بتشيعهم رغم ما كان يحيط بهم من ظروف معاكسة .

ولد بعمان سنة (١٠٥ هـ) ونشأ في البصرة ، وتوفي في أيام هارون الرشيد ، وفي حدود عام (١٧٨ هجرية) . انظر ترجمته في : معالم العلماء : ١٤٦ ، رجال الطوسي : ١٤٨ | ١٠٨ ، فهرست الطوسي : ٣٢ | ٨٢ ، الوجيزه : ٨ ، الخلاصة : ١٠ | ٢٢ ، التحرير الطاوosi : ٣٧ | ٢٠ ، رجال ابن داود : ٦١ | ١٩٥ ، أعيان الشيعة ٣ : ٤٠٥ ، فوات الوفيات ١ : ٣٢ ، الأغاني ٧ : ٢٢٩ .

١٨. الأشجع السلمي:

أبو الوليد السلمي ، من كبار الشعراء وأعلامهم ، ويعد في مرتبة أبي العطاوية وأبي نواس .

ولد في اليمامة وانتقلت به أمه إلى البصرة فنشأ بها وتأدب في مدارسها .

برع في الشعر حتى طبق صيته الأفاق ، وعد من كبار الشعراء .

(٣٣٣)

انتقل بعدها إلى الرقة ، وصاحب جعفر البرمكي وانقطع إليه .

له في رثاء الإمام الرضا عليه السلام قصيدة مطلعها:

يا صاحب العيس تحذى في أزمنتها * اسمع وأسمع غداً يا صاحب العيس

اقر السلام على قبر بطوس ولا * تقرى السلام ولا النعمى على طوس .

انظر ترجمته في : معالم العلماء : ١٥٣ ، أمالي الطوسي ١ : ٢٨٧ ، تنقية المقال ١ : ١٤٨ ،
أعيان الشيعة ٣ : ٤٤٧ ، الأغاني ١٨ : ٢١١ ، الشعر والشعراء : ٦٠١ .

١٩. الأصبغ بن نباتة :

ابن الحارث التميمي الحنظلي المخاشعي .

من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وخلص أصحابه ، شهد معه صفين
، وكان على شرطة الخميس ،

كان رحمة الله شاعراً مفوهاً ، وفارساً شجاعاً ، وناسكاً عابداً .

ضعفه البعض من كتاب العامة لا لزم يتعلق به ، أو ريب يتوجس منه ، أو تهمة تلتصق به ،
بل لتشيعه وموالاته الكبيرة لعلي عليه السلام ، فراجع وتأمل .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٣ : ٤٦٤ ، الخلاصة : ٩ | ٢٤ ، رجال النجاشي : ٨ | ٥ ،
فهرست الطوسي : ٣٧ ، رجال الطوسي : ٢ | ٢٤ و ٦٦ | ٢ ، رجال ابن داود : ٥٢ | ٢٠٤ ،
معالم العلماء : ٢٧ | ١٣٨ ، رجال الكشي : ٣٢٠ | ١٦٤ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣١٦ ، ميزان
الاعتدال ١ : ٢٧١ ، التاريخ الكبير ١ : ٣٥ ، الكامل لابن عدي ١ : ٣٩٨ ، الضعفاء والمتروكين
: ١١٨ ، المحرر وحيـن ١ : ١٧٣ .

٢٠ . الأفضل :

ابن أمير الجيوش بمصر ، ومدبر الدولة الفاطمية ، ومن تنسب إليه قيسارية أمير الجيوش بمصر .

كان المستنصر قد استناب أباه على مدیني صور وعكا ، وكان الأب يعد من ذوي الآراء والشهامة وقوة العزم ، بحيث أن الأمور والأوضاع لما اضطربت بيد المستنصر استدعاه ولأه تدبير شؤون البلاد ، حيث وفق في ذلك وتم إصلاح

الأحوال ، وكان وزيراً للسيف والقلم حتى وفاته سنة (٤٨٧ هـ) ، وكان هو الذي بني الجامع بغزير الإسكندرية ، ومشهد الرأس بعسقلان .

وبعد وفاة الأب أقام المستعلي بن المستنصر ولده الأفضل مقام أبيه ، وكان حسن التدبير ، شهماً ، صارماً ، فاستقامت الأمور بين يديه .

إلا أن الأمر بأحكام الله — والذي خلف والده ، وكان عمره لا يتجاوز آنذاك الست سنين ، وحيث كان الأفضل هو المدير للأمور حتى شب وكبر — لم يرق له حال الأفضل ، وما عليه من الشأن الكبير والمترلة العالية ، فدبر قتله عام (٥١٥ هـ) وولى بدله عبد الله بن البطائحي ولقبه المأمون ، ولكنه لم يلبث أن دبر قتله عام (٥١٩ هـ) .

راجع : الكني والألقاب ٢ : ٤١٨ ، الكامل في التاريخ ١٠ : ٢٣٥ و ٥٨٩ — ٦٧٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٨٨ (وما بعدها) ، وفيات الأعيان ٢ : ٤٤٨ ، سير أعلام النبلاء ١٩ : ٥٠٧ | ٢٩٤ و ١٩ : ٥٦٠ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٢١٨ ، دول الإسلام : ٢٧٠ ، النجوم الزاهرة ٨ : ٦٤ ، مرآة الزمان ٨ : ٦٤ ، شذرات الذهب ٤ : ٤ | ٤٧ ، دائرة معارف القرن العشرين ٧ : ٣٢٠ .

٢١. الأمير أبو علي ، نعيم ابن الخليفة المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفاطمي :

كان ملكاً لإفريقيا وما والاها بعد أبيه المعز ، وكان بطلاً شجاعاً ، مهيباً وقرأ ، حسن السيرة ، دمث الأخلاق كذا تعرفه مصادر التاريخ المختلفة .

قيل : أنه كان يتربع على عرش إمارة الشعر في عصره ، وله قصائد كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم ، إلا أنه — وتلك حشرجة تغص بها الحلوق — لم يتبق لنا من تراثه الشعري الفخم إلا جملة من القصائد والأبيات المتفرقة ، والتي لا يخلو البعض منها من التغيير والتحريف الذي عمده إلى أيدي الحاقدين على الفاطميين وحكمهم .

توفي عام (٥٠١ هـ) ودفن في قصره ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنстير ، وكان

(٣٣٥)

قد ولد عام (٤٢٢ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٣ : ٦٤٠ ، الكامل في التاريخ ١٠ : ٤٤٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٣٠٤ ، سير أعلام النبلاء ١٩ : ١٦٤ | ٢٦٣ ، تاريخ الإسلام ٤ : ١٦٤ ، العبر ٢ : ٣٨١ شذرات الذهب ٤ : ٢ ، عيون التواريخ ١٣ : ٢٢٤ ، الواقي بالوفيات ١٠ : ٤١٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٧٠ ، مرآة الزمان ٨ : ١٧ ، مرآة الجنان ٣ : ١٦٩ ، النجوم الراحلة ٥ : ١٩٧ .

٢٢. جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنباري السلمي :

الصحابي الجليل ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآلله أكثر غزواته ، ومنها غزوة بدر .

كان رحمة الله منقطعاً إلى أهل البيت عليهم السلام ، مدوحاً من قبلهم ، وبعد من أصفيائهم .

أثنى عليه أصحابنا وأوردوا روایات شتى في مدحه والثناء عليه .

يعد رحمة الله تعالى في الطبقة الأولى من المفسرين .

كان من أوائل الزائرين لقبر الإمام الحسين عليه السلام بعد فاجعة كربلاء المروعة .

فقد عينيه في أواخر حياته .

امتد به العمر طويلاً حتى أدرك الإمام الباقر عليه السلام وأبلغه سلام رسول الله صلى الله عليه وآلله عليه .

توفي عام (٧٨ هـ) وهو ابن نيف وتسعين سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٤ : ٤٥ ، رجال ابن داود : ٦٠ | ٢٨٨ ، تأسيس الشيعة : ٣٢٣ ، رجال الطوسي : ٣ | ٣٧ ، التاريخ الكبير ٢ : ٢٠٧ ، مستدرك الحكم ٣ : ٥٦ ، اسد الغابة ١ : ٢٥٦ ، تاريخ الإسلام ٣ : ١٤٣ | ١٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٨ ، العبر ١ : ٦٥ .

هذيب الكمال : ١٨٢ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، هذيب التهذيب ٢ : ٣٧ ، الإصابة ١ : ٢١٣ ،
شدرات الذهب ١ : ٨٤ .

(٣٣٦)

٢٣. ابن حتزابة ، جعفر بن الفضل بن الحسن بن الفرات :

ولد في الأول في شهر ذي الحجة عام (٣٠٨ هـ) ببغداد .

وحتزابة التي ينسب إليها هي أم أبيه الفضل بن جعفر كما ذكر ، إلا أن الأقرب للصواب ما ذكره الذهبي في تذكرة من أنها أمه .

قال عنه ابن حلkan ، كان وزير بني الأخشيد بحصر مدة إماراة كافور ، ثم لما استقل كافور بملك مصر استمر بوزارته أيضاً ، ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الأخشيد .

إلا أنه لم يلبث أن اختلف مع الأخشيديين فهرب منهم ، فنهبت أمواله ثم اعتقل وعذب وسجن فترة من الزمان ، حيث أطلق سراحه بعد ذلك فرحل إلى الشام ، ليعود بعدها مرة أخرى إلى مصر .

قيل : أن له مؤلفات في أسماء الرجال والأنساب وغير ذلك ، كما قيل أنه أول من أنشأ متحفاً للهوام والحضرات .

توفي عام (٣٩١ هجرية) وحمل تابوتة من مصر إلى المدينة المنورة على مشرفها آلاف التحية والسلام — حيث كان قد اشتري فيها داراً وأوصى أن يدفن فيها .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٤ : ١٣٤ ، تاريخ بغداد ٧ : ٢٣٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٢٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٣٤٦ ، معجم الأدباء ٧ : ١٦٣ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٨٤ | ٣٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٢٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٣ ، فوات الوفيات ١ : ٢٩٢ ، شذرات الذهب ٣ : ١٣٥ ، طبقات الحفاظ : ٤٠٥ ، النجوم الزاهرة : ٢٠٣ .

٤٢. أبو فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمان :

الأمير الجليل ، والقائد الكبير ، والشاعر المفلق .

ولد عام (٣٢٠ هـ) على الأقوى ، ومات مقتولاً عام (٣٥٧ هجرية) ، وحاله أشهر من التعريف .

انظر ترجمته في : معامل العلماء : ١٤٩ ، أعيان الشيعة ٤ : ٣٠٧ ، أمل الآمل ٢ : ٥٩ | ١٥٠ ، الكني والألقاب ١ : ١٣١ ، تنقیح المقال ١:٢٤٥ ، تأسيس الشيعة : ٢٠٨ ، يتيمة الدهر ١ : ٣٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٩ ، المتضمن ٧ : ٦٨ ، المختصر من أخبار البشر ٢ : ١٠٨ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ١٣٦ | ١٩٦ ، الواقي بالوفيات ١١ : ٢٦١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٨ ، شدرات الذهب ٣ : ٢٤ ، الأغاني ٨ : ٣٥ و ٩ : ٣٤٢ .

٢٥. أبو قام ، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي :

الشاعر الإمامي الشهير .

كان يعد من شعراء الشيعة المبرزين ، وكان موصوفاً بالظرف وحسن الخلق وكرم النفس .

حاله أشهر من أن تعرف أو تترجم ، حيث كان يسمى بشاعر العصر ، وأديب زمانه .

كان على ما قال ابن خلkan له من المحفوظ ما لا يلحقه أحد غيره ، حيث قيل أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع .

توفي عام (٢٣١ هـ) .

انظر ترجمته في : الخلاصة : ٣ | ٦١ ، رجال النجاشي : ١٤١ | ٣٦٧ ، معالم العلماء : ١٥٢ ، تنقیح المقال ١ : ٢٥١ ، رجال ابن داود : ٣٧٦ | ٦٩ ، الكني والألقاب ١ : ٢٧ ، أعيان الشيعة ٢ : ٣١٠ ، الأغاني ٩ : ٢٢ و ١٢ و ٣٩ و ١٩ : ٥١ ، فهرست ابن النديم : ٣١ ، شدرات الذهب ٢ : ٧٢ ، تاريخ الطبرى ٩ : ١٢٤ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٢ : ١١ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ٢٦ | ٦٣ ، العبر ١ : ٣٢٤ ، خزانة الأدب ١ : ١٧٢ ، معاهد التنصيص ١ : ١٤١ .

٢٦. أبو عبد الله ، الحسن بن الحسن بن عطية العوفي :

من مشاهير التابعين ، وكبار فقهاء الشيعة .

قيل : إن أبا سعد بن جنادة وفد على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيام خلافته وقال له : يا أمير المؤمنين ، إنه قد ولد لي غلام ، فسمه ، فقال

(٣٣٨)

عليه السلام : هذه عطية الله . فسمى عطية ، وكانت أمه رومية .

هرب من ظلم الحجاج لعنه الله ، ولجا إلى فارس ، فكتب الحجاج إلى محمد ابن قاسم الشفقي : أن ادع عطية ، فإن لعن علي بن أبي طالب وإنما فاضر به أربعمائة سوط ، وأحلق رأسه ولحيته .

فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج ، فأبى ذلك ، فضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته .
في خراسان حتى ولـي عمر بن هبيرة العراق فأذن له فقدم الكوفة ، وبقي فيها حتى توفي عام (١١١ هـ) .

انظر ترجمته في : الكنى والألقاب ٢ : ٤٤٧ ، تنقية المقال ٢ : ٢٥٣ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٣٠٤ ، التاريخ الكبير ٧ : ٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٢٥ | ١٥٩
تاریخ الإسلام ٤ : ٢٨٠ ، شذرات الذهب ١ : ١٤٤ .

٢٧. الحسن بن سهل بن عبد الله السرخيسي :

قيل : كان عارفاً خبيراً بالنجوم ، وكان صاحب رأي وتدبر . ولاه الأمون الوزارة بعد مقتل أخيه الفضل ، وولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين .

توفي عام (٢٣٦ هجرية) بمدينة سرخس — من بلاد خراسان — في أيام المتوكل .

انظر ترجمته في : رجال الطوسي : ٣٩/٣٧٤ ، أعيان الشيعة ٥ : ١٠٧ ، تاريخ الطبرى ٩ : ١٨٤ ، تاريخ بغداد ٧ : ٣١٩ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣١٥ ، النجوم الراحلة ٢ : ٢٨٧ ، شذرات الذهب ٢ : ٨٦ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ٧٣ | ١٧١ ، العبر ١ : ٣٣٢ و ٢٦٣ و ٢٨١ و ٣٠٦ و ٢٥٧ و ٢٥٩ .

٢٨. الحسن بن صالح بن حي :

أبو عبد الله الحمداني الكوفي الشوري .

كان شيعياً زيدياً ، بل و يعد من كبارهم و عظمائهم ، وكان فقيهاً متكلماً .

قيل : ولد سنة مائة هجرية ، وتوفي سنة تسع وستين و مائة على أقرب الاحتمالات .

(٣٣٩)

عاصر أربعة من الأئمة المعصومين الأطهار : الباقي والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٥ : ١١٩ ، الكني والألقاب ١ : ١٦٠ ، تنقيح المقال ١ : ٢٨٥ ، رجال الطوسي ٦ | ١١٣ ، و ٧ / ١٦٦ ، فهرست الطوسي : ١٧٥ | ٥٠ ، الخلاصة : ٢١٥ | ١٧ ، رجال ابن داود : ١٢١ | ٢٣٨ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٣٧٥ ، التاريخ ٢ : ٢٩٥ حليلة الأولياء ٧ : ٣٢٧ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٢٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ٣٦١ | ١٣٤ ، العبر ١ : ١٩١ و ٢٩٩ ، تذكرة الحفاظ : ٩٢ ، شدرات الذهب ١ : ٢٦١ ، ميزان الاعتدال ١ : ٤٩٦ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٧٠ ، تهذيب الكمال : ٢٦٧ .

٢٩. أبو نؤاس ، الحسن بن هانئ :

الشاعر المعروف .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ٤٣٩ ، الكني والألقاب ١ : ١١ ، تنقيح المقال ٣ : ٣٦ (فصل الكني) ، معلم العلماء : ١٥١ ، الشعر والشعراء : ٥٣٨ ، تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ ، طبقات الشعراء : ١٩٣ ، وفيات الأعيان ٢ : ٩٥ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٧٧ | ٢٧٩ ، دول الإسلام ١ : ١٢٤ ، الأغاني ٢٠ : ٦٠ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٢٧ ، شدرات الذهب ١ : ٣٤٥ ، معاهد التنصيص ١ : ٣٠ ، خزانة الأدب ١ : ١٦٨ ، فهرست ابن النديم : ٣٠٤ .

٣٠. ابن الحجاج ، الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي :

الكاتب ، المحتسب ، النيلي ، صاحب الجون ، المشهور بابن الحجاج .

ينسب إلى النيل ، وهي قرية صغيرة كانت على بعد خمسة أميال من مدينةحلة في العراق ، تقع على نهر حفره الحجاج وأسماه بالنيل .

كان يعد من أعاظم الشعراء ومبرزاتهم ، وكان شيعياً متصلباً في تشيعه .

انتقل للسكن إلى بغداد فنسب إليها أيضاً .

كان شعره يمتاز بعذوبة الألفاظ ، وسلامته من التكلف ، وانتظام عباراته في سلك الملاحة والبلاغة .

(٣٤٠)

شاع في شعره المزلم والمحون حتى عرف بهما ، إلا أنه وكما يقول السيد الرضي رحمة الله تعالى : كان على علاته يتفكه به الفضلاء والكبار والأدباء و تستملحه .

تولى حسبة بغداد مدة من الزمن ، وارتفع شأنه وعلت مكانته ، حيث تهيأت له الظروف للاتصال بأكابر رجال العصر المهملي ورجال الدولة البويمية وملوكها .

كان يعد من كبار شعراء الشيعة والمجاهرين في حبهم وولائهم ، وله في ذلك قصائد كثيرة معروفة .

توفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة (٣٩١ هـ) ، فحمل تابوتة إلى بغداد ودفن عند رجلي الإمامين الكاظمين عليهما السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٥ : ٤٢٧ ، الكتب والألقاب ١ : ٢٤٥ ، أمل الآمل ٢ : ٢٣٦/٨٨ ، معلم العلماء : ١٤٩ ، تنقية المقال ١ : ٣١٨ ، تاريخ بغداد ٨ : ١٤ ، الإمتناع والمؤانسة ١ : ١٣٧ ، يتيمة الدهر ٣ : ٣٠ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٨٨ ، شذرات الذهب ٣ : ١٣٦ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٦٨ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٨٥ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٥٩ | ٢٩ ، الواقي بالوفيات ١٢ : ٣٣١ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٤٤ ، البداية والنهاية ١١١ : ٣٢٩ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٤ ، الأغاني ٧ : ١٤٦ .

٣١. الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصغاني :

كان قد تحمل أعباء الدعوة إلى الدولة الفاطمية ، والتوطيد لحكمهم ، فالتف حوله الكثير من الناس في شمال إفريقيا ، وخصوصاً من البربر ، فحارب أمير المغرب بن الأغلب ، وهزمه أكثر من مرة ، حتى وطد الأمر لعبد الله المهدي الذي كان مسجونة في القิروان ، فتسلم منه الملك ، وأقام دولة الفاطميين .

إلا أن الأمور لم تثبت أن انقلب على الحسين بن أحمد ، حيث تغير عليه الم Heidi فقتله عام (٢٩٨هـ) .

أقول : لم أجده لابن زكريا المذكور ذكرًا فيما توفر لي من كتب أصحابنا .

انظر ترجمته في : الكامل في التاريخ ٨ : ٢١ (وما بعدها) ، البداية والنهاية ١١ :

(٣٤)

و ١١٦ و ١٨٠ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٥٨ | ٣٠ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٩٢ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٢٧ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٢٨ ، دائرة معارف القرن العشرين ٧ : ٣١٥ .

٣٢. الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي :

المعروف بالخليل أو الحالع .

شاعر مطبوع ، رقيق الشعر منسجمه ، يكاد يسيل شعره رقة وظفافاً ، يعده الناس قرينا وشبيها بأبي نواس .

ولد عام (١٦٢ هـ) بالبصرة ، وقيل : إن أصله من خراسان .

توفي عام (٢٥٠ هجرية) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ٤١ ، الكني والألقاب ٢ : ١٩٦ ، الأغاني ٧ : ١٤٦ ، طبقات الشعراء : ٢٦٨ ، معجم الأدباء ١٠ : ٥ ، تاريخ بغداد ٨ : ٥٤ ، التحوم الزاهرة ٢ : ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ١٢ | ١٩١ : ٦٨ ، وفيات الأعيان : ١٦٢ ، شذرات الذهب ٢ : ١٢٣ ،

٣٣. مؤيد الدين ، الحسين بن علي الأصبهاني :

صاحب لامية العجم المشهورة .

ولد عام (٤٥٣ هـ) في قرية (جي) من إصبهان .

كان علما بارزا في الكتابة والشعر ، وله باع طويل في علم الكيمياء ، وكان بالإضافة إلى ذلك حسن الخلق ، لطيف المعشر ، نقى السريرة ، صحيح المذهب .

كان وزيراً للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي في الموصل .

توفي في حدود عام (٥١٤ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ١٢٧ ، الكني والألقاب ٢ : ٤٩ ، أمل الآمل ٢ : ٢٦٠ | ٩٥ ، تنقية المقال ١ : ٣٣٦ ، معجم الأدباء ١٠ : ٥٦ ، وفيات الأعيان ٢٢ : ١٨٥ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٢١٣ ، سير أعلام النبلاء ١٩ | ٤٥٤ : ٢٦٢ ، العبر ٢ : ٤٠٣ ، النجوم الظاهرة ٥ : ٢٢٠ ، الوفي بالوفيات ١٤ : ٤٣١ ، اللباب ٣ : ٢٦٢ .

(٣٤٢)

٣٤. أبو القاسم ، الحسين بن علي بن الحسين المغربي :

الوزير الأديب البليغ . كان صاحب رأي ودهاء ، وشهرة وجلالة ، وكان فاضلاً أديباً ، عاقلاً شجاعاً .

قيل : أنه ولد عام (٣٧٠) ، استظهر القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وغيرها ، ونظم الشعر ، وكتب في التراث ، وبلغ من الخط حداً كبيراً .

له مصنفات كثيرة منها : خصائص القرآن ، وختصر إصلاح المنطق ، وكتاب أدب الخواص ، وغيرها .

كان قد قتل الحكماء أباه وعمه وأخوته ، فهرب متوارياً عنه ، فأجاره أمير العرب — آنذاك — حسن بن مفرج الطائي ، ثم قصد الوزير فخر الملك ، وتمكن من أن يلي الوزارة في سنة (٤١٤ هـ) .

توفي بعيافارقين سنة (٤١٨ هـ) فحمل تابوتة إلى النجف الأشرف ، حيث دفن إلى جنب أمير المؤمنين علي عليه السلام ، بوصية منه .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي ١٦٩ | ١٦٧ ، الخلاصة : ٢٩ | ٥٣ ، أمل الآمل ٢ : ٩٧ | ٢٦٤ ، الكني والألقاب ١ : ٢٣٧ ، تنقيح المقال ١ : ٣٣٨ ، أعيان الشيعة ٦ : ١١١ ، معجم الأدباء ١٠ : ٧٩ ، الكامل في التاريخ ٩ : ٣٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥٧ | ٣٩٤ ، لسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٧٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٣ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٢١٠ .

٣٥. الحجاج ، أبو عبد الله الحسين بن منصور الفارسي البيضاوي :

نشأ بستتر ، أو قيل بواسط .

اسمي بالحلاج لأنه — على ما قيل — بعث حلاجا في حاجة له فلما عاد الحللاح وجد جميع قطنه مملوحا ، أو قيل : أن أباه كان حلاجا فنسب إليه ، وقيل غير ذلك .

قدم بغداد فصاحب جماعة من كبار الصوفية أمثال الجنيد بن محمد وأبا الحسين النوري وعمرو بن عثمان المكي .

(٣٤٣)

نسبت إليه الكثير من الأقوال والأفعال ، واحتلَّ الناس فيه ، وتبرأ منه الكثير من المتصوفة ونسبوه إلى الشعبدة والى الزندقة وغير ذلك .

كان كثير الترحال والسفر فتأثر به الكثير من الناس ، وحاول الاتصال بجماعة من كبار أصحابنا فطروده ، بل وعده الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في جماعة المذمومين الذين ادعوا البابية والسفارة كذباً وافتراء .

حبس بأمر المقتدر بالله سنين طويلة ، ثم قُتل بعد ذلك في عام (٣٠٩ هـ) لسبعين بقين من شهر ذي القعدة .

راجع للاطلاع على تفاصيل حياته : الكني والألقاب ٢ : ١٦٤ ، كتاب الغيبة للطوسي : ٤٠١ — ٤٠٥ ، مجالس المؤمنين ٢ : ٣٦ ، بين التصوف والتتشيع : ٣٣٩ ، تاريخ بغداد ٨ : ١٢٢ ، الكامل في التاريخ ٨ : ١٢٦ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٤٠ ، البداية والنهاية ١١ : ١٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢٠٥ | ٣١٣ ، ميزان الاعتدال ١ : ٥٤٨ ، دول الإسلام ١ : ١٨٧ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٥٣ ، لسان الميزان ٢ : ٣١٤ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٢ .

٣٦. أبو محمد ، الحكم بن عتبة الكندي :

كان يعد من علماء أهل الكوفة وفقهائهم . ولد في حدود ست وأربعين هجرية ، وتوفي عام خمس عشر ومائة هجرية على أصح الأقوال .

احتلَّ أصحابنا في توثيقه واثبات تشيعه ، ففي حين يعده الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في أصحاب الأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام وأنه كان زيدياً ، فإن العلامة الحلي رحمه الله تعالى عده من فقهاء العامة ، وأنه كان بترياً مذموماً ، بل ونقل الكشي بعضاً من الروايات المضعة له ، وكذا هو الحال في رجال أبي داود والكتبي .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ٢٠٩ ، رجال الطوسي : ٦ / ٨٦ و ١١ / ١١٤ ، رجال ابن داود : ٢٤٣ / ١٦٣ ، الخلاصة : ٢١٨ ، تنقية المقال ١ : ٣٥٨ و ١٧١ / ١٠٢ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٣٣١ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٢ ، تهذيب الكمال : ٣١٦ ، تذكرة الحفاظ ١ : ١١٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٠٨ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٢٤٢ .

(٣٤)

٣٧. خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس :

يعد من المسلمين الأولين السابقين في الإسلام ، ومن المتمسكون بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

كان من هاجر إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وهو الذي تولى تزويع أم سلمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهم في الحبشة.

شهد غزوة الفتح والطائف وحنين ، وولاه رسول الله صلى الله عليه وآله صدقات اليمن ، فكان هناك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله فترك اليمن وقدم المدينة ، ولزم أمير المؤمنين علي عليه السلام ولم يبايع أبا بكر ، بل كان من الأثنى عشر صاحبَيَّاً الذين حاجوا أبا بكر على منبره يوم الجمعة في أول خلافته .

قيل : استشهد في أحنادين يوم السبت الثامن والعشرين من شهر جمادى الأول سنة (١٤١٣هـ) ، وقيل في مرج الصفر محرم عام (١٣) أو (١٤ هجرية) .

انظر ترجمته في : تأسيس الشيعة : ٣٥٣ ، الدرجات الرفيعة : ٣٩٢ ، أعيان الشيعة ٦ : ٢٨٨ ، طبقات ابن سعد ٤ : ١ ، التاريخ الكبير ٣ : ١٥٢ ، المعارف : ١٦٨ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٤٨ | ٢٥٩ ، تاريخ الإسلام ١ : ٣٧٨ ، اسد الغابة ٢ : ٩٧ ، شدرات الذهب ١ : ٣٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٧ .

٣٨. الخليل بن أحمد الفراهيدي :

الأزدي البصري ، النحوي الإمامي ، أشهر من أن يعرف أو يترجم له ، فقد طبع صيته الآفاق ، وتجاوز أبعد الحدود .

انظر ترجمته في : تأسيس الشيعة : ١٤٨ ، تقييح المقال ١ : ٤٠٢ ، الكنى والألقاب ١ : ٤١٠ ، رجال ابن داود : ٨٩ | ٥٧٤ ، الخلاصة : ٦٧ | ١٠ ، طبقات النحوين : ٤٧ ، معجم الأدباء ١١ : ٧٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٧٧ ، التاريخ الكبير ٣ : ١٩٩ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٤ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ٤٢٩ | ١٦١ ، العبر ١ : ٢٠٧ و ٣ : ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٣ : ١٤١ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٦١ ، البلغة

(٣٤٦)

في تاريخ أئمة اللغة : ٧٩ ، طبقات القراء ١ : ٢٧٥ ، شذرات الذهب ١ : ٢٧٥ ، بغية الوعاة ١ : ٥٥٧ ، إنباه الرواة ١ : ٣٤١ ، الجرح والتعديل ٣ : ٣٨٠ ، الكامل في التاريخ ٦ : ٥٠ .

٣٩. دبيس بن علي بن مزيد الأستدي:

أمير العرب بالعراق ، و كان على ما ترجم له كتب التاريخ و سير الرجال فارساً شجاعاً ، وجواداً مدوحاً ، ومن رجال الشيعة المعدودين .

عاش ثمانين سنة ، و عند موته رثه الشعراء وأكثروا في ذلك ، وقد اختلف في نسبة بناء الحلة إليه أو إلى حفيده سيف الدولة ، وإن كان الرأي الأخير مرجح عند الأكثرين.

أصل أسرته من بني أسد ، وقيل : من بني خفاجة ، وحيث يعودون بنسبيهم إلى الملك أبو الأعز دبيس بن سيف الدولة صدقة من منصور الأستدي .

راجع : سير أعلام النبلاء ١٨ : ٥٥٧ | ٢٨٦ ، المنتظم ٨ : ٣٣٣ ، الكامل في التاريخ ١٠ : ١٢١ ، وفيات الأعيان ٢ : ٤٩١ ، دول الإسلام ٢ : ٦ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٢٧٧ ، النجوم الظاهرة ٥ : ١١٤ ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : ٢٠٧ .

٤٠. دعبدل بن علي الخزاعي:

شاعر أهل البيت ، والماهر بحبهم وولائهم .

ولد سنة (١٤٨ هـ) ، وكان شعره يتميز بالقوة والجزالة والفصاحة ، وحسن النظم ، ورهافة الحسن .

كان رحمة الله ، جريئاً شجاعاً لا يتردد من الوقوف بوجه الظالمين والدفاع عن عقيدته في أحقيّة أهل البيت عليهم السلام ، رغم ما يتبعه الحكام المنحرفين من أساليب الإرهاب والقتل ، ولقد

لِمَ عَلَى ذَلِكَ ، وَحْذَرَ مِنْ عَاقِبَتِهِ فَقَالَ : أَنَا أَحْمَلُ خَشْبَيِّي مِنْذَ خَمْسِينَ سَنَةً وَلَسْتُ أَجِدُ أَحَدًا يَصْلِبُنِي عَلَيْهَا .

من أروع قصائده ما انشده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في خراسان :

(٣٤٦)

توفي عام (٢٤٤ هـ) ، وقيل عام (٢٤٦ هـ) ، ودفن في السوس .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ٤٠٠ ، معالم العلماء : ١٥١ ، رجال النجاشي : ٤٢٨ | ١٦١ ، الخلاصة : ٧٠ ، الوجيزة : ٢١ ، تنقية المقال ١ : ٤١٧ ، رجال الطوسي : ٦ | ٣٧٥ ، رجال ابن داود : ٩٨ | ٦٠١ ، الشعر والشعراء : ٥٧٦ ، الأغاني ٢ : ١٢٠ ، فهرست ابن النديم : ٢٢٩ ، طبقات الشعراء : ٢٦٤ ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٧ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ١٤١ | ٥١٩ ، العبر ١ : ٣٤٦ ، لسان الميزان ٢ : ٤٣٠ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣٤٨ ، معجم الأدباء ١١ : ٩٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٢ ، معاهد التنصيص ١ : ٢٠٢ .

٤١. أبو المطاع ، ذو القرنين بن حمدان بن ناصر الدولة :

يلقب بوجيه الدولة ، وهو حفيد ناصر الدولة صاحب الموصل أخي سيف الدولة صاحب حلب .

كان شاعراً أديباً فاضلاً ، قصائده حسنة السبك ، جميلة المنحدر .

ولي إمرة دمشق سنة اثنى عشرة وأربعينائة ثم عزل ، ثم وليها سنة خمس عشرة وأربعينائة إلى سنة تسع عشرة وأربعينائة .

وروي : أنه ورد مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحبها فقلده ولاية الإسكندرية في رجب سنة أربع عشرة وأربعينائة ، وأقام بها سنة ثم رجع إلى دمشق .

توفي عام (٤٢٨ هـ) وكان من أبناء الثمانين .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ٤٣٤ ، الكني والألقاب ٣ : ١٩٢ ، معجم

(٣٤٧)

الأدباء ١١ : ١١٩ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٥١٦ | ٣٤٠ ، دول الإسلام ١ : ٢٥٥ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٥١ ، النجوم الظاهرة ٥ : ٢٧ ، وفيات الأعيان ٢٢ | ٢٣٠ . ٢٧٩

سالم بن أبي الجعد الأشجعي الغطفاني :

كان يعد فقيهاً ثقة ، بل ومن نبلاء الموالي وعلمائهم . وكان كثير الحديث والرواية .

توفي في حدود سنة مائة هجرية .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٧ : ١٧٢ ، تنقية المقال ٢ : ٢ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٢٩١ ، التاريخ الكبير ٤ : ١٠٧ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٣٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٤٤ | ١٠٨ ، تاريخ الإسلام ٣ : ٣٦٩ ، شذرات الذهب ١ : ١١٨ ، البداية والنهاية ٩ : ١٨٩ .

السري بن أحمد بن السري الكندي ، الرفاء الموصلي:

كان شاعراً شهيراً مطبوعاً ، عذب الألفاظ ، بديع النظم ، كثير الافتتان بالتشبيهات والأوصاف في شعره .

عمل في أول صيام في الرفائن بالموصل حتى أخذ في نظم الشعر والتكسب به ، فذاع صيته وانتشر شعره ، فأخذ في مدح الملوك والرؤساء فانهالت عليه جوائزهم وعطياتهم ، ولاسيما ملوك بني حمدان ، ورؤسهم سيف الدولة .

له قصائد جميلة في مدح أهل البيت عليهم السلام ، منها :

أقارع أعداء النبي وآلِه * قراغاً يفل البيض عند قراغه

وأعلم كل العلم أن ولهم * سيجزى غداة البعث صاعاً بصاعه

توفي في منتصف القرن الرابع الهجري ببغداد ، ودفن فيها .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٧ : ١٩٤ ، معلم العلماء : ١٥٢ ، هدية الأحباب : ١٤٣ ،
يitimah al-dahr ٢ : ١١٧ ، تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤ ، معجم الأدباء ١١ : ١٨٢ ، الأنساب ٦ : ١٤١ ،
البداية والنهاية ١١ : ٢٧٠ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٦٧ ، سير

(ΤΣΛ)

أعلام النبلاء ١٦ | ٢١٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٧٣ .

سعید بن جبیر بن هشام الکوفی:

الحافظ المقرئ ، المفسر الشهيد ، و جهيد العلماء .

علم شهير ، وقمة شاهقة ، وشخصية لامعة فذة ، واسم على كل لسان ، فلقد طبق صيته الآفاق ، وتجاوز كل حد .

أصله من الكوفة ، ومن خلاصة شيعتها ، وكان من المتعلمين بأهل البيت عليهم السلام ، والماهرين بذلك ، والمنادين بوجوب اتباعهم ، فكان ذلك سبباً في استشهاده ، رضوان الله تعالى عليه.

قتله الحجاج بن يوسف لعنه الله تعالى في وقت — وكما يقول أحمد بن حنبل — : ما كان على الأرض أحد إلا وهو محتاج لعلمه .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٧ : ٢٣٤ ، الخلاصة : ٢ | ٧٩ ، رجال أبي داود : ٦٨٧ | ١٠٢ ، تنقية المقال ٢ : ٢٥ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٦ ، التاريخ الكبير ٣ : ٤٦١ ، المعارف : ٢٥٣ ، حلية الأولياء ٤ : ٢٧٢ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٧١ ، تهذيب الكمال : ٤٨٠ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١١٦ | ٣٢١ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٧١ ، العبر ١:٨٤ و ١٤٣ و ١٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١١ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٢٨ ، شدرات الذهب ١:١٢٣ ، تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٧٩ .

سعید بن المسيب بن حزن المخزومي:

أختلف فيه أصحابنا ، فهم بين مشيد به ، عاد له في أصحاب الأئمة عليهم السلام ، وبين ذام له ، طاعن حتى في مذهبة ، والله تعالى هو العالم بحقيقة الحال .

توفي سنة أربع وتسعين هجرية .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٧ : ٢٤٩ ، الخلاصة : ١ | ٧٩ ، رجال الطوسي : ١ | ٩٠ ،
رجال الكشي ١ : ٣٣٢ ، رجال أبي داود : ٦٩٥ | ١٠٣ ، تنقية المقال ٢ : ٣٠ ، طبقات ابن
سعد ٥ : ١١٩ ، المعارف : ٢٤٨ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٥١ ، سير أعلام النبلاء

(٣٤٩)

٤ : ٨٨/٢١٧ ، تاريخ الإسلام : ٤ : ٤ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٧٤ ، البداية والنهاية ٩ : ٩٩ ، طبقات الحفاظ : ١٧ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٢٨ ، شذرات الذهب ١ : ١٠٢ ، مرآة الجنان ١ : ٨٥.

أبو محمد ، سليمان بن مهران الأعمش:

أصله من نواحي ري ، وقيل : ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين هجرية ، وقدموا به الكوفة طفلاً ، وفي تاريخ بغداد : أن أباه جاء به حميلاً إلى الكوفة .

كان يعد من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام .

وثقه القوم في كتبهم وأثروا عليه .

توفي في ربيع الأول سنة (١٤٨ هـ) على الأقرب في المدينة المنورة ، وله (٨٨) عاماً .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ١٩٣ | ٥١٧ ، الكني والألقاب ٢ : ٣٩ ، تبيح المقال ٢ : ٦٣ ، رجال الطوسي : ٢٠٦ | ٧٢٩ ، رجال ابن داود : ١٠٦ ، طبقات ابن سعد ١ : ٣٤٢ ، حلية الأولياء ٥ : ٤٦ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣ ، الكامل في التاريخ ٥ : ٥٨٩ ، وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٠ ، تاريخ الإسلام ٦ : ٧٥ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٥٤ | ٢٢٦ ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١٩٥ ، تذهيب التهذيب ٢٠ : ١١٠ ، شذرات الذهب ١ : ٢٢٠ ، الجرح والتعديل ٤ : ١٤٦ ، مشاهير علماء الأمصار : ١١١ .

طاهر بن الحسين الخزاعي:

مقدم الجيوش ، المكنى بذى اليمنيين ، لأنه وكما قيل بان المؤمنون كتب إليه : يمينك يمين أمير المؤمنين ، وشمالك يمين . بل وقيل : لأنه ول العراق وخراسان ، وقيل غير ذلك .

في عام (٢٠٥ هـ) وله المؤمن على جميع بلاد خراسان والشرق ، وكان قد وله الجزيرة والشرط وجاني بغداد قبل ذلك .

تراجع عام (٢٠٧ هـ) عن بيعة المؤمن ، وقطع الدعاء له ، وطرح لباس السواد ،

(٣٥٠)

ولكنه لم يلبث أن توفي بعدها بقليل .

ولي المؤمن ابنه عبد الله على الرقة ومصر وجزيرة ، وأقر ولده طلحة مكان أبيه بعد موته.

لم أتشتبث من تشيعهم فيما توفر لدي من المصادر ، والله تعالى هو العالم .

راجع : تاريخ الطبرى ٥٧٧:٨ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٥٥ ، شدرات الذهب ٢ : ١٦ ،
الكامل في التاريخ ٦ : ٣٦٠ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٤٩ .

أبو الغارات ، طلائع بن رزيك :

الملقب بالملك الصالح ، ووزير مصر.

ولد في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة (٤٩٥ هـ) .

كان والياً بمنية بني الخصيب من أعمال الصعيد المصري (مديرية المنيا) فلما قتل الظافر أرسل
أهله وحرمه إليه — أي إلى طلائع — كتاباً ملطخة بالسواد ، فيها قد جمع شعر أهل الظافر المقصوص
، يسألونه فيها أن يأخذ الثأر من قاتلي الظافر ، عباس وولده نصر.

فاستحباب لهم الصالح ، وتوجه إلى القاهرة بجمع عظيم من أتباعه ، فهرب عباس وولده
وأتباعهم عند اقتراب الصالح وجمعه من أطراف القاهرة ، فدخلها وتولى الوزارة أيام الفائز ، وأيام
العااضد ، إلا أنه لم يلبث أن قتل في عام (٥٥٦ هـ) باختلاف بين المؤرخين حول قاتله ، فقد قيل:
أنه المعتضد نفسه ، وقيل : عممة المعتضد ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى هو العالم بحقيقة الحال .

كانت للصالح وقائع مشهودة مع الصليبيين ، كان النصر حليفه في الكثير منها .

وكان محباً للشعراء ، مقرباً لهم ، وله قصائد كثيرة متداشرة في طيات الكتب ، ومن أشعاره .

محمد خاتم الرسل الذي سبقت * به بشارة قس وابن ذي يزن

الكامل الوصف في حلم وفي كرم * والطاهر الأصل من ذم ومن درن
ظل الإله وفتح النجاة وينبو * ع الحياة وغيث العارض المهن

(٣٥١)

فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً * به والمرتضى الهادي أبي حسن

وله أيضاً :

و يوم خم وقد قال النبي له * بين الحضور و شالت عضده يده

من كنت مولى له هذا يكون * له مولى أتاني به أمر يؤكده

من كان يخذه فالله يخذه * أو كان يعضده فالله يعضده

وله في مدح أهل البيت عليهم السلام :

هم السفينة ما كنا لنطمع أن * ننجو من المول يوم الحشر لولا هي

الخاسعون إذا جن الظلام فما * تغشاهم سنة تنفي إبانها

ولا بدت ليلة إلا وقابلها * من التهجد منهم كل أواه

ومن آثاره الباقيه الجامع الذي هو على باب زويلة بظاهر القاهرة .

دفن بعد وفاته بالقاهرة ، ثم نقله ولده العادل من دار الوزارة التي دفن فيها في التاسع عشر من شهر صفر عام (٥٧٧ هـ) إلى تربته التي هي بالقرافة الكبرى .

ومن الاتفاقيات الغربية — على ما قرأت — أن الصالح ولـي الوزارة في اليوم التاسع عشر ،
وقتل في اليوم التاسع عشر ، ونقل تابوتـه في اليوم التاسع عشر ، وزالت دولة الفاطميـن في اليوم
الـتاسع عشر أيضاً !

انظر ترجمـته في : معـالم الـعلماء : ١٤٩ ، أعيـان الشـيعة ٧ : ٣٩٦ ، الـكتـنى والأـلقـاب ٣ :
١٧٢ ، الـكامـل فيـ التـارـيخ ١١ : ٢٧٤ ، وفيـات الأـعيـان ٢ : ٥٢٦ ، سـير أـعلام الـنبـلـاء ٢٠ :

٣٩٧ | ٢٧٢ ، العبر ٣ : ٢٤ و ٢٦ ، مرآة الزمان ٨ : ١٤٦ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٤٣ ، النجوم
الظاهرة ٥ : ٣٤٥ ، شذرات الذهب ٤ : ١٧٧ ، دائرة معارف القرن العشرين ٧ : ٣٢١ .

أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو بن سفيان :

في اسمه اختلاف وتضارب .

كان علماً بارزاً ، وقمة شاهقة من أعلام الأدب الإسلامي . ولد قبلبعثة النبي ﷺ بثلاث
سنوات تقربياً ، وأسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، وقيل أنه شهد بدراً .

هاجر إلى البصرة في عهد عمر بن الخطاب وسكن فيها ، وطال مكتوبه فيها حتى أنه عد من شعرائها ، بل وأسمى أحد طرقها الرئيسية باسمه .

كان من المتحققين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصحبته ، وصحبة ولده ، وشهد معه أكثر مشاهده .

روى السيد المرتضى رحمه الله تعالى : أن أبا الأسود دخل يوماً على معاوية بالخيالة فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة [أي في صفين بعد وقف الحرب بين علي عليه السلام ومعاوية بن هند] .

فقال : نعم .

قال معاوية : فماذا كنت صانعا ؟

قال : كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا عشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء ؟ .

كان فقيهاً عالماً تولى القضاء في البصرة ، واستخلفه عبد الله بن عباس عليها عند شخوصه إلى الحجاز .

توفي في الطاعون الذي أصاب البصرة عام (٦٩ هـ) وهو ابن خمس وثمانين سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ٢٨٨ ، الكني والألقاب ١ : ٧ ، رجال ابن داود : ٧٩٤ | ١١٢ ، رجال الشيخ : ٤٦ ، تنقية المقال ٣ : ٣ (باب الكني) ، تأسيس الشيعة : ٣١٨ ، طبقات ابن سعد ٧ : ٩٩ ، التاريخ الكبير ٦ : ٣٣٤ ، فهرست ابن النديم ، ٣٩ ، معجم الأدباء ١٢ : ٣٤ ، أسد الغابة ٣ : ٦٩ ، أخبار النحويين البصريين : ١٣ ، معجم الشعراء : ٦٧ ، طبقات النحويين : ٢١ ، نزهة الأدباء ١ : ٨ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٨ | ٨١ ، تاريخ الإسلام ٣ : ٩ ،

العبر ١ : ٥٧ ، تهذيب الكمال : ٦٣٢ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٨٤ ، تهذيب التهذيب ٢٢ : ١٢ ،
خرزانة الأدب ١ : ١٣٦ ، الأغاني ٧ : ١٢ و ٢٤٨ و ٢٩٦ و ٣٦٤ : ٢٠ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٢ .

أبو مالك ، الضحاك الحضرمي :

كان متكلماً بارعاً من أهل الكوفة ، ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ،

(٣٥٣)

وله كتاب في التوحيد.

انظر ترجمته في : رجال الطوسي : ٤ | ٢٢١ ، رجال النجاشي : ٥٤٦ | ٢٠٥ ، الخلاصة : ٩٠ ، تنقية المقال ٢ : ١٠٤ .

عامر بن وائلة الليثي الكناني الحجازي :

كان من مقدمي الصحابة وأجلائهم ، يقال أنه أدرك ثمان سنين من حياة رسول الله صلى الله عليه واله ، وتشرف بصحبته .

كان صادقاً ، عالماً ، شاعراً ، فارساً . صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من شيعته ومحبيه وملازمييه ، وشهد معه مشاهده جميعها ، حتى استشهاده عليه السلام ، فلازم أبناءه المعصومين عليهم السلام وروى عنهم .

قيل : أنه قدم يوماً على معاوية بن هند آكلة الأكباد فقال له : كيف وحدك على خليلك أبي الحسن ؟

فقال : كوحد أم موسى ، وأشكوا إلى الله التقصير.

فقال له معاوية : كنت فيمن حصر عثمان ؟

فقال : لا ، ولكنني فيمن حضره .

قال : فما منعك من نصره ؟

قال : وأنت ما منعك إذ تربصت له ريب المئون وكنت في أهل الشام كلهم تابع لك فيما تريد ؟

قال معاوية : أو ما ترى طلبي بدمه نصرة له ؟

فقال عامر : بلى ، ولكنك كما قال أخو بني فلان:
لألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي
خرج مع المختار طلباً بدم الإمام الحسين عليه السلام ، وكان معه حتى قتل المختار ، وامتد به
العمر بعد ذلك حتى توفي سنة مائة هجرية .

انظر ترجمته في : رجال الطوسي : ٢٥ | ٥٠ ، و ٤٧ | ٣ و ٦٩ | ٩٨ و ٢٤ | ٩٨ ، رجال ابن
داود : ١١٣ | ٨٠٦ ، أعيان الشيعة ٢ : ٣٧٠ ، تأسيس الشيعة : ١٨٦ ، تنقیح المقال

٢ : ١١٧ ، الكنى والألقاب ١ : ١٠٧ ، رجال البرقي : ٤ ، التاريخ الكبير ٦ : ٤٤٦ ،
 المعارف : ١٩٢ ، جمهرة أنساب العرب : ١٨٣ ، تاريخ بغداد ١ : ١٩٨ ، أسد الغابة ٣ : ١٤٥ ،
 تهذيب التهذيب ٥ : ٧١ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٧٨ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٦٨ | ٩٧ و ٤ :
 ٤٦٧ | ١٧٧ ، العبر ١ : ٨٩ ، البداية والنهاية ٩ : ١٩٠ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٤٣ ، شذرات
 الذهب ١ : ١١٨ ، خزانة الأدب ٤ : ٤١ .

الناشئ الكبير ، عبد الله بن محمد الأنباري البغدادي :

المعروف بابن شرسير ، وشرشير اسم طائر يصل إلى الديار المصرية من البحر زمن الشتاء ،
 أكبر من الحمام بقليل .

كان يعد من كبار المتكلمين ، وأعيان الشعراء ، ورؤوس المنطق .

سكن مصر وبها مات عام (٢٩٣ هـ) .

ترجم له القمي في كتابه ، وأورده السيد الأمين في أعيانه إلا أن له تعليقاً حول تشيعه يراجع
 للاستزادة .

انظر ترجمته في : الكنى والألقاب ٣ : ١٩٢ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٢٠٠ ، تاريخ بغداد ١٠ :
 ٩٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٩١ ، سير أعلام النبلاء ١٤ | ٤٠ ، العبر ١ : ٤٢٤ ، شذرات
 الذهب ٢ : ١٢٤ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٥٨ ، البداية والنهاية ١١ : ١٠١ .

أبو هاشم ، عبد الله بن محمد بن الحنفية :

حفيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . كان ثقة جليلًا ومن علماء التابعين ، توفي في
 حدود عام (٩٨ هـ) ، وعنه انتقلت البيعة إلىبني العباس .

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ١ : ١٦٩ ، تنقية المقال ٢ : ٢١٢ ، طبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٧ ، التاريخ الكبير ٥ : ١٨٧ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٢٩ | ٣٧ ، العبر ١ : ٨٧ ، وفيات الأعيان ٤ : ١٨٧ .

ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي :

شاعر شيعي مشهور ولد عام (١٦١ هـ) بسلمية ، فاق بشعره شعراً عصره ، وطار صيته في الآفاق حتى صار الناس يبذلون الأموال للحصول على القطعة من

(٣٥٥)

شعره .

لم يتكتب بشعره حيث لم يمدد خليفة ولا غيره ، بل ولم يرحل إلى العراق رغم رواج سوق الشعر فيه في زمانه ، فبقي شعره ضمن الحدود التي عاش فيها .

له مرات كثيرة ورائعة في الإمام الحسين عليه السلام .

توفي عام (٢٣٥) أو (٢٣٦ هـ) وله أربع أو خمس وسبعون سنة .

انظر ترجمته في : معالم العلماء : ١٥٠ ، أعيان الشيعة : ٨ : ١٢ ، الكني والألقاب ٢ : ٢١٢ ، الأغاني ١٤ : ٥٠ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ٦٧ | ١٦٣ ، وفيات الأعيان ٣ : ١٨٤ .

عبد العزيز بن يحيى الجلودي :

أبو أحمد البصري ، من أكابر الشيعة الامامية ، والرواة للآثار والسير ، وشيخ البصرة وأخباريها .

يعد المؤرخون له قريباً من المائتين مصنفاً ، إلا أنه لم يبق لنا في هذه الأيام منها شيء .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٦٤٠ | ٢٤٠ ، فهرست الطوسي : ١١٩ | ٥٣٤ ، الخلاصة : ١١٦ ، تنقية المقال ٢ : ١٥٦ ، تأسيس الشيعة : ٢٤٢ و ٣٢٩ ، معالم العلماء : ٨٠ | ٥٤٧ ، رجال ابن داود : ٩٦٢ | ١٢٩ .

عبد القادر بن أبي صالح الكيلاني الحنفي :

ولد بجيلان من بلاد طبرستان في سنة إحدى وسبعين وأربعين هجرية وتفقه على أبي سعد المخرمي .

كان إماماً للحنابلة وشيخ كبير من شيوخهم ، وهو مؤسس الطريقة القادرية ، ويعد من كبار المتصوفين ، وأصحاب الطرق .

ينسب إليه أصحابه في كتبهم الكثير من الكرامات ، ولكنها وكما يقول الذهبي عند الحديث عنها بأنها حافلة بأشياء مستحيلة وغير صحيحة .

نعم ، وقد أفرد الشيخ الأمين جملة صفحات في موسوعته الشهيرة الغدير :

(٣٥٦)

(١١ : ١٧٠) ، لمناقشة هذه الروايات الموضوعة . فراجع .

له أقول وأفعال يردها بقوة وحزم العلماء والباحثون وتوخذ عليه .

توفي عام (٥٦١ هـ) ودفن في بغداد ، وقبره مشهور ومعروف .

راجع : مجالس المؤمنين ٢ : ١٣٢ ، ٤١٥ : ٣ ، الكامل في التاريخ ١١ : ٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٤٣٩ / ٢٨٦ ، دول الإسلام ٢ : ٧٥ ، شدرات الذهب ٤ : ١٩٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٥٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٣٧٣ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٧١ .

الراхи ، علي بن إسحاق البغدادي :

كان شاعراً مجيداً ، حسن الشعر في التشبيهات وغيرها ، وكان وصافاً محسناً .

ولد في صفر من عام (٣١٨ هـ) وكان أكثر شعره في مدح أهل البيت عليهم السلام ، ومن ذلك :

يا آل أحمد ما كان جرمكم * فكل أرواحكم بالسيف تنترع

منكم طريد ومقتول على ظمأ * ومنكم دنف بالسم منصرع

توفي في حدود سنة (٣٥٢ هـ) ببغداد .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ١٦٣ ، الكني والألقاب ٢ : ٢٥٧ ، معالم العلماء : ١٤٨ ، يتيمة الدهر ١ : ٢٣٣ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٠ ، الأنساب ٦ : ٢٣١ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ١١١ / ٧٧ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٦٣ ، اللباب ٢ : ٥٥ ، المنظم ٧ : ٥٩ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٧١ .

أبو الحسن البغدادي ، علي بن الجعدي بن عبيد الجوهرى :

مسند بغداد ، ومولى بنى هاشم .

ولد سنة ثلث أو أربع أو ست وثلاثين ومائة هجرية .

كان عالماً حافظاً ، كتب عن ابن حنبل وابن معين ، وروى عنه البخاري وغيره .

توفي سنة (٢٣٠ هـ) وقد استكمل ستاً وتسعين سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ١٧٧ ، الكني والألقاب ٢ : ١٤٥ ، طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٨ ، التاريخ الكبير ٦ : ٢٦٥ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٦٠ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٥٦ ،
تهذيب الكمال ٥ : ٩٥٩ ، ميزان الاعتدال ٣ : ١١٦ ، سير أعلام

النبلاء ١٠ : ٤٦٠ | ١٥٢ ، طبقات الحفاظ : ١٧٥ ، شذرات الذهب ٢ : ٦٨ .

أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين المرواني الأموي :

كان خبيراً متضلعاً بالأخبار والآثار ، والنحو والأحاديث ، والمغازي ، وغير ذلك .

له مصنفات كثيرة مشهورة ، منها كتاب الأغاني ، وكتاب مقاتل الطالبيين .

وصفه الذهبي بأنه كان بحراً في الأدب ، بصيراً بالأنساب وأيام العرب ، وقال : والعجب أنه أموي شيعي ! ! .

ووصفه الحر العاملی رحمه الله تعالى في أمل الآمل بأنه أصبهاني الأصل ، بغدادي المنشأ ، شيعي المذهب .

توفي في ذي الحجة سنة ست (أو ثلاث) وخمسين وثلاثمائة ، وله اثنان وسبعون سنة .

انظر ترجمته في : فهرست الطوسي : ١٩٢ ، أمل الآمل ٢ : ١٨١ ، أعيان الشيعة ٨ : ١٩٨ ، الكني والألقاب ١ : ١٣٢ ، تنقية المقال ٣ : ٣٠ (باب الكني) ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٨ ، يتيمة الدهر ٣ : ١٠٩ ، معجم الأدباء ١٣ : ٩٤ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٥١ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٠٧ ، العبر ٢ : ٩٨ ، دول الإسلام ١ : ٢٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٠١ | ١٤٠ ، ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٣ ، لسان الميزان ٤ : ٢٢١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٦٣ ، شذرات الذهب ٣ : ١٩ ، ذكر أخبار أصبهان ٢ : ٢٢ ، فهرست ابن النعيم : ٢٢٦ ، التحوم الراحلة ٤ : ١٥ .

أبو الحسن ، علي بن الحسين المسعودي الهذلي :

المؤلف الشهير ، نشأ في بغداد وطاف في الكثير من البلدان ، وخلف العديد من المصنفات أشهرها كتاب إثبات الوصية وكتاب مروج الذهب .

كان مهتماً بدراسة أحوال الشعوب وعاداتهم وطبعائهم وتقاليدهم ، كما كان مؤرخاً متقدماً ، ومتكلماً أصولياً ، له إمام بالفلسفة وعلم النجوم وغيرها.

توفي في منتصف القرن الرابع الهجري .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٢٢٠ ، الكنى والألقاب ٣ : ١٥٣ ، تأسيس الشيعة : ٢٥٣ ، رجال النجاشي : ٦٦٥ | ٢٥٤ ، الخلاصة : ٤٠ | ١٠٠ ، رجال ابن داود :

(٣٥٨)

١٥ : سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٧١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣١٥ ، النجوم الراحلة ١٧٣ | ٥٦٩ . ٩٤ : فوات الوفيات ٢ : ٢٢٤ ، لسان الميزان ٤ : ٧١ ، العبر ٢ :

السيد المرتضى ، علي بن الحسين بن موسى :

أجل وأكير من أن يعرف ، فهو كالشمس في رابعة النهار.

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٢١٣ ، رجال ابن داود : ١٣٦ | ١٠٣٦ ، رجال النجاشي : ٢٧٠ | ٧٠٨ ، تأسيس الشيعة : ٢١٤ و ٣٠٣ ، فهرست الطوسي : ٤٣١ | ٩٨ ، الدرجات الرفيعة : ٤٥٨ ، الكنى والألقاب ٢ : ٤٣٩ ، معالم العلماء : ٦٩ ، الخلاصة : ٩٤ | ٢٢ ، تنقیح المقال ٢ : ٢٨٤ ، أمل الآمل ٢ : ٥٤٩ | ١٨٢ ، منهج المقال : ٣٣١ ، منتهى المقال : ٥٣ | ٢١٨ ، تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٢ ، معجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٢ ، جمهرة الأنساب : ٦٣ ، أنباه الرواة ٢ : ٢٤٩ ، المتنظم ٨ : ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٥٨٨ | ٣٩٤ ، ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٤ ، دول الإسلام ١ : ٢٥٨ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣١٣ ، بغية الوعاة ٢ : ١٦٢ ، لسان الميزان ٤ : ٢٢٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٥ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٥٦ ، النجوم الراحلة ٥ : ٣٩ .

أبو الحسن علي الحمّاني :

كان شاعراً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، له قصائد مشهورة تفيض جزالة وبلغة ، ورفعة وجمالاً.

وتسمى به بالحمّاني نسبة إلى حمّان (بكسر الحاء وتشدید الميم) وهي قبيلة بالكونفدرالية.

نوه الإمام الهادي عليه السلام بعکانته العالية في الشعر.

توفي عام (٢٦٠ هـ) كما روي .

انظر ترجمته في : تأسيس الشيعة : ٢١٦ ، معالم العلماء : ١٥٠ ، أعيان الشيعة ٨ : ٣١٦ .

صدر الدين علي خان المدني الشيرازي :

يعود نسبه إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام .

ولد عام (١٠٥٢ هـ) في المدينة المنورة وأخذ العلم فيها فترة من الزمن حتى

(٣٥٩)

هاجر إلى حيدر آباد في الهند سنة (١٠٦٨ هـ) حيث شرع هناك في تأليف كتابه الموسوم بـ : سلافة العصر سنة (١٠٨١ هجرية).

بقي في الهند ثمان وأربعين سنة على ما قيل .

انتقل إلى برهان بور عند السلطان (اورنك زيب) حيث نسبه رئيساً على ألف وثلاثمائة فارس وأعطاه لقب خان ، فعرف به .

رحل إلى إيران وبقي متنقلًا في مدتها حتى استقر في مدينة شيراز متولياً التدريس في مدارسها .

له جملة من المؤلفات القيمة أمثل : رياض السالكين ، نغمة الأغان ، سلوة الغريب وأسوة الأديب ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، موضع الرشاد في شرح الإرشاد .

توفي في شيراز عام (١١٢٠ هـ) ودفن فيها .

أنظر : مقدمة كتاب الدرجات الرفيعة بقلم السيد بحر العلوم .

نور الدين ، علي بن صلاح الدين الأيوبي :

كان متأدباً حليماً ، حسن السيرة متديناً ، أخرجه عمه وأخوه من ملكه بعد موت أبيه صلاح الدين من دمشق إلى صرخد ، واستوليا على الحكم .

كان شيعياً مجاهراً بذلك ، معروفاً به ، مذيناً به في قصائده وأشعاره ، ومن ذلك قوله :

أما آن للسعد الذي أنا طالب * لإدراكه يوماً يرى وهو طالي

ترى هل يربيني الدهر أيدي شيعتي * تمكن يوماً من نواصي النواص

راجع : أعيان الشيعة ٨ : ٣٧١ ، الكني والألقاب ٣ : ١٩٥ ، النجوم الزاهرة : ٢١٧ .

ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس :
يُعدُّ من أشعر أهل زمانه ، وأجملهم وصفاً ، وأبلغهم هجاءً ، وأوسعهم إحاطة وتحكماً.

(٣٦٠)

ولد عام (٢٢١ هـ) في العتيقة من الجانب الغربي من مدينة السلام .

تعلم العربية فأتقنها وبرع فيها وحذق في علومها ، وله قصائد كثيرة وشهيرة ، ومن ذلك قوله في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام :

تراب أبي تراب كحل عيني * إذا رممت جلوت بها قذها

تلذ لي الملامة في هواء * لذكره وأستحلني أذاها

توفي عام (٢٨٣ هـ) ودفن في مقابر باب البستان في الجانب الشرقي من مدينة السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٢٥٠ ، الكنى والألقاب ١ : ٢٨٠ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ ، المنتظم ٥ : ١٦٥ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٩٥ | ٢٢٤ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٥٨ ، البداية والنهاية ١١ : ٧٤ ، شذرات الذهب ٢ : ١٨٨ .

الناشئ الصغير ، علي بن عبد الله بن وصيف البغدادي :

كان متكلماً بارعاً من كبار متكلمي الشيعة ، وشاعراً مفوهاً ومبرزاً من شعرائها .

ولد عام (٢٧١ هـ) وأخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل التوبختي .

أُسْمِي بالناشئ لأنَّه نَشَأَ في فنِّ من الشِّعْرِ .

له قصائد كثيرة جداً في أهل البيت عليهم السلام ، حتى أنه يُسمى بشاعر أهل البيت .

من ذلك قوله :

بآل محمد عرف الصواب * وفي أبياتهم نزل الكتاب

هم الكلمات والأسماء لاحت * لأدم حين عز له المتاب

وهم حجح الإله على البرايا * بهم وبجدهم لا يستر اب
توفي يوم الأربعاء لخمس خلون من صفر عام (٣٦٥) أو (٣٦٦ هجرية—) ، ودفن في
مقابر قريش ببغداد .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٢٨٢ ، الكني والألقاب ٣ : ١٩١ ، معالم العلماء :
٣١٣ ، أمل الآمل ٢ : ٦٢٩ ، رجال النجاشي : ٢٧١ | ٧٠٩ ، فهرست

(٣٦١)

الطوسي : ٨٩ | ٣٨٣ ، معجم الأدباء ١٣ : ٢٨٠ ، يتيمة الدهر ١ : ٢٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٣٨ . لسان الميزان ٤ : ١٥٥ | ٢٢٢ :

ذو الكفایتين ، علی بن محمد بن العمید القمی :

وزیر رکن الدوّلة الدیلمی بعد أبيه المتقدم ذکرہ .

وذو الكفایتين لقب خلقه عليه الطائع لله جمعه بين السيف والقلم .

كان جليل القدر ، عظيم المترفة ، حتى لقد قيل أن الصاحب بن عباد — مع جلالته قدره —
كان إذا مدحه قام بين يديه إكراماً وتعظيماً .

وكان ذكياً ، غزير الأدب ، واسع المعرفة ، أبقاءه مؤيد الدولة بعد أبيه ، إلا أنه لم يلبث أن
تغير عليه ، لخوفه من كثرة ميل القادة وأمراء الجيش إليه وغير ذلك كل من الأسباب ، كما ذكر
ذلك ياقوت في معجمه ، فاعتقل ونُهبت أمواله ، وعذب عذاباً شديداً ، حيث سُملت عينه ، وجزت
لحيته ، وجدع أنفه ، ثم قتلواه ، وذلك في عام (٦٦ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ٣٩٢ ، الکنی والألقاب ١ : ١٢٩ ، معجم الأدباء ١٤ : ١٩١ ،
يتيمة الدهر ٣ : ٢٥ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٨٥ .

أبو الحسن ، علی بن محمد بن موسى:

كان على ما روی عنه محسناً ، عادلاً ، سمحاً ، مفضلاً ، محششاً .

تولى أمر الدوّاوین في عهد المكتفي ، فلما ولي المقترن أبقاءه على ولايته ، حتى أن قتل وزير
المتوكل العباس بن الحسن فاستوزر ابن الفرات محله .

قتل في الثالث عشر من شهر ربيع الآخر سنة (٣١٢ هـ) بعد عزله عن الوزارة بأمر المقتدر.

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٥ : ٢١٤ ، الكنى والألقاب ١ : ٣٦٤ ، الكامل في التاريخ ٨ : ٩ ، المنتظم ٦ : ١٩٠ ، سير أعلام النبلاء ١٤ | ٤٧٤ : ٢٦٢ ، العبر ١ : ٢٦٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢١٣ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢١ ، العقد الفريد ٥ : ٣٨٤ .

ابن بسام ، علي بن محمد بن نصر البغدادي :

كان من أعيان الشعراء ، ومحاسن الظرفاء ، ومتقدمي الأدباء .

(٣٦٢)

قال عنه المرزباني : له قصائد رثى فيها أهل البيت [عليهم السلام] وأبان عن مذهبه في التشيع .

وقال ابن خلكان : لما هدم الم توكل [قبره الله] قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في سنة (٢٣٦ هـ) قال فيه البشامي :

تالله إن كانت أمية قد أتت * تل ابن بنت نبئها مظلوماً

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها * هذا لعمراك قبره مهدوماً

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * في قتله فتتبعوه رميمـا

توفي عام (٣٠٢ هـ) عن نيف وسبعين سنة .

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ١ : ٢٥١ ، معجم الشعراء : ١٥٤ ، مروج الذهب ٢ : ٥٠٤ ، معجم الأدباء ١٤ : ١٣٩ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٦٣ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٨ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٦٣ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٥٦ | ١١٢ ، البداية والنهاية ١١ : ١٢٥ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٣٨ .

الوداعي ، علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي :

كان أدبياً شاعراً حاملاً للواء البديع في التورية وغيرها .

ولد عام (٦٤٠ هـ) في حلب ، واشتغل في كثير من العلوم المختلفة ، وقرأ الحديث وسمعه ، وكان له شعر في غاية الجودة ، تظهر فيه بوضوح المعانى المستكثرة الحسان التي لم يسبق إلى مثلها أحد .

قيل : إنه كان شيعياً متشددًا ، مجاهرًا بولائه ومعلنًا له .

توفي عام (٧١٦ هـ) في دمشق .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٣٤٦ ، الكني والألقاب ٢ : ٤٣٦ ، الوافي بالوفيات ١٢ . ٢٠٣ :

أبو محمد ، عمارة بن علي بن زيدان اليماني :

ولد عام خمس عشرة وخمسين هجرية ، وتفقه بزيف ، واشتغل بالفقه في بعض مدارسها
أربع سنين ، وكان أدبياً شاعراً .

استوطن بعد ذلك مصر حتى قتله صلاح الدين الأيوبي في ثمانية من شهر

(٣٦٣)

رمضان سنة تسع ، وستين وخمسمائة.

لم أحد له ذكرًا في ما استقصيته من كتب أصحابنا ، إلا في كتب القمي.

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ٣ : ٢٠٠ ، مرآة الزمان ٨ : ١٨٩ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٣١ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٥٩٢ | ٣٧٣ ، العبر ٣ : ٥٨ ، دول الإسلام ٢ : ٨٤ ، كشف الظنون ٢ : ١٧٧٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٧٦ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٧٠ ، شذرات الذهب ٤ : ٢٣٤ ، المختصر ٣ : ٥٤ ، الكامل في التاريخ ١١ : ٣٩٦ .

المرزباني ، عمر بن عمران بن موسى بن سعيد :

الكاتب المشهور ، ولد سنة ست أو سبع وتسعين ومائتين هجرية .

أصله من خراسان ، إلا أنه ولد ونشأ وتوفي في بغداد .

كان راوية من كبار الرواة ، وله معرفة واسعة به .

له تصانيف كثيرة ، منها : أخبار الشعراء المشهورين ، الأوائل ، الزهد وأخبار الزهاد ، معجم الشعراء .

توفي في اليوم الثاني من شهر شوال عام (٣٨٤ هـ) ودفن بداره في شارع عمر الرومي ببغداد .

انظر ترجمته في : معلم العلماء : ١١٨ | ٧٦٨ ، أمل الأمل ٢ : ٨٧٥ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٣٣ ، تأسيس الشيعة : ١٦٨ و ٢٤٩ ، الكني والألقاب ٣ : ١٤٦ ، مرآة الجنان ٢ : ٤١٨ ، فهرست ابن النديم : ٢٥٦ ، تاريخ بغداد ٣ : ١٣٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٦٤٢ ، المنتظم ١٧٧ : ٧ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٨ ، إنباه الرواة ٣ : ١٨٠ ، وفيات الأعيان : ٦٧٢ ، سير أعلام النبلاء ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٨ ، إنباه الرواة ٣ : ١٨٠ ، وفيات الأعيان : ٦٧٢ ، اللباب ٣ : ١٩٥ ، البداية والنهاية ١٦ : ٤٤٧ | ٣٣١ ، العبر ٢ : ١٦٥ ، ميزان الاعتدال : ٦٧٢ ، اللباب ٣ : ١٩٥ ، البداية والنهاية

١١ : ٣١٤ ، الواي بالوفيات ٤ : ٢٣٥ ، شدرات الذهب ٣ : ١١١ ، لسان الميزان ٥ : ٣٢٦ ،
النجوم الزاهرة ٤ : ١٦٨ ، الأنساب : ٥٧٥ هـ ، كشف الظنون ٢ : ١١٠٦ و ١١٧٩ .

عمران بن شاهين :

من أهل الجامدة ، قيل : أنه اختلف مع السلطان وهرب منه إلى البطيحة وأقام بين القصب
والآجام ، واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتاً ، حتى كثرت جماعته وقوي شأنه .

(٣٦٤)

قلده أبو القاسم البريدي حماية الجامدة ونواحي البطائح ، وامتد سلطانه حتى غلب على النواحي المحيطة به .

امتدت دولته أربعين سنة ، حيث توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وقام من بعده ابنه الحسن.

لم أثبتت من تشييعه في ما أمكنني البحث فيه من المصادر المتوفرة لدى ، والله تعالى هو العالم .

انظر ترجمته في : الكامل في التاريخ ٨ : ٤٨١ (وما بعدها) ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٦٧ ، تجرب الأمم ٦ : ١١٩ ، المختصر في أخبار البشر ٢ : ١٢١ ، تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٢٣ و ٤ : ٤٣٧ .

عيسي بن روضة التابعي :

كان متكلماً بارعاً ، استمع له أبو جعفر المنصور فأعجب به ، وكان مدوحاً عند أصحابنا .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٣٨٣ ، رجال ابن داود : ١٤٩ | ١٦٩ ، رجال النجاشي : ٢٩٤ | ٧٩٦ ، تنقیح المقال ٢ : ٣٦٠ .

أبو الفتح ، الفضل بن جعفر بن محمد:

من وجوه بني فرات .

كان كاتباً بارعاً ، تولى الوزارة في حكم المقتدر العباسي ، وبعد مقتل الأخير ولاه القاهرة الدواوين ، ثم أولاه الراضي الشام ، وفي عام (٣٢٥ هـ) قلده الوزارة .

توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة هجرية ، وله سبع وأربعون سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٣٩٨ ، الكامل في التاريخ ٨ : ٣٢٧ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٤٧٩ | ٢٨٣ ، دول الإسلام ١ : ٢٠١ ، شذرات الذهب ، الكامل في التاريخ ٨ : ٣٢٧ .

الفضل بن سهل السرخسي :

كان أول أمره مجوسيًا فأسلم — على ما روي — على يدي يحيى البرمكي ولازمه ، إلا أن ابن خلkan ذكر أنه أسلم على يدي المؤمن سنة تسعين ومائة هجرية .

(٣٦٥)

لقب بذى الرئاستين لأنه تقلد الوزارة — في زمن المؤمن — ورئاسة الجندي . وكان منجماً مشهوراً .

بعض أصحابنا قول فيه لما يروى عن موافقه من الإمام الرضا عليه السلام ، أبان ولاليته للعهد ، إلا أن البعض الآخر ينفي ذلك ، والله تعالى هو العالم .

قيل : أن أمره ثقل على المؤمن فدس إليه حاله غالباً الأسود في جماعة فقتلوه في الحمام بسر خس .

انظر ترجمته في : الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ٢٦٥ ، الكافي ١ : ٤٠٨ | ٧ ، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢ : ١٥٠ ، و ١٥٩ ، أعيان الشيعة ٥ : ١٠٨ ، الكنى والألقاب ٢ : ٢٢٧ ، تاريخ الطبرى ٨ : ٤٢٤ و ٥٦٥ ، معجم الشعراء : ١٨٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٩ ، مروج الذهب ٤ : ٥ ، الكامل في التاريخ ٦ : ٣٤٦ ، شذرات الذهب ٢ : ٤ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٤٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤١ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٧٢ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢ | ٩٩ ، العبر ١ : ٢٥٩ و ٢٦٤ .

الفضل بن العباس بن عتبة:

كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين ، وكان شديد الأدمة ، ولذلك قال : وأنا الأخضر من يعرفي .

كان معاصرًا للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وله أشعار متداشة في بطون الكتب .

راجع : كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٦ : ١٧٥ ، ومعالم العلماء : ١٥٠ ، وتأسيس الشيعة : ١٨٨ .

أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى بن إدریس :

كان سيد أهله ، ورئيس عشيرته ، وكان شريفاً مدوحاً ، وشجاعاً قوياً ،
تضرب بقوته وشجاعته الأمثال .

قلده الرشيد أعمال الجبال رغم حداثة سنها ، فبقي فيها حتى وفاته ، وكان قد ولد ذلك
إمرة دمشق للمعتصم .

كان محباً لأهل البيت عليهم السلام ، مواليًّا لهم ، باراً بشيعتهم ، على الضد

(٣٦٦)

ما يروى عن ابنه المبغض لعلي عليه السلام .

توفي عام (٢٢٥ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٤٤٣ ، الكني والألقاب ١ : ٦٨ ، الأنساب ٨ : ٤٠١ ، الكامل في التاريخ ٦ : ٤١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ ، أخبار اصبهان ٢ : ١٦٠ ، فهرست ابن النديم : ١٣٠ ، مروج الذهب ٤ : ٥ ، وفيات الأعيان ٤ : ٧٣ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩٤ ، شدرات الذهب ٢ : ٥٧ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٦٣ | ١٩٤ ، دول الإسلام ١ : ١٣٦ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٣ ، الأغاني ٤ : ٨٢ و ٨ : ٩٢ .

معتمد الدولة ، أبو المنيع قراوش بن المقلد بن المسيب :

تولى الحكم بعد موت أبيه سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، فطالت أيامه ، واتسع ملوكه .

كان على ما يذكر أدبياً شاعراً ، جواداً مدوحاً .

بقي في الحكم خمسين سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٨ : ٤٤٩ ، المنتظم ٨ : ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٥ : ٢٦٣ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٤٢٧ | ٦٣٣ ، العبر ٢ : ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٧٠ و ٢٧٩ ، دول الإسلام ١ : ٢٥٩ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٤٩ ، فوات الوفيات ٣ : ١٩٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٦٢ ، شدرات الذهب ٣ : ٢٦٦ .

قيس بن ذريح :

من شعراء الحجاز المبرزين ، وكان على ما قيل أخاً للإمام الحسين عليه السلام من الرضاة .

يمتاز شعره بالرقابة والحلابة والجزالة .

لم أتبثت من تشييعه فيما توفر لدى من المصادر ، والله تعالى أعلم .

انظر ترجمته في : الشعر والشعراء : ٤١٧ ، الأغاني ٩ : ١٨٠ ، تاريخ الإسلام ٣ : ٦١ ،
سير أعلام النبلاء ٣ : ٥٣٤ | ١٤٠ ، البداية والنهاية ٨ : ٣١٣ ، الوفي بالوفيات ٣ : ٢٠٤ ،
النجم الراهنة ١ : ١٨٢ .

(٣٦٧)

أبو صخر ، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني :

من فحول الشعراء ومتقدميهم .

ينسب إلى عزة امرأة أحبتها وشتبه بها .

مات سنة سبع ومائة هجرية ، فشييعه الإمام الباقر عليه السلام ، ورفع جنازته بيده الشريفة وعرقه يجري ، وكان يعد من أصحابه .

انظر ترجمته في : معلم العلماء : ١٥٢ ، تأسيس الشيعة : ١٩٠ ، تنقية المقال : ٣٦ ،
الشعر والشعراء : ٤١٠ ، الأغاني : ١٢ : ٢١ ، و ٣٥٩ : ٧٣ ، معجم الشعراء : ٢٥٠ ، شذرات
الذهب ١ : ١٣١ ، خزانة الأدب ٢ : ٣٨١ ، وفيات الأعيان ٤ : ١٠٦ ، تاريخ الإسلام ٤ :
. ١٨٦

أبو عقبة ، كعب بن زهير بن أبي سلمة :

من فحول الشعراء ومجيديهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أهدر دمه لقوله بعض
الأبيات الشعرية عندما هاجر أخوه مجید إلى النبي صلى الله عليه وآله ، إلا أنه ندم على ذلك بعد أن
بقي هارباً فترة من الزمن ، فاقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنشده قصيده الشهيرة التي
أولها (بانت سعاد) ولما بلغ إلى قوله :

إن الرسول لسيف يستضيء به * مهذب من سيوف الله مسلول

أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه أن يستمعوا له ، ثم ألقى إليه بردہ فأسمیت
القصيدة باسم البردة .

وله أبيات جميلة في مدح أهل البيت عليهم السلام ، منها قوله في أمير المؤمنين عليه السلام :

صهر النبي و خير الناس كلهم * وكل من رأسه بالفخر مفحور

صلى الصلاة مع الأمي أو لهم * قبل العباد و رب الناس مكفور

وقال في الإمام الحسن عليه السلام :

مسح النبي جبينه * فله بياض في الخنود

وبوجهه ديباجة * كرم النبوة والجدود

(٣٦٨)

توفي في حدود عام (٤٥ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٢٩ ، معلم العلماء : ١٥٠ ، مناقب ابن شهر آشوب ٢
: ١٥ ، معجم الشعراء : ٢٣٠ ، الأغاني ١٧ : ٣٨ ، الشعر والشعراء : ١٠٤ .

أبو المستهل ، الكلمي بن زيد الأسدية الكوفي :

من متقدمي شعراء القرن الأول الهجري ، ومن أشعر شعراء الكوفة في عصره .

كان محباً لأهل البيت عليهم السلام ، مجاهاً بذلك .

روي أنه دخل يوماً على الإمام الصادق عليه السلام في أيام التشريق بمني وأنشده إحدى
قصائده ، فلما بلغ قوله :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * فيا آخر أشد له الغي أول

رفع أبو عبد الله عليه السلام يديه وقال : اللهم اغفر للكمي .

كان أيضاً عالماً بلغات العرب ، خبيراً بأيامها .

توفي مقتولاً في خلافة مروان بن الحكم سنة ست وعشرين ومائة هجرية .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٣٣ ، الكني والألقاب ١ : ١٤٩ ، تأسيس الشيعة :
١٨٩ ، الخلاصة : ٣ | ١٣٥ ، رجال ابن داود : ١٥٦ | ١٢٤٧ ، معلم العلماء : ١٥١ ، الشعر
والشعراء : ٣٨٥ ، الأغاني ١٤ : ٩٩ و ١٧ : ١ ، جمهرة أنساب العرب : ١٨٧ ، سير أعلام
النبلاء ٥ : ٣٨٨ | ١٧٧ ، تاريخ الإسلام ٥ : ١٢٥ .

في لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري :

من شعراء الجاهلية المعدودين ، كان يقال لأبيه ربيع المقترين لسخائه وكرمه .

قدم لبيد على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني كلاب فاسلم معهم .

يصفه المؤرخون بأنه ذو مروءة وكرم مشهودين .

استقر به المقام في الكوفة حتى وفاته .

قيل : أن عمر بن الخطاب كتب إلى واليه في الكوفة المغيرة أن يستنشد من بالكوفة من الشعراء بعض ما قالوه في الإسلام ، فلما سأله لبيداً قال له : إن شئت من أشعار الجاهلية ؟

(٣٦٩)

فقال : لا.

فذهب لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة وقال : أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر.

وكان بعد ذلك يعد لبيد من القراء.

توفي في زمن عثمان بن عفان ، واختلف في عمره فقيل : (١٥٧) عاماً ، وقيل : (١١٠) سنوات ، وقيل بينهما .

انظر : مقدمة ديوان الشاعر ، وكتاب الأغاني ١٥ : ٣٦١ ، الشعر والشعراء : ١٦٨ .

وراجع : تنقية المقال ٢ : ٤٣ (أبواب اللام) ، رياض العلماء ٤ : ٤١٦ ، تأسيس الشيعة : ١٨٥ ، وليس في المصادر وضوح حول تشييعه ، فتأمل .

أبو مخنف الأزدي ، لوط بن يحيف الغامدي الكوفي :

صاحب التصانيف والمؤرخ الشهير ، وشيخ أصحاب الأخبار.

توفي عام (١٥٨ هـ) في الكوفة.

انظر ترجمته في : تنقية المقال ٣ : ٤٣ ، فهرست الطوسي : ١٩٢ | ٥٨٣ ، معالم العلماء : ٩٣ | ٦٤٩ ، رجال النجاشي : ٣٢٠ | ٨٧٥ ، الخلاصة : ١٣٦ ، أعيان الشيعة ٢ : ٤٣٠ ، الكنى والألقاب ١ : ١٤٨ ، رجال ابن داود : ١٥٧ | ١٢٥١ ، التاريخ الكبير ٧ : ٢٥٢ ، معجم الأدباء ١٧ : ٤١ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ٣٠١ | ٩٤ ، ميزان الاعتadal ٣ : ٤١٩ ، لسان الميزان ٤ : ٤٩٢ ، فهرست ابن النديم : ١٨٤ .

المأمون :

ال الخليفة العباسي المعروف ، والذى قد ينسبه البعض إلى التشيع استناداً إلى جملة من المواقف والتصريحات التي صدرت عنه أبان خلافته ، ومنها إيكاله ولالية العهد للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ونبذه للسود — وهو شعار العباسين وإبداله باللون الأخضر — ومناداته بالبراءة من يترحم على معاوية ، ومناداته بإباحة المتعة التي تقول بخليتها الشيعة ، إلا أنه تراجع عن ذلك بعد .

نعم ، ولكن مع كل ذلك فان الثابت عند أكثر علماء الشيعة ورجالاتها رد هذه المسألة ، وعدم الأخذ بها ، استناداً إلى جملة من المواقف والشواهد التي تنفي عنه

(٣٧٠)

هذه النسبة ، فراجع ذلك وتأمل ملياً .

البيوردي ، محمد بن أحمد بن محمد الأموي :

شاعر وقته ، وكانت له إحاطة كبيرة بالعربية ، والعلوم الأدبية .

وكان نسابة قل نظيره ، وله تصانيف كثيرة ومشهورة .

ذكر ياقوت في معجمه : أن البيوردي رثى الإمام الحسين عليه السلام بقصيدة — قال إنه نقلها من خطه — قال فيها:

فجدي وهو عنبرة بن صخر * برئ من يزيد ومن زياد
توفي مسموماً في اصبهان عام (٥٠٧ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ٤٥٤ ، الكنى والألقاب ٢ : ٧ ، معجم الأدباء ١٧ : ٧٧ | ٢٣٤ ، أنساب السمعاني : ٥٣٥ ، سير أعلام النبلاء ١٩ : ١٨٢ | ٢٨٣ ، تاريخ الإسلام ٤ : ١٨٢ ، مرآة الجنان ٣ : ١٩٦ ، اللباب ٣ : ٢٣٠ ، المنتظم ٩ : ١٧٦ ، إنباه الرواة ٣ : ٤٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٤٤ ، الكامل في التاريخ ١٠ : ٥٠٠ ، الواقي بالوفيات ٢ : ٩١ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٧٦ ، تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٤١ ، مرآة الزمان ٨ : ٢٩ ، النجوم الراحلة ٥ : ٢٠٦ ، كشف الظنون ٢ : ٩٤٥ ، شدرات الذهب ٤ : ١٨ ، بغية الوعاة ١ : ٤٠ ، طبقات السبكي ٦ : ٨١ .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق الوراق البغدادي :

اختلفت المصادر في تحديد زمن ولادته ، وتضاربت في ذلك أينما تضارب ، إلا أنها قد تكون في حدود عام (٣٢٥ هجرية) .

ويبدو من تسميته بالوراق أنه كان يعمل في نسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والمتاجرة بها ، وفي ذلك الزمان كانت هذه المهنة شائعة عند العلماء والأدباء ، واشتغل فيها العديد منهم أمثال ياقوت وغيره .

كما يظهر أن مهنة الوراقة وتوثيق الأخبار ، والاشتغال بتجارة الأدب هي التي أضفت عليه صفة المنادمة .

من أشهر ما ألف كتاب الفهرست المعروف ، والذي صنفه عام (٣٧٧ هجرية—) حيث تعرض فيه إلى العلوم المعروفة في عصره ، وما كتب عنها ، فكان بحق يعد من أقدم

(٣٧)

كتب الترجم و من أفضليها ، حيث لخص فيه التراث الفكري الإسلامي بشكل لم يسبقه فيه أحد ، فلا غرابة أن يحتل هذه المكانة المرموقة في المكتبة الإسلامية ، بل وأن يترجم إلى العديد من لغات العالم المختلفة .

عده البعض من أصحابنا في رجال الشيعة الإمامية ووجوهاها .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٢ : ٢٧٣ ، الكني والألقاب ١ : ٤٢٥ ، تنقیح المقال ٢ : ٧٧ ، الواfi بالوفیات ٢ : ١٩٧ ، لسان المیزان .

محمد بن إسحاق بن يسار:

صاحب السيرة المشهور .

ولد عام (٨٥ هـ) وتوفي عام (١٥١ هجرية) .

انظر ترجمته في : تنقیح المقال ٢ : ٧٩ ، الكني والألقاب ١ : ٢٠٢ ، رجال الطوسي : ٢٢ | ٢٨١ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٣٩٦ ، تاريخ بغداد ١ : ٢١٤ ، تاريخ الإسلام ٦ : ٣٧٥ ، میزان الاعتدال ٣ : ٤٦٨ ، سیر اعلام النبلاء ٧ : ١٥ | ٣٣ ، العبر ١ : ١٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ١٧٢ ، تهذیب التهذیب ٩ : ٣٤ ، عيون الأثر ١ : ١٠ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٧٦ ، شذرات الذهب ١ : ٢٣٠ ، التاريخ الكبير ١ : ٤٠ ، المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٧ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٣٩ ، الواfi بالوفیات ٢ : ١٨٨ .

أبو الفضل ، محمد بن الحسين بن العميد الكاتب :

كان شاعراً أديباً ، فاضلاً عالماً ، جليل القدر ، عالي المزلة .

كان من تلاميذ أحمد بن خالد البرقي ، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم .

استوزره رکن الدولة البویهی ، وکان معتمداً عنده .

كان في الكتابة مضرب الأمثال ، حتى قال عنه الشاعري : كان يقال : بدأت الكتابة بعد الحميد [وكان كاتباً شامياً قل نظيره وتضرب به الأمثال] وختمت بابن العميد .

توفي عام (٣٦٠ هـ) في بغداد .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٢٥٦ ، الكني والألقاب ١ : ٣٥٢ ، يتيمة

(٣٧٢)

الدهر ٣ : ١٥٤ ، الإمتناع والمؤانسة ١ : ٦٦ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٩٥ | ١٣٧ ، العبر ٢ : ١٧٠ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٠٣ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٦٠ .

السيد الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى :

قمة شاهقة ، وشخصية لامعة ، أكبر من أن تترجم أو تعرف .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة : ٩ : ٢١٦ ، الدرجات الرفيعة : ٤٦٦ ، منتهى المقال : ٢٧٤ ، منهج المقال : ٢٩٣ ، أمل الأمل ٢ : ٢٦١ | ٧٦٩ ، تأسيس الشيعة : ٣٢١ و ٣٣٨ ، رجال النجاشي : ٣٩٨ | ١٠٦٥ ، رجال ابن داود : ١٧٠ | ١٣٦٠ الخلاصة : ١٧٦ | ١٦٤ ، تنقيح المقال ٣ : ١٠٨ ، الكني والألقاب ٢ : ٢٤٣ ، يتيمة الدهر ٣ : ١٣١ ، تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ١٧٤ | ٢٨٥ ، شذرات الذهب ٣ : ١٨٢ ، المختصر في أخبار البشر ٢ : ١٥٢ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٣ : ١٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣ ، الكامل في التاريخ ٩ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤١٤ .

أبو جعفر ، محمد بن خليل السكاكى البغدادي :

من أصحاب هشام بن الحكم وتلاميذه ، برع في الكلام حتى عد من كبار المتكلمين .
له حملة من الكتب الكلامية.

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٢٧٣ ، الكني والألقاب ١ : ٣٥ ، رجال النجاشي : ٣٢٨ | ٨٨٩ ، تنقيح المقال ٣ : ١١٥ ، الخلاصة : ٣٢ | ١٤٤ ، فهرست الطوسي : ٥٩٤ | ١٣٢ ، تأسيس الشيعة : ٣٦٢ ، فهرست ابن النديم : ٣٧٤ .

أبو عبد الله ، محمد بن زكريا الغلاي الجوهرى البصري :

كان وجوها من وجوه الشيعة في البصرة ، وكان أخبارياً صنف العديد من الكتب منها:
كتاب الجمل الكبير والختصر ، وكتاب صفين الكبير والختصر ، ومقتل أمير المؤمنين عليه السلام ،
ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وغيرها .

توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين هجرية .

(٣٧٣)

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٣٤٦ | ٩٣٦ ، معلم العلماء : ١١٧ ، الخلاصة : ٧٨٠ | ١١٧ ، تنقية المقال ٣ : ١١٧ ، رجال ابن داود : ١٧٢ | ١٣٧٩ ، معلم العلماء : ١١٧ ، ٧٨٠ | ١١٧ ، تأسيس الشيعة : ٢٤٣ و ٢٥٢ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٣٤ ، تذكرة الحفاظ : ٢ : ٦٣٩ ، العبر ١ : ٤١٨ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٠٦ .

أبو عبد الله ، محمد بن صالح بن عبد الله :

يعد من الشعراء البلغاء الذين جمعوا إلى موهبتهم الشعرية جانبًا كبيرًا من العلم والفضل ، والأدب والورع .

حمله المتوكل مع جماعة آل أبي طالب قسرًا من الحجاز سنة أربعين ومائتين هجرية ، حيث أودع معهم السجن ثلاث سنين ، ثم أطلق سراحه فأقام في سامراء ردحًا من الزمان ثم عاد إلى الحجاز ثانية .

انظر : الأغاني ١٦ : ٣٦٠ ، وكذا أعيان الشيعة ٩ : ٣٦٨ .

أبو بكر الخوارزمي ، محمد بن العباس الطبرى :

كان شيخاً للأدب ، وإماماً في اللغة والأنساب ، عده الشاعري في يتيمنه بنابغة الدهر ، وبحر الأدب ، وعلم النظم والنشر ، وعلم الظرف والفضل ، يجمع بين الفصاحة والبلاغة ...

أصله من طبرستان ومولده ومنشأه بخوارزم ، فلقب بالطبر خرزمي ، وهو ابن أخت الطبرى المؤرخ الشهير .

طاف البلاد منذ حداثة سنه والتلى بسيف الدولة وصاحبه .

أقام مدة في الشام وحلب ، وقصد الصاحب بن عباد في أرجان فأوصله إلى عضد الدولة حيث نال عنده منزلة كبيرة .

كان يعد من شيوخ الشيعة ورجالاتها الأفذاذ .

توفي عام (٣٨٣ هـ) بنি�شابور بعد عودته من الشام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٣٧٧ ، الكني والألقاب ١ : ١٩ ، تأسيس الشيعة : ٨٩ ، تنقح المقال ٣ : ١٣٥ ، معلم العلماء : ١٥٢ ، يتيمة الدهر ٤ : ١٩٤ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٠٠ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣٨٧ | ٥٢٦ ، الوافي بالوفيات ٣ :

(٣٧٤)

. ١٢٥ : ١ ، بغية الوعاة ٨ : ٢٠٢ ، الأنساب للسمعاني ٣ : ١٠٥ ، شذرات الذهب .

ابن البيع ، محمد بن عبد الله حمدویه الحافظ :

صاحب كتاب المستدرک على الصحيحین المشهور . كان مقدماً في عصره ، ومعدوداً من أصحاب الروایة والحدیث .

ولد في ربيع الأول سنة (٣٢١ هـ) وتوفي في صفر سنة (٤٠٥ هجریة) على أصح الأقوال ، بعد أن خلف عدة مصنفات في العلوم المختلفة .

نص السمعانی وابن تیمیة والذهیی على تشیعه .

انظر ترجمته في : أعيان الشیعة ٩ : ٣٩١ ، الکنی والألقاب ٢ : ١٥٢ ، تأسییس الشیعة : ٢٩ ، تاریخ بغداد ٥ : ٤٧٣ ، المتنظم ٧ : ٢٧٤ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٠ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٣٩ ، سیر أعلام النبلاء ١٧ : ١٨٢ | ١٠٠ ، میزان الاعتدال ٣ : ٦٠٨ | ٧٨٠٤ ، العبر ٢ : ٢١٠ ، طبقات الحفاظ : ٤٠٩ ، کشف الضنون ٢ : ١٦٧٢ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ ، الوافی بالوفیات ٣ : ٣٢٠ ، لسان المیزان ٥ : ٢٣٢ ، شذرات الذهب ٣ : ١٧٦ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٨ .

محمد بن عبد الله بن رزین الخزاعی :

ابن عم الشاعر الشهید دعبدالخزاعی ، كان موجوداً في زمان الرشید ، وله قصائد مبتوثة في المراجع .

انظر ترجمته في : أعيان الشیعة ٢ : ٣٦١ ، الأغانی ٢٠ : ١٥٢ ، الشعر والشعراء : ٥٧١ .

السلامي ، محمد بن عبد الله بن محمد :

نسبته إلى مدينة السلام .

كان يعد من أشهر شعراء العراق ومتقدميهم في عصره ، ذكر الشعالي أنه قال الشعر وهو ابن عشر سنين .

نشأ في بغداد ، وخرج منها إلى الموصل حيث اتصل ببعض الدولة واحتضن به ، وكانت له عنده منزلة كبيرة ، حتى روي أنه كان يقول : إذا رأيت السلامي في مجلس حللت أن عطارد نزل من الفلك إلى .

(٣٧٥)

ذكره صاحب نسمة السحر في عداد شعراء الشيعة .

توفي عام (٢٨٧ هـ) .

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ٢ : ٢٨٧ ، فهرست ابن النديم : ١٥ | ٣٢٢ ، يتيمة الدهر ٢ : ٣٩٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٩ ، تاريخ بغداد ٢ : ٣٣٥ ، الأنساب ٧ : ٢٠٩ ، تاريخ الإسلام ٤ : ٩٤ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣٩ | ٧٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٣٣ ، الكامل في التاريخ ٩ : ١٧٩ ، المنتظم ٧ : ٢٢٥ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٠٣ ، إيضاح المكنون ١ : ٢١٥ ، الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٣٤ .

ابن التواويدي ، محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب :

ولد في العاشر من رجب عام (١٩٥١ هجرية) ، وكان يعد من كبار شعراء الشيعة وأدبائها ، والذي سار نجمه في الآفاق ، وتقدم على شعراء العراق .

أصبح كاتباً في ديوان المقاطعات ببغداد .

أصابه العمى في آخر أيامه ، وله في ذلك قصائد حميدة .

توفي في شوال عام أربع وثمانين وخمسمائة هجرية .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٩ : ٣٩٥ ، الكني والألقاب ١ : ٢٢٥ ، تأسيس الشيعة : ٢٢١ ، العبر ٣ : ٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٢١ : ١٧٥ | ٨٧ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٢٦ ، مختصر تاريخ أبي الفداء ٣ : ٨٠ ، شدرات الذهب ٤ : ٢٨١ ، النجوم الزاهرة ٦ : ١٠٥ ، مرآة الزمان ٣ . ٤٢٩ :

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوى :

مؤرخ شهير من أهل الموصل ، خلف أباه في نقابة العلوين بالحلة والنحيف وكرباء.

ولد عام (٦٦٠ هجرية—) وتوفي عام (٧٠٩ هجرية—) .

انظر ترجمته في : **الكتن والألقاب** ١ : ٣٣١ ، **الأعلام للزركلي** ٧ : ١٧٤ ، **معجم المؤلفين** ٥١ : ١١

أبو جعفر ، محمد بن علي بن النعمان الكوفي الصيرفي :

كان كثير العلم ، حسن الخاطر ، وكان له دكان في طاق المحامل بالكونفة فيرجع

(٣٧٦)

إليه في النقد فيرد رداً يخرج كما يقول .

له كتاب الاحتجاج في إمامية أمير المؤمنين علي عليه السلام وغيره ذكر ذلك النجاشي في

رجاله (٣٢٥ | ٨٨٦) .

وللطافي مناظرات كثيرة مع معاصره أبي حنيفة ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه (١٣٤٠) ، منها : قال : كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق^١ (هكذا يسمونه في كتبهم) بالرجعة ، وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناصح . قال : فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه ، فقال أبو حنيفة : أتبיע هذا الثوب إلى رجوع علي [عليه السلام] ؟

فقال : إن أعطيتني كفياً أن لا تمسخ قرداً بعتك . فبهرت أبو حنيفة .

ومنها : لما مات جعفر بن محمد [عليهما السلام] التقى هو وأبو حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : أما إمامك فقد فات ، فقال له شيطان الطاق : أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد الإسلامي :

صاحب التصانيف والمغازي المشهور .

ولد بعد العشرين ومائة ، وتوفي عشية يوم الاثنين لأحد عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، وله ثمان وسبعون سنة ، ودفن في مقابر الخيزران .

قال عنه ابن النديم : كان يتشيع حسن المذهب ، يلزم التقى .

^١ هو مؤمن الطاق ، لكن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يسمونه بشيطان الطاق .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٥ : ٣٠ ، تأسيس الشيعة : ٢٤٢ ، الكنى والألقاب ٣ : ٢٣٠ ، تنقيح المقال ٣ : ١٦٦ ، التاريخ الكبير ١ : ١٧٨ ، تاريخ ابن معين : ٥٣٢ ، طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ ، فهرست ابن النديم : ١١١ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣ ، الجرح والتعديل ٨ : ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٧ ، النجوم الزاهرة ٨ : ١٨٤ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٤٥٤ | ١٧٢ ، دول الإسلام ١ : ١٢٨ ، طبقات الحفاظ : ١٤٤ ، شذرات الذهب ٢ : ١٨ ، عيون الأثر ١ : ١٧ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٢٣٨ ، الكامل في التاريخ ٦ : ٣٨٥ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٣٣٢ .

(٣٧٧)

المنتصر بالله ، محمد بن الموكل العباسي :

كان على ما قيل وافر العقل ، راغباً في الخير ، باراً بالعلميين ، رافعاً للظلم الواقع عليهم من بني العباس .

قال المسعودي : أزال المنتصر بالله عن الطالبيين ما كانوا فيه من الخوف والمحنة من معهم من زيارة تربة الحسين الشهيد عليه السلام ، ورد فدك إلى آل علي عليه السلام .

توفي في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، عن ست وعشرين سنة أو أقل بقليل ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وأياماً .

انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٢ : ١١٩ ، فوات الوفيات ٣ : ٣١٧ ، الواقي بالوفيات ٢ : ٢٨٩ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٥ ، شذرات الذهب ٢ : ١١٨ ، تاريخ بغداد ٩ : ٢٣٤ (وما بعدها) .

محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأندلسى الشيعي :

ولد في قرية سكون من قرى اشبيلية في الأندلس ، وأنحد حظاً وافراً من العلم ودرجة عالية في الأدب ، فأنشد الشعر وبرع فيه ، وكان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم ، ويعد من فحول الشعراء .

قرّبه صاحب اشبيلية فترة من الزمن حتى رحل عنه إلى المغرب لقوله بإماماة الخلفاء الفاطميين ونقطة وجوه الأندلس على ذلك .

رحل بعد ذلك إلى مصر ثم استأذن المعز لدين الله للسفر إلى المغرب لاستصحاب أهله ، فقتل أثناء الطريق وذلك عام (٣٦٢ هـ) ، وأصابع الاتهام تشير إلى الأمويين .

ومن أشعاره :

وما نقموا إلا قدسم تشيعي * فنجى هزيراً شده المتهالك

نصح الإمام الحق لما عرفته * وما النصح إلا أن يكون التشيع

(٣٧٨)

لي صارم وهو شيعي كحامله * يكاد يسبق كراتي إلى البطل

وله أيضاً :

فكل إمامي يجيء كأنما * على خده الشغرى وفي وجهه البدر

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٠ : ٨٥ ، الكتب والألقاب ١ : ٤٣٣ ، تأسيس الشيعة : ٢٠٦ ، أمل الآمل : ٣١١ | ٩٤٨ ، معلم العلماء : ١٤ ، معجم الأدباء ١٩ : ٩٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٦٧ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٨٨ | ١٣١ ، نفح الطيب ١ : ٢٩٣ و ٣ : ١٦٤ ، العبر ٢ : ١١٤ ، شذرات الذهب ٣ : ٤١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٤ .

أبو القاسم ، محمد بن رهيب الحميري :

أديباً بارعاً من أدباء الشيعة ، ولد في البصرة ونشأ بها ، ثم انتقل للسكن في بغداد ، وكان مختصاً بالحسن بن سهل .

توفي عام مائتين ونيف وعشرين هجرية .

راجع : أعيان الشيعة ١٠ : ٩٦ ، الأغاني ١٩ : ٧٣ .

الصولي ، محمد بن يحيى بن عبد الله بن صول تكين :

الكاتب المعروف .

ولد في حدود عام (٢٥٥ هـ) ، وكان جده صول تكين الذين ينسب إليه من ملوك جرجان.

كان واسع الرواية ، حسن الحفظ للآداب ، عالماً ، محدثاً ، شاعراً ، أديباً ، وكان نديماً للمكتفي والراضي بالله والمقتدر العباسيين ، ولهم مصنفات كثيرة .

كان يعد من شعراء أهل البيت عليهم السلام .

توفي عام (٣٣٥ هجرية) بالبصرة ، وقيل : عام (٣٣٦ هـ) .

انظر ترجمته في : معلم العلماء : ١٥٢ ، أعيان الشيعة : ٩٧ ، الكني والألقاب ٢ : ٣٩٢ ، تنقية المقال ١ : ٢١ ، تأسيس الشيعة : ٧٧ ، تاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٢١٩ ، الأنساب ٨ : ١١٠ ، معجم الشعراء : ٤٣١ ، معجم الأدباء ١٩ : ١٠٩ ، نزهة الألباء : ١٨٨ ، المنتظم ٦ : ٣٥٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٣٩ ،

(٣٧٩)

لسان الميزان ٥ : ٤٢٧ ، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٣٠٢ | ١٤٢ ، وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٦ ،
النحوم الظاهرة ٣ : ٢٩٦ .

أبو الفتح ، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي :

ولد في قرية من قرى سجستان ، وكان أديباً شاعراً ، ومنجماً متكلماً ، ومصنفاً عالماً
مصنفات كثيرة في شتى العلوم والمعارف ، وكان يعد شاعر زمانه .

توفي عام (٣٥٥ هـ) ، وله قصائد في مدح أهل البيت عليهم السلام .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٠ : ١٥٣ ، تأسيس الشيعة : ٤ ، معلم العلماء : ١٤٩
، مروج الذهب ٤ : ٢٦٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٧ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٨٥ ، العبر ٢ :
١١٠ ، يتيمة الدهر ١ : ٢٨٥ ، فهرست ابن النديم : ٣٢٢ | ٢٢ .

صربيع الغواني ، مسلم بن الوليد الأنباري الكوفي :

كان شاعراً مفوهاً مداحاً ، يعد حاملاً للواء الشعر ، ولد في خلافة المؤمن برید حرجان ،
فلم يزل هناك حتى مات .

قيل أنه أول من ألطف في المعاني ، ورقق في القول .

اسمي بصربيع الغواني لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا * وتغدو صربع الكأس والأعين النجل

وقيل أنه كان كارهاً لهذا اللقب ، غير راغب بمناداته به .

كان في أول الأمر أستاذًا لدعبل الخزاعي الذي تأثر به كثيراً.

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ١ : ٤٣٢ ، معالم العلماء : ١٥٢ ، الأغاني ٢٤ : ١٨ ،
الشعر والشعراء : ٥٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٣٦٥ | ١٠٦ ، التاريخ الكبير ٦ : ٢٥ ، تاريخ بغداد
٩٦ : ١٣ .

الفراء ، معاذ بن مسلم الكوفي :

النحووي المشهور ، وأستاذ الكسائي .

كان أول من رضع علم التصريف ، وشهرته بذلك واسعة ، وكان من أصحاب الصادقين
عليهما السلام ، وروى الحديث عن جعفر بن محمد عليهما السلام .

أُسمى الهراء لأنَّه كان يبيع الثياب الهرمية .

(٣٨٠)

توفي سنة (١٨٧ هـ) ، وقيل ١٩٥ هجرية عن عمر يناهز المائة والخمسين عاماً.

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٠ : ١٣٠ ، الكنى والألقاب ٣ : ٢٣٩ ، رجال الطوسي : ٤٣ | ٣١٤ و ٥٤١ ، تأسيس الشيعة : ١٤٠ ، الخلاصة : ١٢ | ١٧١ رجال ابن داود : ١٥٧٤ | ١٩٠ ، الحيوان للجاحظ ٧ : ٥١ ، طبقات النحوين واللغويين : ١٣٥ ، الكامل في التاريخ ٦ : ١٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٤٨٢ ، إنباه الرواة ٣ : ٢٨٨ ، العبر ١ : ٢٣٥ .

حسام الدولة ، المقلد بن المسيب :

كان مشهوراً بالعقل وحسن السياسة والكفاءة ، وكان شاعراً أدبياً ، مفوهاً ، بلغاً تولى إمارة الموصل بعد وفاة أخيه محمد بن المسيب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فاتسعت في أيامه إمارته وتوطد فيها حكمه .

قتل غيلة في صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، فرثاه الشريف الرضي رحمه الله تعالى بقصيدة جميلة رائعة .

انظر ترجمته في : الكنى والألقاب ٢ : ١٦٠ ، ديوان الشريف الرضي ١ : ٣٦٩ ، الكامل في التاريخ ٩ : ١٢٥ (وما بعدها) ، وفيات الأعيان ٥ : ٢٦٠ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٥ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٢٥٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٣ ، شذرات الذهب ٣ : ١٣٨ ، منية الأدباء : ٤٦ .

أبو الحسن ، مهيار بن مرزوقي الفارسي الديلمي :

كان مجوسيّاً فاسلم على يد الشريف الرضي رحمه الله تعالى ، وأخذ منه العلم ، فبرع في الكثير من الميادين ، ونظم الشعر فأبدع فيه حتى أصبح مقدماً على أهل وقته ، واسمي بذى البلاغتين .

كان شعره جزيلاً ، بعيد المدى ، طويل المندر ، وله قصائد تقارب الثلاثمائة بيت من الشعر.

له شعر كثير في مدح أهل البيت عليهم السلام .

توفي عام (٤٢٨ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٠ : ١٧٠ ، الكنى والألقاب ٢ : ٢٤٦ ، معالم

(٣٨١)

العلماء : ١٤٨ ، أمل الآمل ٢ : ١٠٢١ | ٣٢٩ ، تأسيس الشيعة : ٢١٤ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦ ، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣١٠ | ٤٧٢ ، العبر ٢ : ٢٦٠ ، المنتظم ٨ : ٩٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٦ ، شدرات الذهب ٣ : ٢٤٢ ، الكامل في التاريخ ٩ : ٤٥٦ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٥٩ .

منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري :

من شعراء الشيعة البارزين . ذكر ياقوت : أنه كان من أهل رأس العين ، كنيته أبو الفضل .

ذكر أنه كان يعد في الظاهر من أصحاب هارون الرشيد ، لتقريب الأخير له ، ومواصلته ، إلا أنه — وكما يروى — كان يحمل في قلبه حب أهل البيت الطيبين الأطهار عليهم السلام ، ومودهم .

له مراثي كثيرة في واقعة كربلاء .

توفي في حدود عام (١٩٠ هـ) .

انظر ترجمته في : معلم العلماء : ١٥٢ ، أعيان الشيعة : ١٠ : ١٣٨ ، أعلام الزركلي ٧ : ٢٩٩ ، الأغاني ٣ : ١٩٦ و ٧ : ١٠٠ و ١٣ : ١٤٠ و ١٨ : ١٢٥ و ٢٣ : ٢٢١ ، الشعراء : ٥٨٣ .

النابغة الجعدي :

شاعر زمانه ، وأديب عصره ، له صحبة ووفادة ورواية .

اختلف في اسمه ، فقيل : قيس بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن قيس ، وقيل : قير بن كعب ، وقيل : قيس بن سعد .

كان من المعمرين حتى قيل : أنه عاش مائة وثمانين عاماً أو أكثر .

روي : أنه انشد النبي صلى الله عليه وآلـه :
بلغنا السماء عزة وتكرما * وإنـا لنرجـو فوق ذلك مظـهرا
فقال له صلـى الله عليه وآلـه : إلى أين يا بن أبي ليلـى ؟ قال : إلى الجـنة يا رسول الله ، قال :
أحسـت لا يفضـض الله فـاك .

(٣٨٢)

قال الراوي : فرأيته شيخاً له مائة وثلاثون سنة وأسنانه مثل ورق الأقحوان نقاطاً وبياضاً ، قد هدمت جسمه الآفات .

قيل : أنه كان علوي الرأي ، خرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآلله مع علي عليه السلام إلى صفين .

انظر ترجمته في : أمالى المرتضى ١ : ٢١٤ ، أعيان الشيعة ١٠ : ١٩٩ ، الكنى والألقاب ٣ : ١٨٩ ، معلم العلماء : ١٥٠ ، الشعر والشعراء : ١٧٧ ، الأغاني ٥ : ١ ، معجم الشعراء : ١٩٥ ، أسد الغابة ٤ : ٢٢٣ ، الإصابة ٣ : ٥٣٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٨٩ ، خزانة الأدب ١ : ٥١٢ ، صفين : ٥٥٣ .

الخبيز أرزي ، أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر البصري:

كان يخبز دقيق الأرز بمربد البصرة ، فشاعت تسميته بذلك .

أنشد الشعر وكان أمياً لا يتهجى ولا يكتب ، وكان شعراً بليناً جميلاً أعجب الناس فكانوا يتراحمون على دكانه في البصرة لسماع أشعاره ، وكان من مستمعيه ابن لنكك الشاعر البصري الشهير ، حيث جمع أشعاره في ديوان خاص بالشاعر .

انتقل إلى بغداد وأقام بها طويلاً حتى توفي في سنة (٣١٧ هـ) ، وقد نص البعض على تشيعه .

راجع : الكنى والألقاب ٢ : ١٨٢ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٢٠٩ ، معاهد التنصيص ١ : ١٣٤ ، كشف الظنون ١ : ٥٠٩ ، مرآة الزمان ٢ : ٢٧٥ ، معجم الأدباء ٧ : ٢٠٦ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩٦ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٧٦ .

أبو الفضل ، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي :

المؤرخ الشيعي المشهور.

يرجح المؤرخون أنه ولد حوالي سنة (١٢٥ هجرية—) في الكوفة ، وحيث نشأ فيها وترعرع وأخذ العلم من علمائها ، ثم انتقل بعد ذلك للسكنى في بغداد.

كان يعمل عطاراً في صناعة وبيع العطور وهو ما دعى البعض إلى القول بوضوح تأثير عمله هذا في ما عرف عنه من دقة رواياته وأخباره ، وجمال تنسيقها وترتيبها .

له مؤلفات كثيرة وشهيرة أشار المؤرخون إلى وجودها إلا إنه لم يصلنا منها إلا

كتاب صفين الشهير.

انظر ترجمته في : فهرست الطوسي : ١٧١ | ٧٧١ ، تنقية المقال ٣ : ٢٦٩ ، الخلاصة : ١٧٥ ، تأسيس الشيعة : ٢٣٧ ، رجال النجاشي : ٤٢٧ | ١١٤٨ ، رجال ابن داود : ١٩٦ | ١٦٣٥ ، معلم العلماء : ١٢٦ | ٨٥١ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٨٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعزلي ١ : ١٨٣ ، لسان الميزان ٦ : ١٥٧ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٢٥ ، فهرست ابن النديم : ١٨٥ .

أبو الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزه :

كان أديباً فصيحاً بليغاً ، ويعد شيخاً للنحو .

له تصانيف كثيرة أشهرها كتابه الأمالي .

توفي في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة اثنين وأربعين وخمسمائة هجرية ، ودفن بداره .

انظر ترجمته في : الدرجات الرفيعة : ٩٦ ، أمل الآمل ٢ : ٣٤٣ | ١٠٥٩ ، تأسيس الشيعة : ١٢٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٩٤ | ١٢٦ ، العبر ٢ : ٤٦٣ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٢ ، أنباه الرواة ٣ : ٣٥٦ ، نزهة الألباء ٤٠٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٢٣ ، وفيات الأعيان ٦ : ٤٥ ، شدرات الذهب ٤ : ١٣٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٨١ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٥ ، بغية الوعاة ٢ : ٣٢٤ ، كشف الظنون ١ : ١٦٢ .

أبو المعالي ، هبة الله بن محمد بن علي الكرماني:

لم أعثر له على ترجمة وافية فيما استقصيته مما توفر لدى من المصادر ، إلا ما ترجم له الذهبي في سير أعلامه (١٩ : ٣٨٤ | ٢٢٥) وفي تاريخ الإسلام (٤ | ١٩٥) حيث وصفه بالوزير

الكبير ، وأنه من كبار الأعيان ، وكان رأساً في حساب الديوان ، وأنه وزر للمستظهر سنتين ونصفاً ثم عزله . وقال : أنه توفي عام (٩٥٠ هـ).

أبو محمد ، هشام بن الحكم :

مولى كندة . كان فقيهاً عالماً متكلماً ، ومن أكابر أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، ومن بعده ولده الكاظم عليه السلام .

(٣٨٤)

كان ينزل بنى شيبان في الكوفة.

برع في الكلام حتى قل نظيره ، واعترف له بذلك الجميع ، وله في ذلك مؤلفات كثيرة في الذب عن الإمامة والدفاع عنها ، وحاله أشهر من أن توضح .

توفي سنة تسع وتسعين ومائة على ما ذكر .

أنظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٤٣٣ | ١١٦٤ ، رجال الطوسي : ٣٢٩ | ١٨ ، تنقيح المقال : ٢٩٤ ، تأسيس الشيعة : ٣١ و ٣٦٢ ، أعيان الشيعة : ١٠ : ٢٦٤ ، أمالي المرتضى : ١ | ١٧٦ ، فهرست الشيخ الطوسي : ١٧٤ ، رجال ابن داود : ٢٠٠ | ١٦٧٤ ، الخلاصة : ١ | ١٧٨ ، معالم العلماء : ١٢٨ | ٨٦٢ ، رجال الكشي : ٥٢٦ | ١٧٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ : ٥٤٣ ، لسان الميزان : ٦ | ١٩٤ ، مروج الذهب : ٤٤٣ و ٦ : ٣٧ و ٧ ، فهرست ابن النديم : ٣٧٢ .

هشام بن سالم الجواليقي الكوفي :

مولى بشر بن مروان أبو الحكم ، وحيث كان من سي الجوزجان .

يعد من كبار متكلمي الشيعة في عصره .

عده الشيخ في رجاله تارة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، وأخرى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .

له جملة مناظرات مع متكلمي الفرق الأخرى .

أنظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٤٣٤ | ١١٦٥ ، أعيان الشيعة : ١٠ : ٢٦٦ ، تنقيح المقال : ٣ | ٣٠١ ، رجال الطوسي : ٣٢٩ | ١٧ و ٢ | ٣٦٣ ، الخلاصة : ١٧٩ ، معالم العلماء : ٨٦٣ | ١٢٩ .

هشام بن محمد بن السائب الكلبي :

من الحفاظ والنسابين والرواة الذين ذكرهم المؤرخون في كتبهم واسندوا إليهم روایاتهم .

كان مشهوراً بالعلم والفضل ومعرفة الأنساب والأيام ، وكان الإمام الصادق يقر به ويدنيه

. منه.

قال عنه ابن خلkan : كان هشام من أعلم الناس بعلم الأنساب ، وله كتاب

(٣٨٥)

الجمهرة في النسب ... وكان من الحفاظ المشاهير ، وله من التصانيف شيء كثير قيل : أنها تبلغ (٢٠٥) تصنيفاً .

توفي في حدود سنة (٢٥٥ هـ) .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٤٣٤ | ١١٦٦ ، تنقية المقال ٣ : ٣٠٣ ، الخلاصة : ١٧٩ ، الكنى والألقاب ٣ : ٩٥ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٢٦٥ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٤٥ ، الأنساب للسمعاني ١٠ : ٤٥٤ ، نزهة الألباء : ٥٩ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٣ | ١٠١ ، العبر ١ : ٢٧١ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٦ ، ميزان الاعتدال ٤ : ٣٠٤ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٧ ، وفيات الأعيان ٦ . ٨٢ :

الفرزدق ، أبو فراس همام بن غالب :

الشاعر المعروف ، والذي لقب بالفرزدق لغلاضته وجهه على ما قيل .

ولد عام (١١٤ هجرية) في البصرة ، ونشأ في باديتها ، ونظم الشعر صغيراً ، فجاء به — كما يروى — أبوه إلى الإمام علي عليه السلام وقال له : إن ابني هذا من شعراء مصر فاسمع منه ، فأجابه الإمام عليه السلام : أن علمه القرآن . فلما كبر تعلم وهو مقيد لثلا يلهمو .

كان متعصباً لأهل البيت عليهم السلام ، شديد التشيع لهم ، مجاهاً بحبهم ، معلناً له .

كان أول من رسم النحو ، حيث تعلم ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام .

ولعل من أروع ما علق في ذاكرتي منذ الطفولة قصيده التي ألقاها في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام أمام هشام بن عبد الملك الأموي .

فقد روت المصادر المتعددة : أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه عبد الملك بن مروان طاف بالبيت ووجه أن يصل إلى الحجر الأسود لاستلامه فلم يستطع ذلك لكثره الزحام ، وحاول

ذلك مراراً وتكراراً فلم يوفق ، ولم تكترث له الجموع ، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر الحجاج هو ومن معه من أعيان الشام ووجوهاها ، في بينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه آلاف التحية والسلام ، فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر الأسود تناهى له

(٣٨٦)

الناس ، وأفسحوا له المكان حتى استلم الحجر بسهولة ويسرا ، وهشام وأصحابه ينظرون والغيط والحسد قد أخذ منهم مأخذًا عظيماً لا يعلمه إلا الله تعالى ، فقال رجل من الشاميين هشام : من هذا الذي هابه الناس هذه الهيئة ؟ فقال هشام — كذباً — : لا أعرفه . فسمع ذلك الفرزدق — وكان حاضراً — فاندفع وقال : أنا أعرفه ، ثم أنشد قصيده الرائعة التي مطلعها :

انظر ترجمته في : الكنى والألقاب ٣ : ١٧ ، معالم العلماء : ١٥١ ، تأسيس الشيعة : ٤٦ و ١٨٦ ، رجال ابن داود : ١٥١ | ١١٩٠ ، رجال الطوسي : ٣/٤٦ ، معجم الشعراء : ٤٦٥ ، الشعر والشعراء : ٣١٠ ، تاريخ الإسلام ٤ : ١٧٨ ، سير أعلام النبلاء ٤٤ | ٥٩٠٤٤ ، طبقات ابن سلام ١ : ٢٩٩ ، وفيات الأعيان ٦ : ٨٦ ، مرآة الجنان ١ : ٢٣٨ ، البداية والنهاية ٩ : ٢٦٥ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٨٦ ، خزانة الأدب ١ : ٢١٧ ، شدرات الذهب ١ : ٢١٧ .

البحترى ، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي :

من فحول شعراء القرن الثالث الهجري ، كان معاصرًا لأبي تمام ، وكان يقال لشعره سلاسل الذهب .

توفي عام (٢٨٤ هـ) .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٣ : ٥٤١ ، الكنى والألقاب ٢ : ٥٨ ، الأغانى ٢١ : ٣٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٩٩ ، وفيات الأعيان ٦ : ٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٨٦ | ٢٣٣ ، تاريخ بغداد ٢١ : ٣٩ ، البداية والنهاية ١١ : ٧٦ ، شدرات الذهب ٢ : ١٨ ، المنتظم ٦ : ١١ .

وهب بن زمعة بن أسيد الجمعي :

كان شاعرًا مجيدًا ، له قصائد كثيرة في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين بن

(٣٨٧)

عليـ عليهمـ السلامـ .

خرج مع التوابـينـ المـطالـبـينـ بـدمـ الإـمامـ الحـسـينـ عـلـيـ السـلامـ معـ سـليمـانـ بنـ صـردـ الخـزـاعـيـ .

انظر ترجمته في : معلمـ الـعـلـمـاءـ : ١٥٢ـ ، أعيـانـ الشـيـعـةـ : ١٠ـ ، تـأـسـيسـ الشـيـعـةـ : ١٨٧ـ ، الأـغـانـيـ ٧ـ : ١١٤ـ .

معـينـ الدـينـ ، يـحيـىـ بنـ سـلامـةـ بنـ الحـسـينـ الحـصـكـفـيـ :

كانـ فـقيـهـاـ نـحـوـيـاـ كـاتـباـ شـاعـراـ ، خـطـيبـاـ مـفوـهاـ ولـدـ فيـ طـرـةـ حدـودـ عـامـ (٤٦٠ـ هـ) (٤٦٠ـ هـ) هـجرـيـةـ) وـنـشـأـ بـحـصـنـ كـيفـاـ ، وـقـدـمـ بـغـدـادـ حـيـثـ انـكـبـ عـلـىـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـدـرـاسـةـ الـأـدـبـ فـتـرـةـ منـ الزـمـانـ حـتـىـ بـرـعـ فيـ ذـلـكـ وـاشـتـهـرـ بـهـ ، ثـمـ عـادـ إـلـىـ موـطـنـهـ حـيـثـ توـلـىـ هـنـاكـ الـخـطـابـةـ وـالـإـفـتـاءـ .

لهـ قـصـائـدـ جـمـيلـةـ تـدلـ عـلـىـ تـشـيـعـهـ وـمـوـالـاتـهـ لـأـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلامـ ، مـنـهـاـ :

تـوـفـيـ عـامـ (٥٥٣ـ)ـ وـقـيلـ : (٥٥١ـ هـ)ـ عـيـاـ فـرـاقـينـ .

انظر ترجمته في : أعيـانـ الشـيـعـةـ : ١٠ـ ، الـكـنـىـ وـالـأـلـقـابـ : ٢ـ ، الـأـنـسـابـ : ٤ـ : ١٥٤ـ ، معـجمـ الـأـدـبـاءـ : ٢٠ـ ، وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ : ١٨ـ ، الـمـنـظـمـ : ٢٠٥ـ ، الـلـلـبـابـ : ١ـ : ٣٩٦ـ وـ ٢ـ : ٢٨٦ـ ، مـرـآـةـ الـزـمـانـ : ٨ـ : ١٤٢ـ ، الـكـامـلـ فـيـ التـارـيـخـ : ١١ـ : ٢٣٩ـ ، الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ : ١٢ـ : ٢٣٨ـ ، النـجـومـ الزـاهـرـةـ : ٥ـ : ٣٢٨ـ ، شـدـرـاتـ الـذـهـبـ : ٤ـ : ١٦٨ـ ،

(٣٨٨)

المختصر ٣ : ٣٤ .

يجي بن يعمر العدوي :

إمام القراء في البصرة ، كان تابعياً عالماً بالقرآن ، وفقهياً نحوياً لغوياً .

ولد في البصرة ونشأ في خراسان ، وعرف بتشيعه لأهل البيت عليهم السلام .

قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي ، وكان يعد من كبار العلماء .

اختلف في زمن وفاته ، فقيل أنه توفي قبل المائة وقيل بعدها .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ١٠:٤٠ ، الكنى والألقاب ١:٩ و ١٠ ، طبقات ابن سعد ٧:٣٦٨ ، التاريخ الكبير ٨:٣١١ ، البداية والنهاية ٩:٧٣ ، وفيات الأعيان ٦:١٧٣ ، طبقات النحوين واللغويين ٢٧ ، فهرست ابن النديم ٤٧ ، معجم الأدباء ٢٠:٤٢ ، نزهة الألباء ٨ ، تهذيب الكمال ١٥٢٩ ، تاريخ الإسلام ٤:٦٨ ، تذكرة الحفاظ ١:٧١ ، سير أعلام النبلاء ٤:٤٤١ / ١٧٠ ، تهذيب التهذيب ١١:٢٦٦ ، تذهيب التهذيب ٤:١٧١ ، النجوم الزاهرة ١:٢١٧ ، بغية الوعاة ٢:٣٤٥ ، طبقات الحفاظ ٣٠ ، شدرات الذهب ١:١٧٥ .

ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق الدروقي الأهوازي :

الإمامي ، النحوي واللغوي الشهير ، من عظماء الشيعة وكبار رجالاتها ، وبعد من خواص الإمامين التقين عليهما السلام.

كان حاملاً للواء العربية والأدب ، وله جملة واسعة من التصانيف الشهيرة .

قتله المُتوكِّل لعنه الله في الخامس من رجب عام (٢٤٤ هـ) عندما كان معلماً لولديه المعتز
والمؤيد ، حيث سأله : أيما أحب إليك ابني هذان ، أم الحسن والحسين ! !

فقال ابن السكينة : والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك.

فقال المُتوكِّل للأتراء : سلوا لسانه من قفاه . ففعلوا فمات رحمة الله تعالى برحمته الواسعة .

انظر ترجمته في : الكني والألقاب ١ : ٣٠٣ ، تأسيس الشيعة : ١٥٥ ، الخلاصة :

(٣٨٩)

١٨٦ / ٥ ، رجال ابن داود : ١٧٢٩ | ٢٠٦ ، رجال النجاشي : ٤٤٩ | ١٢١٤ ، تنقية المقال ٣ : ٣٢٩ ، طبقات النحويين واللغويين : ٢٠٢ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٣ ، نزهة الألباء : ١٢٢ ، معجم الأدباء ٢٠ : ٥٠ ، وفيات الأعيان ٦ : ٣٩٥ ، العبر ١ : ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ١٢ : ٢/١٦ ، البداية والنهاية ١ : ٣٤٦ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣١٧ ، بغية الوعاة ٢ : ٣٤٩ ، شذرات الذهب ٢ : ١٠٦ ، نزهة الألباء : ١٧٨ ، مرآة الجنان ٢ : ١٤٧ ، مراتب النحويين : ٩٥ ، المزهر ٤١٢ : ٩٤ ، إيضاح المكنون ٩ : ٣٠ ، الكامل في التاريخ ٥ : ٣٠ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٤٠ .

يعقوب بن داود :

مولى عبد الله بن خازم السلمي . كان والده كاتباً للأمير نصر بن سيار ، متولياً حراسان ، وكان — أبي والده — من المناصرين لبيه بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام في دعوته .

كان يعقوب سمحاً جواداً ، كثير البر والصدقة ، واصطناع المعروف ، وكثير التنقل والتجول في البلدان .

أودعه المنصور السجن مع أخيه علي بن داود لم يلوههما العلوية ، وبقيا في السجن حتى أفرج عنهما المهدي ، الذي لم يلبث أن قرب يعقوب إليه واستوزره ، بل وأسلممه أمور الدولة ، لما رأه من رجاحة عقله ، وحسن تدبيره ، فاصبح يعقوب هو الامر والناهي ، حتى قال بشار بن برد — على ما روي لخلاف بين يعقوب وبشار — :

بني أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتنا يا قوم فاطلبوها * خليفة الله بين الدن والعود

وروي أيضاً : أن المهدي طلب من يعقوب قتل أحد العلوين ، وأنحد عليه العهود ليفعله ، إلا أن يعقوب امتنع عن ذلك وأطلق العلوى ، فوشى به إلى المهدي ، فحبسه في المطبق ، حيث بقي فيه بقية أيام المهدي ، وأيام الهادي إلى أن أطلقه الرشيد بعد ذلك.

قيل : أنه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة هجرية .

(٣٩٠)

انظر ترجمته في : تاريخ العقوبي ٢ : ٣٥٢ ، تاريخ الطبرى ٨ : ١٥٤ ، معجم الشعراء : ٤٩٥ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٩٣ | ٣٤٦ ، العبر ١ : ١٨٩ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٤٧ ، مرآة الجنان ١ : ٤١٧ ، تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢١١ ، الكامل في التاريخ ٦ : ٦٩ ، وفيات الأعيان ٧ : ١٩ .

يونس بن يعقوب البجلي الدهني الكوفي :

كان خطيباً مفوهاً ، وعالماً فقيهاً ، ومن أصحاب الأصول المدونة والمصنفات المشهورة .

عده الشيخ من أصحاب الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام .

توفي بالمدينة في أيام الإمام الرضا عليه السلام .

انظر : رجال النجاشي : ٤٤٦ | ١٠٢٧ ، رجال الطوسي : ٣٣٥ | ٤٤ و ٤ | ٣٦٣ ،
الخلاصة : ١٨٥ ، تنقیح المقال ٣ : ٣٣٤ ، فهرست الطوسي : ١٨٢ | ٨١٠ .

أبو أمية الكوفي :

كان يعد من كبار التابعين وساداتهم . قيل : قدم المدينة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ ، إلا أنه كان قد أسلم في حياته . وشهد اليموك مع المسلمين .

يعده أصحابنا من أولياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وولده الإمام الحسين عليه السلام أيضاً .

نزل الكوفة وبقي فيها حتى وفاته عام ثمانين وله من العمر مائة وثلاثون سنة .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٧: ٣٢٥ ، الكنى والألقاب ١: ١١ ، تنقیح المقال ٢: ٧٢ ، طبقات ابن سعد ٦: ٦٨ ، التاريخ الكبير ٤: ١٤٢ ، المعارف: ٢٤٣ ، أسد الغابة ٢: ٣٧٩

حلية الأولياء ٤ : ١٧٤ ، تاريخ الإسلام ٣ : ٢٥٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٦٩ | ١٨ ، العبر ١ : ٦٨ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٥٠ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٤ ، البداية والنهاية ٩ : ٣٧ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٠٣ ، شدرات الذهب ١ : ٩٠ .

أبو رافع :

اختلف في اسمه ، فقيل : اسمه إبراهيم ، وقيل : أسلم ، وقيل : ثابت ، وقيل : هرمز وصالح .

(٣٩١)

يعد في الطبقة الأولى من الشيعة.

كان قبطياً عند العباس بن عبد المطلب فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما بشر صلى الله عليه وآله بإسلام العباس أعتقه .

هاجر من مكة إلى المدينة ، وشارك مع المسلمين في غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله .

لزم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه حروبه ، وبعد استشهاد الإمام عليه السلام رجع إلى المدينة مع الإمام الحسن عليه السلام ، حيث أعطاه قسماً من بيت علي عليه السلام ، لأنه باع داره عند خروجه مع الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة .

انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٤ / ١ ، الكني والألقاب ١ : ١٧٤ ، تنقية المقال ٣ : ٦ (باب الكني) ، تأسيس الشيعة : ٣١٩ و ٣٤١ ، أعيان الشيعة ٢ : ٣٥٠ ، طبقات ابن سعد ٤ : ٤ ، أسد الغابة ١ : ٥٢ ، تمهيد التهذيب ١٢ : ١٠٠ ، تذهيب التهذيب ٤ : ٢ / ٢١٢ ، الإصابة ١١ : ١٢٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٣ / ١٦ ، الجرح والتعديل ٢ : ١٤٩ ، تاريخ ابن معين : ٧٠٤ .

أبو سلمة الخلال :

صاحب الدعوة العباسية .

كان أديباً عالماً ، ومحدثاً بارعاً ، ورجل سياسة وتدبر ، وكان من وجوه أهل الكوفة ورجالاتها ، ومن أكثر القائمين بالدعوة العباسية ، إلا أنه لم يلبث أن اتهم بأنه علوى الترعة ، وأنه يحاول صرف الدعوة إلى آل أبي طالب ، فقتله أبو العباس السفاح ، وذلك في عام (١٣٢ هـ) بالماشمية قرب الكوفة ، ودفن فيها .

انظر ترجمته في : أعيان الشيعة ٦ : ٢٠١ ، الكني والألقاب ١ : ٨٩ ، تاريخ الطبرى ٧ : ٤٤٩ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٣ | ٧ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٥٩ شدرات الذهب ١ : ١٩١ .